فرسان العروبة



مذكرات الشهيد العقيد الركن صلاح الدين الصباغ

التبعية...

وزارة رشيد عالي الكيلاني

اسرار الحرب العراقية - الانكليزية

تقديم ومراجعة : سمير السعيدي

مذكرات الشهيد العقيد الركن
صلاح الدين الصبّاغ

Δ تانيت للنشر

اسم الكتاب : فرسان العروبة

مذكرات الشهيد العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ

المؤلف : صلاح الدين الصبّاغ

الطبعة الأولى : ١٠٠٠ / ٥ / ١٩٩٤

إشراف وتنفيذ : تانيت للنشر والتوزيع

Δ تانيت للنشر

رقم الإيداع: الرباط – المغرب

9981-817-01-5. 1994 - 179

حسن يوسف اللحوشي



الشهيد العربي صلاح الدين الصبّاغ.

من كلمات الشهيد العربي:

* إن العالم كلّه يقاوم الوحدة العربية ويمنعها، ويقيم العراقيل أمام تحقيقها. إن الوحدة العربية إذا تحققت، ستقلب كل المخططات والسياسات العالمية رأساً على عقب.

* دمت يا رايتي العربية رمزاً أبدياً فوق قبري، فقد ضحّيت بنفسي لأجلك.

* علينا بمثل هذه الظروف العالمية أن نستغل الفرصة لانتزاع حقوقنا من غاصبها.

* إن البلاد العربية مترامية الأطراف، زاخرة بالخيرات. فهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى بحر عمان، وتلتقي فيها الطرق بين ثلاث قارات.... ومن العجيب أن العرب يتمتّعون بكل هذه الأسباب التي تخلق الأمم العظيمة، ومع ذلك فإن بلادهم مازالت ملكاً لغيرهم..!!

* اللّهم، أعد للعرب قويم الأخلاق، ومتّعهم بالاستقلال والحرية.

* إن العروبة، أعزّ عزيز عندي.

* ليتأكد كل عربي أنني وإخواني، ضحينا في سبيل الوطن بكل عزيز لدينا. بمالنا وبأنفسنا وبسمعتنا...

المقدمة

فقه العروبة

في الوقت الذي شهد فيه العراق، وباقي البلدان العربية المجاورة أسوأ الأوضاع السياسية والاقتصادية في ظل عهود ومواثيق وقيود الانكليز والفرنسيين، كان صلاح الدين الصبّاغ يردد مع نفسه "عاهدت الله أن أشرب الحنظل، مابقيت البلاد العربية طريقا لأمبراطورية الانكليز، وما بقيت حيا".

وكان يردد مع رفاقه الوطنيين قول الشاعر :

ولي وطنٌ آليتُ ألاّ أبيعه وان لا أرى غيري له الدهر مالكا

كما أن التذمر الشعبي والانتفاضات الجماهيرية قد تبلورت وانبثقت هنا وهناك، على أثر معاهدة "الاستقلال الناجز" عام ١٩٣٠ والتي قيّدت العراق بمعاهدة مشبوهة، أبرمها الانكليز مع حكومة ذلك العهد. وسرعان ما ازداد نشاط العشائر كظاهرة سياسية تسعى الى اسقاط التشكيلات الوزارية والسيطرة على الحكم. وفي موازاة هذه الظاهرة سادت حالة قصوى من الفساد والتحلل داخل المجلس النيابي، ووهنٌ وعجزٌ واضحان في قوى التنظيمات السياسية المعارضة في منتصف الثلاثينات..

وفي ظل تفاقم الأوضاع، تعدّدت الأسباب الداعية الى أن يستلم الجيش زمام المبادرة، ويتصدّر واجهة الحياة السياسية كوسيلة للتغيير واستلام السلطة. وقد كان ايمان العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ من بين رفاقه وزملائه لايحدّ، بامكانية بناء دولة عربية قوية موحدة في المشرق العربي. أساسها ومنطلقاتها المثل القومية العليا، وتاريخها، تراث المنطقة وارث الأنبياء..

وفي شعلة هذه الأصالة والحماس، كان يعمل صلاح الدين الصباغ وإخوانه على تدريب الثوار الوطنيين من أبناء فلسطين وسوريا في المعسكرات العراقية. كما قدّموا مايستطيعون من المساندة العسكرية الى ثورة ١٩٣٨ الفلسطينية وثوّارها. ويوم قدم الزعيم الفلسطيني أمين الحسيني الى العراق عام ١٩٣٩، نشأت رابطة علاقة قوية، متينة، بين

الحسيني وصلاح الدين وزملائه الآخرين، ممن تتأجج في صدورهم مشاعر الوطنية والاستعداد للفداء من أجل التحرر والاستقلال والوحدة. فنتج عن هذه الروابط والحوارات المتكررة لجنة سرية يقودها الحسيني، وتضم العديد من قياديي الحركة القومية في كل من سوريا وفلسطين.. لقد سميت هذه اللجنة بـ"اللجنة العربية" وكان العقيد الركن الصبّاغ، من أهم وأبرز أصواتها وأعضائها.

كان الانكليز حريصين كل الحرص على إبقاء الجيش العراقي دون أسلحة حديثة متطورة. وكان صلاح الدين ورفاقه يسعون بشتى الطرق الى امداد الجيش بالسلاح تحسّبا للمواجهة، وترقّبا للمهام الوطنية والقومية الملقاة على عاتقهم. وفي ذات الوقت كان العملاء والخونة يسعون الى نسج شتى التبريرات والخدع والأباطيل للحيلولة دون ذلك، واتاحة الفرص والسبل للانكليزلإحتلال البلاد العربية وبسط امبراطوريتهم ..

وكانت من مطالب الانكليز على مجلس الدفاع الأعلى أن يفتح العراق أبوابه أمام الجيوش البريطانية، وأن تشترك فرقتان عسكريتان عراقيتان في الحرب العالمية الثانية ضد الحلفاء في ليبيا. وقد اقترح نوري بن سعيد أن يترأس الفرقتين العقيد الركن صلاح الدين وقد حاول بكل السبل اقناعه بذلك.

كما تكررت محاولاته لاقناع بعض قادة الجيش بذلك، ولكن عبثا. ويستحضر العقيد المرحوم قول الفريق حسين فوزي لـ"نوري السعيد" تعقيبا على الحاحه في هذا المسعى: "لو مرّت الفرقتان العراقيتان بحلب وسأل حلبي جنديا عراقيا:.. (خيو وين رايحين؟)، فهل يجيبه الجندي، بأنه في طريقه الى قتال الالمان، بينما سوريا وفلسطين تئن تحت جور الفرنسيين والانكليز؟

كان يطالب الشهيد صلاح الدين الصبّاغ عكس مايبيّت له المتآمرون. حيث طالب هنا مثلا بارسال هاتين الفرقتين الى سوريا وفلسطين للمساهمة في تحرير هذين البلدين من جور الاحتلال الفرنسي والانكليزي. وكان أن قصفت القوات الانكليزية بغداد وسائر المدن العراقية أثر عدم استجابة الجيش لمطاليبهم. وقد قاد صلاح الدين الجبهة الغربية في المواجهة عام ١٩٤١ عند اندلاع الحرب العراقية البريطانية. ولكن عدم اطاعة الأوامر والخطط العسكرية، وانهيار معنويات البعض، وعدم موافقة الضباط على قيادة الفرق، أدى الى ضعضعة صلابة الجبهات، فتمكّنت القوات البريطانية من احتلال أغلب المواقع. ومع ذلك قدم الشهيد الصبّاغ واخوانه (رشيد عالي الكيلاني وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ويونس سبعاوي) أبلغ الدروس للمحتل الأجنبي، وأسطع صور البطولة والفداء من أجل الاستقلال والتحرر،

ومن أجل المثل القومية العليا، ان حماسة العقيد الركن صلاح الدين القومية والوطنية دفعته لأن يقاوم مع نفرٍ عديدٍ من اخوانه حشود هائلة من القوات البريطانية بكل أسلحتها المتطورة. وفي ذلك تكمن ترجمته الواقعية للحلم بالاستقلال والحرية وانشاء نواة الدولة العربية القوية الواحدة. كما يكمن في ذلك معنى فقه العروبة عند فرسانها الأوائل الذين ساهموا أمام الملأ بتأجيج وتأصيل المشاعر القومية عند سائر أبناء الجيل العربي في الثلاثينات والأربعينات. ومن الطبيعي أن يطارد الانكليز وعملاؤهم صلاح الدين الصبّاغ واخوانه، ويحكمون عليهم بالاعدام وهنا نشترك مع العقيد الصبّاغ في طرح الأسئلة، كما جاءت على لسانه في هذا الكتاب:

من هو الخائن؟

من الذي سلّم العراق ومقدراته الى المستعمر المحتل؟

من صافح الجنرال الفرنسي "غورو" عند احتلاله دمشق؟

من سعى الى تعطيل مهمة القادة الوطنين في الجيش، وأبعدهم عن سوح المواجهة ضد المستعمر الانكليزي والفرنسي؟ وهل يكفي أن نقول أنهم عملاء الاستعمار وزبانيته، أم أنها ارادة المستعمر وخططه، وهم الأدوات المنفّذة والعبيد؟؟ والى متى يعيش مثل هؤلاء الخونة، والأحرار يقتلون؟ انه سؤال الشهيد يوسف العظمه حين رأى نوري بن سعيد...

لايمكن أن تتعايش الوطنية مع الاستعمار. ويعقّب الشهيد صلاح الدين: "انني مذنب لأني وطنيٌ.. وكفى ذنوبا في شريعة المستعمر المحتل". مما اضطره الى هجرة العراق عام ١٩٤١ الى ايران. وهناك أيضا طرق الانكليز كل الأبواب في محاولاتهم لاحتواء العقيد الصبّاغ، مستغلّين صعوبة وقساوة ظروفه الصحية والنفسية والعائلية، ولكن الردّ كان دائمًا حاداً وفاصلاً. وقد عقّب أحد الأجانب الذين اتصلوا بصلاح الدين الصباغ في طهران على موقفه: أرى أن خصومكم أحرص من الانكليز على ملاحقتكم (ويقصد نوري وأتباعه)، وأرى أن بريطانيا لاتتردد في تفضيلكم عليهم، لو وجدت فيك ميلاً للتفاهم معها، وأرى أن خصومكم يبذلون أقصى الجهود للقضاء عليكم وبسرعة..

ورغم ظروف النفي والحكم الغيابي المعلن بإعدام صلاح الدين، كانت إجابته على تلك المغريات بمايلي: لا والله:

لاتسقني ماءَ الحياة بذلّةٍ بل فاسقني بالعزِّ كأسَ الحنظلِ

ماءُ الحياةِ بذلّةٍ كجهنّمٍ وجهنّمُ بالعزِّ أطيب منزلِ

ومن ايران الى تركيا كلاجئ سياسي، وقد اتفقق العملاء هنا وهناك على مطاردته أينما حلّ

وقد تم تسليم العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ الى السلطات البريطانية في ميدان "اكبس" على الحدود التركية – السوريا، في يوم الأحد ١٩٤٥/٩/٣٠ ثم ارسل الى بغداد واستشهد محكوما بالاعدام في ١٦ تشرين الأول من عام ١٩٤٥ بتهمة باطلة ملفّقة من قبل الانكليز وأتباعهم. لكنه في الحقيقة ازداد انتسابا بشهادته الى الأرض العربية وتاريخها البطولي من أجل قيم الحق والعدالة والتحرر.

فالتحق بموكب رفاقه (فهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعاوي وكامل شبيب) وغيرهم ممن اغتيلوا وقتلوا واعدموا.

ان مادوّنه العقيد الصبّاغ في هذا الكتاب هو أقرب فعلاً الى الاعترافات منه الى المذكرات كما جاء على لسانه. وفيها سرد دقيق لتفاصيل واقعية حصلت في أخطر مرحلة من مراحل النضال ضد الاستعمار البريطاني في العراق بشكل خاص. ويقول الشهيد – الكاتب، بأن أفكار الكتاب لاتشير الى ماستكون عليه أفكاره مستقبلاً، فيما لو قدّرت له الحياة عمراً آخراً، وفي ذلك ايضا نجد اعترافا ضمنيا بأحقيّة تطور التجربة الفكرية والعسكرية والاجتماعية بتطور الحياة التي يؤمن بها الشهيد، ويؤمن بحرّية أبنائها بالاستقلال والانعتاق.

كما نجد في لغة تدوين الكتاب صيغة المتكلم والمخاطب في ذات الان، مما أعطى المفردات حيوية تنبض بالعفوية والصدق، مهما امتد الزمن، ومهما تبدلت المراحل.

هي لغة الأعماق والحرص والمحبة القصوى للشعب وللوطن، كاللغة التي عبّر بها العراقيون عن مدى انشدادهم إلى وطنية الملك غازي. حتّى كانوا يتوجسون مؤامرة ضدّه وهو حي يرزق قبل حادثة السيارة الشهيرة. وكانوا يرددون هذه المخاوف في أهازيجهم: «ها.. ها.. ها.. غازينه بس لايتبدّل»، على سبيل المثال...

ونحن هنا في سعينا لإعادة طباعة هذا الكتاب، لم يخطر ببالنا مطلقاً، إعادة التشهير بمن وردت أسمائهم بين صفحات المذكرات.. بل غرضنا التركيز على تفاصيل الأحداث قبل وبعد عام ١٩٤١، ومايمر به وطننا العربي الآن من ظروف تكاد تكون مشابهة للأحداث التي تناولها المؤلف حينئذٍ. ونجد في تكرار الحقائق فائدة للجميع وتعميم درس هام من دروس الوطنية للأجيال العربية اللاحقة، التي تسعى إلى ذات القيم والمبادئ التي ضحّى من أجلها بحياته كاتب هذه المذكّرات وكذلك رفاقه الآخرون... ولكي ننجز الكتاب بطبعةٍ أكثر الماماً وتوثيقاً واضافةً «باعتقادنا» ارتأينا أن نختار بعضاً مما كتب وقيل ونشر حول تجربة صلاح الدين الصباغ النضالية. خصوصاً في المرحلة الصعبة الأخيرة من حياته، وبعد

استشهاده. وقد جاء أغلبها في كتاب «شهيد العروبة». وقد أدرجناها كوثائق أو شهادات مرقّمة بين فصول هذا الكتاب، علماً أنها «الشهادات»، لم تكن ضمن مذكّرات الشهيد الأصلية بالطبع.

ويأتي الكتاب في مثل هذه المرحلة من الانكسار العربي، ليضيء صورة ناصعة من أبجدية القيم الوطنية والقومية العربية. ويشير الى أهمية قراءة التاريخ السياسي في العراق مرة أخرى وأخرى، وبصورةٍ حياديةٍ خالية من الأحكام المسبقة الصنع والتوصيفات الجاهزة .

سمير السعيدي

١٩٩٤

ياصيحةَ الصبّاغ

ياصيحة الصباّغ، يادَمَهُ الزّكيّ على الصعيدِ
ياثأرَ يونس، و الدم العربي مبخرة الخلودِ
ياشهقة الشهداء بين النار تزأر والحديدِ
يامركب الأبطالِ في بغداد ، ياسُمر الفهودِ
ياصاعدين على المشانقِ زهو تيجان "العبيدِ"
شقّوا القبورَ ، تطلّعوا بغداد تبعثُ من جديدِ
كحّل جفونك ياصلاح الدين بالفجر الوليدِ
وانظر ، دماؤك في نشيد الثأر عنوان النشيدِ
انظر ، هنا صلب الشهيد ، فمن ترى بعد الشهيدِ
ماذا على مبنى الدفاع ، وعبر ساحات الرشيد ؟
موجٌ ، كقاصفة الرعود ، بلى كقاصفة الرعودِ
وثأر أشلاء الخيانة تحت أقدام الحشودِ
والعرش ، عرش العار ، أنقاضٌ على جنبات عيدِ
ياثأر يونس ، يادم الصبّاغ ، ياأرض الجدودِ
عودي ، تمزقت السدود . وطُهرت بغداد ، عودي

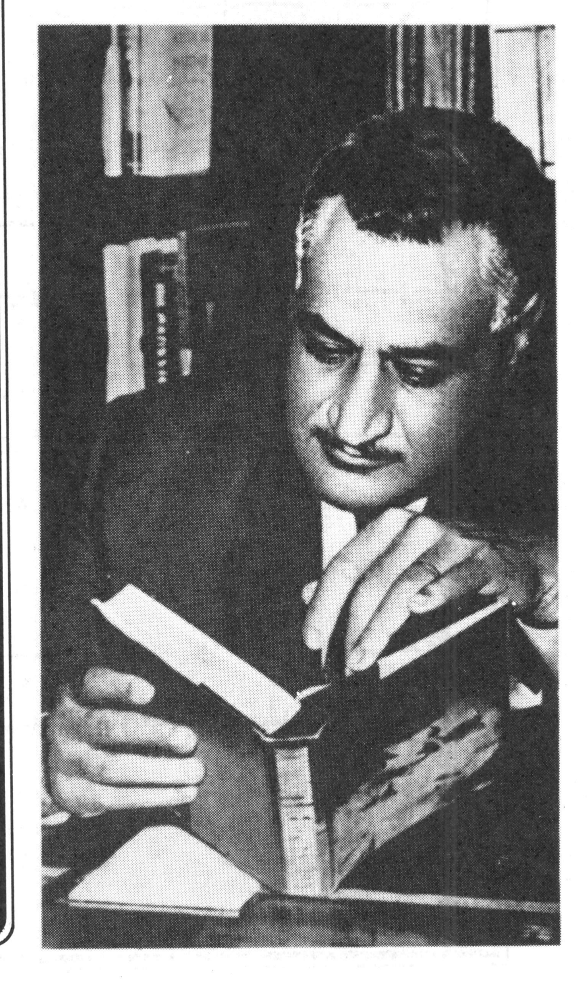
الشاعر العربي الكبير
سليمان العيسى

"عند اعلان ثورة العراق"

لا شك أن في تسجيل حياة بطلنا الشهيد ابراز للمثل العليا وتسجيل للقدوة، وافادة من ذكرى الخالدين بدراسة معالم البطولة في تاريخهم، وعرض جوانب المجد من أعمالهم حتى يهتدي بها شباب الأمة العربية فيحققوا للقومية العربية آمالها الكبار..

الرئيس

جمال عبد الناصر



الإهـــداء

إلى الجندي الذي تأبى حميته الوطنية أن تجتاح الجيوش الأجنبية بلاده، فتهتك حرماتها وتسبي نساءها، فيحمل بندقيته، مفضّلاً الموت على خدمة الأجنبي، وحراسة خطوط مواصلاته ومداخر تموينه.

إلى الضابط الملّم بصناعته، الخبير بالأركان الحربية.

إلى العربية التي ترضع طفلها حب الوطن والعروبة.

إلى كل مواطن عراقي مخلص.

إلى كل عربي قومي.

صلاح الدين الصباغ

الوصية

زوجتي العزيزة والدة نزار وربيعة،

زوجتي العزيزة والدة انمار،

أولادي الأعزاء نزار وربيعة وأنمار.

كنا مكتفين قانعين بعيشنا البسيط الهنيء ولا سوء لنا على غيرنا، ثم قدّر الله أن يفرّق بيننا إلى الأبد. وهذه مقادير الله لايمكن ردها، وليس لنا إلا أن نطلب منه الرحمة، وابقاء عائلتنا حصينة الشرف، فلا يطعن بها ولا تطعن بأحد. وكل ماأبتغي هو أن تبقى عائلتي مصونة الكرامة بعيدة عن المكاره والأعمال المشينة بسمعتها. فاوصيكما بتربية أطفالنا على نهج القومية الحقّة وال[illegible]ي، وإن لايؤذوا بشرا مهما كانت قوميته.

أنا آسف ياأولادي الأعزاء ويازوجتيّ لأني أترككم وأنتم لا تملكون داراً أو درهما أو عقاراً. والله يعينكم، وبنو جلدتي كرام وإن جاروا علينا.

ولدي نزار: أوصيك بإخوتك، وأرجو أن تجتمعوا في بلد واحد، وإذا أمكن ففي دارٍ واحدة، أنتم وأزواجكم وأولادكم. وأن تكون أنت الوصيّ على تربية إخوتك تربية تشرّف سمعة العائلة التي انحدرت منها. واسكن صيدا قرب بيروت، ولا تكن مثلي وحيداً بلا معين، بلا أخٍ أو خالٍ أو أم، بذلك تنالون من أقربائكم المعونة، وإن انقطعت الصلة منذ أمد بعيد.

وأوصيكم ياأولادي أن لا تنتخبوا مسلكاً غير المسلك الحر، ليكفيكم شر وساوس الناس ومكرهم وخداعهم، كما حدث لي، فكان أن حلّت بكم النكبة، ففقدتم والدكم وسندكم الوحيد بعد الله.

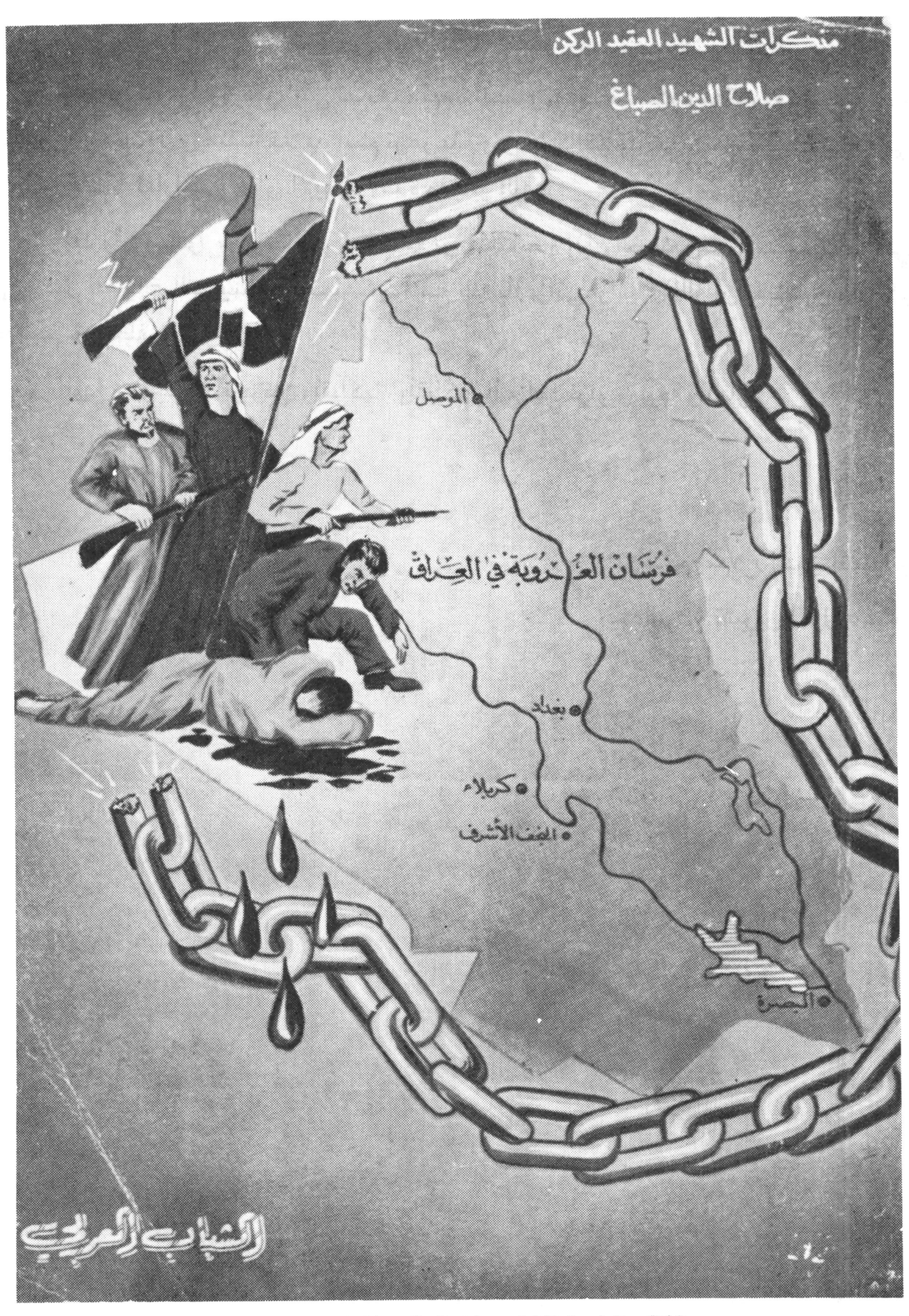
ماأكثر شوقي لرؤيتكم، إني سأذهب بهذه الحسرة، فقد تركتكم أطفالاً، وقد مضت مدة تتجاوز أربع سنين ونصف، فلا بد أنكم ترعرعتم وأن أشكالكم قد تبدّلت، وقد كنت تواقاً إلى رؤيتكم قبل أن أفارقكم الفراق الأبدي، وهذه مقادير اللّه.

لابد وأن تجدوا من رجالات العرب بعض المساعدة إذا راجعتموهم، فقد فديت نفسي في سبيل الغايات التي يستهدفونها. كونوا مع الله ياأعزائي، واسأل الله أن يعينكم ويحفظكم ويبقيكم خير خلف.

الوداع زوجتيّ العزيزتين وأقبّلكما، وأقبّلكم ياأعزائي نزار وربيعة وأنمار

والدكم صلاح الدين الصباغ

بغداد ١٥ تشرين الأول ١٩٤٥



غلاف الطبعة الاولى عام ١٩٥٦ (الشباب العربي)

الفصل الأول

الفاتحة

- الأهداف.
- السجل.
- لماذا نستعمر؟
- العربي بين العقيدة والأنانية.
- من قيود المعاهدة العراقية الإنكليزية.
- مبادئ الإنكليز في العراق.
- رأي أجنبي.
- في تعريف الخائن.
- نحن والإنكليز.
- نحن والألمان.
- قصر أعمار الوزارات.

بسم الله الرحمن الرحيم

في سبيل مبادئ محمد العربية السامية ....

في سبيل الراية العربية ....

يطاردني اليوم في إيران الإنكليز والروس والإيرانيون والعراقيون، جنودهم وشرطتهم وعيونهم وسفاراتهم.

لقد أقصيت اليوم من إيران، ولا أدري ماذا حل بإخواني الأبرار. وإني لأجوب الآن القرى والأكواخ النائية، فلا أرى من حولي غير الهول والدمار، ومن ورائي ذئاب البر وذئاب البشر.

إن البرد قارس، وماعليَّ من لباس قد تمزق، وأنا لاأملك ما أسد به الرمق.

لا معين ولا مغيث سواك يامتعالٍ، فإن كتب عليَّ الموت، فصن ياإلهي مادونتُ من حقائق، وأهدِ إليها من يتقي الله، ويشفق على الإنسانية، ليودعها عربياً باراً، فتكون حجة لقومي، وعبرة للأجيال القادمة.

. . مازلت مؤمناً أنك منقذي من هذه المحنة، ومادّاً في عمري، وآخذاً بيدي لأتمم رسالتي ومذكراتي. وأنا من أمة باركت فيها وخاطبتها بقولك: «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

أنت العليم، وأنت أحكم الحاكمين.

لئن حكمت علي محكمة عبيد الانكليز التي يرأسها عبد الاله بالإعدام حكماً غيابياً، فإني اليوم ماثل أمام ربي الذي أخشاه، وفي أشد مايتصور الإنسان من ضيق وحرج. وهذه الصفحات سرد لما بقي عالقاً في ذاكرتي من الحوادث قبل أن يحاربنا الانكليز الطغاة. وما دونتها لابرر موقفي أو لابرئ ساحتي وساحة اخواني. لكني عرضت فيها حالتنا، وكيف كانت، وشرحت شعورنا ماهو، وأوردت أقوالنا بالنص والحرف بدون تعليق على الحوادث، وبدون مناقشةٍ لما كان علينا أن نفعل أو ألا نفعل.

ثم إن هذه الصفحات، لاتصور أفكاري اليوم وأنا في حالتي الراهنة، ولا تنبيء بما

ستكون عليه أفكاري في المستقبل، إذا بقيت على قيد الحياة، كما أنها لا تشير إلى أفكاري لمّا حاربنا الانكليز؛ وذلك بعد أن اختبرت الأحداث واتعظت بعبر الأيام وعلمت في أي درك من الإنحطاط الخلقي يعمه أعيان قومي ووجوههم.

أيها العربي، هذه الصفحات أقرب إلى الإعترافات منها إلى المذكرات، أضعها بين يديك لتطعن بي وبإخواني ماتشاء، ولتناقش أخطاءنا مايحلو لك. ولست أريد منك الشفقة، بل الإنصاف. ولا أسألك الرحمة، بل الحكمة. لاتنس أن التاريخ ظالم، وأن الضعيف إذا حالفه النصر، أحيط بهالات المجد وأكاليل الغار، وإذا لازمه الفشل، كيل له الذم، وأوقع عليه اللوم.

صلاح الدين الصباغ

أولاً:

الأهداف

من أهدافنا ...

الأخلاق   المساواة   الرأي للأمة   العروبة   القوة

آ- الأخلاق:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ومن مكارم الأخلاق الصدق في القول والعمل، والطهر في الظاهر والباطن. لاتؤذِ غيرك، ولا تعتد عليه لابالقول ولابالفعل وإن كان حيواناً. لاتحجم عما يعود على المجتمع بالخير.

ب- المساواة:

«إنما المؤمنون أخوة». ومن الأخوّة التساوي. فلا فرق بين قوي وضعيف ولابين غنيّ وفقير، ولابين أبيض وأسود. «إن أكرمكم عند الله أتقاكم». ومن الأخوّة التواصي بالعدل. فلا يجوع الفقير ويتعرى، وأخوه الغني ينعم يالطيبات.

بلاد العرب ملك العرب. على أن من سكن بيتي وكان معي، لا عليَّ، كان مني وكان آمناً.

جـ- الرأي للأمة:

«وشاورهم في الأمر»، «وأمرهم شورى بينهم» ولا رأي ولا مشورة بلا حرية. وهي حرية الفرد في نطاق الأخلاق والأخوة. قال عمر «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أماتهم أحراراً» فنعم القول ونعم الديمقراطية.

د- العروبة:

«إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» ومن ذلك التفاني لمجد العروبة وصفاء جوهرها. ومن ذلك أن يعرف العربي نفسه وسمو مكانته بسمو مبادئه.

فينود عنها، على أن لايتعدى حق غيره، ورحم الله من عرف ماله وما عليه. بمثل هذا «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

و- القوة:

«وأعدّوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم»

لا لنعتدي، بل لنرد الاعتداء. «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم». والقوة بالتسلح مادة ومعنى، علماً وفناً. ومن القوة، العمل وتسخير الطبيعة واستثمار مواردها «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور»

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون». فمن لا يعمل فإنه لا يكون جديراً بوراثة أرضه ولا يستطيع أن يحمي حماه أو يذود عن مبادئه.

١- في الأخلاق:

مبادئنا هذه تحارب التعصب الأعمى وعادات الجاهلية، وترحب بكل اجتهاد جديد يسعد العائلة ويبقى على جوهر العروبة (الملحق ١)

نريد تعليم المرأة لتقوم بأعباء الحياة الاجتماعية، على أن لا يدنّس ذلك عفافها ولا يصرفها عن واجبات البيت وحنان الأم. وأن تستمتع كالرجال بمحاسن الطبيعة وبملذات الحياة، في حدود الأخلاق والسجايا العربية.

نريد إزالة ماعلق بعاداتنا من شوائب لاتليق بالحضارة ورقي العقل، وأن تقوم في بلادنا مصانع ومعاهد تضم علماء ومخترعين ينقطعون إلى البحث العلمي ويحاولون الصعود إلى القمر ليكبروا قدرة الخالق وليتأكدوا من كروية الأرض، ويتفهموا آيات الكتاب بأنهم وأرضهم في فلك يسبحون.

نريد إنشاء المصحّات وإشادة بيوت الأمة في أصغر القرى وأبعد النواحي.

نريد ادخال التعليم في كل دار، وطرد الأمية من كل زاوية.

نريد احياء ملاهينا وألعابنا القومية وتشذيبها. مراعين في ذلك الذوق السليم والخلق القويم، ومستخدمين مبتكرات الفنون العصرية.

نريد مقاومة الإلحاد وتحقيق حرية العبادة وتنظيم المعابد وجعلها جذّابة، تحيطها الجنائن الغنّاء لتذيع على الأنام مبادئ السلام والإسلام.

نريد ونريد، ولكن الإستعمار لا يريد.

٢- في المساواة:

مبادئنا هذه تحارب الإستعمار، وتناضل ضد الإستعباد، وتناحر التفاخر بسمو العنصر. فالإنكليز والألمان يعتبرون غيرهم حيوانات سائمة، والأمريكيون يرهقون الهنود الحمر ويريدون محقهم، والفرنسيّون يريدون مسخ أبناء المستعمرات إلى عنصر آخر، كما يفعلون بعرب المغرب «واقوماه».

أما نحن فالناس عندنا سواسية، لافرق بين الأسود والأبيض، فهم جميعاً عباد الله. وعبد الله لا يستعبد ولا يستعبده أحد. على أن من سنة الطبيعة التنوع في المخلوقات والعناصر، والإختلاف في المزايا والمشارب. مثلها كجنة تنوعت أزهارها فزادت بهاءاً. وهكذا كان البشر عناصر مختلفة الخواص والميول، وكذلك كان الحيوان والنبات.

واختلاف العناصر، سنة طبيعية، نراها واضحة فيما تصنعه يد الإنسان. فالمدافع والطائرات مثلاً أصناف، ولكل صنف مزية وطاقة. لذلك فإن إزالة الفوارق العنصرية بين البشر وأفراغهم في قالب واحد، أو محو عنصر ليعيش على رفاته آخر، ماهي إلا محاولات تتحدى التكوين الطبيعي وتنشر الإضطراب في الحياة الإجتماعية، بل إنها توحّش حيواني تحاربه المثل العليا.

٣- في الرأي:

ماكان محمد (ص) ليستخلف ولده لو كان له ولد، بل إن محمداً لم يزكِّ لخلافته أحداً، كي لا تنتقص حرية الرأي إذا هو فتح الباب لمحاباة الأقربين.

وفي كتاب الله آيات تقضي بأخذ رأي الجماعة بحرية مطلقة. «وشاورهم في الأمر» — «وأمرهم شورى بينهم» فحرية الجماعات والأفراد تنعدم إذا كان الحكم «لابن الدلال» أمراً مقضياً وكان العرش له مجلساً مرتقباً يعتليه بلا تعب أو نصب، بلا رأي ولا انتخاب، فهو يصرّف الأمور كما يشاء هواه لا كما يريد الشعب، وهو صاحب الحول والطول.

هذا السلطان الوراثي هو أشنع ضروب الرجعية، وأظلم بقايا العصبية القبلية، لأنه لا يماشي تطور العقل ومدنية العصر. فالتاريخ يؤكد أن الأمة ليست بضاعة تورث، وأن الملوك ليس لهم حق إلهي في الحكم. والطبيعة تقرر أن الإبن قد لايرث محاسن أبيه البطل، وأن الملوك وآلهم من طينة البشر.

أما السلطان الصحيح، فهو سلطان العصاميين الأكفاء الذين يقيمونه بالعمل لا بالوراثة. هؤلاء العصاميون هم وحدهم الجديرون بالتكريم والإشادة بأسمائهم والاعتراف بأعمالهم الخالدة والاحتفاظ بتراثهم الجليل.

أما ادّعاء الخلف لملك السلف، فهو أمر مجحف بحقوق الأفراد، ويردي البلاد في وهدة التأخر. ومن عجبٍ أن يقوم بين الناس غرٌ غمر لا يفرق كوعاً من بوع، فيقول: (أنا ربكم ووليّ أمركم، ذلك حق ورثته عن آبائي وأجدادي) ثم لا نجد بين الناس معترضاً يعترض أن (ليس لك من آبائك ياهذا غير الجسد، فإن ابتغيت مجداً، فدونك الميدان تعمل فيه مع العاملين من بني قومك، وتناضل، فتفوز أو يفوز أكفأ منك). وإن شبه الملك هذا ليرتدي حلة الزعماء والحكماء، وبزة القواد العظماء، والكل يعلم أنه صنم لا خير فيه ولا كرامة. لكن لا كرامة لمن ورث ملكاً وإمارةً، فطغى على قومه وتكبر، وأحنى للأجنبي هامته وتذلل، وهو إلى ذلك جاهل أحمق. ويل لأمة تولي أمورها لمثل هذا، وهيهات أن تحيا.

٤- في العروبة:

٥- وفي القوة:

مبادؤنا من تراث الأنبياء ومن وحي الإله، لإسعاد كل حي على وجه الأرض. وهي تكفينا شر البلشفية والنازية والديمقراطية الانكليزية. فإن هذه أسماء برّاقة تخفي وراءها تيارات همجية من الأخلاق المادية الغربية. تعمل على القضاء على المثل القومية العليا، التي كان أسلافنا مبدعيها وحاملي مشعلها. فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. تمسكوا بالفضيلة، وأصلحوا من أمركم، ولينظر كل منكم لمصلحة أخيه كما ينظر لمصلحته هو. بذلك تصونون جوهركم، وتحفظون تراثكم، وترثون أرضكم.

ملحق رقم - ١ -

يعيبنا غير المسلمين من المستشرقين المغرضين، وبعض المفكرين المضللين، على تعدد الزوجات، مع أن السفاح في الغرب مباح أو يكاد. وفي هذا أقول بعد مراجعة الآية «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىً وثلاث ورباع، فإن خفتم ألاّ تعدلوا، فواحدة». إن السلف أساء التصرف ومازلنا نسيء الفهم. فالمتيّم الذي سلب الحب مشاعره وأعمى بصائره، والنهم الذي يريد إشباع رغباته وأطماعه، لايمكن أن يعدل. والعدل عموماً لا يُطلب من الأفراد، وإلا لما كان هناك سبب لإقامة القضاء وتنصيب القضاة، لتطبيق الشرائع الإلهية والقوانين المدنية، ولوضع أنظمة القيود والمعاملات. فأولى بالأمور التي تمس سيادة العائلة، أن يتبع في حلها طرق المراجعة والفتوى، لأن سعادة العائلة من أهم مقومات الحياة الاجتماعية.

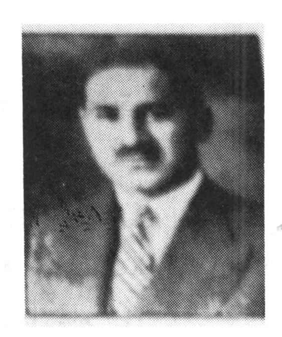
لماذا لا يكون القضاء هو المرجع والآمر في تعدد الزوجات، بعد أن تدرس العلّة، ويفهم السبب في كل مسألة على انفراد. فإن وجد القضاء ضرورة اجتماعية، كأن تكون المرأة عاقراً، أو ضرورة صحية، كأن تصاب المرأة بمرض مزمن من بعد ولادتها الأولى، أو بعد عملية جراحية، سمح بالتعدد بشرط أن يكون الزوج ذا سعة وقدرة.

فأنا لا أقول بمنع التعدد، بل أنادي به ضمن هذه الحدود التي تتفق مع العدل ومصلحة المجموع، فإن ذلك خير من السفاح. وما هي حالة المجتمع إذا كان عدد الإناث يزيد على عدد الذكور وكن سافرات، والسفور من حقهن طبعاً، وكانت لهن كل الحرية. كما هي الحال في بريطانيا مثلاً.

ثانياً:

السجل

١- الساسة الوطنيون أصدقاء الشعب والجيش:



رشيد عالي الكيلاني



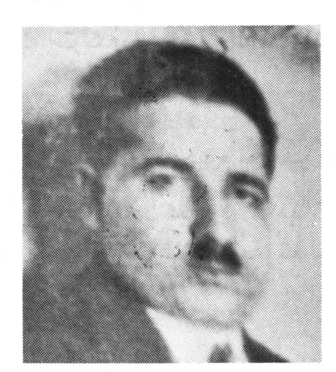
الملك غازي



طه الهاشمي



ناجي شوكت



يونس السبعاوي



ناجي السويدي

الملك غازي:

نجل المغفور له الملك فيصل الأول وابن عم عبد الإله وصهره. قضت المصالح البريطانية اغتياله فتم ذلك في ليلة ٤/٥/نيسان عام ١٩٣٩، وهو في السابعة والعشرين من العمر، وخلفه ابنه فيصل الثاني طفلاً في السادسة من عمره.

رستم حيدر:

من بعلبك. قتل غيلة في وزارة المالية بتاريخ ١٨/ كانون الثاني سنة ١٩٤٠تطبيقاً لما تقتضيه المصالح البريطانية في العراق. كان لامع الشخصية واسع الثقافة، فاستوزره فيصل الأول مراراً وجعله عضداً له وكاتماً لسره.

رشيد عالي الكيلاني:

عربي قرشيّ، من سلالة الشيخ عبد القادر الكيلاني. وهو شجاع مقدام، واسع الثراء عريض الجاه. تقلد الوزارة ورئاستها مراراً، وكان قبل ذلك استاذاً في كلية الحقوق.

طه الهاشمي (العميد الركن):

أخو المرحوم يس الهاشمي. وهو شريف النسب عربي المبدأ، له اليد الطولى في تأسيس الجيش العراقي وتعزيزه، وكان رئيساً لأركانه خمسة عشر عاماً حتى انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦، ثم تولى وزارة الدفاع، ثم رئاسة الوزارة في أوائل عام ١٩٤١.

ناجي شوكت:

عربي الأصل والمبدأ. تخرج من الملكية الشاهانية في الأستانة واشترك في الثورة العربية بعد أن وقع أسيراً وهو ضابط احتياط في الجيش العثماني. تقلد الوزارة ورئاستها وكان سفيراً للعراق لدى الجمهورية التركية، ثم وزيراً للدفاع أيام الحرب العراقية الانكليزية.

ناجي السويدي:

عربي عباسي قومي النزعة، ولوالده المرحوم يوسف السويدي مجد خالد في الثورة العراقية. كان أستاذاً في كلية الحقوق ووزيراً ورئيساً للوزراء في العراق، وأخيراً تولى وزارة المالية في وزارة الكيلاني خلال الحرب العراقية الانكليزية، ثم لجأ إلى إيران وتركته فيها.

يونس السبعاوي:

من طي. عربي قومي وشعلة من الذكاء. شجاع مقدام، وغيور لا يتوانى عن التضحية بكل شيء في سبيل العروبة. نشأ يتيماً فقيراً لكنه كان الأول ترتيباً في المدارس العراقية حتى

تخرج من كلية الحقوق، ثم انتخب نائباً في المجلس النيابي. ثم تقلد الوزارة في وزارتي الكيلاني الأخيرتين وهو في الخامسة والثلاثين، فكان أصغر الوزراء سنا في تاريخ العراق. لجأ إلى إيران، وكنا سوية في زنجان. ثم غادرها إلى طهران.

علي محمود الشيخ علي:

عربي بغدادي. كان استاذاً في كلية الحقوق ووزيراً أكثر من مرة . . . . وله مواقف وطنية ضد الانكليز وأذنابهم. وكان يوم حاربنا الانكليز وزيراً للعدلية. لجأ إلى إيران وتركته في طهران.



علي محمود الشيخ علي.

٢- المتزعمون بقوة الانكليز من أعوان الاستعمار:



صالح جبر



نوري بن سعيد



جميل أحمد آغا،



محمد الصدر



علي جودت أيوب،

نوري بن سعيد:

ويعرف بالسعيد، لكنه ليس عربياً من بني سعيد ولا من آل سعيد، بل تركياً من قونية كان ضابطاً للإعاشة في لواء الخيالة العثماني في بغداد، والتحق بكلية الأركان بالأستانة ثم فر منها ملتجئاً إلى السيد طالب النقيب في البصرة. ثم ترامى في أحضان الانكليز وكان انكليزي النزعة قبل الحرب العالمية الأولى. فزجّوه برفقة لورنس ليعيث ويفسد كما يفعل في العراق الآن، وكما فعل في سوريا من قبل، والتفاصيل عند بطل مصر عزيز علي وعند السيد طالب رحمه الله. وفي مقتل توفيق الخالدي وغازي ورستم، وفي تسليم دمشق إلى غورو .... الخ. كان نوري رئيساً للوزارة عدة مرات، وهو وزير تقليدي للخارجية.

جميل بن أحمد آغا:

المشهور بالمدفعي. وقد جاءه الاسم اكتساباً لأنه كان ملازماً مدفعياً في العهد العثماني. وهو في عبادة الانكليز أكثر اعتدالاً من نوري. عاش أبوه فقيراً ومات وهو لا يجيد العربية لأنه لم يكن عربياً. لكن أمه عربيةٌ خالصةٌ. سكن أبوه قرية نينوي في ضواحي الموصل بدار مؤجرة. ويعرفه كهولها الذين تجاوزوا الخمسين. التحق جميل بالثورة العربية بعد أن وقع أسيراً بيد الروس وقد زجه الانكليز في الثورة العربية ثم تقلد الوزارة ورئاستها في العراق. وهو اليوم من أصحاب القصور والأطيان.

علي جودت بن أيوب:

المشهور بالأيوبي، لكنه لا يتصل بصلاح الدين الأيوبي ولا بعهد الصليبيين، إنما هو ابن أيوب شاويش الدركي في عهد العثمانيين. ولد في محلة (الصاغة) بالموصل لذلك فإنه قد يكون عربياً، وكان ملازماً في العهد العثماني ووقع في الأسر أثناء الحرب العالمية الأولى فزجه الانكليز في الثورة العربية، وتقلد بعد ذلك الوزارة ورئاستها في العراق.

محمد الصدر:

أبلى والده في الثورة بلاءً حسناً وتوفي رحمه الله وهو على مناوأتهم. لكن محمد الصدر على نقيض أبيه، لذلك أوقف له الانكليز رئاسة مجلس الأعيان العراقي هدية منهم. له في قصر الوصي عبد إلاله نفوذ وحظوة، حتى لقبوه راسبوتين.

صالح جبر:

عربي من الفرات. كان في الحرب العالمية الأولى يعمل جاسوساً لحساب الانكليز ومازال خادمهم الأول. هذه هي مزاياه وخصاله كلها، وهي كافية لجعله ذا وزارة ورأي.

داود حيدر:

المعروف بالحيدري. لم يأته الاسم لصلة بعلي كرم الله وجهه لأنه لا تجري في عروقه دماء عربية. بل إن جده حيدر كان درويشاً من أربيل، فهاجر إلى بغداد حيث آوته وآوت أولاده عائلة الربيعي ذات النسب العريق، ثم استكبر الأولاد على العرب بمر الزمن. يعمل داود محامياً لشركة النفط الانكليزية ويمتاز على نوري سعيد بأنه لايتورع عن المجاهرة بنزعته الانكليزية والتصريح بالمرتب الضخم الذي يتقاضاه منهم مدى الحياة. نشأت ذريته على التربية الانكليزية.

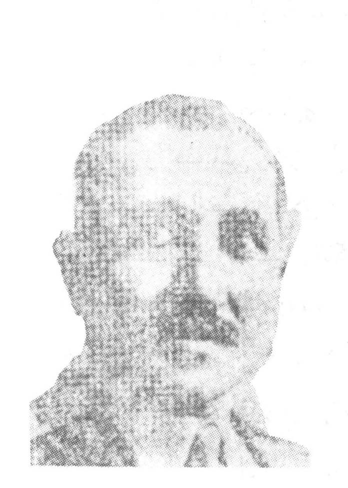
٣- قادة الجيش العراقي:



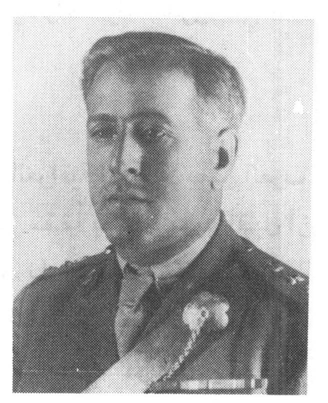
أمين العمري



بكر صدقي



حسين فوزي



صلاح الدين الصبّاغ.



أمين زكي



ابراهيم الراوي

بكر صدقي:

اطلق على نفسه اسم العسكري قائلاً:« لماذا يكون جعفر عسكرياً ولا اكون كذلك وكلانا من قرية عسكر؟» لما غادر رئيس اركان الجيش طه الهاشمي العراق الى اوروبا عام ١٩٣٦، صار بكر صدقي وكيله فانتهز الفرصة وقام بانقلابه المعروف، بعد ان اغتال وزير الدفاع جعفر العسكري صهر نوري بن سعيد. بكر صدقي ضابط ركن قدير في الجيش العراقي والعثماني وكان كثير الطموح يكره الاستعمار، يمقت الانكليز واذنابهم. كان في بادىء الامر رئيسا للحركة الكردية، وكان توفيق وهبي معه، والميجورايدي يؤيده في الخفاء، فلما نال بكر بغيته، نبذ الانكليز وتنكر لهم خاصة بعد ثورة الآشوريين. لكنه كان ينكر الدين ولا يعترف بعروبة العراق، لذلك أودت به هذه النزاعات الى حتفه اذ قتله الجيش عام ١٩٣٧ بسببها، حفظا لعروبة العراق. وما اكثر الضحايا العزيزة التي تقتل وتفنى ما دامت يد الاجنبي في البلاد.

حسين فوزي (الفريق الركن):

هو الفاضل النبيل، والمسلم الصادق. ولد في بغداد من أب كردي وأم عربية، ونشأة اسلامية، فاحب العرب شأن الاكثرية الساحقة من اخواننا الاكراد الذين وقاهم الله من دس الاجانب، وكره الاستعمار، ومقت الانكليز واذنابهم.

فطوبى له وبورك به. وهو ضابط ركن في الجيشين العراقي والعثماني، فلما أصبح رئيساً لأركان الجيش، جمعتني به وحدة الفكر والعمل، فوجدته مثالاً للنبل والنزاهة، فتوسّع الجيش على عهده، حتى بلغ الاوج تنظيماً وتدريباً وتسليحاً. احيل على التقاعد قسراً ففقدت صديقاً على الرغم مني، إذ كان ضحية لشراك نوري بن سعيد واحابيله المقررة في خطة الأستعداد للحرب.

أمين العمري:

من آل العمري في الموصل. عربي الأصل لكنه ربما قال بالعراقية إذا خلا بغير العرب. والواقع أنه موصلي النزعة، وهو ذو خلق وفضل، يبادله الأنكليز مقتاً بمقت شديد {قبل أن يحال على التقاعد} لم يناهض أمين العمري بكر صدقي لعقيدة، بل لكراهية شخصية، فلما قتل بكر صدقي صار قائداً للفرقة الأولى، وهو ضابط ركن في الجيشين العراقي والعثماني. له في الكتابة العسكرية أسلوب طلي، لكن مادته قليلة. غلب به الطموح حدود قابليته حتى دفعه ذلك إلى أن ينقلب على أصدقائه ونحن منهم، وأن يكيد له نوري، فيحيله على التقاعد ونحن صاغرون.

أمين زكي:

ولد فيَ بغداد منْ أب كردي، بيد أنه يعطف على العروبة ويتعصب للاسلام، ويمقت الاستعمار وسماسرته، فبورك به. رشحه طه الهاشمي لرئاسة أركان الجيش بعد حسين فوزي، وكان قبل ذلك قائداً للفرقة الثانية. ثم التجأ إلى ايران بعد أن حاربنا الأنكليز وتركته في طهران.

اسماعيل نامق:

يميل إلى الأنكليز وإن كان عربياً، ويرضى استعمارهم بدعوى أنهم خير من سواهم، لكنه مع ذلك لم يكن جاسوساً للأنكليز ولاسمساراً لهم، ولم يعاد عدوهم. فليت نوري وعبد الإله وغيرهما كانوا مثله. ثابر على عمله ونحن نحارب الأنكليز برغم ميله إليهم لأنه مطبوع على مماشاة القوة، وبذلك اكتسب عطف نوري. كان صديقاً لي ولفهمي ولست أدري الأن ماهو. كان اسماعيل ضابطاً خيّالاً في الجيشين العراقي والعثماني وعملنا معاً في الخيالة مدة طويلة، ثم اصبح آمرا للقوة الجوية، ثم آمرا للخيالة، ثم قائداً للفرقة الثالثة، ثم استلمت قيادة هذه الفرقة منه فى أوائل سنة ١٩٤٠ واصبح مديراً لشؤون الدفاع. اشترك اسماعيل في الثورة العربية بعد أن وقع اسيرا بيد الانكليز، وهو حسن الاخلاق والسيرة.

ابراهيم الراوي:

عربي الاصل والعقيدة. كان ملازماً بالمدفعية في الجيش العثماني ثم اشترك في معارك الحجاز وجرح في موقعة (تربة)، وكان مرافقاً للمرحوم الملك علي والد عبد الاله. وهو ضابط خيّال في الجيش العراقي وضابط ركن. تدرج في الخيالة حتى اصبح آمرها ثم اصبح قائداً للفرقة الرابعة، وهو فاضل الاخلاق حسن السيرة.

صلاح الدين الصباغ:

انا عربي من ابي وامي، من آل الصباغ بصيدا القريبة من بيروت (راجع رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب تاريخ صيدا الصحائف ٦٩ و ٧٠ و٧١) اسمي صلاح الدين علي بن ابراهيم بن مصطفى بن الشيخ يوسف بن الحاج رضوان الصباغ المصري الدمياطي مفتي السادة الشافعية بصيدا، قطن والدي الموصل قبل أكثر من خمسين سنة وكان يُعرف بالحاج علي الشامي، واقترن بوالدتي وهي موصلية الأم نجدية الأب من عقيل بغداد اسمه مهدي. وكان والدي يعمل بالتجارة والزراعة وتوفي عام ١٩١٦ في بغداد، وتوفيت والدتي في الموصل عام ١٩٤٩

ولدت في شهر رجب من عام ١٣١٦ هجرية الموافقة ١٨٩٩ ميلادية في الموصل، وسكن والداي قرية نينوى لادارة اطيانها. ودرست في المدرسة الأعدادية السلطانية في بيروت مع اخي الأكبر رحمه الله بعد أن اتممت دراستي الأبتدائية والرشدية في الموصل، وفي سنة ١٩١٤(١) أوفدت إلى المدرسة الحربية بالأستانة، ثم التحقت بعد سنة بالقطعات المحاربة برتبة وكيل ضابط، وكان فوجي ينتسب إلى اللواء ١٤٦ والفرقة ٤٦، ثم اصبحت برتبة ملازم ثان عام ١٩١٧ واشتركت في الحرب العالمية الأولى في جبهتي مكدونيا وفلسطن. وقبل أن تضع الحرب أوزارها انيطت بي قيادة سرية مشاة بعد أن كنت قائد فصيل، ثم التحقت بالجيش السوري العربي في حكومة الملك فيصل الأول برتبة ملازم ثان وخدمت في هذا الجيش حتى احتل الفرنسيون سوريا بالقوة، وبقيت اسيراً في جزيرة أرواد ثلاثة اشهر فلما أرغمت الثورة العراقية الانكليز على اقامة حكومة في العراق، اوفدت اليه مع باقي الضباط العراقيين سنة ١٩٢١ وفيه تخرجت من دورة ضباط الأعوان الأولى التي اسسها الانكليز. وكنت أول معلم للخيالة في الجيش العراقي. درست في مدرسة الخيالة بالهند، والتحقت بوحدات الخيالة البريطانية المرابطة في انكلترا. كما درست في عدة معاهد عسكرية هناك، وتخرجت من كلية الأركان الحربية في بغداد، وكلية الأركان الأنكليزية في كامبرلي ، ومن دورة الضباط الأقدمين في شيرلسن، ثم عُيّنت معلماً في الكلية العسكرية، وفي كلية الأركان، فآمراً للقوة الجوية، فمعاوناً لرئيس اركان الجيش، ومديراً للحركات عام ١٩٣٧ فقائداً للفرقة الثالثة. ثم توليت قيادة فيلق قوامه الفرقتان الأولى والثالثة والفرقة المصفحّة لما اصبحت قائداً للجبهة الغربية ايام الحرب العراقية الانكليزية.

وكنت ممن ناهضوا بكر صدقي في سبيل العروبة رغم ما بيننا من صداقة شخصية.

وقد نشر الناصري في جريدته مقالاً، كما ألقت الطائرات الانكليزية مناشيرا، تزعم فيها بأن والدي من حلب ووالدتي من فلسطين، وكان ذلك بايعاز من نوري بن سعيد وجميل بن أحمد آغا. فهل اكون لو صح زعمهم دخيلاً في العراق، وهو عراق العرب. ام يكونون هم الدخلاء، وهم الذين لا يمتّون إلى العروبة بصلة.

كامل شبيب:

ولد في بغداد عام ١٨٩٥ وكان ملازماً في الجيشين العثماني والسوري العربي، والتحق بالجيش العراقي منذ تشكيله. تخرج من كلية الأركان العراقية ومازال حتى بلغ قيادة الفرقة الأولى عام ١٩٤٠. وهو عربي الأصل والشعور، يمقت الاستعمار والانكليز. لكنه أناني، فردي،

(١) هناك احتمال أن يكون عام ١٩١٦. (الناشر

يغدر بصاحبه، وينقلب حية سامة في أقل من لمح البصر إذا أوجس خطراً. وهوفي ساعة المحنة ثعلب جبان، وبعد النصر غضنفر هصور. وقد يخون مبادئه ويتناسى معتقداته لفرط جبنه وأنانيته. تلك الخصال دفعته إلى خيانة مبادئه والتأثير على جنود فرقته والكيد لأصدقائه، فكان أحد عوامل فشلنا في قتال الأنكليز وعدم استمرارنا فيه.(*)

فهمي سعيد . (العنبكي):

اللهم أكثر من أمثال فهمي في صفوف العرب والاسلام، وطوبى له في حله وترحاله، فهو العربي الصادق. فهمي من قبيلة العنبك بجوار بعقوبة وكان أبوه ملازماً أول في الجيش العثماني، وأمه ولدته في السليمانية وهي من أصل تركي. ولد فهمي في السليمانية عام ١٨٩٨ وبقي من بعد موت إخوته وحيد أبويه فكان أخا لي. وهو شجاع ذكي، يتمسك برأيه، ويعتدّ بمعلوماته، وإن كانت أكثر من قابليته. وهذا ما ساق فهمي إلى ارتكاب غلطة سوقية فاحشة، مخالفاً أوامري، فتعذّر عليّ تلافي الأمر وكان ذلك من اسباب اندحار الجيش العراقي في سن الذبان، وعدم مواصلة القتال.

كان فهمي ملازماً في الجيش العثماني والسوري العربي. فلما تشكّل الجيش العراقي، التحق به وانخرط في الخيالة، ثم اصبح آمراً للقوات الآلية المدرعة. وكان قائداً للفرقة الثالثة أيام حربنا مع الأنكليز. وكان أصلب عدوٍ لبكر صدقي. وهو مستعد دائماً للتضحية بكل عزيز في سبيل قومه ومبادئ محمد. تركته في طهران ولست أدري ماذا حل به الأن. حفظه الله ووقاه شر أعدائه.

محمود سلمان:

عربي الأصل والشعور، وله بالجنابيين صلة رحم. ولد ببغداد عام ١٨٩٨، وكان ملازماً في الجيشين العثماني والسوري العربي، والتحق بالجيش العراقي بعد تشكيله بأربع سنوات، وكان مرافقاً لجلالتي الملكين فيصل وغازي، لذلك عرفه أفراد العائلة المالكة. انتسب إلى الخيالة وتدرج فيها حتى صار آمر كتيبة، ثم عين قائداً للقوة الجوية في أوائل عام ١٩٤٠، وهو شجاع يضحي في سبيل قومه ومبادئ محمد، ويكره الاستعمار و الأنكليز. وكان هو الداعية لعبد الاله ولتنصيبه وصياً على العرش. وكان ممن ناهضوا بكر صدقي. . محمود، فارس جيد، ولاعب بالصولجان ماهر، وطيار. تركته في طهران وأجهل مصيره الآن. وقاه الله شر أعدائه.

* إن هذه الملاحظة مكتوبة تحت تأثير الظروف القاسية التي عاشها المرحوم -كاتب المذكّرات- من نفي وتشريد ومطاردة، وكم كان بودّه لاحقاً أن يصححها مسجلاً اعتذاره بروحٍ سمحة جريئة، ولكن أوراق مذكّراته لم تكن حينئذ بين يديه. (الناشر)

ملحق رقم -٢-

لما اعتدى الانكليز على العراق، ألقت طائراتهم على بغداد والمدن العراقية الأخرى مناشير من صنع جميل ونوري وجودت، جاء فيها: «إن قائدكم صلاح الدين الصباغ دخيل على العراق، فلا تطيعوه واقتلوه ايها العراقيون». نسي هؤلاء أن عبد الإله - وهو يقيم في معسكر الانكليزبالحبانية - لا يحمل جنسية عراقية لأنه حجازي، وزعموا أن والدي حلبي ووالدتي فلسطينية وبذلك كنت في نظرهم دخيلاً وكانوا هم المواطنون الأصلاء. وعجبي لو صح زعمهم، كيف يوصم الحلبي في العراق بالدخيل، ويعتبر الآشوري والأعجمي أصيلاً، بمجرد اكتسابه الجنسية العراقية(١).

أيها العربي: هذه مزاعم الذين يدَّعون أنهم ينصرون قضيتك، ويعملون لوحدة بلادك وعروبتك. هذه حقيقتهم تبدو أيام عسرهم، وهذا شأن الأعاجم في العراق، فتأمل.







(١) إن هذه الملاحظة لا علاقة لها بموقف الصبّاغ من الآشوريين بشكل خاص، إنما جاءت كردة فعل على الذين يشككون بعروبته واخلاصه لأمته ووطنه المهدّد بحراب الانكليز وأطماعهم. وإن خير دليل على عدم تعصّبه، ماجاء في وصيّته الأخيرة لأولاده، وهي أن لا يؤذوا بشراً مهما كانت قوميته. (الناشر)

ثالثاً:

لماذا نستعمر؟

العروبة تتبرأ من ادعيائها الذين يقتلون ابناء وطنهم في سبيل المستعمر.

أيها العربي:

أنا لا أؤمن بديمقراطية الانكليز، ولا بنازية الألمان، ولا ببلشفية الروس. أنا عربي مسلم، لاأرضى دون ذلك بديلاً من مزاعم وفلسفات ولاأريد المقارنة أوالمفاضلة بين هذه وتلك، فهي عقيمة عديمة الجدوى، لأني حيثما أولي وجهي أرى الذئب الأجنبي يفترس أمتي ويسومها العذاب: في البحر الأبيض والبحر الأحمر وعمان، وفي خليج البصرة وفي قلب الجزيرة، وبجوار قبر النبي.

وليس من ذئب أفتك بالعرب ولامن عدو ألدّ للأسلام من بريطانيا. أما العرب، فانها قطعت أوصالهم دويلات وشيعا وقبائل ليقتتلوا، فتفوز بالاسلاب، وتمنح سوريا لهذا، وغيرها لذاك، فإذا هبّ أحرار العرب في فلسطين ومصر وعدن والأمارات السبع والعراق، شحذت لهم المقصلة وشحنت لهم القاذف[illegible] ثلاث[illegible] وخمسون مليون مسلم يرزحون تحت نير الاستعمار البريطاني، فإن «قلب [illegible]» السفاح في الحروب الصليبية بريطاني، وإن اللنبي الذي فتح القدس وقال (الآن تتنتهي الحروب الصليبية) بريطاني، وإن غلادستون الذي رمى بالقرآن على المنضدة وقال «لاراحة في العالم وهذا باق» بريطاني، وان كرومر الذي قال (لايؤخر المدنية إلا هذا القرآن) بريطاني(١).

(١) – هذه حقائق تاريخية ثابتة، لا يستطيع الانكليز أنفسهم نفيها، ومع ذلك، ويا للأسف، مازلنا نرى حكومات دول إسلامية شرقية، كحكومات حلف بغداد، تترامى في أحضان بريطانيا وتزج شعوبها في أحلاف المستعمرين البريطانيين أعداء الإنسانية، مدعية في الوقت نفسه (زوراً وبهتاناً) غيرتها على الدين الحنيف وإيمانها بتعاليمه.

وانك لو اطلعت على مواقع الأقطار والقارات في العالم، ولو ادركت المغازي السوقية للحروب البريطانية، لأيقنت أنه لن تقوم للعرب قائمة إلا بزوال الأمبراطورية البريطانية. ذلك لأن البلاد العربية على طريق الهند براً وبحراً ولابد لبريطانيا إذا هي أرادت البقاء على سيطرتها على الطرق والمياه الهندية والعربية، من العمل على تجزئة البلاد العربية وجعل أكثرية سكانها أقلية، فتبعث أقواما اندرست وأمماً عفا عليها التاريخ، مثل الآشورين والكلدان والأرمن واليهود.

وهي إذ تؤازر اليهودية وتقول بالوطن اليهودي، لاتفعل ذلك حباً باليهود، بل تثبيتاً لمصالحها الأستعمارية، وستبقى مصالحها هذه مستقرة في البلاد العربية، مابقيت امبراطوريتها ومادامت سياستها تعمل في التوازن الدولي، فهي تريد أن تجعل من البلاد العربية شطرا شرقياً وشطراً غربياً، لتعشش فيها إلى ما شاء الله، وتنفث السموم في قلبها، لأن فلسطين قلب العرب لذلك فإن أمانينا عندها سراب، ولا تجدي في ذلك عهود قطعتها في الثورة العربية، ولاتنفع معاهدة أبرمتها مع العراق، ولن ننجوَ من براثنها بعد هذه الحرب الثانية. إن شاربة الدماء الذئبة بريطانيا، هي التي هجمت على العراق، فافترسته حملاً ثم كررت الحجة لما اجتاحت ايران البلد المسلم فسفكت دمه.

أنا أمقت بريطانيا، وكل سائرٍ على نهجها ليستعمر قومي، لأني مسلم، والاسلام يقضي ألا يحكمني كافر بالمثل العليا ومبادئ الانسانية، ولأني عربي والعروبة تأنف أن يعيث في بلادي جيش أجنبي، ولأني جندي والجندية تأبى أن يقودني أعجمي (الملحق).

أيها العربي:

وإنما الأممُ الأخلاقُ مابقيَتْ فإن هم ذَهبتْ أخلاقهم ذَهبوا

لقد شاد أجدادك مجدهم بمكارم الأخلاق، لأنها آية الاستقلال. فأين منك تلك الأخلاق؟ وقد تفككت أوصالك، وانشققت على نفسك، ففقدت الاستقلال، وأضعت المجد وإليك ياأخي العربي صورة من أخلاقك اليوم:

أراك تفاخر بقتل اختك وعشيقها، وتمنع ابنتك عن الزوج لتبقى محصنة في كنفك، ثم يأتي صهرك الذي يقاتل ذودا عن شرفك ودينك فلا تضمد له جرحاً، ويعيث جيش الأجنبي في أراضيك، ويدنس حرماتك ولايقشعر بدنك.

وأرى بكر صدقي يسوقك يا أخي الجندي الفراتي لقتل أفراد قبيلتك، فأثارت موقعة

العارضيات(١) حفائظك وشجونك. لأن الانكليز وسماسرتهم يستعينون بالحديد لفك الحديد فيدفعونك إلى قتال بني جلدتك فتعينهم على أهلك، وتنصرهم على أصحابك.

وأراك ياأخي العربي قد كررت البيعتين، كما فعلت أيام علي أبي الحسنين(٢). فإنك لو رجعت إلى نفسك تسألها عمن يقودك ويتولى أمرك، لوجدتهم أعاجم ليسوا منك في شيء، لا دماً ولا أصلاً، بل لوجدت أنهم أحفاد الذين قضوا على استقلالك ، وقوضوا دعائم نهضتك، واغتصبوا أرضك وخيراتك ، ولوجدت كل حفيد منهم على سيرة جده على مر العصور، يوالي الفاتح الأجنبي، فيحكمك باسمه ويهتك مقدساتك ويعبث بكرامتك. أولئك هم حكامك نوري وجميل وداود حيدر وقواد جيشك اليوم. الذين خانوك في عقر دارك، ونحن نحارب الانكليز من أجلك وندافع عن قضيتك، لقد أبدى الانكليز استعدادهم للتخلي عن نوري وجميل وجودت وعبد الاله الوصي، ولتقديم كل شيء لنا على أن نرضى بديلاً للاستقلال، فكان جوابنا: (لا، عليكم بالجلاء والتمسك بالعهود، ولا نرضى بغير ذلك). كل ذلك كان من أجلك وأنت قابع في دارك لا تحرك ساكناً.

ثم هاهم اليوم عادوا يحكمون، يقضون بإعدامي بسيف الأجنبي وإعدام إخواني، ويضطهدون الذين امتلأت بهم السجون. عادوا إلى قصورهم وجنائنهم التي لولاك ماكانت، ينعمون فيها ويسخرون منك ويشمتون بنا، ويدّعون بوقاحة أنهم حماتك وناصرو قضيتك، ويزعمون أنني دخيل، وأنا العربي، وأن نوري بن سعيد أصيل، وهو الأعجمي ... فهل ترضى عروبتك بهذه الأباطيل؟.

أيها العربي في العراق:

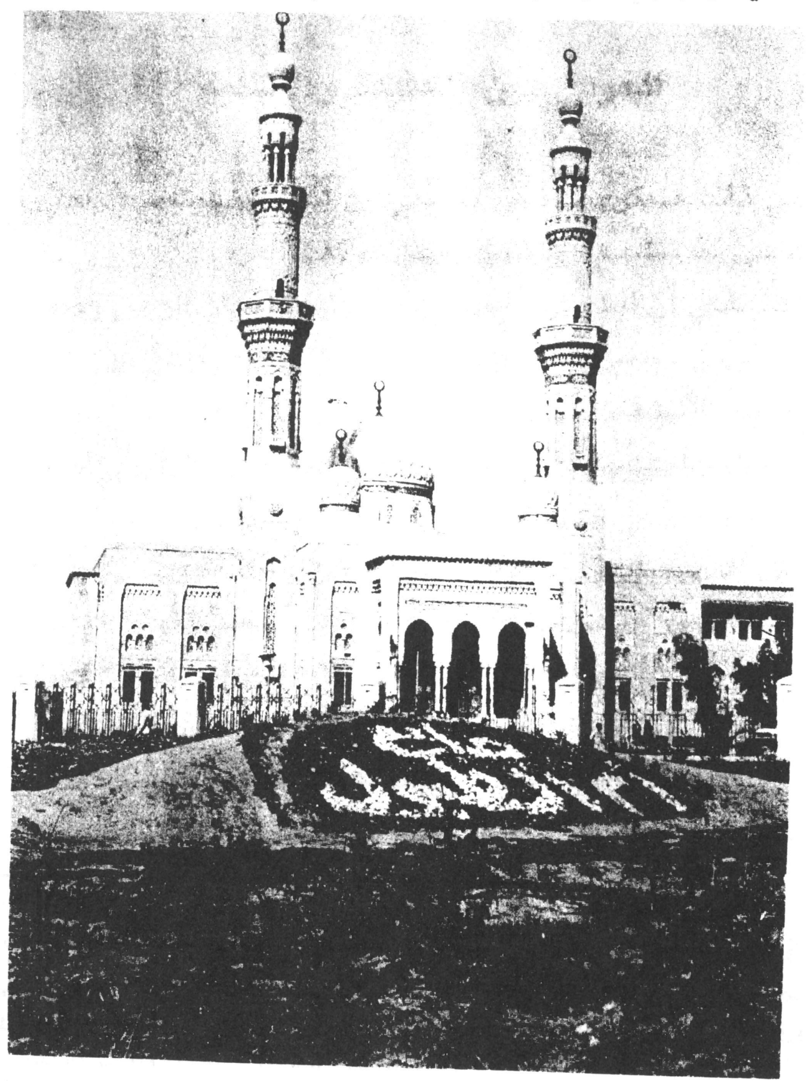
لقد قال نبيك: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وماضاع استقلالك إلا لما تناسيت مكارم الأخلاق، فجهلت قرآنك المجيد وتاريخك العريق، ولبيت داعي الأنانية البغيضة، وسكتّ على

(١) - العارضيات في الديوانية، من أعمال الفرات تقطنها قبائل عربية. جرت فيها معركة بين الجيش والقبائل وكان بكر صدقي قائد الحملة. وكان للنزاع سببان: السبب الظاهر هو تنازع سماسرة الانكليز على الكراسي، والسبب الخفي هو رغبة الانكليز في صرف عتاد الجيش مهماته، وإحداث الخلاف بين طبقات الشعب وإثارة البغضاء ضد الجيش. وذلك وفقاً لمبدأ الانكليز وأسلوبهم في السيطرة على العراق وأمثاله. ورددت الألسنة آنذاك اهزوجة مطلعها (مسمارك منك يا لوحة).

(٢) - خلع العراق عبد الإله بإرادته ونصب الشريف شرف عوضاً عنه وصياً دون تدخل أجنبي. فلما عاد الأجنبي وسلط سيفه على الرؤوس عاد العراق فبايع عبد الإله من جديد، وبذلك كرر البيعتين. وكان المجلس الذي خلع عبد الإله هو نفسه الذي عاد فأقر وصايته. وهذه صورة عن المجالس النيابية في العراق والديمقراطية التي يحكم بها.

الحكام الظالمين الذين يسفكون دماء الأحرار من أبناء وطنك، ويمثلون مصالح المستعمرين في بلدك.

فاستيقظوا وانهضوا ياعرب العراق واعلموا أنكم كما تكونوا يولّ عليكم.



دمت يارايتي العربية رمزاً أبدياً ورفرفي فوق قبري، فلقد ضحيت بنفسي لأجلك.

رابعاً:

العربي بين العقيدة والأنانية

قال لي قائد عسكري «ليس بوسعي أن أذكر جنسيته» في معرض الحديث عن حربنا مع الانكليز، وعن موقف العرب:

– في اعتقادي إن لفشلكم سببان، الأول: انحياز الوصي وصحبه (جودت ونوري وجميل) إلى المعسكر البريطاني، وهذا هو عين التفرقة في الصفوف والتناحر.

والثاني: أن حركتكم لم تقع في الوقت المناسب، بل جاءت سابقة لأوانها، وكان عليكم أن تترقبوا الفرصة السانحة.

فما بال العرب يندبون تاريخهم وهم على الضيم صابرون؟ وفي بيوت الذل قابعون؟ أمن تفشي الجهل أم من فقدان الصناعة؟ أم ماتت هممهم ووهنت عزائمهم؟ أم الأوائل غير الأواخر؟ إن البلاد العربية مترامية الأطراف زاخرة بالخيرات، فهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى بحر عمان، وتلتقي فيها الطرق بين ثلاث قارات، فمن ملكها ملك العالم. وهذا مبدأ سوقي في الجغرافية العالمية لا يتغير مهما تقدم الزمن.

ومن العجيب، أن العرب يتمتعون بكل الأسباب التي تخلق الأمم العظيمة، ومع ذلك فإن بلادهم مازالت ملكاً لغيرهم. إنهم يعدّون سبعين مليوناً أو يزيدون(١)، وتجمعهم وحدة في اللغة والتاريخ والدين والتقاليد، وتضمهم أرض مليئة بالثروات الطبيعية. وماكثير من الأمم ذات السيادة والمكانة بأوفر حظاً في هذا أو في ذاك.

قلت: أصبت لقد أعدت لذاكرتي محاضرة ألقيتها على طلاب كلية الأركان، وأخرى

(١) وهم اليوم يعدّون بأكثر من ٢٣٠ مليون. (الناشر)

ألقيتها على طلاب الكلية العسكرية في بغداد، قارنت فيهما بين روسيا والبلاد العربية، فروسيا قلبها في أوربا وتنتهي في شرق آسيا على المحيط الهادي، وسكانها من أجناس وعناصر مختلفة، ثلثاهم لا يمتون للروس بصلة، ولا تربطهم رابطة الدم ولارابطة اللغة. ومع ذلك فروسيا اليوم «يوم حديثي مع القائد» تقاوم ألمانيا الجبارة بجيشها وسلاحها، بعد أن وحّدها لينين وستالين طوعاً أو كرهاً. فهي قوية المراس منيعة في وضعها الجغرافي. وقد اندحر فيها نابليون من قبل.

والبلاد العربية تشبه روسيا، لأن قلبها في آسيا وطرفها في غرب افريقيا على المحيط الأطلسي، وهي تفوق روسيا ببحارها التي تعد شريان العالم، ومبعث حياته وبثرواتها الطبيعية وبوحدة العنصر واللغة، كما أن تعاليم دينها سبقت تعاليم كارل ماركس ولينين، وما جاء قبلهما من مزاعم. على أن البون بين روسيا وبلاد العرب شاسع مع الأسف، والسبب في ذلك هو أن العقيدة والغيريّة التي بني عليها مجد العرب، ضعفت بكيد الشعوبيين(١) والمستعمرين، فقلّت التضحيات وبرزت الأنانية وحب الذات، وخصوصاً في أوساط الحكّام والمتنفذين، الذين ظنوا بأن لا عروش لهم إلا بممالأة المستعمر، والتآمر على أبناء وطنهم.

لقد قوّض محمد (ص) وأصحابه وخلفاؤه عروش كسرى وقيصر وجابوا البر والبحر وهم قليل عددهم، هزيل سلاحهم، لأن نفوسهم كانت عامرة بالإيمان، وكانت آيتان تهيبان بهم أن يتقوا شر الأنانية ولا يختصموا، الأولى: «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» والثانية: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، فلما حلّ الإيمان في النفوس، وطرد شيطان الأنانية من القلوب، نشد العربي خير قومه وضحى بمصلحته الشخصية فظلّلت الراية العربية أرجاء البرية وكان للعرب الحول والسلطان. ثم تفشّت سموم الشعوبيين، فطغت الأنانية على العقيدة، وزيّنوا للعباسي الثورة على الأموي ودفعوا المأمون لقتل أخيه الأمين، فكان أن تفرق العرب ملوكاً وطوائفاً، تتناحر وتتنابذ حتى انهار صرحهم ونزل الاستعمار بساحتهم. وكان الاستعمار البريطاني أدهى وأمرّ استعمار إذ اهتدى إلى نقطة ضعف الوطن العربي، فاستغل أنانية رؤسائه وأبقاهم ملوكاً وامراء على أقطار العرب بشرط أن يحفظوا له الولاء. يأمرهم أن يقتتلوا فيفعلون، ويشير عليهم فيطيعون. وهكذا لبّوا داعي العبودية، وقطعوا على أنفسهم العهود، وأوثقوا أنفسهم بالمواثيق، فتحكم فيهم وفرق بينهم، حتى انتشر الفساد، وصاح بعض من في المغرب بالبربرية، وقال نفر من مصر بالفرعونية، ونادت طائفة من لبنان بالفينيقية، وشرذمة أردنية بالعملاقية، وفرقة عراقية بالبابلية، كل ذلك ليحتفظ الملوك والأمراء بعروش الذل والعار،

(١) يعني بهم الذين يناصرون العداء للعرب وللعروبة، وهم يقطنون الأرض العربية. (الناشر)

وليورثوها أولادهم، ولو على حساب شعبهم. فهم إذن رأس البلاء.

وكلما قام عربي مخلص يدافع عن عروبته ويطالب بحقوقها اتهموه تهماً شتى: فلما نادى زغلول بالوطنية اتهمه الخصوم بأنه صنيعة فرنسا، وحين قاوم المفتي الصهيونية قال النشاشيبي: «إنه صنيعة ألمانيا»، وإذا خاصم الكيلاني الخطة الاستعمارية رماه عبد الاله بالخيانة الوطنية. أو إذا طلب صلاح الدين الصباغ تسليح العراق والبلاد العربية، ادّعى نوري وجميل أنه يتقاضى الدراهم من ألمانيا وأنه دخيل، لأن أباه سوري، وغير العربي في العراق أصيل.

قطع القائد العسكري كلامي بقوله:

– فأنت إذن «بانكر» من ذوي الأموال ومثلك أصحابك.

قلت: – طبعاً.

وأشرت إلى جيبي وكان يعلم مقدار مافيه: ثلاثمائة تومان إيراني وثلاثمائة ليرة تركية.ثم أردفت:

– إن كل ماأملك من حطام الدنيا، يشاركني فيه أولادي وعائلتي الذين أجهل ماحل بهم وفي أي أرض يهيمون، لا يعادل راتبي الشهري.

ضحك القائد وتمتم: ده .. ده .. (أظنها تعني كذلك).

فأضفت قائلاً: لكني سأجيبك على سؤالك غير مازح، إذ لا ضير عليك إن سألت لأنك أجنبي، لكن عتبي على بعض أبناء جلدتي الذين عشنا وترعرعنا وإياهم، يقولون قولك وهم يفترون.

إن أصحابي الذين يقاومون الانكليز منذ عشرين سنة، أجلّ وأرفع من أن يُشتروا بالمال، ولهم بين العرب نسب عريق وجاه عريض، يغنيهم عن النزول إلى مثل هذا الدرك. لكن دفعهم إلى ركوب المخاطر والتضحية بالنعم التي أسبغها الله عليهم دافع وطني منزه عن الأنانية، مشبع بحب التضحية للمجموع. فلم يجدوا لهم عزّاً إلا بعزّ العرب.

أما أنا فقد توليت أعلى المناصب في الجيش، وكان لي من الراتب والمركز ما لا يحلم به أقراني في السن. وكنت ذا منزلة في قومي، وكان الصديق يحترمني، كما كان العدو يحترمني. لابل إن سماسرة الانكليز أنفسهم كانوا يحترمونني، وكنت راضياً بما نلت، وبالمستقبل الباهر القريب الذي ينتظرني. ولو لبّيت رغبة الانكليز أيام حربنا أو قبلها (كما فعل الذين جاء بهم الانكليز من بعدنا)، لكنت الآن رئيساً لأركان الجيش، وهو المقام الأسمى في السلك العسكري

الذي ترعرعت على حبه منذ نعومة أظفاري، ولما تردّت حالي إلى ماتراني عليه. لكن عقيدتي العربية أبت علي أن أكون جندياً مرتزقاً، فأقتل بني قومي وأكون صنيعة للانكليز، لذلك أصبحت ضحيةً، ولو كنت أنانياً، لفضّلت الانكليز على الألمان، فقد كان كل شيء بامكاني(١).

أترى عجز الانكليز عن شرائنا بأضعاف مايقدمه الألمان أو غيرهم، لو كنّا نباع ونشرى، وهم أغنى أمم الأرض بما يملكون من قارات لا تغيب عنها الشمس؟

أم تراهم أعجز من الألمان في وسائل الاقناع، وفي مضمار المكر والخداع، وهم أشهر الناس بذلك.

لا، بل طرق الانكليز كل هذه الأبواب، فجاءهم الرد قاسياً، وكان بيننا وبينهم فصل الخطاب.

(١) اتهمهم البعض بالنازية حيناً، بعدما اقترب منهم حيناً آخر... وهكذا، حسب ماتمليه التحالفات الدولية من تغيّرات تنعكس على موقف هذا البعض أو ذاك. (الناشر)

شهادة رقم (1)

إيمان صلاح الدين

كتب السيد عادل طاهر :

ماذا يفعل الايمان الصادق القوي في النفس البشرية؟!.

هذا هو السؤال الذي كان ينتقل أمام عيني عند كل صفحة من صفحات تاريخ البطل العربي صلاح الدين الصبّاغ. . لقد اشترك في عدد كبير من المعارك. . في ميسلون . . في فلسطين وفي جميع معارك الحرب العالمية. . لم يترك معركة في أي مكان من وطنه العربي الا وتقدم لها مضحيا بكل عزيز وغالٍ. . وكانت أكبر معركة من معاركه تلك التي بدأها ضد القوات المستعمرة لبلاده وأذناب هذه القوات وعملائها. . فما وهن. . وما ضعف. . وما أغراه منصب أو جاه أو مال. . كان شابا عربيا وكانت له آمال ومثل ومباديء . . كان في أوج مايكون الشباب بهاء وروعة. . وكان في نفس الوقت في أقصى درجات الايمان ببلاده. . بعروبته وبمستقبل هذه العروبة وعزها وكرامتها. .

وضرب صلاح الدين عرض الحائط بالوعد . . وبالوعيد . . بالاغراء . . بالتهديد . . وقدم –بايمان– روحه قرباناً لهذا الايمان . .

واستشهد صلاح الدين الصبّاغ. . وذهب جسده ليعلق فوق باب وزارة الدفاع. . وظن البعض أنه انتهى.

وفجأة . . وفي نفس المكان الذي وضع فيه جسد صلاح الدين وبعد ثلاثة عشرة عاما جرجر جسد قاتل صلاح الدين الى نفس المكان.

وفي الوقت الذي كانت العيون تملأها الدموع والقلوب واجفة هلعة وهي تمر تحت جسد قائدها وبطلها صلاح الدين. . كانت الحجارة والاحتقار تترى على جسد قاتله. . وعاش صلاح الدين. . وبقيت روحه. . وعرف الجميع أن المبادىء لاتموت. . وأن الايمان يستطيع أن يفعل الكثير. . وأن يؤكد انتصار قوميتنا العربية.

عادل طاهر

السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الشباب.

وكتب السيد أحمد بهاء الدين:

استيقظ أهل بغداد صباح يوم من سنة ١٩٤٦، وإذا بهم يجدون على باب وزارة الدفاع العراقية، التي تقع في قلب المدينة جثة معلقة!

ولم يكن الذين يمرون أمام الباب يستطيعون أن يرفعوا عيونهم إلى الجثة المعلقة- وإن كانوا يعرفون صاحبها- فإن من يجسر على أن يظهر حركة اشمئزاز أو حزن واحدة كان خليقاً أن يجد نفسه معلقاً في نفس المكان!

واحد فقط استطاع أن يظهر اشمئزازه- لأنه في مأمن من الإنتقام- وهو ضابط انجليزي كبير، كان ذاهباً في الصباح إلى مكتبه في وزارة الدفاع فلم يكد يرى هذا المنظر حتى صاح: هذه همجية!.. ثم عاد إلى بيته، ولم يستطع أن يدخل مكتبه في الوزارة والجثة معلقة على بابها(١)!.

نعم، ضابط انجليزي هو الذي امتعض فبالرغم من أن الإنجليز هم سند حكام العراق، إلا أنه وجد هذا التصرف بالذات، عملاً همجياً حقيراً من حكام العراق..

(١) كما جاء هذا أيضاً في مذكرات الدكتور سندرسن. (الناشر).

إن صاحب هذه الجثة المعلقة ضابط عربي عراقي.. اسمه صلاح الدين الصباغ!

حارب الإنجليز أول مرة في صفوف الجيش التركي خلال الحرب العالمية الأولى، ثم حارب ضد الفرنسيين في معركة ميسلون دفاعاً عن دمشق، ثم حارب الإنجليز مرة ثانية على رأس فرقة من الجيش العراقي عندما هاجموا العراق خلال الحرب العالمية الثانية. فلماسقطت العراق في قبضة الإنجليز فرّ إلى إيران، متنكراً في زيّ درويش عجوز، ثم امتدت يد الإنجليز إلى إيران فمضى يقطع سهول تبريز المكسوة بالثلوج سيراً على الأقدام، في نفس ثياب الدرويش المتوكئ على عصاه سبعة أشهر متواليات، حتى وصل إلى تركيا، لاجئاً سياسياً.

وكانت الطبقة العراقية الحاكمة التي فرت من العراق خلال ثورة رشيد عالي الكيلاني قد عادت إلى العراق، وحاكمته غيابياً وحكمت عليه بالإعدام، فمضت تطالب تركيا بتسليمه، وتركيا ترفض لأن القوانين لاتجيز تسليم اللاجئ السياسي، وذهب نوري السعيد أكثر من مرة إلى تركيا لإقناعها بتسليمه.. وأخيراً توصلوا إلى حل: الأتراك يسلمونه إلى الجيش الإنجليزي الذي كان موجوداً في أواخر الحرب في سوريا والجيش الإنجليزي يسلمه إلى حكومة العراق!

أحمد بهاء الدين

وكتب السيد أنور الجندي في كتابه

"روّاد القومية العربية":

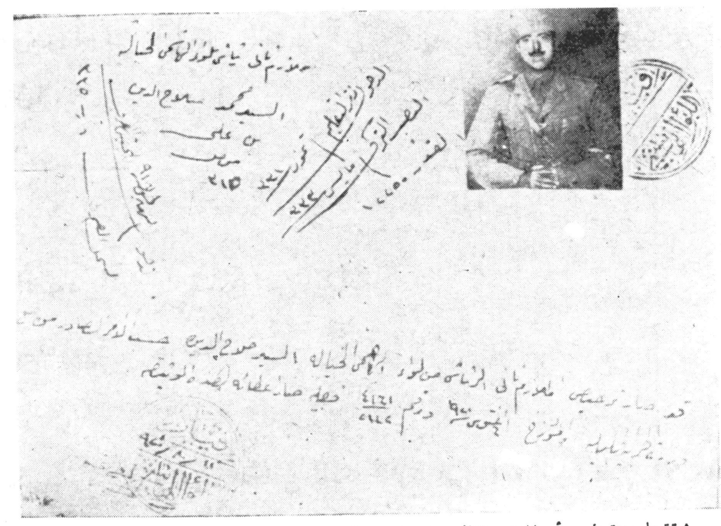
اذا ذكرت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق على الانجليز، تبادر الى الذهن قائد الجيش في هذه الثورة، "صلاح الدين الصبّاغ" . . انه

واحد من أربعة هم فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل الشبيب وقفوا في وجه بريطانيا ودفعوا عن وطنهم أن يكون ذليلا للاستعمار فقد وقف العراق في وجه بريطانيا في الحرب العالمية الثانية وعارض المعاهدة التي وقعها نوري السعيد في عام ١٩٣٠.

وكان لرشيد الكيلاني ومن حوله هؤلاء الضباط الأبرار فضل كبير في اعلان سياسة الحياد بين المعسكرين، ومنع دعايات الحلفاء في العراق. . فقد قطع العلاقات بين العراق والمانيا أو ايطاليا. . . بل أنه اتصل بألمانيا وحاول أن يحرر سوريا. .

كما رفض اعلان الحرب على ألمانيا وأصدر عن البرلمان العراقي قرارا بأن المعاهدة ليس بها أي نص أو اشارة تلزم العراق باعلان الحرب الى جانب بريطانيا.

وعندما تأزمت الأمور هرب الوصي وأسلم الجيش بقيادة صلاح الدين الصبّاغ مقاليد الحكم الى رشيد الكيلاني وقاد صلاح الدين الصبّاغ في الجيش حركة تحريرية قوية تهدف الى تقويته وحماية البلاد من عناصر



وثيقة تاريخية تثبت أن الملازم الثانى «الرشاش» السيد محمد صلاح الدين بن علي المولود فى الموصل قد انتسب للجيش العربي بتاريخ تشرين الأول لسنة ١٩١٨ وأنه عمل فى لواء الهاشمي الخيالة

خامساً :

من قيود المعاهدة العراقية الأنكليزية

قلت للقائد العسكري:

ما انحاز عبد الاله ونوري وجميل وجودت الى جانب الأنكليزبدافع رأيهم الخاص في خدمة الوطنية، أو بسبب عقيدتهم المخالفة لعقيدة الأخرين في مضمار الصالح العام، بل دفعهم إلى ذلك دافع الأنانية والمصلحة الشخصية، التي ضمنتها لهم المعاهدة العراقية الأنكليزية.

إن الذين قالوا بالوطنية، أو الذين قاموا بالثورة العراقية، لم يكن لهم في عقد المعاهدة نصيب وهم اليوم بين سجين ومنكوب، فقد جاء الإنكليز بزعماء الأنانية الفردية من زبانيتهم، وعلى رأسهم نوري (وهو ليس عربياً)(١) فاستثمروا الثورة العراقية لصالحهم، ودعوا إلى إقرار المعاهدة العراقية الإنكليزية، ثم قدّم له الإنكليز قلماً ذهبياً فوقعها به، لذلك كان من الأولى أن تدعى بالمعاهدة النورية الإنكليزية، إلا أن العربي سرعان ما ينسى الحوادث التي تنتابه ولا يعتبر بها (الملحق ـ ٣ ـ).

لا أوقع الله بلداً عربياً في حبائل معاهدة مثل هذه المعاهدة، فقد عادت على العراق بالويل والثبور لأنها :

١ـ تنص على تأليف حكومة وطنية «عراقية». وهذا النص الذي يبدو بريئاً لاغاية له غيرمجاملة الأقليات وتحاشي إغضابها، يرمي في الواقع إلى القضاء على الفكرة القومية والوحدة العربية، وإلى منع ذكرها في الكتب والمدارس.

(١) – ليس القصد في ذلك أبناء العراق بقومياتهم المختلفة، إنما القصد هم أدعياء العروبة أو الوطنية. (الناشر)

٢ـ تقرّ «النظام الملكي» وترضى بالملك ولو كان معتوهاً أوجاهلاً، غبياً أو صبياً، وتنبذ نظام الرئاسة التي لايتقلدها إلا التقي الفاضل، والمثقف العالم الذي عركه الدهر، فاختبر واعتبر. والغاية التي ترمي إليها المعاهدة من وراء ذلك هي أن تكون نشأة الملك ونزعته انكليزية، وكذلك حاشيته. فيشمخ بأنفه على قومه، ويدين للأجنبي بالسمع والطاعة.

٣ـ تقضي بتأليف هيئة وزارية ودوائر حكومية، لها «مستشارون بريطانيون». وهكذا يسيطر البريطانيون على السلطات المدنية كافة، وعلى مرافق البلاد الحيوية والثقافية.

٤ ـ تنص على تشكيل جيش غير قومي، يسلح بالأسلحة البريطانية. لكي يرتبط ببريطانيا أبداً، وليكون « جيشاً عراقياً » لاعربياً، تهيمن عليه البعثة العسكرية البريطانية، فتدربه على البغضاء والفساد، وتستخدمه لقتل أبناء جلدته، لا المستعمرين.

٥ ـ تشجع تشكيل الأحزاب والنقابات، لا لغايات استقلالية تقاوم سيطرة الاستعمار، بل لإثارة «الاقليات والنزعات الطائفة»، لتولّي الحكم، واشباع المصالح الشخصية، فينتسب هذا لـ«نوري»، ويكون من جماعته، وينتسب ذاك لـ «جميل» فيكون من جماعته .. ونوري وجميل يبدوان خصمين، وهما في الواقع من سماسرة الاستعمار، يعملان باتفاق تام على التضحية بالعروبة والعراق لخدمة الانكليز.

٦- تفرض على العراق تعيين «ضباط للاستخبارات» من الانكليز في مناطق العشائر والأقليات. وهؤلاء لاواجب لهم غير اعداد الثورات، لصرف أوقات الجيش وأسلحته(١).

٧- تشجيع اغتيال أو اعدام كل من يقول بالوطنية، أو ينادي بالوحدة العربية، فإذا نجا من الموت، حطت من شأنه بطريقة من الطرق، وجعلته نسياً منسياً، ينفر منه بنو قومه، فيعتكف في داره حتى يموت فقراً وكمداً.

ليتنا لم نُقيّد بهذه المعاهدة ولم نخضع لها، إذن لبقينا على وحدتنا القومية، وعقيدتنا الاسلامية، كما كنا أيام الثورة العراقية. ولما قتل الوطنيون منا بتهمة الخيانة الوطنية، بل أصبحوا مثل غاندي وغيره لايجرؤ الانكليز على قتلهم مع أنهم في مستعمراتهم. ولما كانت النزعات الطائفية، ولا قامت ثورات الاقليات من كردية (٢) أو آشورية، التي سفك في كل منها من الدماء الزكية مايفوق خسائرنا التي فقدناها في حربنا العراقية الانكليزية. ومع ذلك فقد جيء برؤوس هذه الفتن إلى بغداد، معززين مكرمين، حيث تنعّموا في القصور، بدل أن يهانوا

(١) – كما ورد في كتاب «حياة كلوب باشا» طباعة انكلترا عام ١٩٩٣. (الناشر).

(٢)– الثورات الكردية كانت بزعامة الشيخ محمود البرزنجي وأحمد البرزاني.

أو يعدموا، ليستخدمهم الاستعمار ضد القومية، وقد قاموا بهذه المهمة يوم جاربنا الانكليز.

أما العرب، كالكيلاني والصباغ وإخوانهما، فجزاؤهم الإعدام، والإنتقام من أولادهم وأهلهم، لأنهم ناصروا قومهم وناهضوا الاستعمار، فكانوا (خونة للوطن)، وكان الذين قاتلونا هم حراس المعاهدة أنفسهم، زعماء الأنانية الفردية. (الملحق - ٢ -).

وقى بلاد العرب من شرور المعاهدة العراقية الانكليزية وأمثالها.

ملحق رقم - ٣ -

قال المغفور له فيصل الأول للقوميين الذين كانوا يعارضون عقد المعاهدة العراقية الانكليزية، وفي طليعتهم ياسين الهاشمي وأعضاء المجلس التأسيسي: «لا تتركوا فيصلاً معلقاً بين السماء والأرض».

قال ذلك، لأن الانكليز ونوري وجعفر، كانوا يهددونه بخلعه عن العرش إذا لم تبرم المعاهدة. وقد اقنع نوري وجعفر المجلس التأسيسي، لابل اجبراه، على قبول المعاهدة، وبلغ هياج الشعب أشده، فهاجم المجلس، وعلا الهتاف بسقوط الخونة، وبسقوط نوري وجعفر.

فاستنجد نوري بكتيبة الخيالة الأولى، وبالجيش بعد أن عجزت قوات الشرطة عن حمايته. فالمعاهدة الانكليزية ماهي إلا معاهدتك يا نوري، عقدتها رغم أنف العراق، ورغم أنف شهداء الثورة العراقية، لكي تعيش أنت وآلك في العراق بعد أن سلمت سوريا للفرنسيين.

هل تذكر يانوري يوم قلت لي ولإخواني وللعميد الركن طه الهاشمي، ونحن في دارك: «المعاهدة معاهدتي، وإني لأحرص عليها وأدافع عنها بكل ماأستطيع».

هل تذكر يانوري يوم كنت رئيساً للوزراء، وكنت أنا معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات، كيف حاولت اقناعي لأقوم بدوري باقناع رئيس أركان الجيش حسين فوزي ليوافق على ارسال فرقتين عراقيتين للقتال في ليبيا أو البلقان؟ يوم سألتك: «وما كسبنا ياباشا مقابل هذه التضحية إذا خرجت بريطانيا من الحرب منتصرة» فكان جوابك: «أن نضمن بقاءنا على هذه المعاهدة مع الانكليز بعد الحرب» إنها المعاهدة، والمعاهدة دائماً. إنها هدفك الأقصى يانوري، لكنها ليست هدف العرب. لأن كل نص وكل كلمة في هذه المعاهدة يضمن بقاءك أنت وزملائك، والانكليز حكاماً للبلاد غاصبين، تلعبون بمقدراتها كما تشاؤون.

وأخيراً هل تذكر يانوري ماقلته لك قبل هجوم الألمان على فرنسا: إن قيام العراق بإرسال فرقتين من جيشه إلى ليبيا، معناه اعلان العداء لدول المحور بدون سبب، وهناك حل وسط يرضى العرب، ويسكت دول المحور وتفيد منه فرنسا وانكلترا. إن فرنسا بحاجة إلى جيوشها لتحشدها في أوربا، وكذلك انكلترا، فإذا رَغِبَتا حقاً في كسب عطف العرب، وإذا شاءتا أن نتناسى الضحايا وآلام الماضي وأن نكون لهما من الشاكرين، فليوافقوا على أن يرسل العراق فرقتين من جيشه إلى سوريا وفلسطين، وهناك تتوسعان بضم أهل فلسطين وسوريا إليهما، فتصبحان فيلقين ويحلان محل الجيوش الانكليزية والفرنسية التي عليها أن ترسل إلى ليبيا أو الجبهة الغربية. هذا رأيي فإذا لم يكن ممكناً، فلنتجب التورط ولنحافظ على جيشنا، ونسعى لتقويته ماأمكننا. ولنعدّ الشعب للملمات والمفاجئات التي قد تأتي مع الحرب، أو بعد أن تضع أوزارها، كما فاجأ الفرنسيون الملك فيصل وهجموا على سوريا بعد الحرب العالمية الأولى. وعلينا أن لا نريق الدماء العربية، وأن لانفرط بامكانياتنا القليلة، قبل أن ينجلي الموقف العالمي، لاسيما والانكليز الآن لايعترفون لنا بجميل.



الملك فيصل الأول

سادساً:

مبادىء الانكليز في العراق

ثم قلت مستطرداً لمحدثي القائد العسكري:

أترى فاتنا ارتقاب الفرصة السانحة، أم أن الأنكليز وعملاءهم هم الذين استغلوا الفرصة؟ وأية فرصة تنتظرنا وعين الذئب ترمقنا، وهل كلنا مع الأنكليز على وفاق، ثم ضيّقنا عليهم الخناق، ومتى كان بين الذئب والحمل عهد وميثاق !!

اليك الآن بعض ما جاء في المعاهدة وملاحقها من قيود عسكرية:

١- يشتري العراق الأسلحة والمهمات الحديثة التي تنتجها المصانع البريطانية، فان عجزت، فله أن يشتريها من دولة اخرى.

٢- تنشيء بريطانيا قاعدتين جويتين غربي الفرات، فكانت قاعدة سن الذبان بالحبانية، وتبعد ٦٥ كيلو متراً عن بغداد، وقاعدة الشعيبة بجوار البصرة. أما مسألة حراسة القاعدتين فقد بقيت معلقة، وغُبن العراق فيها.

٣- للقطعات البريطانية حق الإنتقال في زمن الحرب بقوافل لا يزيد قوامها على اللواء المختلط، وبفواصل ومراحل قررتها الجهتان العسكريتان في أواخر عام ١٩٣٩، بشرط أن يكون هذا الانتقال غربي الفرات، لا شرقه، والغاية من هذا الشرط أن لا تمس الكرامة القومية، وأن تصان المناطق الآهلة، والمؤسسات العراقية، من ويلات الحرب، وأن لاتستفيد الجيوش البريطانية من تلك المناطق، والطرق في تحشدها وتنقلها، اذا قامت بينها وبين الجارتين تركيا وايران حالة عداء.

٤- ليس لبريطانيا أن تحشد جيوشها في العراق، أو أن تجعل منه ساحة للحرب، إلا اذا كان العراق نفسه في حربٍ، أو تعرّض لهجوم معادٍ، فاستنجد ببريطانيا كما تنص المعاهدة. وليس لها أن تلزم العراق على دخول الحرب بجانبها، أو على قطع العلاقات مع أعدائها.

كان الفريق بكر صدقي رئيس أركان الجيش العراقي عدواً لدوداً للأنكليز، وخصماً عنيداً لعملائهم، ففرق جماعاتهم، وولى بعضهم الأدبار فاراً من العراق، تاركاً وراءه ما اغتصب من خيرات ونعم.

لقد أحسن بكر صدقي صنعاً في ذلك كله، لكنه كان من القائلين «لا عروبة في العراق ولا دين»، فأثار ذلك نقمة الجيش عليه، ولمّا قتل الجيش بكراً عام ١٩٣٧، انعتق من فكرة العراقية الضيقة، وقال بالقومية العربية، فاطمأن الشعب الى جيشه، وخمدت ثوراته. فساد الأمن وخطى الجيش خطوات جبّارة في التدريب والتسليح والتنظيم(١).

---

(١) – كان بهاء الدين نوري مديراً للحركات وأمين سر بكر صدقي عام ١٩٣٦، وكنت أنا معاون مدير الميرة، وذهبنا نحن الثلاثتيوماً لحضور تجربة مدفع تجره سيارة نقل قرب سدة ناظم باشا، فلما مررنا بقصر نوري بن سعيد في الوزيرية أشار بكر صدقي إلى القصر وقال: «يعز من يشاء ويذل من يشاء، وقصورهم خالية من بعدهم، والله لأقضين على كثير من هؤلاء الخونة، ولأجعلن قصورهم هذه مدارس ومأوى للأيتام». فسبحان الله الذي جمعك بعد هذا بجميل وبنوري، يا بهاء الدين نوري. فقد بلغني أنهم أعادوك من التقاعد، وجعلوك برتبة أمير لواء، ونصبوك معاوناً لرئيس أركان الجيش. ترى هل ستفضي لنوري بأقوال بكر صدقي؟ لكنك تجيد اللعب على حبلين وهذه فرصتك يا بهاء لتنتقم من العرب، ومن صلاح الدين واخوانه، أنت وأمثالك من الوزراء. فانتقم باسم بكر وباسم الماسونية.

ملاحظة: والد بهاد الدين الشيخ نوري كردي من أربيل، وهو تقي معمم، فاضل الأخلاق مثل باقي الأكراد الذين وقاهم الله من فساد الانكليز. لكن الشيخ نوري يمقت ولده بهاء لأنه لاديني أو لأنه بهائي عند البهائيين – التفاصيل عند منير الوكيل (وكيل البهائية)، معاون النائب العام في وزارة الدفاع.
كان بهاء الدين في الجيش السوري العربي، عربياً أكثر من العرب، يحمل خاتماً نقشت عليه عبارة «الحق والعرب». لكنه كان يخدع العرب، لأنه لمّا التحق بالجيش العراقي، نقش على خاتمه عبارة «الحق والعراق». والحقيقة أن بهاء يبيع العروبة والكردية والاسلام في سبيل نفعه الشخصي. وهو إذا استقرض لا يدفع، وإذا ارتشى ينفع. والانكليز يحبون بهاء ويدافعون عنه، لأنه عضو من الدرجة الخامسة عشرة في المحفل الماسوني الانكليزي العراقي، انتسب إليه على عهد مدير العينة الانكليزي (براش)، أيام الانتداب الانكليزي، وكان المحفل ينعقد في وزارة الدفاع في الغرفة المجاورة لدائرة وزير الدفاع. ولما أوفد إلى انكلترا عام ١٩٣٥ للدراسة في مدرسة الأركان الحربية الانكليزية، أهدى لرجال الماسونية الانكليز علباً فضية للسكاير تحمل إشارة الماسونية. بهاء الدين ذكي، لبق، حلو المعشر، وأسلوبه في العربية متين. كنا صديقين كما كنا تلميذين في كلية الأركان الحربية. لكن المبادئ والأخلاق والنزعات، باعدت بيننا دون أن يكون بيني وبينه خصومة شخصية. باعتقادي أن بهاء الدين يتمنى أن أموت. وأنه سيبكيني بعد موتي. هذا أنت يابهاء الدين... لقد عدت للجيش برتبة أمير لواء، أما صلاح الدين فهو اليوم طريد بلا مأوى.

لم يَرق للسياسة البريطانية (التي تعمل بمبدأ فرق تسد) توسيع الجيش العراقي والتفاف الشعب حوله، ولذلك عمد الأنكليز إلى الوقوف بوجه هذا الإندفاع بكل قواهم، وراحوا يعرقلون توسيع الجيش وتسليحه بشتى الطرق. ومن ذلك تقاريرهم التي تقبح فكرة توسع الجيش، وكلها تهديد ووعيد. ومنه أيضاً تأجيل النظر في طلبات الأسلحة من سنة لاخرى، مختلقين لذلك الأعذار، وهي في الواقع مهملة في دوائر التسلح البريطانية في انكلترا والهند، أو مسددين من قوائم الأسلحة التي طلبناها قسماً ضئيلاً بأسلحة ومهمات قديمة، بطل استعمالها في جيشهم منذ سنين. فلم تر هيئة أركان الجيش بداً من الحزم، ففتحت الباب لسوق الأسلحة العالمي وطلبت شراء الأسلحة من دول اخرى مثل ألمانيا وايطاليا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وأمريكا مستندة في ذلك على ملاحق المعاهدة، وبذلك تمكن الجيش من سد قسم من حاجاته بأقل من ثلاثة أشهر، وكان ينتظر سد الباقي منها بعد أربعة أشهر، فثارت ثائرة الأنكليز وأبرقوا وارعدوا، ثم احالوا الأمر إلى نوري بن سعيد، فلوّح بقرض تمنحه بريطانيا للعراق، ويسدد بأقساط سنوية على غرار قرض بريطانيا لتركيا، ومقداره ثلاثة ملايين ونصف مليون دينار. تنفق على شراء الأسلحة والمهمات المطلوبة، التي زعموا أنها رزمت لكي تشحن فوراً. ونجح نوري في اقناعي أنا ورئيس أركان الجيش وطه الهاشمي، فأبطل شراء الأسلحة وأوقف التعامل مع الدول الأخرى، وسحبت الصكوك والأموال المودعة في البنوك، وطُيّرت برقية إلى معامل الأسلحة الألمانية بصرف النظر عن شراء المدافع ضد الجو، والدبابات التي كانت مرزومة وعلى أهبة الشحن فعلاً(١). ولكن سرعان مّا عاد الأنكليز سيرتهم الأولى فنكثوا عهودهم، وعاد الجيش إلى التوسل والتضرع وبذل الجهود. وأخيراً وصلت الشحنة الأولى فلم نجد فيها ما طلبناه من مدافع ودبابات، وما ينقصنا من اسلحة ومهمات، بل وجدنا اكياساً للرمل وأحذية للجنود(٢) مصنوعة في الهند وقد قيدت أثمانها على حسابنا، على أنها من جملة المهمات العسكرية، فبلغت ثمانماية الف دينارعراقي. كل هذا ونوري مانفك يلح عليَّ،

(١) – كان من المقرر في خطة توسيع الجيش (وهي إحدى ملاحق خطة الحركات التي نظمتها لما كنت مديراً للحركات فوافق عليها رئيس أركان الجيش حسين فوزي ووزير الدفاع طه الهاشمي) أن تزود قطعات الجيش بالسلاح الكافي وخاصة بالمدفعية المقاومة للطائرات. وكانت ألمانيا قد تعهدت بأن تسدد طلبات الجيش هذه في ستة أشهر، فلما أبطل العقد بناء على وعود نوري بن سعيد والانكليز، تمكنت الطائرات والدبابات الانكليزية من أن تصول وتجول، ونحن نحاربهم بلا سلاح مضاد وبلا طائرات (راجع خطة توسيع الجيش وهي ذيل خطة الحركات التي أعددتها ووافق عليها رئيس أركان الجيش حسين فوزي ووزير الدفاع طه الهاشمي).

(٢) – استعلمت هذه الأكياس فيما بعد لسد الثغرات في سد سن الذبان وسد صدر السرية على نهر الفرات.

وعلى رئيس اركان الجيش بأن نتقدم للبعثة العسكرية البريطانية بالشكر!

على أن بريطانيا لا تخشى السلاح كما تخشى معنويات الشعب، وتضامنه مع الجيش تحت لواء العروبة، خاصة وهي في دور الإستعداد للحرب، فقد كانت تعلم سلفاً أن الحرب العالمية الثانية ستنشب في شهر أيلول من عام ١٩٣٩(١) فلما أعلنت انكلترا الحرب على المانيا. وجدت على رأس الجيش العراقي قادة عربا يعملون في سبيل قوميتهم، لا في سبيل مصالحها، فقرروا الوقوف عند حدود المعاهدة والإنتظار، لاالولوج في النار، حتى تنجلي القضية الفلسطينية وتتضح سياسة بريطانيا حيال العرب بالنظر لتطور الحوادث العالمية. فكان طبيعياً أن يغيظ قرار القادة أذناب الإستعمار حتى وصفوه بأنه قرار معادٍ لبريطانيا، وبأنه يورث عدم الإستقرار. لأن المصالح البريطانية تنشد السيطرة على الشرق الأدنى والبلاد العربية، ولا يتيسر ذلك الا بزج العراق في أتون الحرب، فتأمن جانب الأقطار العربية الاخرى، وتؤمن سلامة الطرق الأمبراطورية، وتحشد جيوشها في العراق كما تشاء. فإقصاء اولئك القادة يخلي لها الجو، ويطلق يدها في استثمار العراق، والسيطرة على جيشه كما تفعل في المستعمرات.

فلما عقدت بريطانيا العزم على ذلك، اندسّ الوصي عبد الاله ونوري وجميل وجودت بين صفوف الجيش وراحوا يبثّون التفرقة والفساد بين صفوفه، فانحاز فريق لهذا وفريق لذاك، واستطاع نوري أن يخدع طه وصحبه من القادة. فكانت النتيجة أن أحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد. فكانا وياللأسف أول ضحيتين لهذا المسعى. ثم تحول نوري وعبد الاله ومن يسوقهم إلى صلاح الدين واخوانه فأسرفوا في بذل الوعود لهم وقاموا بكل ما في وسعهم لإغرائهم، لكي ينالوا بواسطتهم ما كانوا يقصدون، لكن آمالهم خابت حين جابهناهم بالصدود والإباء، وتحطمت جهودهم على صخرة صماء، فلما أعيتهم الحيل (والأنكليز من ورائهم يحثونهم ولا يهدأ لهم بال) قام جميل وجودت وجلال بابان ومن لف لفهم من الأذناب في المجلس النيابي، يكيلون التهم والأكاذيب ضد الجيش والكيلاني. كان ذلك تمهيداً، ثم انقلبوا علينا جهراً، فأماطوا اللثام وكشّروا الأنياب، وتقدموا بالمطاليب الأنكليزية.

عرض نوري على مجلس الدفاع الأعلى مطالب الأنكليز، فكانت السبب في وقوع الحرب العراقية الانكليزية، وتضمّنت:

---

(٣) – حدثني بهذا الكولونيل لام مفتش الميرة وأحد رجال البعثة العسكرية البريطانية البارزين، وكان لام يرى أن تكسب بريطانيا عطف العرب بالتوصل إلى حل يرضيهم، وبالكف عن السياسة الصهيونية في فلسطين. وكنت آنذاك معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات.

١- فتح أبواب العراق جميعاً أمام الجيوش البريطانية، لتتنقل وتتحشد بكل حرية.
٢- اشراك فرقتين عراقيتين أو أكثر في صحراء ليبيا أو في البلقان.
٣- قطع العلاقات السياسية مع الدول المعادية لبريطانيا.

الإستجابة إلى الطلبين الأول والثاني، تعني الخروج على نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية، وإعلان العداء لخصوم بريطانيا. والإساءة إلى ميثاق سعد آباد، وإلى الجارتين المسلمتين إيران وتركيا. بل تهديداً لهما. لأن تنقل الجيوش البريطانية، وتحشدها في شرق الفرات ليس له دلالة أخرى. وبالفعل هاجمت الجيوش البريطانية إيران، واحتلتها بعد العراق وسوريا. ثم إن اشتراك فرقتين عراقيتين في حرب ليبيا، ماهو إلا إعلان للحرب على أعداء بريطانيا عملياً. وهذا يحمل مصر والأقطار العربية الأخرى، على الإقتداء بالعراق، واتخاذ قرار مماثل، شاءت أم أبت. كما حملت مصر على الإقتداء بالعراق حينما بادر نوري إلى قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا، تبرّعاً منه لبريطانيا قدمه بكل سخاء وبدون مقابل، لكي ترضى عنه، فسبق به كل الدول الأخرى بل المملكات البريطانية. أما الإستجابة إلى الطلب الثالث، فتُعدّ فاتحة وتمهيداً للاستجابة على الطلبين قبله. وثمة فائدة أخرى له، هي الدعاية للقضية البريطانية والطعن والقذف بأعدائها.

انعقد مجلس الدفاع الأعلى برئاسة نوري في عهد وزارته، ثم برئاسة الكيلاني في عهد وزارته، وكان نوري وزيراً للخارجية، فناقش المطالب، ودرس التقارير التي قدمها الجيش، ودوّن الآراء، وبذل نوري كل مافي جعبته من حيل وكل دهائه لاقناعي واقناع رئيس أركان الجيش والوزراء. (ملحق رقم -٤-) فلما فشلت جهوده وأعيته الحيلة أوعز إلى الأذناب والعملاء، فخطبوا في المجلس النيابي، ومثّل الوصي دور الديكتاتور في استقالة وزارة الكيلاني. إذ سافر إلى الديوانية لتنفيذ ذلك، وكلف رؤساء القبائل والمتصرفين وقائد الفرقة الرابعة بإثارة حرب داخلية.

فلما فشل هذا المسعى أيضاً، طبقت الخطة الأخيرة، فذهب عبد الاله إلى سن الذبان (القاعدة الجوية البريطانية) ثم طار منها إلى بوارجهم الحربية، ثم إلى فلسطين. ثم نشبت الحرب باعتداء الانكليز، ثم جيء بعبد الاله من مقر الجيش الانكليزي في الحبانية. فنُصّب وصيا من جديد، لا بإسم العراق، بل بإسم الحراب البريطانية.

والآن ... أترى فاتنا ارتقاب الفرصة السانحة؟ وأية فرصة تنتظرنا وعين الذئب ترمقنا، وهل كنا مع الانكليز على وفاق ثم ضيقنا عليهم الخناق؟ ومتى كان بين الذئب والحمل عهد وميثاق؟

ملحق رقم -٤-

لما كنت مديراً للحركات ومعاوناً لرئيس أركان الجيش كان نوري بن سعيد يأتي إلى دائرتي، فيسأل عني بقوله (أين صلاح) على مسمع من ضباط دائرة الحركات. يريد بقوله «صلاح» بهذا الشكل المختصر، أن يظهر للسامعين حبه لي على عادة أهل العراق.

وتكررت زيارات نوري لي في دائرتي، وتكررت محاولاته لاقناعي بإرسال فرقتين إلى البلقان أو ليبيا. فلما انعقد مجلس الدفاع الأعلى، توجّه الفريق حسين فوزي رئيس أركان الجيش إلى نوري بقوله: لو مرت الفرقتان العراقيتان بحلب فسأل حلبي أحد الجنود العراقيين (خيو فين رايحين) فيجيبه الجندي العراقي إنه في طريقه إلى قتال الألمان. فيقول الحلبي (الله ... الله ... سوريا وفلسطين تئن من جور الفرنسيين والانكليز وأنت تذهب لقتال الألمان؟).

هل تذكر يانوري اقتراحك على مجلس الدفاع الأعلى، بالوقوف على رأي الجيش وأنت وزير للخارجية في وزارة رشيد عالي الكيلاني، فأعددتُ لائحتي التي قرئت عليكم جميعاً، هل تذكر كيف ثارت ثائرتك عليّ إذ جاء في لائحتي مالا يتفق مع آرائك ورغباتك، بشأن تحشيد الجيوش البريطانية في العراق، وتلك المناقشة الحامية التي جابهك بها أعضاء مجلس الدفاع، ومن بينهم ناجي السويدي ورشيد عالي الكيلاني. وتلك القصاصة التي حررتها فوراً، ودفعت بها إلى طه الهاشمي، وكان جالساً على يمينك، طالباً منه فض الجلسة، وإلغاء جلسات مجلس الدفاع الأعلى، فلا ينعقد بعد ذلك أبداً. فكان ما أردت، وكانت تلك الجلسة خاتمة جلسات مجلس الدفاع. ثم كانت الحملة التي شنها أتباع الانكليز ضد الجيش والكيلاني في المجلس النيابي بعد ذلك مباشرة، فراحوا يطالبون بمنع الجيش من التدخل في السياسة، لكنهم كانوا مغرضين أو جهلاء أمّيين، لأن الجيش انما كان يبحث شؤوناً عسكرية سوقية من اختصاصه.

أرجو أن تبقى تلك اللائحة ومحاضر مجلس الدفاع سالمة من شر نوري بن سعيد.

الملحق رقم -٥-

في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٩ عقد في وزارة الدفاع اجتماع ضم كلا من:
- رئيس الوزراء السيد نوري بن سعيد، ووزير الدفاع العميد الركن طه الهاشمي، ووزيرين آخرين أظن أن أحدهما هو وزير المالية المرحوم رستم حيدر.
- رئيس أركان الجيش الفريق الركن حسين فوزي، مدير الحركات ومعاون رئيس أركان الجيش صلاح الدين الصباغ، ومدير شعبة الحركات نور الدين محمود، وضابطي الركن رفيق عارف ومحمود الدرة من دائرة الحركات ليدونا محضر الجلسة.
- ممثل عن السفارة البريطانية في بغداد (لغياب السفير خارج العراق).
- قائد القوات الجوية البريطانية في العراق وهيئة ركنه، ومدير قسم الاستخبارات للقوة البريطانية قائد السرب (دون فيل).
- رئيس البعثة البريطانية الجنرال وترهاوز وضابطي ركنه العقيد (فريب) والعقيد (وارن)، وكان أهم مادار البحث حوله في هذه الجلسة استعراض الموقف الدولي والحربي العام، والتسهيلات التي يتمكن العراق من تقديمها للقوات البريطانية عند مرورها بالعراق متنقلة بين الهند والبحر الأبيض المتوسط وفقاً لنصوص المعاهدة العراقية الانكليزية.

وفي معرض المذاكرة تطرق البحث إلى الإتفاق البريطاني التركي الذي عقد عام ١٩٣٩، وإلى القرض البريطاني الذي يرصد ملايين الجنيهات لتزويد الجيش التركي بالسلاح الحديث مقابل إلتزام تركيا بدخول الحرب بجانب بريطانيا إذا تهددت السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، أو دخلت إيطاليا بجانب ألمانيا. وإن الانكليز لايساورهم الشك مطلقاً بأن تركيا لن تنقض عهدها وإنها سوف تشترك في الحرب حالما يتحقق أحد هذين الشرطين.

انتهزت هذه الفرصة فقلت، ملوّحاً من طرف خفي إلى اهمال الانكليز في تسليح جيشنا: إن الأسلحة تتدفق على جارتينا إيران وتركيا. أما إيران فالأسلحة تردها من ألمانيا على سكّة حديد حيدر باشا ومنها إلى خانقين فطهران. وأما تركيا فسلاحها يكفيها، لكنكم تزيدونها منه سخاء. أما نحن فلا يهتم أحد بتسليحنا على الرغم من وقوعنا بين هذين البلدين. إني أعتقد أن تركيا تنظر بالدرجة الأولى إلى مصلحتها قبل مصلحة غيرها. ومصلحة تركيا بالنظر إلى موقفها السوقي وحاجتها للهدوء تفرضان عليها عدم الاشتراك في هذه الحرب، وهي بالاضافة لذلك لاترى في البلقان تعويضاً كافياً مقابل خسارتها إذا اشتركت في الحرب.

شهادة رقم (2)

أهمية العاصمة العسكرية
الكوفة . . أم بغداد؟

إن هذه الشهادة، هي الوحيدة المنتقاة من كتاب «اعتداء الانكليز، أو الحرب العراقية ـ الانكليزية» لمؤلفه الشهيد صلاح الدين الصبّاغ في عام ١٩٤١، كما جاء على غلاف الكتاب.. والذي تحتوي صفحاته على تفاصيل تلك الحرب والأسرار العسكرية الأخرى، والتي يمكن أن نخصها ببحث مستقل مستقبلاً في قراءة نمط آخر من مذكّرات البطل العربي.

ووجدنا من الأهمية هنا أن نشير إلى حرص صلاح الدين الصبّاغ الدؤوب على محاولة تحصين بلاده منذ ذلك الوقت. فمرةً حاول تحصين الجبهة الغربية، ومرةً الشرقية (كما جاء في مذكّراته).. وهنا يحاول اقتراح الكوفة قاعدة أمامية أو عاصمةً بدلاً من بغداد.

فلنقرأ هذه التفاصيل التي لاتخلو من الطرافة، وهي مدونة بخط الشهيد الصبّاغ:

إن خطر الاجتياح من كلا الاتجاهين، ولأن العراق لن يقوى على الدفاع عن نفسه مالم تصل قاعدته خطوط مواصلات أمينة تربطه وشقيقاته اللواتي في غربة عنه ليكنّ عونه وسنده.

وما الكوفة، والرياض، وصنعاء، والقاهرة، والقدس، ودمشق إلا قواعد أمامية تستمد قوتّها من عاصمة البلاد العربية التي يجب أن تشاد وتؤسس في نقطة تؤمن الأغراض السياسية والعسكرية، وماستكون عليه أسلحة المستقبل الفنية.... وهناك هي عاصمة العروبة، عاصمة الفكر والمصانع والجهود والمنابع التي تنبعث منها القوة والحياة.

لادمشق، ولابيروت، ولاالرياض، ولابغداد...

وأتذكّر أنني كنت رئيس ركن (مقدم ركن) الرتل الذي كان يقوده الأمير اللواء حميد الشالجي في حركة عبد الواحد صكر في سنة ١٩٣٥، تلك الحركة التي أدت إلى إسقاط وزارة علي جودت وجميل الملقب بالمدفعي وتسلّم المغفور له يس الهاشمي رئاسة الوزارة.

وقمت بجولة استطلاعية في منطقة «أبو صخير» جنوب الكوفة، وضابط الركن الرئيس غازي الداغستاني يصحبني - هذا الضابط نبيل وشهم - وبينما كنا نسير على طريق تتجه إلى الديوانية تحيطه مستنقعات مياه الفرات الراكدة، وقفت فوراً وأردت مداعبة غازي، وكلانا يعرف «لندن» عاصمة الانكليز. وقلت:

- كيفك غازي يوم تنقلب هذه المياه إلى بحيرات للسباحة وسباق القوارب وحولها على الأرصفة الألوف المؤلفة من الأوانس يهتفن للمتسابقين ويسبحن ويمرحن ثم يلعبن تحت ظلال أشجار النخيل وجنّات الأعناب، كما هو في عاصمة الانكليز. فضحك غازي وقال:

- نعم. عمشة، وحلوة، وجويدة، بدلاً من جويس، آن، شيرلي.... سيدي هذا اشلون خيال!؟

وبقي غازي يعيدها عليّ بتأدب كلما التقينا وسنحت له فرصة المداعبة خارج الأوقات الرسمية.

حقاً إنها أحلام ولكن في سنة ١٩٣٩ أدخلت الكوفة في خطة الحركات لتكون قاعدة أمامية (أو عاصمة) بدلاً من بغداد. وهذه أيضاً بقيت في الملفات وكانت خيالات وأحلام. مثل أحلامنا باستقلالنا وبغداد عاصمتنا...... وأسفي!!

وقمت بجولة استطلاعية في منطقة "ابو صخير" جنوب الكوفة و ضابط الركن الرئيس غازي الداغستاني يصحبني - هذا الضابط نبيل وشهم - بينما كنا نسير على طريق تتجه الى الديوانية تحيطه مستنقعات مياه الفرات الراكدة، وقفت فوراً وأردت مداعبة غازي، وكلانا نعرف "لندن" عاصمة الانكليز. [illegible] الرجل الذي كان يقوده في حركة عبد الواحد سكر في سنة ١٩٣٥ ادت الى اسقاط وزارة علي جودت وتشكيل [illegible] الملقب بالمدفعي [illegible] له ليس للهاشمي رئاسة الوزارة.

سابعاً:

رأي أجنبي

قدم لي القائد العسكري سيكارة وأخذ أخرى ثم قال: - كان عليكم أن تقضوا على عبد الاله ونوري وزملائهما، قبل أن تحاربوا الانكليز، وهذا تدبير منطقي، لو اتخذتموه، لما استعان بهم الانكليز في حربكم، أو بعدها.

قلت: يصح هذا في الدولة التي تتمتع باستقلال ناجز ويطبق فيها فينفع، لأن الدولة التي لها سلطان على شعبها وهيمنة على شؤونه، يسهل عليها قمع حركات الخونة وهي في مهدها، بأن تتخلص من بعض الخونة البارزين، وتقضي على المعين الذي يسقيهم، وهو عادة ضئيل سريع النضوب، إذا كانت الدولة مستقلة. لكن الأمر على العكس إذا غلبت الدولة على أمرها فنكبت بالاستعمار، أو كان استقلالها أبتر كالعراق. فالمستعمر هوالمعَين الذي لا ينضب للخونة، ومازال هذا دأب الانكليز في العراق منذ خمس وعشرين سنة. أما الوطنيون فينالهم الاضطهاد والتعذيب، وتلحق بهم الاهانات، ويوصمون بالخيانة، فيحدّ ذلك من نشاطهم ويضعفهم، فلا يجدون معيناً ولا نصيراً.

فلو اتخذنا التدبير المنطقي الذي تقترحه، لأصبح لزاما علينا القضاء على العشرات كل يوم. فلا ينتهي الأمر إلا بمحو البلاد، وإثارة الضغائن والأحقاد، وليس أيسر من ظهور خائن جديد في بلادنا إذا مات خائن. لأن الحاكم المسيطر حليف للخونة، وليس أشق من قيام سيد فيها إذا مات سيد، لأن المحكوم الضعيف حليفه الوحيد. فالانكليز، إذن هم الأصل، لأنهم هم الحكام المسيطرون، ولولاهم لما كانت الأغصان والفروع من الخونة مثل نوري وعبد الاله. وأن قطع الأغصان والفروع لا يُغني فتيلاً، وسرعان ماتنمو غيرها مادام البدن قائماً، والأصل ثابتاً في الأرض. (فيكون ذو الحسب والنسب سلطاناً وتوزع الألقاب والزعامات على الباقين بالنسب التي تعينها الخطة الاستعمارية). ولن ينقطع دابر الأغصان والفروع إلا باستئصال شأفة البدن. لذلك اعرضنا عنهم، وجابهنا الانكليز. وسيبقى الانكليز وكل طامع بالبلاد هدفنا. أما نوري وعبد الاله وغيرهما من العملاء، فإنهم مازالوا منذ قتل بكر صدقي، مشردين خارج العراق، مبعثرين في أرجاء الأرض، وهم يندبون حظوظهم، ويتلهّفون إلى قصورهم وأطيانهم.

فأعدناهم إلينا واستقبلناهم بالإجلال والاحترام. وما كان عسيراً علينا قتلهم لو نشاء. لكن والله ما دار في خلدنا يوماً أن نمسّهم بسوء، فنكون قتلة لئاماً. كان أملنا أنهم اعتبروا بما نكبوا به، أيام بكر فأزهقوا باطل أعمالهم، وعادوا إلى الهدى ودين الحق. يتكاتفون مع الوطنيين ويقاومون الاستعمار بكل قواهم، ليطردوا الانكليز من البلاد. فكان جزاء إحساننا وحسن نيتنا، أنهم رمونا بالخيانة والعصيان. وقد فات مافات .. (ملحق رقم -٦-).

فابتسم القائد العسكري وسألني: أأنت أناني أيضاً؟.. قلت: أجل. فالأنانية عريزة تسمو ببعض النفوس فتفيض بالخير، وتحطّ ببعض النفوس فتعمه بالإثم. فالأنبياء والمخترعون والأدباء والوطنيون، وإن اختلفت أهدافهم ومقاييسهم، يريدون الخير لمجتمعهم لا لنفوسهم. كأم حنون تطعم أولادها، وتكتفي بالفتات. وهذه أنانيتي إن شاء الله.

فوقف القائد وقال: استودعك الله، وسنواصل الحديث في مقابلة أخرى.

قلت: أما آن لكم اطلاق سراحي، إنكم تفعلون بذلك خيراً للإنسانية التي تئن من جور السيطرة البريطانية، وأنا لا أخشى ماقدّره الله، وليس بين قومي وبينكم عداء.

أجابني: إن شئت شفعنا لك عند الانكليز، نيسّر لك أمرك وتعود إلى مركزك

قلت: لا والله، وما المركز الذي فقدته إلا عرض قال عنه أحد شعرائنا:

لا تُسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ ... بل فاسقني بالعزِّ كأسَ الحنظلِ

ماءُ الحياةِ بذلّةٍ كجهنّمٍ ... وجهنمُ بالعزِّ أطيب منزلِ

وإني قد عاهدت الله، أن أشرب من الحنظل مابقيت حياً، وما بقيت البلاد العربية طريقاً للامبراطورية البريطانية، وآليت على نفسي أن لا أكون عميلاً للانكليز والأجانب.

فصافحني القائد العسكري وقال يختم كلامه: لو أن مابينكم وبين خصومكم كان اختلاف الرأي على السبل المؤدية إلى الهدف القومي، لما استعانوا عليكم بالأجانب، مهما تباينت آراؤكم أو افترقت طرقكم. إنه عمل شائن يخزي سمعة بلادكم، لابل إنه يدل على أخلاق غير ناضجة. ولو أن خلافكم كان هو الطريق، لضنوا بكم ولعز عليهم التضحية بكم. خاصة وأن بلادكم في أمس الحاجة إلى رجال بلغوا مرتبة الكمال، يعملون على انهاضها من كبوتها واسترداد حريتها، والوصول إلى أهدافها المنشودة. وأضرب لك مثلاً فرنسا، إذ غلبت على أمرها، فطلبت منها ألمانيا أن تحاكم المسؤولين عن زجها في الحرب. إن الرجال الواعين في فرنسا، أكثر منهم في بلادكم، وحاجتها أقل من حاجتكم للرجال الواعين. لكنّي على يقين أن بيتان وديغول وصحبهما لن يؤذي بعضهم بعضاً، ولن يضحى بقلامة ظفر فرنسية لإرضاء

ألمانيا لو وعدتهم بإعادة الإمبراطورية إلى مجدها التليد. وهم وإن كانوا في الظاهر فريقين متخاصمين، الواحد بجانب الحلفاء والثاني بجانب المحور، لكنهم في الواقع متكاتفون متعاضدون، يحرص كل منهما على حياة الآخر، بل يشجعه ويساعده سراً على المضي في عمله. لأن هدفهم المشترك هو سلامة فرنسا وحدها. ولو أن خصومكم ساروا على هذه النظرية، لما توطّد استعمار الانكليز في بلادكم. أما معاهدتكم مع انكلترا، فقد فازت فيها بحصة الأسد، وجميع الدول على استعداد لأن ترتبط معكم بمعاهدة مثلها أو أفضل شروطاً. مادام سعيكم وراء القشور، تقتتلون من أجلها، وتتركون لها اللباب.

وأرى خصومكم أحرص من الانكليز على ملاحقتكم، إذ لا يهم بريطانيا في شيء موت أحدكم، أو حياته بعد أن غادرتم البلاد، وتركتم الطريق فسيحاً أمام مصالحها، لايقف بوجهها أحد من بعدكم. بل إن بريطانيا لا تتردد في تفضيلكم على خصومكم، لو آنست فيكم اليوم ميلاً إلى التفاهم معها، بحيث تنهجون في إرضائها نهج خصومكم - كما أشرت عليك، فرفضت - لأنكم أقوى من خصومكم مركزاً بين قومكم، وأثبت منهم قدماً في بلادكم. ومن عادة الانكليز أن يتناسوا كل شيء في سبيل مصالحهم الحيوية. أما والأمر على نقيض ذلك، فمن الطبيعي أن يشجعوا خصومكم للقضاء عليكم بلا رحمة. ولو شعر خصومكم شعوراً وطنياً، لما هان عليهم ذلك، بل لمدّوا يدهم لمساعدتكم سراً، ولشجعوا كل حركة صادرة عن دافع وطني، وموجهة ضد الاستعمار. لا فرق إن كانت صحيحة أو خاطئة، لأن العبرة في حسن النية. لو كان خصومكم وطنيين، لما ركنوا إلى عهود ومواثيق تنافي الاستقلال الناجز، لإن الاستقلال يؤخذ قسراً، لا رجاءً ولا عفواً.

وأرى خصومكم قد اتفقوا مع الانكليز، على أن يجعلوا منكم عبرة لمن تحدثه نفسه بمناوأتهم، خاصة وهم اليوم في حالة حرب. لذلك يبذلون أقصى الجهد، للقضاء عليكم سريعاً، فلا يمهلونكم. وهذا العمل لايتفق طبعاً مع الوطنية، واسمح لي أن أقول إن هذه الأخلاق لا تليق بأمة تنشد لها مكانة بين الأمم الناهضة، وتريد حقها في الحياة.

ليت نوري وجميل وجودت، كانوا معي يسمعون حكم هذا الأجنبي .. ثم أناقشهم الحساب عزّلاً، لا تساندهم حراب الانكليز:

هل أنتم زعماء الثورة العربية، أم عمال في الاستخبارات البريطانية؟ تستغلون الثورة العربية ثم الثورة العراقية لتدوم مقاعدكم في الوزارات العراقية!! إنكم لو ناصرتم الثورة العربية، لانتهيتم إلى مصير الحسين، الذي مات منفياً في قبرص. أو إلى مصير السيد طالب النقيب، الذي اعتقل في بغداد بتدبير من نوري والانكليز، ثم قضى نحبه في منفاه خارج

العراق. أو إلى مصير عبد الواحد صقر، بطل الثورة العراقية الذي ماأظنه، إلاّ في أحد المعتقلات الانكليزية. أو إلى مصير عزيز علي المصري، بطل الفكرة العربية الذي مازال ضحية للشراك الانكليزية، التي نصبها له نوري في الحجاز. أو إلى مصير أولئك الأمجاد، الذين شنقوا على الأعواد. بل إنكم استثمرتم الثورة العربية والثورة العراقية، فارتفعتم بواسطتها إلى مرتبة الزعامة الوطنية، تدعمكم حراب الانكليز. وكذلك سوف تستثمرون الأعمال التي قام بها ضحايا الحرب العراقية الانكليزية. أما الذين اعتلوا المشانق من أحرار العرب، فجزاء أطفالهم التشرد والتوسل والإهمال. ثم إن الزعامة ليست لكم، لأنها تستند على النزعات الوطنية، لا على الحراب الأجنبية.

هل يؤخذ الاستقلال بالرجاء بدل الكفاح، وهل جاءت المعاهدة العراقية الانكليزية مثالاً للاستقلال، أم أخذت من الانكليز بفضل أعمالكم المخزية ومسايرتكم للسياسة الانكليزية؟ هل ثار العرب بوجه العثمانيين المسلمين، وآزروا الدول الاستعمارية المسيحية، ليجنوا «استقلالاً» ما رأينا من آثاره غير اليهود في فلسطين، والفرنسيين في سوريا، والآشوريين في العراق، والانكليز في باقي الجهات؟؟؟

ولم تتمسكون بالانكليز؟ أتشفقون على الحرية من النازية(١)، أم تؤمنون بأن جبهة الحلفاء تحارب ذوداً عن الإنسانية، وتريد الخير لشعوب أوربا، ولأمم الأرض قاطبةً، بما فيها بلاد العرب والهنود، وباقي المستعمرات الانكليزية، فتنال استقلالها بعد الحرب بلا نضال؟؟ أم تعتقدون أن ميثاق الأطلسي، هو ينبوع الرحمة الدافق على البشرية، وأنه ليس مثل مبادئ ويلسن، لأن في أمريكا وانكلترا اليوم روزفلت وتشرشل؟ أم تظنّون أن ألمانيا المغلوبة على أمرها في الحرب العالمية الأولى، هي التي منعت انكلترا الظافرة، من إعطاء الحرية والاستقلال للشعوب الضعيفة، وإن انكلترا تحارب ألمانيا اليوم، لتحرير الشعوب المحبّة للحرية؟

أم تعلمون علم اليقين، كالآخرين، أن انكلترا اليوم، أكذب منها في الحرب الأولى، وأنكر، وأنها لو كانت تسعى إلى حرية الشعوب الضعيفة واستقلالها، لما أثارت هذا النزاع، ولما ضحّت بالرجال والأموال، ولما جزأت البلاد العربية وأضعفتها؟؟ بل لجعلتها منيعة القوة راسخة الاستقلال، ولحرصت على استقلالها كما تحرص على استقلال دول البلقان، التي أوجدتها في أوربا، لتحافظ على سيطرتها الدولية. أو كما تحرص على إقامة دولة لليهود، لتدوم سيطرتها على شعوب الشرق الأدنى والبلاد العربية، لأنها تقع على طرق الامبراطورية.

(١) – ومتى ترك الانكليز للعرب الحرية ليدركوا الفرق بين ديمقراطيتهم المزيفة والنازية الباغية؟ ولماذا هذه المبادئ الأجنبية ونحن أمة عربية اسلامية، لها مبادؤها السامية وتقاليدها العريقة.

ولِمَ تتظاهرون أمام الشعب بالعدواة لبعضكم، وأنتم متفقون على الهدف، أوفياء في خدمة الاستعمار؟ اتراكم اختلفتم كيف تفرقون الكلمة، وتسابقتم لإثارة النزعات الطائفية وخلق الأقليات؟ ليقول الشعب بالعراقية، فيبقى مطيّة للسياسة البريطانية توجهه حيثما تشاء، حتى حاز العراق بفضلكم قصب السبق في قصر اعمار الوزارات!! فما قامت وزارة، إلا وزعمتم أن منهاجها يدر على البلاد ذهباً وهّاجاً، ولكن الوزارة تسقط قبل أن يجف المداد على منهاجها، فتقوم وزارة أخرى، ويأتي منهاج غيره، وتقولون إن المنهاج القديم كان ملحاً أجاجاً.

ولم تناصبوننا العداء وتوالون الانكليز؟ لم تتجسّسون علينا وتقيمون من أجسادكم سداً لحماية الأجنبي وتفتدونه بأرواحكم؟ تعالوا شاركونا في الجهاد وناضلوا الانكليز، وكل طامع بالبلاد كما نناضلهم. فمن يرضى منّا بالاستعمار كان عبداً رقيقاً، أو تنحّوا، وقفوا متفرجين محايدين، واتركوا العمل للوطنيين، الذين يقدمون على التضحية ولا يبالون بالمنون.

هل أخذتم وعداً باستقلال العرب بعد الحرب العالمية الثانية؟ أم ستعودون إلى الكذب، متعلّلين بحجة حربنا ضد الانكليز، أم سيخرج العرب من هذه الحرب بمثل ما خرجوا به من الحرب الأولى؟؟ إذ كنا حلفاء انكلترا وفرنسا فنكلوا بنا، وضربوا منا الأعناق، وبثّوا بيننا الفساد والشقاق، فكان حصاد الثورة العربية أن ظهر اليهود في فلسطين والآشوريون في العراق.

كتب صلاح الدين الصباغ هذه العبارات بخط يده في عام ١٩٣٢ في مدينة بغداد..

ملحق رقم -٦-

مازال بكر صدقي يضيق الخناق على جميل الملقب بالمدفعي، ويطارده حتى حمله على مغادرة العراق والهرب إلى سوريا للنجاة بنفسه. ولم تكن لي بجميل معرفة سابقة عندما أرسل لي قبل سفره إلى سوريا رسولاً، هو إبراهيم عطّار باشي. فقال لي: - «لم يبق لنا من نعتمد عليه لانقاذ البلاد من عبث بكر صدقي وشروره سواك يا صلاح الدين، وأخوانك البررة المخلصين. لذلك نرجوك أن لا تفرّط بنفسك، وأن لا تسرف في إظهار العداوة لبكر صدقي. لأننا نخشى أن يصيبك أذى منه».

إن سعيد الحاج ثابت الوطني البار، يشهد على صحة ماأقول فهل بوسعك ياجميل أن تكذّبه كما انقلبت عليه؟

فلما اغتيل بكر صدقي، كان صلاح الدين وإخوان صلاح الدين هم الذين أعادوك بالطائرة، وهم الذين استقبلوك بالحفاوة والترحاب. لقد كنت أنا ممثل الجيش الوحيد في استقبالك بالمطار المدني، يوم تقابلنا وتحدثنا على انفراد في المطار أولاً، ثم في دارك، ووافقتني على تحقيق مطاليب الجيش، وأخذت مني تلك القصاصة التي تحتوي على عهود وشروط بخدمة العروبة والفكرة القومية.

وإنني أسألك ياجميل: أيكون ألمانياً أو نازياً أو انكليزياً أو خادماً للأجنبي من يحمل تلك الفكرة ويبشر بذلك المبدأ، أم أكون أنا دخيلاً وتكون أنت العربي الأصيل؟؟

وقد ترددت على الألسنة إشاعة، مفادها أن بكر صدقي يوالي السياسة الألمانية. فلماذا لم أتعاون مع بكر صدقي، لو كنت أميل للنازية الألمانية أو كنت أتقاضى منهم راتباً ضخماً من الذهب كما تزعم؟

إلا أن كل إناء ينضح بما فيه.

ثامناً :

في تعريف الخائن

من هو الخائن؟

وماهي الخيانة؟

وكيف نهتدي إلى الخائن فنحذر منه أولادنا وأحفادنا؟ لقد اختلط الأمر على العرب وهم في الفوضى الحاضرة، وصعب عليهم أن يقطعوا فيه برأي. من هو الخائن؟

هل الخائن من يقاوم الاستعمار الأجنبي بمختلف درجاته وشتى أنواعه، ويناهض الذين يوالون المستعمرين، ويناهض كل قوة غاشمة على أرض الوطن، وإن كان أعزل من كل سلاح؟؟ مثل محمد عبد الكريم الريفي، في المغرب العربي. ومصطفى كامل وسعد زغلول، في القطر المصري. وشكري القوتلي واخوانه، في سوريا. وأمين الحسيني والشهداء. في فلسطين وباقي الأقطار العربية، ورشيد عالي الكيلاني وقادة الجيش العراقي وضباطه العرب، الذين آل مصيرهم وعوائلهم إلى التشرد والاعتقال والسجن والاعدام، بدعوى أنهم خونة دجالون.

أم الخائن من يماشي القوة الغاشمة ويمالئ كل إستعمار أجنبي؟ زاعماً أن السبيل الوحيد لفلاح العرب مماشاة القوة والإستعمار. فيقضي العمر في بحبوحة من العيش ورخاء وترف. ولايعتلي المشانق، ولا يثوى في القبور، مثل النشاشيبي في فلسطين، والشيخ تاج الدين في سوريا، ونوري بن سعيد في العراق، وأميل إده في لبنان.(عجبي أن يقال أن اده فرنسي، ولا يقال أن نوري إنكليزي. فإذا كان نوري مسلماً، واده مسيحياً، فإن هذا لايغير من واقع الحال شيئاً. أليس اده عربياً؟)

أم الخائن لاهذا ولا ذاك؟ بل من يستسلم إلى كل قوة وسلطان. الذي لاشأن له بالمستعمرين ولا بالعرب القوميين، يعيش مسالماً لا يهمه إن احتلت بلاده أواستقلت .

فإذا كان الخائن من الطائفة الأولى، فلماذا نشيد بسعد زغلول وأمثاله، ونكبرهم، لأنهم حملوا لواء القومية؟ ولا نقول أنهم دجالون مارقون يستحقون لعنة الله والإنسان لأنهم غرسوا

فينا هذه العقيدة، والسائرون من قبلهم على هذا النهج، بهدي التعاليم العربية الإنسانية؟وإذا كانت الغاية التي تنشدها الأمة العربية هي مماشاة الإستعمار فحسب،فلماذاعلمنا هذه العقيدة منذ نعومة أظفارنا، فتشربت بها نفوسنا وترعرعنا عليها، ولماذا نعلمها أطفالنا، فتتشرب بها نفوسهم ويترعرعون عليها؟ وهي العقيدة التي حفّزت إلى الإحتجاج، وأشعلت نار الثورة، وحرّضت على سفك الدماء؟ ولماذا لايبعدون هذه التعاليم عن مناهجنا الدراسية، وعن أوساطنا التربوية، في البيت وخارجه، فيخنقون الإحتجاجات ويطفئون الثورات ويحقنون الدماء؟؟

وإذا كان الخائن من الطائفة الثانية، فلماذا تشجع أفعاله، وتحترم تصرفاته، وتنشر الصحف أقواله، بدل أن يناله الذم والتقريع والنبذ والتحقير؟ فاذا قيل أنه انما صار كذلك بتأييد القوي، فأي سلطان للقوي على قلوب الناس ومشاعرهم؟ انه لإثم أن يتعلل المرء بهذا العذر وعار كبير!!

واذا كان الخائن من الطائفة الثالثة، فهذا هو القول الذي لا نقاش فيه، لأن الاستسلام هوالموت الزؤام.

فيا أيها العرب؛ افتونا من هو الخائن وما هي الخيانة. ذلك أن أبناء الذوات في العراق، يقولون إن الانكليز آباؤنا وأولياء نعمتنا، وسيتولى أولادنا وأحفادنا مثل هذه القول بعد الخرب. فإذا كان قولهم صحيحاً، علمّناه أولادنا وأحفادنا، وتسابقنا وإياهم في هذا الميدان!! وأتّبعنا طريقة نوري بن سعيد وزميله أميل أده التي تتلخص بالإستسلام. فلا مقاومة، لا بالسلاح ولا بالكلام، ونكون نحن وأولادنا وأحفادنا كالأنعام، مشبعين بروح الإستسلام، وعلى العروبة السلام.

(يطلق عرب العراق لقب أبناء الذوات على نوري بن سعيد وجميل الملقب بالمدفعي ومن لف لفّهم، الذين اغتصبوا الزعامة بقوة الحراب الأجنبية بعد أن احتل الأنكليز والأجانب البلاد العربية).

فمن هو الخائن، وما هو مقياس الخيانة؟ أما أنا فما زلت أردد قول الشاعر:

ولي وطنٌ آليتُ ألاّ أبيعهُ وأن لا أرى غيري له الدهر مالكاً

وها أنذا أُطارد في ايران - فلا حول ولا قوة إلا بالله

ملحق رقم -٧-

قبل واقعة ميسلون، التي جرت بين الفرنسيين والحكومة العربية السورية، كنت أقوم بحراسة قصر فيصل بالمناوبة مع فهمي. فقد كنا ملازمين في سرية الرشاشات التابعة لكتيبة الهاشمي الخيّالة. وكان فوزي القاوقجي، آمر سرية سيافة في الكتيبة. فلما وضعت الحرب اوزارها، كانت كتيبتنا هي الوحيدة التي بقيت محافظة على نظامها. فجمعنا ما تبقى من رجال وخيل، وأمرنا بأن نعسكر في تكية السلطان سليم، وكان فوزي معنا. وأمرت مع رعيلي بحراسة قصر فيصل مرة أخرى. فلما ترك فيصل قصره ورحل إلى درعا بحوران، سحبت الرعيل على أن أعود إلى الجامع. وفي الطريق التقيت بفهمي، وكانت عيناه تفيضان بالدموع. فسألته: خير إن شاء الله. أين ذاهب برعيلك يافهمي؟

قال اسمع يا صلاح، غداً يدخل الفرنسيون دمشق في الصباح الباكر. علمت بذلك من نوري بن سعيد، وسوف تلقاه حتماً لأني تركته على جسر المرجة. لقد طلب مني هذا الرجل أن احافظ على الأمن داخل البلد، إلى أن تدخل الجيوش الفرنسية صباح الغد فتحتل دمشق. لكن خاب ظنه، فأنا ذاهب برعيلي للالتحاق بقوات حمص وحلب فوراً. وسنمضي في قتال الفرنسيين. تركني فهمي ورعيله خببا. وبعد شهر واحد كنت أنا وفهمي اسيرين في قلعة واحدة بجزيرة أرواد.

وعلى مفترق الطريق المؤدي إلى الصالحية، أوقفني نوري بن سعيد بعد أن عرّفني على نفسه لأنني كنت لا أعرفه. وكان يحمل على ذراعه شارة حمراء، فسألني عن واجبي ووجهتي فأجبته إلى الكتيبة. قال: كتيبتكم قوة احتياطية واجبها المحافظة على الأمن. وعليك أن تلتحق بها فوراً. فأجبته أني بسبيلي اليها. وتركته وأنا أتمتم:– هذا هو الخائن. هذا هو نوري الذي قال لي عنه شهيد العروبة يوسف العظمة:«إلى متى يعيش هؤلاء الخونة وأبناء العرب الأحرار يقتلون ويقبرون؟ ويزرعون، والدخلاء يحصدون؟».

إن كل عربي غريمك يا نوري ،يامن صافح غورو وسلمه دمشق، ووقف بجانبه مبتسماً وهو يلقي خطابه.

تاسعاً:

نحن والانكليز

دخل الفرنسيون دمشق بعد واقعة ميسلون. فاعتقلوني أنا وفهمي سعيد،بين من اعتقلوا من الضباط العراقيين. وارسلونا إلى جزيرة(أرواد) الصغيرة، ثم سلّمونا للانكليز. فألحقنا هؤلاء بقافلة اخرى من العراقيين، كانوا في فلسطين، وكان بينهم أخي الأكبر، المرحوم حسن شوقي الصباغ، وسافرنا جميعاً إلى (بورسعيد). ثم أبحرنا على ظهر باخرة يونانية عتيقة إلى ميناء البصرة بالعراق.

بعد أن وصلنا العراق، تشكّل الجيش العراقي عام ١٩٢١. وفتحت الدورة الأولى للضباط الأعوان. فدخلتها، واشتركت مع باقي الضباط، في مراسم تتويج الملك فيصل الأول على عرش العراق. وجرت المراسم بحضور السير برسي كوكس الحاكم البريطاني العام. كنت آنذاك برتبة ملازم ثانٍ لا أعلم أكثر مما يعلمه أي ملازم آخر بحداثتي عن قيادة فصيلة أو سرية، إلا التجارب التي اكتسبتها في الحرب العالمية الأولى.

وما مضى شهر واحد، حتى أصبحت معلّماً لتدريب الضبّاط الخيالة من زملائي في تلك الدورة، وما تلاها من الدورات. فكنت أول معلم للفروسية في تاريخ الجيش العراقي. وكان المشرف على قسم تدريب ضباط الخيالة، ضابطاً انكليزياً اسمه الكابتن ويلسن، ومن حقه علي أن أشكره. ومنذ ذلك التاريخ أخذ مستقبلي العسكري بالازدهار. لأني ضاعفت السعي والدرس، فأعجب بي قادتي، وأحبني أقراني، ما بين ضباط عرب من بني قومي، وضباط انكليز من البعثة العسكرية البريطانية.

ثم تعرفت على عشرات من الضباط الانكليز من مختلف الرتب. فكانوا جميعاً أصدقائي، ولما بعثت إلى انكلترا ملحقاً بكتيبة الرماحة ٥/١٦ الملكية الانكليزية برتبة رئيس، هيأ لي بعض أصدقائي من الانكليز، الفرصة لمقابلة ملكهم الراحل جورج الخامس. بل إن صلتي بالانكليز زادت وثوقاً لما تزوجت انكليزية أنجبت ولدي ربيعة. ثم توفّاها الله وهي في ريعان الشباب بعد زواجنا بسنتين. جملة القول أن بيني وبين الانكليز روابط من الصداقة الشخصية ما زلت

أحتفظ بها، كما أني مدين لهم بقسط وافر من ثقافتي العسكرية.

لكن هذا العطف وهذا الود الذي أبداه الانكليز لي ولأمثالي، لم يكن مخلصاً. بل كان أقرب إلى مجاملة الرئيس المتعالي للمرؤوس الذليل، وأشبه بمنّة السيد المستعمر لعبيد المستعمرات. وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى تخدير العزّة والأنفة في نفوسنا. والقضاء على مبادئنا القويمة، وقتل شعورنا القومي، فيزيّنون لنا الحياة فنأنس بالارتزاق ونبغي رغد العيش. وهذا عين ما يفعلون مع راجات الهند ومع من يشايع الانكليز منهم.

وهكذا، فإن اختلاطي بالانكليزكان يدمي قلبي ويجرح مشاعري، يثير في نفسي ردود فعل قوية، غير أني كتمت ذلك عنهم سنين عديدة، فأعجبهم مني السعي والاجتهاد، والانصراف عن العمل القومي والوطني. فقد كنت أطوي الليل والنهار منكباً على أداء واجبي، وفاتهم أني كنت أبشّر بمبادئنا سراً، وأنشرها بين أصحابي وتلاميذي. تلك المبادىء التي يرتجف منها الاستعمار خوفاً، وغاب عنهم أني كنت أسعى بكل قوتي، لأكون أهلاً لتسلم دفة القيادة. فأكون على رأس جيش عربي، لا شائبة في ظاهره وجوهره، ولا شائبة في تدريبه وتسليحه، مترقّباً الفرص لإنقاذ العروبة من ذل الاستعمار وجوره، ومن أساليبه السامة ومخدراته المعسولة.

ولئن تمكّنت في هذا المضمار، من اتباع المرونة السياسية، فإن فهمي لم يكتم عداءه للانكليز، فنفر منهم ونفروا منه، وكان بينه وبين ضباطهم حوادث كثيرة يعرفها نوري بن سعيد لما كان وزيراً للدفاع. (الملحق-٨-) ونجحت خطّتي هذه طوال اتصالي بالانكليز، من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٤١، واستطعت بفضلها أن أساعد العرب وأن أغذّي ثوراتهم في سوريا وفلسطين من وراء الستار. ثم كان نوري بن سعيد أول من لفت نظر الانكليز إلى ميولي الحقيقية وميول زملائي. فقد كان عهدي بالجنرال وترهاوز صديقاً حميماً يغرقني بالثناء والمديح ويمطرني بالدعوات إلى داره في كل فرصة. فقد كان يظن أني من المعتدلين الذين يماشون سياسة بريطانيا الاستعمارية وينخدعون بأساليبها المعسولة. أو لعله كان يظن أني من دعاة إيجاد أمة عراقية تخضع لسيادة بريطانية، فتشبع بهذا الطريق بطونهم وترضى شهواتهم، لكني رأيت الجنرال المذكور ينقلب بين عشية وضحاها عدواً لدوداً، ويقدّم لرئاسة أركان الجيش تقريراً يكيل لي فيه الطعن، طعناً مغرضاً ظالماً. ثم ما لبث هذا الجنرال أن أعلن عداءه لي في أول فرصة: حدث أن حارساً في منطقة تحكيمات الفرقة التي كنت قائدها، منع ضابطين بريطانيين يرتديان الملابس المدنية، من التجول في قطاع من تحكيمات خانقين بدون أن يحصلا على موافقتي. فعدّ الجنرال وترهاوز هذا المنع تحدياً له، وإهانة لصحبه. ورماني بالعصبية وشراسة الطبع، وقال أن أفراد فرقتي جميعهم مثلي..

هكذا رفس الجنرال وترهاوز صداقته، وضرب بعهوده عرض الحائط، لما قضت بذلك مصلحة بلاده. وثارت ثائرته إذ خفيت عنه حقيقة أمري وأمر زملائي. كما خفيت عمن جاء قبله بسنين. ونسي الجنرال أن لغيره حقوقاً، شأنه في ذلك شأن جميع الانكليز، الذين يرون أن الحق هو مصلحة بريطانيا، وحيثما وجدت مصلحتها فهناك الحق. ولو أن الجنرال وترهاوز أو (السير) نوري بن سعيد، أو الوصي عبد الإله، علموا بأمر علاقتنا -أنا وإخواني- بأحرار العرب في فلسطين عام ١٩٣٥، أو قبل ذلك، لكان السجن والطرد مصيرنا، فقد كنا يومئذ صغار الرتب، ضعاف النفوذ.

أما نحن، فقد كنّا نتوخى النهوض ببلادنا، ولو أن الحرب تأخرت حتى سنة ١٩٤٥، لوجدتنا على استعداد. لكنها عاجلتنا عام ١٩٣٩(١) وكنا نأمل أن تنتقل السلطات الإدارية والتشريعية إلى أيدي الوطنيين بصورة مطلقة، وأن يقبضوا على زمام الجيش. كنا نهدف إلى تسليح الجيش وتدريبه، وتسليح أحرار العرب أيضاً ليقيم لنا الانكليز شأناً. فيدركوا خطورتنا ويحرّروا سورية وفلسطين من نير الاستعمار. ويرفعوا عن مصر والعراق قيودهم ومعاهداتهم، ثم يوحدوا الأقطار العربية كلها في دائرة استقلالية ترتبط معهم، على أساس المصالح المتبادلة، مثل ارتباطهم مع تركيا عام ١٩٣٩.

والعرب مستعدون دائماً لتناسي الغدر الانكليزي لهم، لو عاملهم الانكليز معاملة الند للند. ولو فعلوا، لعاد عليهم ذلك بالنفع العظيم والفائدة الكبرى. لأن العرب يضحّون بالنفس والنفيس دفاعاً عن بلادهم. فيطمئن الانكليز على سلامة خطوط مواصلاتهم، ويضمنون مصالح امبراطوريتهم. لكن هذا بعيدٌ كل البعد عن عقلية الانكليز، التي تراجع الغابر وتتمسك بالحاضر، على خلاف المشهور عنهم.

ولئن كان تعبير (المصالح البريطانية) محدوداً في ظاهره، فهو في الحقيقة واسع، يشمل كل ما يعود على بريطانيا بالنفع. فالمصالح البريطانية إذن عديدة لا تحصر، ومن لا يؤمن بمصالحها، تعده عدواً لها. ومن لا يذعن لها، تعتبره خارجاً على الإنسانية، وكافراً بالمبادىء الاجتماعية.

وتعقد بريطانيا معاهداتها مع غيرها من الدول، فيجري تطبيقها بالحرف والنص. وعندما تقضي المصالح البريطانية أن تنقلب على الطرف الآخر، فإنها تطالبه بتطبيق المعاهدة روحاً ومعنى. فإذا جهل هذا المعنى، وطبيعي أن يجهله، غدا في نظرها كافراً.

---

(١)- هنا دحض لمن اعتبر أن قادة ١٩٤١ هم المبادرين بإثارة الحرب ضد الانكليز. (الناشر)

وأولى مصالح بريطانيا، هي السيطرة على العالم. لذلك نراها تحافظ على التوازن الدولي، بحجة المحافظة على السلام العالمي. ويتجلّى هذا بوضوح في دول البلقان، وفي اليونان خاصة. ولكي تدوم سيطرة بريطانيا على العالم، نراها تحرص على سلامة المضايق، وعلى استقلال دول أوروبا الغربية وإيران والأفغان. لكنها من جهة أخرى تقطّع البلاد العربية إرباً، وتعمل على الإقلال من شأنها، لتتمكن من المحافظة على سلامة الامبراطورية، وخطوط مواصلاتها.

ففي سبيل المصالح البريطانية إذن، تصبح البلاد العربية سلعاً رخيصة، تساوم عليها فرنسا وإيطاليا واسبانيا والصهيونية. وفي سبيل المصالح البريطانية تقتطع أجزاء من البلاد العربية. فتقدمها بريطانيا هدية إلى حليف جديد في الشرق الأدنى، تكتسبه إلى جانبها، أو لتؤمن امتيازاً للنفط في إيران(١). وفي سبيل المصالح البريطانية، تقيم بريطانيا في بلاد العرب مراكز للسيطرة الداخلية، وقواعد سوقية خارجية. فجبل طارق، وقناة السويس، وعدن، وهرمز، وخليج البصرة، كلها بلاد عربية. أما السكان العرب، فيباعون، ويسامون العذاب، ويصبرون على الضيم، وما عليهم إلا الرضوخ إلى ما ينتظرهم بدون ضجة أو كلام. لأن مصلحة بريطانيا قضت على الشعب العربي أن يطبّق العهود نصاً ومعنى. وأن يبقى نائماً في هذا القفص الحديدي، ليس له مخرج من هذه البلوى، إلاّ إذا تبدلت سياسة بريطانيا للتوازن الدولي. فنقلته من البلقان إلى البلاد العربية، وتعادلت قوتها مع ألمانيا أو مع روسيا.

على أن الأوضاع في تركيا وإيران، لا تشبه الأوضاع في البلاد العربية. وأذكر أنني لما اشتركت بأمر رسمي، في مراسم تشييع جثمان المغفور له مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٣٩، رأيت من علائم التقدم ما أذهلني، خاصة في عاصمة تركيا الجديدة. التي كانت في الماضي أشبه بالقرى، من انقلاب في الحياة الاجتماعية وفي العمران والاقتصاد وفي الأمور الثقافية والمعنوية. ورأيت اعتزاز الأتراك بوطنيتهم، وغرورهم بقوميتهم، واعتدادهم باستقلالهم، وكيف تتنافس الدول لكسب ودهم، وترسل قطعات من جيوشها للتعبير عن حزنها. ثم انتقل بي الفكر إلى إيران، وهي تخطو إلى الأمام بخطى جبارة على غرار تركيا. بفضل استقلالها الناجز، الذي نالته قبل بضع سنين. فأين استقلال تركيا وإيران الناجز المتين، من استقلال العراق المقيّد المزيف؟ العراق يزحف، وهما يركضان، لأنهما حران في اختيار طريقهما، لا يسيّرهما أحد، حرّان في التسلح، كما يحلو لهما، وكما يتطلب وضعهما الجغرافي والسوقي.

فلما انتهت مراسم تشييع اتاتورك، مررت بسوريا في طريقي إلى بغداد. رأيت سوريا،

(١) – الاسكندرون في شمال سوريا وشط العرب والمحمرة في جنوب العراق.

مهد العروبة ومبعث الجهاد الوطني، سوريا الزاهية الخضراء، ذات الجبال الشامخة، والسهول الفسيحة. يرزح أهلها تحت كابوس الذل والجور، ويعاني شعبها الخوف والعنف، ويتجرّع مرارة الفقر، ويخنقها الجشع الفرنسي، وتشاد فيها أبنية الرق والاستعمار، ونوادي اللهو والخلاعة، للقضاء على الروح العربية والعادات القومية. ثم انتقل بي الفكر إلى فلسطين، يوم مررت بها عائداً من أوربا، وكيف تولى علج صهيوني فحص امتعتي، ورأيتها بأم عيني تسام وتضام، قد حُرّمت العروبة فيها وبيعت للصهيونية بيع الأنعام. ثم استعرضت بفكري بلاد العرب، فإذا في كل بلد بلوى: أما العراق، فعليه أن يرعى مصالح الامبراطورية البريطانية، وأما سوريا، فعليها أن تخدم المصالح الفرنسية. وأما باقي البلاد العربية، فعليها أن تخضع للطليان أو الاسبان. وهكذا، على العرب أن ينقسموا جماعات وشيعاً، ليتعلم العراق الديمقراطية من بريطانيا، وتتعلم سوريا الحرية من فرنسا، وتتعلم طرابلس الفاشية من إيطاليا. ثم على العرب، أن لا يجحدوا فضل هؤلاء، وأن لا يقولوا: أف .. للأجانب الذين يستغلونهم كالأنعام، لأنهم يخدمون المدنية بذلك !!!

ملحق رقم -٨-

في عام ١٩٢١، وبعد وصولنا العراق بشهر واحد، علمنا أن الشرطة الانكليزية، سجنت فهمي في مركز (خان دلة) ببغداد. وبعد جهد جهيد، أطلق سراح فهمي لقاء غرامة قدرها خمس روبيات (الروبية عملة هندية كانت مطروحة في التداول في العرّاق). وقصة ذلك أن أحد السفهاء السكارى من الانكليز اعتدى على أحد الباعة من الوطنيين الفقراء، فحاول فهمي أن ينصر ابن جلدته، كما نصر موسى النبي ابن قومه في مصر. لكن الشرطة ألقت القبض عليهما وتركت المعتدي. ثم أفرجت عن البائع، وسجنت فهمي. لأنه خاطب المفوض الانكليزي مخاطبة الند للند. وأبى أن يخاطب المفوض الانكليزي بلقب (صاحب). و(صاحب) هو اللقب الذي يطلقه الهنود على الانكليز، وكان الانكليز يريدون من العراقيين أيضاً أن يطلقوا عليهم هذا اللقب. لكن العراقيين استأصلوا شأفة هذه الكلمة من لهجتهم، كما استأصلوا شأفة كثير مثلها، بعد سنة ١٩٣٠. ولم يكن ذلك عن طريق المفاوضات والمجاملات، ولكن بفضل مقاومة فهمي وأمثاله وأنفتهم.

لقد رأيت آداب الانكليز وحريتهم في بلادهم، ولكني رأيت قبل ذلك جبروتهم على غيرهم من الأقوام في المستعمرات. وكثيراً ما مثل أمام عيني شبح ذلك الهندي العجوز المسكين، يجثو على ركبته وهو في أرض آبائه وأجداده، ويلصق كفيه واضعاً سبابته بين حاجبيه، ليحيّي الضابط الانكليزي بقوله «سلام صاحب» فيجيبه الانكليزي «جابر أو» أي إخرس. حدث هذا عام ١٩٢٤، لما كنت تلميذاً في الهند والضابط الانكليزي المشار إليه، كان صديقي وزميلي في الدراسة. قلت له «إنه مسكين لم يأت سوءاً» قال «بل قاطعني وأنا أحدثك. لا تلتفت إليه، فإن علينا أن نعامل هؤلاء بمثل هذه المعاملة، وإلا كبرت نفوسهم» أما الهندي، فقد انصرف من دون امتعاض بعد أن كرر «السلام». ولكنه لم يضف كلمة «صاحب» هذه المرة. أما الضابط الانلكيزي، فقد وعد أن يزورني في العراق، ولكن الله استجاب دعائي فلم أره بعد أن غادرت الهند. فقد كان أكبر قادة الجيش العراقي آنذاك، يتزلّفون لأصغر ملازم في ضباط البعثة البريطانية. إذ تعطى له الرتب في الجيش العراقي، أضعاف رتبته الأصلية، ويطلق عليه لقب «المعلم الأول»، ويمنح كل السيطرة والصلاحية (لحق بفهمي عقاب كثير على يد نوري بن سعيد بسبب مقاومته لأولئك المعلمين الأولين أصحاب السيطرة والصلاحية).

هذا حال الهند على يد المستعمرين، وليس فيها من المستعمرين إلا الانكليز، أما بلاد العرب، فقد تعدد فيها المستعمرون، من انكليز وفرنسيين وطليان واسبان ووقف وراء هؤلاء اليهود والآشوريون، يطمعون باستعمارها، كما يطمع باستعمارها اخوتها في الدين. أما فلسطين، فهي الضحية الأولى. إذ حل بأرضها الانكليز واليهود معاً.

إن حال العربي ستكون بعد مائة عام أسوأ من حال ذلك الهندي، إلا إذا تبدلت بمشيئة الله سياسة التوازن البريطانية، لينقذ الله بلاد العرب.

عاشراً:

نحن والألمان

زارني قبيل اعلان الحرب عام ١٩٣٩ رجل ألماني، يدعى الماجور ستيفن، ممثل أحد معامل الأسلحة الألمانية. فاستقبلته بصفتي معاوناً لرئيس أركان الجيش، ومديراً للحركات، بأمر من رئيس أركان الجيش الفريق حسنين فوزي. فكان ثالث ألماني أقابله في حياتي. الأول آمر لوائي في الجيش العثماني، مات في الحرب العالمية الأولى، والثاني سفير ألمانيا في العراق، الدكتور غروبه، بدعوة في دار الفريق حسين فوزي، وكان أمين العمري حاضراً. ثم في حفلة رسمية أقامتها السفارة الألمانية، وهي من حفلات المجاملة التي تقيمها السفارات عادة.

عرض علي الماجور ستيفن ماعنده من نماذج، تصوّر مختلف الأسلحة والتجهيزات وأسعارها. وبعد نصف ساعة، أحلته على العقيد الركن نور الدين محمود، مدير شعبة الحركات التي تضم قسم التسليح. وعرض هذا الألماني أن يفتح العراق اعتماداً ضخماً، لتجهيزه بمختلف الأسلحة والمهمات الحربية، في فترة قصيرة وبأسعار مناسبة، يدفعها على أقساط سنوية تلائم وضعه المالي. ولقد فتنتنا عروضه هذه، لأن الانكليز كانوا يماطلون فيما نطلبه من أسلحة ومهمات، ويعرقلون طلباتنا. وكان أن وافق وزير الدفاع طه الهاشمي على بعض العروض. فأرصدت المبالغ اللازمة ووصلتنا من ألمانيا الإرسالية الأولى بأسرع مما توقعنا. فغيظ الانكليز واحتجوا ثم سكتوا على مضض.

تردد الماجور ستيفن عليّ بضع مرات، في مقر عملي لتنظيم العقود والمعاملات. وتطرق في إحدى المرات، إلى الحديث عن الموقف السياسي في العالم، وأبدى تخوّفه من احتمال نشوب الحرب بين ألمانيا وانكلترا. ثم سألني عن موقف العراق من انكلترا، إذا حاربت ألمانيا. فأجبته: - في حالة الحرب بين ألمانيا وانكلترا، يستمر العراق على تطبيق المعاهدة العراقية البريطانية.

قال: – ألا تحركون ساكناً، وهذه بلاد العرب يسومها الانكليز والفرنسيّون سوء العذاب؟

قلت: – وما حيلتنا، ونحن أمة ضعيفة ينقصها السلاح والمصانع والمال؟

فسأل: – وماقولك إن مدّتكم ألمانيا بالسلاح والمال والرجال؟

قلت: – وكيف يتسنى لألمانيا امدادنا؟ وهل فاتك أن تدرس الخارطة، وترى مابين العراق وألمانيا من حوائل وعوائق؟ إن بيننا وبينكم في البر مسافاتاً شاسعة، ودولاً كثيرة !! والبحر المتوسط، تسيطر عليه بريطانيا، فتسدّه بوجهكم. أما إذا شئت أن تطلع على رأي، فأنا أعتقد أن ألمانيا ليست بقادرة على انكلترا، مهما استعدت. إلاّ إذا حالفت دولاً عظمى، أذكر منها روسيا بوجه خاص، لأنها أقرب الدول إلى بلاد العرب والهند. ولأنها الطريق الوحيدة، التي توصل الألمان إلى هذه البلاد بسرعة، فيطعنون بريطانيا في الصميم. فإذا شاءت ألمانيا أن تحقق هذا الهدف، كان لابد لها من السعي لضم روسيا إلى معسكرها.

ولنفرض أن ألمانيا خرجت من الحرب منتصرة على بريطانيا، فماذا يضمن للبلاد العربية حالاً أفضل من حالها اليوم؟ إن مشروع سكة الحديد بغداد – برلين، مازال عالقاً بأذهاننا. ومقاصد ألمانيا من ورائه غير خافية علينا. إن انتصار ألمانيا أو انتصار انكلترا، إذا نشبت الحرب، ليسا من صالح العرب في شيء. إننا لا نريد لأي منهما الانتصار، أو الاندحار. بل نريد أن يخرج الطرفان من الحرب متعادلين في القوى. وأن يكون في بقاءهما توازناً. فتبقى ألمانيا قوية تهدد مصالح بريطانيا على الدوام، فيدفع ذلك بريطانيا إلى إرضاء العرب، ولا تقصر اهتمامها بالتوازن الدولي في أوربا والبلقان. أما اشتراكنا في الحرب إلى جانبكم، فلا يكون إلا بعد أن يطأ الجيش الروسي أراضي خوي وهمدان في ايران، أو تصل جيوشكم فلسطين وسوريا. حينئذ فقط، يكون بمقدوركم مدنا بالسلاح والمهمات والرجال. ولو كانت بلادنا متاخمة لكم وكان استقلالها مبتوراً، لما ترددنا في الانحياز إلى جانبكم. وما سألني سائل عن الحرب القادمة، إلا وأجبته بأنها لن تصل حدود العراق حتى تنتهي. وأعتقد أنك تؤيدني إذا نظرت إلى الأمور بمنظاري كعربي، لا بمنظارك.

اقتنع الماجور ستيفن بقولي وكان منصفاً، ثم افترقنا إلى غير لقاء. أما أنا فبقيت على اعتقادي الذي أوضحته للماجور ستيفن، ولم يتغير اعتقادي ذلك حتى الساعة (٠٥٠٠) من صباح يوم الجمعة الموافق ٢/مايس/١٩٤١. يوم غدر بنا الانكليز فأخذونا على حين غرّة، وقصفوا قطعاتنا ومعسكراتنا بطائراتهم. فانتثرت أشلاء جنودنا، ونحن مسالمون، متمسكون بتنفيذ المعاهدة،

متشبثون في الدفاع عن حقوقنا. وهكذا غلب الطبع الانكليزي علي ما اكتسبوه من حضارتهم، وعادت لهم غرائز أسلافهم الغادرة. لأنهم أرادوا أن ينصبوا على العراق حاكماً يطبق نصوص المعاهدة العراقية البريطانية لفظاً ومعنى. ومعاني الألفاظ في نظر الانكليز لا تخرج عن نطاق مصالحهم أبداً. وإذا قضت المصالح الامبراطورية أن يفعل الانكليز أمراً، لم يبق للإنسانية قيمة، ولا للعهود والمواثيق وزن.

ملحق رقم -٩-

كان نوري بن سعيد رئيساً للوزراء، لما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا عام ١٩٣٩. وكنت معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات. ولجأ نوري أولاً إلى قطع العلاقات السياسية بين العراق وألمانيا، دون أن يكلّف نفسه عناء مراجعة السلطة التشريعية، أو استشارة رئاسة أركان الجيش، أو أية جهة أخرى. وقد حاز العراق قصب السبق في ميدان قطع العلاقات السياسية، لأن المملكات البريطانية نفسها لم تقطع علاقاتها السياسية مع ألمانيا إلا بعد العراق.

ثم لجأ نوري بعد ذلك إلى اعتقال رعايا ألمانيا الموجودين في العراق. وسلّمهم جميعاً للانكليز في معسكر الحبانية. مما لا يليق بكرامة العرب، واستقلال العراق وخلافاً للحقوق الدولية. وقد أثارت هذه التدابير امتعاض رئيس أركان الجيش حسين فوزي، وأمين العمري، واسماعيل نامق (الذي أخذ يدّعي بأنه عدو نوري والانكليز) كما أثارت امتعاض غيرهم من القادة.

ووصفت تدابير نوري هذه بالتسرع ووصمت بالديكتاتورية. ومن الواضح أن نوري جريء في القيام بكل ما يرضي الانكليز على حساب العرب، لكن جرأة نوري تنحصر في ارضاء الانكليز فحسب.

شهادة رقم (3)

الميثاق القومي العربي

حول أحداث عام ١٩٣٩:

وقد كانت هذه الفترة هامة بالنسبة للكفاح العربي، اذ تجمعت في العراق وفود من الشباب العربي من كل أرجاء الوطن العربي وخاصة من سوريا وفلسطين، حيث كانت تشتعل الثورات الوطنية ضد الاستعمارين الفرنسي والانجليزي.

وأخذ صلاح الدين دوره... فقد جعل من العراق مغذيًا للحركات التحررية ضد المستعمرين في الوطن العربي.. وكان الوعي العربي القومي قويا وصحيحا لدى هؤلاء الشباب الذين كانوا يتطلعون الى الوحدة العربية الشاملة..

والتفّ الشباب العربي حول قادة الجيش العراقي، وبدأت فكرة الحزب القومي العربي بصورة سرية.. وشكلت في الوطن العربي خلايا لهذا الحزب تؤلف من ستة أشخاص... وكان من بين أعضاء هذا الحزب.. نبيه العظمة ويونس السبعاوي ومنير الريس وعلي البندشي وفوزي القاوقجي وعبد الكريم العائدي وحنا الياس وأبو الهدى اليافي وأكرم زعيتر وعادل العظمة وممدوح السخن وصلاح الدين الصبّاغ..

واشترك البطل صلاح الدين في معركة ميسلون - كما سبق أن ذكرنا - مما كان له أكبر الأثر في هذا الوعي العربي الجارف الذي تمتع به البطل، كما زار غالبية الدول العربية، وفي مذكراته آراء صريحة في هذا الشأن..

الميثاق القومي العربي..

اولا - تتألف الهيئة الرئيسية التي تؤمن بهذا الميثاق من أعضاء ثابروا على كفاحهم ومبادئهم تجاه شتى المؤثرات والذين اتصفوا بـ:

(أ) الأخلاق الحميدة - ومنها الابتعاد عن كل ماينافي العادات العربية وتجنب الرذائل، كبيرة كانت أو صغيرة، أو مايؤدي الى سوء سمعة الهيئة.

(ب) انكار النفس والتفنيس - ومنها أنه لايطالب بأجر عمله، بل التضحية لروح الجماعة الموحدة في هذا الميثاق.

(جـ) الكتمان .

(د) الكفاية - انه كفؤ في القيام بالأعمال التي تناط اليه، وبعمله وقوله وثقافته وأنه لايطالب بأكثر مما تقرر عليه الجماعة.

(هـ) التعاون.

(و) الطاعة.

ثانيا - الغرض - تطهير العناصر المضرة في صفوف العرب وتوحيد الممالك العربية ضمن وحدة عربية تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والجندية.

ثالثا - الأهداف للوصول الى الغرض .

(أ) السيطرة على الجيش .

(ب) السيطرة على سياسة الدولة ومرافقها.

(جـ) التعاون مع الهيئات في الأقطار العربية الأخرى.

(د) التعاون والتآخي التاريخي مع الأكراد، اذ تعتقد الهيئة أن القضية الكردية لاتتعارض مع القومية العربية طالما تستهدف في طموحها الى التوسع في داخل الممالك المجاورة للعراق من الشرق والشمال، ويكون التعاون مع الأكراد على هذا الأساس .

رابعا - المبادئ : .

(أ) أن تعلم الهيئة أن الفئة الصالحة في البلاد العربية قليلة جدا وأن مصير البلاد العربية والمباديء الاسلامية متوقفة على مثل هذه الفئة وهي المعول الحقيقي في احقاق الأهداف الآنفة الذكر. وان الويل للعروبة والاسلام اذ لم تتم هذه الفئة ماعهد اليها.

(ب) على الهيئة أن تراعي الانصاف عند توجيهها طلباتها الى أحد أعضائها، مراعاة لقوله تعالى (ولا يكلّف الله نفسا الا وسعها) .

(جـ) ليس لعضو من أعضاء الهيئة أن يأتي بعمل فردي مالم يستشر الهيئة ويحصل على موافقتها. وأن تكون أعماله ومقرراته منطبقة على شعاراتها.

ملحق رقم ـ ١٠ ـ

رحم الله من قال«لم يشهد التاريخ فاتحاً أرحم من العرب»فإن علاقة العرب بغيرهم من من الشعوب كانت وشيجة دائماً وفيما يلي الخطة التي سار عليها عرب العراق في علاقاتهمع غير العرب:

لم تأت المعاهدة العراقية الانكليزية على ذكر عدد المواطنين العراقيين من غير العرب، ولم تحدد عدد الذين يقبل منهم في المعاهد العسكرية. إلا أن تسعين في المائة من القادة القابضين على زمام الجيش كانوا من غير العرب حتى أواخر عام ١٩٣٧، وأما نسبتهم خارج مقرات الجيش والمعاهد الفكرية فكانت خمسين في المائة. يقابل ذلك أن نسبة المواطنين من غير العرب، لاتزيد على عشرة في المائة من مجموع السكان العراق.

هذه النسبة الساحقة المجحفة، كانت بازدياد مطرد، حتى قيض الله لي ولاخواني أن نقبض على زمام الجيش. فلما أصبحت معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات، وقفت أمام هذا التيار الجارف، وعارضت رغبات الانكليز وأذنابهم الطغاة. عندما حددت النسبة بالعدل والاحسان. وكان أن عجت المعاهد العسكرية بالطلاب العسكريين من العرب، وانتمى إلى الجيش ضباط من الشباب المشبع بالعروبة الحقة، النافر من الاقليمية الضيقة. فحلوّا محل تلك الفئة المرتزقة الباغية من الضباط، الذين لا يريدون أن يكون العراق عربياً. فتقلص نفوذهم، وتناقص عددهم.

وهكذا ازدهرت العروبة في مرافق الجيش العراقي، وعمّ فيضها جميع المؤسسات الحكومية، والدوائر الرسمية والمعاهد العلمية، فارتاح لهذه البادرة شباب العرب في فلسطين وسوريا واليمن السعيد والمملكة العربية السعودية. وعاش العراق من عام ١٩٣٧ إلى أن غادرناه في عام ١٩٤١ عربياً في الظاهر والباطن. فما زار العراق زائر عربي، إلاّ واستبشر من العراق خيراً، وما سمع عربي بالجيش العراقي، إلاّ وقال إنه النواة لجيش العروبة. ولكن الانكليز اعتدوا على العراق، ذلك الاعتداء الظالم عام ١٩٤١، لأن مصلحتهم تقضي أن لا يكون للعرب جيش، وأن لا يهدأ لهم عيش.

حادي عشر :

قصر أعمار الوزارات

ما فتيء نوري وأمثاله، يختصمون على الباطل، ويروّجون الخلافات الحزبية الكاذبة، بوحي أسيادهم الإنكليز. ويزرعون البغضاء في نفوس أفراد الشعب، حتى أودوا بحياة كثير من الأبرياء من الشعب والجيش. فكان أن ثارت ثائرة الحاج عبد الواحد صقر، ذلك العربي النبيل شيخ عشائر الفتلة، وطلب أن يوضع حد للمهازل التي يمثلها المتزعمون بقوة الإنكليز. واستقالت وزارة جميل، بعد وزارة جودت، وتسلّم يس الهاشمي زمام الحكم، بتأييد الشعب ومؤازرة الجيش، الذي كان أخوه العميد الركن طه الهاشمي على رأسه. (ملحق -١٠-).

ويعود الفضل الأكبر في نجاح حركة عبد الواحد صقر، إلى تقرير الفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الأولى. كما كان لي في ذلك يد طولى، لأني كنت رئيس ركن الرتل المكلف بالقضاء على حركة عبد الواحد صقر. وكان قائد الرتل أمير اللواء عبد الحميد الشالجي. ومرت العاصفة بسلام وبدون إراقة دماء. فكانت الوحيدة من نوعها في عهد فيصل وغازي. وقد سر بهذه الخاتمة السليمة، ضباط الجيش القائلون بالقومية العربية، وكانوا قلة. لأن فيها حقناً لدماء العرب، من أبناء الفرات الأبرياء، وهم عز العراق وفخره. لكن أكثرية ضباط الجيش غيظت منها، لأنها كانت غير عربية. هذه الأكثرية غير العربية، كانت تسيطر على زمام الجيش، وكان بيدها الحول والطول، وكانت تستمد قوتها من رجال البعثة العسكرية البريطانية، أو من الوزراء الموالين للانكليز. وكانت هذه الأكثرية قد انتظمت في كتلتين: الكتلة الأولى، تجمع الضباط الذين لا يمتون إلى العروبة بصلة، وهم الاقليميون القائلون بالعراق للعراقيين، النافرون من العرب (عرب سوريا وفلسطين خاصة)، والعاملون ضد الوحدة العربية. أما الكتلة

الثانية، فتجمع الأكراد، وكان العقيد الركن توفيق وهبي(١) رئيسها الظاهري. أما رئيسها الحقيقي فكان الماجور أيدي الانكليز، وبكر صدقي.

وكانت حادثة عبد الواحد صقر، هي القبس الأول لفكرة تدخل الجيش في انتقاء الوزارات، لتطهيرها ما أمكن من عملاء السياسة الاستعمارية البريطانية. ثم كان بكر صدقي، أول من استغل الجيش بعد هذه الحادثة. فقام بحركة انقلابية لا تؤمن بالعروبة ولا بالدين، لكنها فرقت شمل المتزعمين من أشباه الراجات. فغادر العراق نوري وجميل، وغيرهما من العملاء، طالبين النجاة بأرواحهم. ولكن الأمر تعدّاهم إلى الوطنيين المخلصين أيضاً مثل رشيد عالي الكيلاني و طه الهاشمي وأخيه ياسين(٢).

وقامت في عهد بكر صدقي وزارة حكمت سليمان، فشجّعتنا كافة الدول العربية على إسقاطها. فلما تم ذلك، استبشر نوري وآله، وجميل وآله، بالعودة إلى الوطن، حيث القصور الفخمة والأطيان الواسعة. وانطلقت حناجر آل جعفر العسكري، بالتهليل والزغردة. وليت وزارة حكمت سليمان سارت على نهج عربي، إذاً لما وقفنا ضدها، فقد كانت وزارة قوية مقدامة مثل رئيسها.

---

(١) – العقيد الركن توفيق وهبي كردي، وكان ضابط ركن في الجيش العثماني ثم التحق بالجيش العراقي بعد أن خدم مدة غير قليلة في تشكيلات الليفي الانكليزية، ثم احيل إلى التقاعد قبل إبرام المعاهدة العراقية الانكليزية وعين متصرفاً لبلدة السليمانية بأمر من الانكليز، فأثار حفائظ بعض البسطاء من الأكراد فكان هو السبب في حادثة السليمانية التي سفكت فيها دماء زكية في سبيل المصالح البريطانية.
وقد اسندت لتوفيق وهبي مناصب هامة وأوكلت إليه قضايا خطيرة تمس مقدرات الجيش العراقي وثقافته وأموره السوقية، وكانت له كلمة مسموعة في تقرير مصير ضباط الجيش. وهو يمقت العرب ويمقت محمداً (صلعم) لأنه عربي. وكان الجيش لا يجرؤ على ترديد كلمة العروبة في مدارسه وأناشيده حين كان توفيق وهبي آمراً للمدرسة العسكرية أو مديراً للحركات، وبقي الجيش على هذه الحال حتى قتل بكر صدقي .. ظن توفيق وهبي أنني من أصل كردي لأن اسمي صلاح الدين ولأنني على زعمه من الضباط المبرزين، فكان يقول لي بالكردية ما معناه: (ليس الجمل حيواناً ولا العربي إنساناً) وكثير من الشعوب الاسلامية غير العربية تنظر إلى العرب مثل هذه النظرة.

(٢) – سجن بكر صدقي مع من سجن كلاً من عبد الوهاب صقر ومحسن أبو الطبيخ في سجن السليمانية. فلما جاء جميل للحكم أفرج عن الذين سجنهم بكر صدقي باستثناء هذين العربيين الكريمين، لأن جميلاً يحقد عليهما لاتفاقهما مع يسن الهاشمي ضده وضد علي جودت. وبعد جهود وتوسلات قمت بها أنا وفهمي أفرج جميل عنهما. لماذا ياجميل لم تفرج عن عبد الواحد صقر؟ ألأنه من أبطال الثورة العراقية التي أقامت لكم النظام الملكي في العراق؟ أم لأن من عادتكم أن تجنوا ثمار مايزرع غيركم لتشبعوا أنانيتكم الفردية.

إن من يقـول بـأن الجـيش على عـهـدنا، انقلب على كل وزارة تسلمت مـقـاليـد الحـكم في العراق، يبتعد عن الحقيقة كل البعد. لأننا كنا في الواقع طوع بنان كل وزارة، نأنس فيها صدق العقيدة، ورسوخ الإيمان، في خدمة الوطن. ولو رجعنا إلى تاريخ الوزارات في العراق، لرأينا أعمارها في عـهدنا (بعد بكر صدقي)، أطول من أعمارها في عهد الانتداب (قبل بكر صدقي)، باستثناء وزارة طه الهاشمي. لأن السياسة البريطانية في العراق، تتعمد وأد الوزارات، كي لا ينجز مشروع وطني، ولا تتم منفعة قومية. فتسود التفرقة في البلاد، وتشيع البلبلة في مناهج الوزارات. وتسير بريطانيا على هذه السياسـة في الدول شبه المستقلة (كالعراق)، ولكنها لا تسير على هذه السياسة في مستعمراتها. لذلك أعددنا لهذه الناحية عدتها، وقررنا مكافحة قصر أعمار الوزارات، وجرى الاتفاق على ذلك بيننا وبين نوري وطه. فكان اتفاقنا على نقيض ما تشتهيه السياسة الانكليزية. وسرعان ماتراجع نوري بن سعيد، فقدّم استقالة وزارته طائعاً، ليتم ألاعيبه الثعلبية المستوحاة من السياسة الانكليزية، وجاءت على أعقابها وزارة رشيد عالي الكيلاني.

أي وزارة أسقطها الجيش، وهل انقلبنا إلا على أولئك الذين نصرناهم على الحق فغرروا بنا وخدعونا؟؟ فنبذناهم لما اختبرناهم، وأطلعنا على أسرارهم وكشفنا سوء ما يضمرون. لقد تدخل الجيش في اسقاط وزارة جميل، الملقب بالمدفعي، ولم يضيق الخناق، إلا على وزارة طه الهاشمي. أما وزارة جميل الملقب بالمدفعي، فقد جاء بها الجيش إلى الحكم، بعد أن قتل بكر صدقي، وسقطت وزارة حكمت سليمان على نحو ماذكرت. واستمرت وزارة جميل في الحكم زهاء سنة ونصف، ثم تدخل الجيش في اسقاطها للأسباب التالية:

١- سعي جميل وأعضاء وزارته، وفي مقدمتهم وزير الدفاع صبيح نجيب، لشق الجيش إلى معسكرين، وبذلك يحتفظون بالتوازن ويسيطرون على الجيش. وهذا العمل يلقى ترحيب الانكليز وتشجيعهم، لأنهم ينشدونه دائماً. وقد اعترف صبيح نجيب بهذا السـعي، وأظنه يعتـرف به حـتى السـاعـة (١). ويشـهـد على ذلك حـسين فـوزي

(١) – كان العقيد الركن صبيح نجيب في برلين يوم قتل بكر صدقي. فكتب من هناك إلى اسماعيل نامق الذي كان يقضي شهر العسل في لبنان، كتب إليه يقول إنه يقدس أولئك الضباط الذين أنقذوا البلاد من شر بكر صدقي. وما أكثر المديح الذي كاله لأولئك الضباط في كتابه. كان يتلهف لجمعنا في داره أنا وفهمي وكامل فيفتح أبواب سيارتنا بيده وهو يرحب بنا هاشاً باشاً، كل ذلك ليصبح وزيراً للدفاع في وزارة جميل، وليكون بعد ذلك القوة الفاعلة في تسيير دفة الأمور بالاشتراك مع ابراهيم كمال وتوفيق السويدي استناداً إلى ثقة الجيش، وليكون جميل العوبة في أيديهم لا أكثر، وسيتمكنون مادام معهم من تخليص البلاد من استعمار الانكليز و ... و ... وكثرت وعود صبيح التي قطعها في تلك الأيام والأيمان التي حلفها.

واسماعيل نامق وابراهيم الراوي وغيرهم من القادة الذين اشتركوا معنا وأيدوا حركتنا. وليسأل في ذلك نوري وطه، اللذان قالا إنهما من حزبنا.

٢- تضعضع مركز وزارة جميل، بعد أن أضاع العراق شطراً من أراضيه في شط العرب. فقد استنكر الشعب والجيش هذا الأمر، الذي قامت به وزارة جميل وموقفها الضعيف أمام الانكليز، واستاء منه المغفور له الملك غازي.

٣- احجام جميل عن مد ثورة فلسطين بالمساعدة. وقد اطلعت على ذلك بنفسي في احدى العمليات. وجميل، صديق حميم لحييم ناثانيال، ذلك الصهيوني الواسع الثراء، وجليسه على موائد الخمر والميسر.

٤- تنكر صبيح نجيب لوعوده وأيمانه، التي أقسمها، يوم كان يتلهف لضمنا إليه. أو بالأصح إلى زمرته الديكتاتورية، التي ألفها بالاشتراك مع توفيق السويدي، وابراهيم كمال. فلما أصبح صبيح وزيراً للدفاع، انقلب علينا، وأخذ بمبدأ فرق تسد. وما أظن صبيحاً إلا نجيباً، يعترف بهذا ولا ينكره، ويذكر اليمين التي حلفها بداره يوم كان يدعونا إليها بإلحاح.

٥- رفض جميل أن تسند وزارة الدفاع لطه الهاشمي، بدلاً من صبيح نجيب. وفي مسامرة أقامها اللواء الأول في معسكر الرشيد، لم يتورع آمر اللواء نظيف الشاوي، عن الطعن بطه الهاشمي، على الرغم من مكانة هذا الأخير في الجيش. وقد اضطر الهاشمي إلى السكوت (نظيف الشاوي ينعت جميلاً بأبي بكر الصديق).

٦- حنث جميل بالعهود التي قطعها على نفسه، بأن يحقق للجيش طلباته التي دونت على قائمة، سلمتها بنفسي إلى جميل في بيته، يوم عاد إلى العراق، ليؤلف حكومته، بعد أن استقبلته في المطار المدني ببغداد.

./ فلما أصبح وزيراً للدفاع كان أول ما قام به من مسعى أنه زرع بذور الشقاق في صفوف الجيش وحاول خلق كتلتين: الأولى تقول بالعروبة والثانية ضدها تقول بالعراق للعراقيين. وكان معظم أفراد الكتلة الثانية من أعوان بكر صدقي. هذا الأمر كان السبب الرئيسي لاسقاط وزراة جميل. وقد اعترف صبيح نجيب أمامي وأمام رئيس أركان الجيش الفريق حسين فوزي بأنه لا يمكن السيطرة على الجيش إلا بهذه الوسيلة. وهي الوسيلة التي يريدها الانكليز في الواقع. لأن صبيح يحب الانكليز، كما أن الانكليز يحبونه ويحبون توفيق السويدي وابراهيم كمال. وهكذا فإن هذه الفكرة ما كانت إلا فكرة انكليزية (بشهادتك يا قائدي المحبوب رئيس أركان الجيش حسين فوزي، وإن كانت الأيام قد فرقت بيننا وشاءت الأقدار أن نختلف. لقد خدعني نوري كما خدعك، واوقعنا معاً في حبائله، لأني تمسكت بطه الهاشمي فإذا به مسحور بسحر نوري).

٧ـ التناحر بين نوري وجميل، والإجتماعات السرية التي كان قوامها باديء الأمر كل من نوري وفهمي وصلاح الدين، ثم شاركنا فيها طه الهاشمي وكامل شبيب فيما بعد. كانت هذه الإجتماعات تعقد في منزل نوري، وطلب نوري أن نكون إخوانا، مرتبطين بميثاق حزب الاستقلال العربي. وأن يكون طه الهاشمي الوكيل علينا والأمين. وقرر أيضاً أن يكون قيام الوزارات وتسلمها الحكم، برأي الجيش. وبذلك يصبح الجيش، هو المهيمن والمنظم، فيسد الفراغ الذي حدث بوفاة المغفور له الملك فيصل الأول. الذي كان يسيطر على الوزارات وعلى التحزّبات والمنافسات الشخصية التي لا تنتهي في العراق(١).

كانت هذه الأسباب، يضاف إليها تحريض نوري، كافية لأن يطلب الجيش اسقاط وزارة جميل، فلما سقطت، أصبح اعضاؤها أعداء ألدّاء لي ولإخواني. كما أبدوا العداوة لنوري بن سعيد، وهم في الواقع، متفقون جميعاً على خدمة الإستعمار. وماكان تنافسهم وتناحرهم، إلا تسابقاً في خدمة الإستعمار. وهكذا خدعونا بمكرهم وكانوا مجرمين.

أما وزارة طه الهاشمي فسوف تأتي في الفصول التالية أسباب إسقاطها المؤسفة. لقد شاءت الأقدار أن نكون في عداد القادة المسؤلين، على رأس جيش قيدته بنود المعاهدة العراقية الإنكليزية. فأثقلت كاهله، كما أثقلت كاهل البلاد وقيدتها. كان لزاماً علينا أن لا نتهاون بمصالح جيشنا، وهي من أهم المصالح العامة . وقد فات الإنكليز، من حسن الحظ، أن يدونوا شروطاً، يتعلقون بها، في نصوص المعاهدة التي فرضوها على العراق فرضاً.

أما وقد احرزنا مناصبنا بجدارة واستحقاق بعد جهود سنين قاسينا خلالها الأمرين، أما وقد أخذ الله بيدنا وجعلنا من العاملين على إنقاذ جيشنا من براثن الإنكليز واذنابهم، من القادة والضباط المرتزقين، الذين جاءوا بهم، وهم لا يمتّون إلى أصل عربي، ولا يروق لهم أن يكون العراق عربياً، ولا أن يكون الجيش عربياً. فكيف نرضى بأن نسلم للإنكليز بمطاليب لم تأت المعاهدة على ذكرها؟ وكيف تطاوعنا أنفسنا بأن نهدم اليوم ماشيدناه بالأمس؟ وكيف يهون علينا أن نستسلم لأذناب الإنكليز الذين بلوناهم وظهرت لنا عيوبهم ؟؟

لقد شاءت الأقدار ان نتصل بمن يدعون«رجالات الأمة»، وعلى رأسهم نوري وجميل، فوجدنا نوري يطعن جميلاً، ويقول أنه «طبل فارغ لا يصلح لأن يكون مدير ناحية»، ووجدنا جميلاً يقول، إن نوري صنيعة للإنكليزوأنه لا يؤتمن.

---

(١) – أليس كذلك يانوري؟ وأنت ياجميل ألا تفكر مثل تفكير نوري؟.

ورأينا توفيق السويدي يتقرب إلينا، ليحرضنا على اسقاط وزارة زيد، بدعوى انه كذا ،ورأينا صبيح نجيب وابراهيم كمال ، يشجعاننا على اسقاط وزارة عمرو لأنه كذا ... فرستم شيعي ويشجع الشيعة، والآخر خائن، وغيره شيوعي، الخ ..

وهكذا . خبرناهم وأطلعنا على دخائلهم وسرائرهم، وعرفنا أن ألاعيبهم ومناوراتهم، ماهي إلا حزازات شخصية، تحركها ثعلبيات نوري، وخطط الانكليز الاستعمارية الضارة بالمصلحة القومية. ولئن ناهض بكر صدقي الفكرة العربية، وعزم على إغلاق نادي المثنى، فقد كان عدوا للانكليز وللاستعمار. أما جميل، فقد ناوأ سعيد الحاج ثابت، لأنه كان رئيساً لجمعية إعانة منكوبي الثورة في فلسطين، وهو صديق نيوكومب الصدوق، وصديق غيره من أساطين دائرة الاستخبارات البريطانية. وأما نوري، فلا ينكر فضل الانكليز، وهو الذي يخشاه كل من يمد ثورة فلسطين بطلقة أو بندقية. وهو الذي كان ينقل للانكليز، تفاصيل الأبحاث السرية التي تدور في مجلس الدفاع الأعلى.

لقد شاءت الأقدار أن نناصر جميلاً ونوري، وكلاهما اقترح وشجع على مبدأ اشراف الجيش على الوزارات. ونادى بضرورة ذلك، بحجة أن الجالسين على عرش العراق بعد فيصل الأول، مغرورون، لا هم لهم غير الانس والطرب. تجرفهم الملذات وينساقون بتحريض الصائدين في الماء العكر إلى ارتكاب السيئات، مثلما كان غازي في عهد بكر صدقي. وشاءت الأقدار أن نكون مسؤولين عن مقررات الجيش، في الأمور السوقية والسياسية العسكرية كما سيأتي بيانه.

لقد تأكد لنا بنتيجة اختباراتنا هذه، أن أساطين الأذناب مثل نوري وجميل، هم علة العلل في العراق، وهم سبب التفرقة والنفاق. وأن تصرفاتهم هي التي حملت الشعب العراقي على أن يكفر بالوطنية، وأن يرمي الوطنيين بالكذب وجمع المال. وأصبحت كلمة (وطن) عند العراقي تقارن كلمة (نوط) وهي العملة الورقية. وهكذا انتزعوا ثقة الشعب بأبنائه البارزين، ورجالاته المخلصين، وحملوه على تكذيب كل عامل في الحقل الوطني، حتى ولو ضحى بنفسه وبأولاده في هذا السبيل.

وهذه هي الأسباب التي دفعت جلال بابان وغيره من الناعقين بالاقليمية العراقية وبحقوق الاقليات، كما دفعت الانكليز أيضاً، إلى المطالبة باقصاء صلاح الدين واخوانه من الجيش، وبأن يلحق بهم كل عربي مخلص في عقيدته القومية.

الفصل الثاني

ضحايا الوصاية على عرش العراق واستعداد بريطانيا للحرب

لقد أيقنت الآن، ويؤسفني أنني تأخرت، أنكم ياأخي صلاح الدين، مخلصون في عملكم، وأنكم، أنتم الذين تنصرون القضية العربية في العراق. لذلك قررت أن أكون أحد إخوانكم، وأن أضع يدي في أيديكم.

– غازي –

- الضحية الأولى.
- الضحية الثانية.
- بين اقتراح صباح وشهادة عبد الله.
- اجتماعنا بالوصي.

أولاً:

الضحية الأولى

قصة حلمي والأمير

ذاع للأمير عبد الاله حديث حسن، وامتدحت سيرته في كل مكان، حتى تأثر بالدعوة طه الهاشمي وزير الدفاع، وحسين فوزي رئيس أركان الجيش، وأمين العمري قائد الفرقة الأولى، وأمين زكي قائد الفرقة الثانية، واسماعيل نامق قائد الفرقة الثالثة، وغيرهم من القادة. وكان لمحمود سلمان، الفضل في نشر هذه الدعوة، وبواسطتها تقرّب الأمير إلينا.

قصدت رئيس أركان الجيش ذات يوم، لأقدم له بعض المعاملات اليومية، بصفتي معاوناً له، فوجدته في حديث مع محود سلمان (آمر كتيبة الهاشمي يومئذ)، والمقدم الركن رفيق حسين يصغي إليهما، فاعرضت عنهم وعدت أدراجي. وبعد نصف ساعة ناداني رئيس أركان الجيش، ونادى توفيق حسين معي، وقال لي:

- أخبرني محمود سلمان، أن حكمت سليمان رئيس الوزراء السابق، وجماعة من أعوان بكر صدقي، قد دبرّوا مؤامرة لاغتيال عدد من الشخصيات العسكرية والمدنية، والعودة إلى الحكم.

فسألته: - كيف علم محمود بالأمر، ومن المقصود بالمؤامرة؟

أجاب: - إن الذي أخبر محمود سلمان هو الأمير عبد الاله بالذات، كما إنه أخبر وزير الدفاع أيضاً، أما الذين تستهدفهم المؤامرة فلا أعرفهم، لذلك قررنا الاتصال بالأمير للوقوف على جلية الأمر.

وبعد ساعة علمت من محمود سلمان، ثم من وقائع المحاكمة التي استندت إلى شهادة الأمير، أن المتآمرين أرادوا اغتيال طه ونوري من المدنيين، وفهمي ومحمود وكامل وصلاح الدين، أي نحن الأربعة من العسكريين.

كلف الأمير عبد إلاله بأن يبقى على اتصاله بالرئيس البيطري حلمي عبد الكريم الذي ذكر الأمير في شهادته أنه عرض عليه الاشتراك في المؤامرة، وأطلعه على أسماء بعض الزملاء المتآمرين، لكنه اعتذر عن كتابة أسمائهم بخط يده. وأملى الأمير قائمة بأسماء نيف وعشرين ضابطاً، بين زعيم وعقيد، كالمرحوم شاكر علي آمر الخيالة، والزعيم اسماعيل حقي آمر المدفعية، والعقيد الركن صالح صائب (رئيس ركن الفرقة الثانية يومئذ)، والعقيد الركن قاسم شكري، والعقيد عباس فضلي، وغيرهم، بالإضافة إلى المدنيين.

تذكرت تقارير الانكليز التي تطعن بكرامة الضباط البارزين، ليقلّ عددهم، ولتزرع البغضاء، وتبث التفرقة، في صفوف الجيش. وتذكرت قوائم الضباط المساقين إلى التقاعد، فهالني الأمر وساورني الشك في حكاية الأمير والبيطري حلمي. لكن سمعة الأمير، وتأكيدات محمود سلمان وفهمي وغيرهما، بأن الأمير خالٍ من الأغراض وما بدا على طه الهاشمي من اهتمام، كل ذلك، اضطرّني إلى التسليم بالأمر، والسير مع السائرين...

واستمر الأمير عبد الاله يخادع البيطري «حلمي» عشرين يوماً (على حد زعمه)، ثم طلب وزير الدفاع مني، أن أصدر الإنذار السري إلى جميع القطعات المرابطة في العاصمة، بعد أن قرر مجلس الوزراء، اعلان الأحكام العرفية في بغداد، فقلت معترضاً:

– إنكم تفاجئوننا بهذا، وأرى التروي والتوسع في التحقيق أولى. لعل رئيس الحكومة نوري بن سعيد، موتور، يريد الثأر لجعفر من قاتليه، أعوان بكر صدقي. فاضطركم بدافع الانتقام إلى هذا القرار(١). ثم ماهو رأي الملك غازي، وهل وافق على قرار الحكومة؟

أجابني: – بل كان مصراً على الرفض، لولا أن عبد الاله أقنعه بعد لأي.

فلم أجد أبداً من عرض الأمر على رئيس أركان الجيش، فوافق عليه، وصدر الانذار، وأعلنت الأحكام العرفية تحت اشراف اسماعيل نامق، قائد الفرقة الثالثة، (وكان أيضاً قائد الفرقة الأولى بالوكالة عن أمين العمري الذي كان في إجازة مرضية). وانعقد المجلس العرفي برئاسة العقيد عزيز ياملكي، وعضوية سعيد يحيى الخياط، ومحمود حلمي الطرابلسي، ومصطفى كامل، من العسكريين. ومعروف جياووك الكردي، وعزيز الخياط الكردي، من الحكام المدنيين. وليس بينهم صديق لبكر صدقي. أما سعيد يحيى الخياط، فقد قيل أنه من أتباع نوري.

انتهت أولى المآسي، استناداً إلى شهادة عبد الاله – وكان يومئذ قد أصبح وصياً –

---

(١) – كنت مطلعاً على امتعاض طه من بعض تصرفات نوري.

بالحكم على حكمت سليمان بالسجن خمس سنوات (لولا اصرار ناجي شوكت، لقضى نوري بإعدامه)، وبالحكم على حلمي عبد الكريم، والأخوين اسماعيل ويونس عباوي، بالإعدام شنقاً (خفض هذا الحكم إلى السجن المؤبد). وقد أحيل العقيد الركن صالح صائب علي التقاعد، وشملت الأحكام الكثيرين، وقذفت بمئات المواطنين إلى أعماق السجون، ولوثت أسماء رجال الجيش، التي أتت على ذكرها قائمة الأمير. وكاد يلتهم توفيق حسين، مدير شعبة الاستخبارات في دائرتي ، لولا أن تداركت أمره، ووقفت أنا ورئيس أركان الجيش بجانبه. أما الزعيم المتقاعد اسماعيل الآغا، والعقيد الركن المتقاعد شاكر الوادي، فأفرج عنهما، وعيّن الأول قنصلاً للعراق بحلب، والثاني أميناً للسر من الدرجة الأولى في السفارة العراقية بطهران. وجرت هذه التعيينات بناءً على توصية رئاسة أركان الجيش، بعد أن تقدمت أنا وكامل شبيب، برجاء شخصي إلى طه الهاشمي في هذا الشأن.

وكان وزير الداخلية ناجي شوكت، هو المعارض الوحيد لتلك الأحكام. وبقي مصراً على المعارضة، رغم المحاولات التي جرت ليخفف منها. فما كان من نوري ابن سعيد، إلا أن أوفده إلى أنقرة بمهمة كاذبة، وبذلك أقصاه عن وزارة الداخلية مكراً وخداعاً. وكانت إحدى هذه المحاولات في حفلة للعشاء أقامها اسماعيل نامق بداره، وكنت بين المدعويين، ورأيت سامي شوكت (وهو أخو ناجي)، يشجع على شنق حكمت سليمان، وعلى ضرورة تنفيذ أحكام المجلس العرفي دون رحمة.

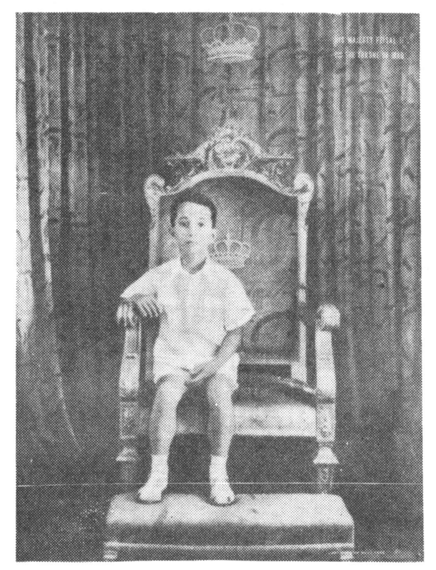
وهكذا أفلح نوري بن سعيد، وأفلح تلميذه عبد الاله، في ايقاع الفريسة الأولى في الفخ. وغذّيا جذوة البغضاء بين صفوف الجيش وأفراد الشعب، وكانت قد خمدت بعد بكر صدقي، ووجه الأنظار إلينا وهو مستتر وراءنا. وألقى مسؤولية تصرفاته على عاتقنا، زاعماً أنه يتصرف نزولاً عند إرادة الجيش، الذي يضغط على وزارته. ولكنه يشيد بمدحنا عندما يرانا، ويخدعنا قائلاً: «أنتم في طليعة المخلصين للبلاد والمضحين لها».

كان هذا ظاهر الأمر، لكنه في الحقيقة، ما كان إلا واحدة من الخطط البريطانية للاستعداد للحرب العالمية الثانية التي تقرر تطبيقها في هذه البلاد، فجعلت كيدك يانوري عظيماً حين قلت لي: «في رأسك صوت سوف تصيحه ياصلاح الدين، ولكن سوف ترى ماسيجري بالعراق».

ملحق رقم -١-



عبد الإله مع الملك فيصل الثاني



ملك العراق على عرشه

الملك فيصل الثانى الذى يعتبر أصغر ملوك العالم



الملك فيصل الثاني والسيد محمد الصدر والاستاذ خليل كنه والشريف حارم

١- الأمير عبد الاله:

هو ابن المغفور له الملك علي بن الحسين، وابن عم المغفور له الملك غازي، وخال ولده فيصل الثاني الملك الطفل. وهو نحيف البنية، طويل العنق، واسع الجبين. يناهز الثلاثين من العمر، تعلو محياه كآبة، ورثها من أب أضاع ملكه. وكان قد اقترن بآنسة من عائلة مصرية كريمة، فلم نسمع عنه، ماكنا نسمع عن غازي، من جنوح إلى اللهو والمتع. هكذا عرفنا الأمير عبد الاله، قبل الوصاية من صديقه الحميم محمود سلمان، ومن دعايته الذهبية له. وهكذا بدا لي، لما قابلته أول مرة، في اليوم الأول من عيد الفطر عام ١٩٣٨، حين زرته بداره في الكرخ، التي كان يستأجرها من مصلحة السكك الحديدية. وكنت آنذاك، معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات. لكني سرعان ماصعقت، إذ رأيت هذا الأمير العربي، الأشم، الذي يبدو أمام بني جلدته في كبرياء الإمارة وعزة النفس و قد تصاغروتلعثم وأخذ يفرك يديه، ويتلوى تزلفاً، لما حضر بعض الانكليز، لتهنئته بالعيد. ولعله أدرك من وجومي، وإعراضي اشمئزاز نفسي من موقفه، فهمس وأنا أغادر داره: «بارك الله بكم يا اخواني، إنكم في طليعة العرب المخلصين، وأنتم الذين أنقذتم البلاد من شرور بكر صدقي وأعوانه» تركته متسائلاً: «أيخشى أن يراه الانكليز على غير ماعهدوا؟ أم يجاريهم تلطيفاً للجو المكهرب، الذي أثاره ابن عمه غازي ضدهم، إذ أوقف رجال الانكليز عند حدود المعاهدة، وحملهم على احترام العرش وآدابه، وأخذ يطالب بضم إمارة الكويت إلى أمها العراق» وقلت لنفسي لعل هذا هو السبب ...

٢- العقيد عزيز ياملكي:

هو ابن مصطفى باشا الكردي، الذي كان رئيساً للديوان العرفي بالاستانة. وسمي «نمرود مصطفى»، لما أصدر حكماً بإعدام الغازي مصطفى كمال والكثيرين غيره، من المطالبين بالحرية والاستقلال. فكان الولد على سر أبيه، كما يقول أمين العمري. والأكراد يمقتون عزيز ياملكي، لأنه كالحرباء في تقلبه ...

٣- العقيد سعيد يحيى الخياط:

وهو عربي الأصل والعقيدة، كان معنا في جهادنا القومي، وفي مناوأة بكر صدقي. وهو آمر اللواء الأول، في الفرقة الثالثة، التي توليت قيادتها في السنتين اللتين سبقتا الحرب مع الانكليز. أسند للعقيد سعيد يحيى، واجب سوقي هام بالرمادي لما حاربنا الانكليز، لكنه خالف

أوامري ولم يكترث بها، بل أذعن لرسالة كتبها له نوري بن سعيد، وأرسلها له من المعسكر الانكليزي بسن الذبان. فوقف سعيد يحيى بلوائه في الرمادي موقفاً جامداً، لا يدافع ولا يهاجم، لابل إنه لم يدافع حتى بصورة سلبية، ولم يتعاون مع القطعات التي كانت تحاصر سن الذبان. إذ حصر قواته، وعطلها، دون أن يحاصر الانكليز، فكانت مواصلات العدو، تجري بين فلسطين وسن الذبان تحت سمعه وبصره، فلا يبدي حراكا تجاه الانكليز، وكان يهول في وصف موقفه الحرج. من المؤسف أن يسوّد سعيد ماضيه الناصع، في سبيل نوري بن سعيد، فيخدعنا. فكان موقفه شبيهاً بموقف كامل شبيب، ومن عوامل فشلنا في القتال.

٤- محمود حلمي:

إن الأكراد المخدوعين بالسياسة الانكليزية، يمقتون محمود حلمي، منذ أن أثار توفيق وهبي واقعة السليمانية ضد الحكم العربي. وقد أحاله بكر صدقي إلى التقاعد، لأنه عربي الأصل والنزعة، ثم أعيد إلى الجيش بعد مقتل بكر صدقي، وهو شجاع مقدام.

٥- نائب الأحكام، مصطفى كامل:

لا أعرف أصله ولا نزعته. أذكر أن الحاج رؤوف (آمر أحد الأفواج في اللواء الثالث من الفرقة الأولى)، خان واجبه لما حاربنا الانكليز. فقد كان عليه أن يحتل على عجل، موقعاً في الجبهة، في صدر السرية، ولكنه لم يفعل، بل انسحب بفوجه إلى بغداد. وهذه خيانة وطنية عن قصد وتصميم. أحلته من أجلها إلى المحاكمة، بصفتي قائد الجبهة الغربية. وبعد يومين راجعني نائب الأحكام مصطفى كامل، وطلب مني أن أحدد له العقوبة، فأجبته«إن تحديد العقوبة ليس من شأني ياهذا، لأن ميزان العدل أمامك، والقوانين العسكرية بين يديك، فطبّقها بعد القناعة». كما راجعني بشأن هذا الضابط، قريبه ابراهيم الرواي، طالباً الشفاعة لقريبه، فقلت له: «لم اعهد فيك ياباشا، أن تطلب الشفاعة لضابط اقترف جريمة الخيانة، وأنت تعلم أن مصلحة الأمة فوق كل اعتبار» فأجابني ابراهيم «أنت أعلم بما أنسب» ثم انصرف، وإني لأشكر ابراهيم على عقيدته. أما نائب الأحكام مصطفى كامل، فما أظنه إلاّ رجلاً تتأثر أحكامه بالقوة، لا بالعدل. أما الضابط الخائن الحاج رؤوف، فلا شك عندي أن عبد الاله ونوري، أكرما مثواه وأحتفيا به، بدلاً من اعدامه.

٦- حلمي عبد الكريم:

أصر حلمي على انكاره ولم يعترف حتى اليوم. اخرج حلمي من السجن مع من أخرج من المتهمين السياسيين، لما حاربنا الانكليز. والتجأ إلى إيران، فكان جاسوساً علينا لحساب السفارة البريطانية في طهران. ثم طيّر إلى عبد الاله برقية، قال فيها «أنا مازلت ذلك المخلص»، فاستدعاه عبد الاله وعاد إلى بغداد، وكان له ما أراد. فتأمل أيها العربي في قابلية الانكليز على تدريب الجواسيس. لقد كان حلمي جاسوساً، يعمل لحساب عبد الاله والانكليز قبل أن يسجن، ولذلك كان شجاعاً أمام حكم الإعدام، لأنه يعلم أن الجاسوس الانكليزي، لايعدم في العراق ولايضام.

٧- الاخوان العبّاويان:

وهما عربيان من الموصل، اشتهرت عائلتهما بأعمال المغامرة سعياً وراء الشهرة وانقطع حبل جهادهما معنا منذ عهد بكر صدقي.

٨- اسماعيل الملقب بالآغا:

وهو عربي من محلة المهدية ببغداد، استغلّه بكر صدقي، وأُحيل إلى التقاعد في وزارة جميل، بعد أن انتهت أيام بكر صدقي. خدم اسماعيل الآغا في الخيالة، وكنا معاً في كتيبة واحدة، وهو صديقي.

٩- شاكر الوادي:

وهو عربي الأصل، وضابط ركن حاد الذكاء. استغله بكر صدقي، لكنه يزعم أنه هو الذي استغل بكراً ... أما والده محمود الوادي، فهو من أعوان الاتحاديين في العهد العثماني. هجر بلاده وأهله، والتحق بالأتراك، فطمس ذكره حتى يومنا هذا. شاكر الوادي، يمقت السوريين، ومن أقواله «يهودي عراقي، خير من ألف سوري» وماضيه قبل عهد بكر، أنصع من ماضيه بعد بكر. وهو صديقي، وكامل شبيب، ابن عمة شاكر الوادي.

١٠- حكمت سليمان:

هو الأخ الأصغر للمرحوم المشير محمود شوكت باشا بن سليمان. تقلد حكمت سليمان عدة وزارات، وكان رئيساً للوزراء في عهد بكر صدقي، وهو شهم جرئ، يمقت الاستعمار، كما يمقت الانكليز وأذنابهم. نزعته عراقية اقليمية.

١١- سامي شوكت:

هو أخو ناجي شوكت وعدو أخيه اللدود. وتربطهما بعائلة سليمان قرابة رحم.

ثانياً:

غازي .. الضحية الثانية



أهداني غازي صورته موشّحة بتوقيعه، يوم أهديته كتاباً من مؤلفاتي في التعبئة الحديثة عام ١٩٣٨-١٩٣٩.

في الساعة الثانية من صباح يوم ٥ نيسان ١٩٣٩، أيقظتني من النوم دقات جرس الهاتف المتواصلة، فسمعت طه الهاشمي يدعوني للحضور إلى قصر الزهور فوراً: (فقلت):

– لكن سيارتي ليست جاهزة.

قال: – سأرسل لك سيارتي.

ارتديت بزتي العسكرية، وأنا أضرب أخماساً بأسداس. ترى ماذا جرى؟ إن أعلنت العشائر الثورة، فلماذا يحدثني الوزير من قصر الملك، لا من وزارته؟ إذن هل فاجأ الملك الوزارة، بأمر يتعلق بضم إمارة الكويت إلى العراق(١). وبعد عشرين دقيقة، كنت في السيارة، فلم ينبس سائقها ببنت شفة، حتى وصلت القصر، فرأيت المرافق الأقدم عبد الوهاب، في اضطراب وشحوب، والحراس والجنود، في بكاء ونحيب. فسألته: – ماالخبر؟

أجاب: – لقد مات الملك .. سيارته صدمت عمود كهرباء قرب القصر.

قلت: – وكيف يكون هذا؟ إنه غير ممكن، أفصح ياعبد الوهاب، لم تركت الملك وحده، وهو إذن واجبك؟

قال: – ماحيلتي، والملك لا يصطحبني، ولا يستمع إلى كلامي.

فلم أتمالك نفسي، وبكيت غازي، فهرع طه الهاشمي من داخل القصر، ومسك ذراعي وقال: – إهدأ ياصلاح، لم أعهد فيك ضعف الأعصاب لهذا الحد.

– لكن الملك مات ...

– أجل والمقدر كائن.

على شمال مدخل القصر، غرفة رأيت في وسطها غازي، جثة هامدة مسجاة، وعليها غطاء أبيض، وقد التفت حوله نساء العائلة، يبكين. فلم أطق صبراً، وخرجت من الغرفة مع المرافق، إلى غرفته، حيث رأيت الأمير زيد عم الفقيد، وكان عابس الوجه، والشريف حسين خاله. وشريف شيخ، يضرب إلى الشقرة، أحسبه الشريف جميل، وكان يبكي بكاء مراً،

---

(١) – كنت أجول تخوم العراق بالطيارة وبالسيارة، لأعد خطة الدفاع عن العراق وكان يصحبني في جولتي، المقدم الركن الطيار سامي فتاح، والرئيس الأول الركن الشاب العربي الشهم، محمود الدرة، فأخبرني متصرف البصرة السيد علي محمود الشيخ، بنوايا غازي، وبالأوامر السرية، التي كان يوجهها إليه بصدد ضم الكويت إلى العراق، حالما يوعز له بذلك.

وآخرون لا أذكر أسماءهم، ورأيت الدكتور صائب شوكت، يحمل حقيبته ويودعنا مغادراً القصر. وأما عبد الاله، فكان شاحب الوجه، مضطرباً، يمشي في الصالة المقابلةلباب القصر، التي يصعد منها إلى ديوان الملك.

قلت: - إنه أمر جلل لا يصدق.

فأجابني الأمير زيد فوراً: - إن غازي عنيد لا يقبل النصح من أحد.

وسألت المرافق الأقدم، عن رئيس أركان الجيش، فأجابني بأنه في الديوان مع الوزراء، وجلالة الملكة، يقررون اعلان ملكية الطفل فيصل الثاني، والوصاية على العرش. ثم سرد لي تفاصيل الحادث فقال:

- للملك غازي شغف عظيم بإذاعته الخاصة، الموجودة في دار ملاصقة للقصر. وله في الجنوب، دار أخرى، أقامها لأموره الخصوصية، تصل إليها طريق معبدة. ولقد حرّم علينا نحن المرافقين، وعلى جميع الحرس والدوريات، الاقتراب من تلك الدار.

وكم من مرة خالفت أمره، ووضعت على الدار من يحرسها، وكان يعلم بالأمر، فيطردهم، ويلحقني منه غضب شديد. ومن عادة الملك، أن يقضي هزيع ليله، متردداً بين دار إذاعته وداره الخاصة. وقد جاء الملك الليلة إلى دار الاذاعة، ومكث فيها قليلاً، ثم عاد إلى داره الخاصة، وهو يسوق سيارته بسرعة خاطفة، ومعه عبد أسود، ورجل آخر - قيل أن أخاه استُخْدِم في الشرطة، يجلسان في المقعد الخلفي. ثم ما انقضت بضع دقائق، حتى انطفأت أنوار القصر، فعلمنا باصطدام السيارة، وبالكارثة.

- ومن أتاكم بالخبر؟

- العبد الأسود الذي كان يرافق الملك وقد كسرت يده فأرسل إلى المستشفى.

- وهل رأيته بأم عينك ياعبد الوهاب؟

- لا.

وبعد نصف ساعة، خرج طه الهاشمي من الاجتماع، فأخبرني أنه تقرر نقل الجثمان إلى البلاط الملكي بالرصافة، وأن مجلس الوزراء رشّح الأمير عبد الاله، ليكون وصياً على العرش. وأن هذا الترشيح، يقترن برغبة الملكة أيضاً. وطلب مني أن أقوم بإعداد مراسيم الدفن فقلت: - أرى أن يؤجل الدفن ثلاثة أيام لأنه غير ممكن اليوم.

قال: سنرى.

غادرت قصر الزهور، ومررت على دار فهمي، ونقلت إليه الخبر، فأجاب بدون اكتراث: الخير فيما اختاره الله.

قلت: – لكن حَسْبُ غازي، نزعته العربية، ومقته للمستعمرين.

ثم أسرعت إلى دار قائد الفرقة الأولى أمين العمري، فأطلعته على تفاصيل الحادثة، ورجوت منه أن يقود مراسيم الدفن، التي سوف تشترك فيها كل القطعات المرابطة في العاصمة، وتركته وقائد الفرقة الثالثة اسماعيل نامق، كما طلبت من آمر الخيالة ابراهيم الراوي، ومن مديرالإدارة عبد الرزاق حسين، مراجعة قائد الفرقة الأولى في داره فوراً، ثم عدت إلى قصر الزهور. فرافقت جثمان غازي إلى البلاط الملكي قبل بزوغ الفجر بنصف ساعة، ماراً بشارع الرشيد، وكان خالياً من السابلة، تتبعه سيارات الأقارب والوزراء والآخرين.

وفي الساعة التاسعة صباحاً، دوت المدافع معلنة موت الملك، وسرعان ماانتشر الخبر في أنحاء العراق، فتجمعت مواكب الشعب، وقرعت طبولها، وشق صراخها عنان السماء. وعلت أصوات بسقوط إنكلترا الغادرة، والخائن نوري بن سعيد، قتلة غازي وأبيه فيصل. وتدفقت الجموع على ساحة رئاسة الوزراء، بينما كنت ومدير الإدارة العقيد عبد الرزاق حسين، ومتصرف بغداد، ومدير الشرطة العام، مجتمعين في غرفة وزير الداخلية، نعد الخطوط الرئيسية، لتسير على ضوئها، الدوائر التي ستقوم بمراسم الدفن وتقبل التعازي. وكان وزير الداخلية ناجي شوكت، مضطرباً كثير التشاؤم، فقال وكان مصيباً في رأيه:

– لقد قررت أن يجري الدفن غداً، وسأخبر مجلس الوزراء بذلك، لأن وضع البلد لا يحتمل تأجيل الدفن، كما تقترح ياأخي صلاح الدين، وأنا أخشى العاقبة والاضطرابات. كما أن مالية البلاد لا تتحمل إنفاق الأموال الطائلة على غرار ما رأينا في تركيا(١)، لكنّي مع ذلك أوافق على فكرتك، بالسماح للجماهير، أن تستعرض جثمان الملك، وتنظيم المواكب، مثل تركيا .لعل هذا يهدىء من هياج الشعب كما تقول.

ثم اقترحت إبقاء السيارة، وكل ماله علاقة بالحادث، بالشكل الذي كان عليه، وأن يسمح للشعب بزيارة محل الإصطدام. فوافق وزير الداخلية، وأصدر أمراً للشرطة بذلك.

وفي الساعة العاشرة، زحفت الجموع الغفيرة، إلى البلاط الملكي في مواكب منتظمة،

(١) – حضرت مراسم تشييع جثمان المغفورله مصطفى كمال اتاتورك وكنت أنا واسماعيل نامق نمثل العراق عن الجهة العسكرية، وكان يمثل العراق عن الجهة المدنية كل من عبد الإله الدملوجي وناجي شوكت (وكان ناجي شوكت سفيراً للعراق في أنقرة يومئذ).

لتودع غازي، ملكها المحبوب. وكان جثمان غازي، مسجىً في ساحة البلاط المجللة بالسواد، يلفه العلم العراقي، وتغطيه أكاليل الزهور. وأحاطت به نصف دائرة من الحرس، تتراوح مراتبهم بين الجندي والزعيم وقفوا خاشعين، منكبين على أعقاب أسلحبهم وقد أبكى هذا المشهد المؤثر الصغير والكبير ، خاصة مواكب النساء.

وفي السادس من نيسان عام ١٩٣٩، حلقّت الطّائرات العراقية في سماء العاصمة، ترفرف على أجنحتها شارات الحزن السوداء. واخترقت صفوف الجيش، عربة مدفع تسير الهوينا، حاملة جثمان غازي إلى المقبرة الملكية بالأعظمية. ونفخ الجنود بأبواقهم، وأطلقوا ببنادقهم، وقصفوا بمدافعهم تحية وداع لغازي، وهو ينام في مثواه الأبدي. ثم انسحبت الجموع رويداً، وهي تبكي الشباب الذاوي، كما انسحب نوري إلى داره بقارب نهري، مثلما جاء، خشية أن يفتك به الشعب. واقيمت التعازي في البلاط الملكي ثلاثة أيام، ترأسها كبير العائلة عبد الله، أمير شرقي الأردن.

بلغ هياج الشعب أشده، وانتهى بقتل القنصل البريطاني في الموصل. وما زار مكان اصطدام السيارة زائر، إلا ساوره الشك وأعلن تكذيبه. وألقي القبض على الخطباء، والذين قالوا إن غازي ضحية مؤامرة، دبرها نوري وبعض الضباط(١)، وشاع أن جميلاً، والمعارضين غيره، والسفارة الألمانية، هم الذين يثيرون هياج الشعب، بترويج تلك المزاعم، وكانت النتيجة، أن أصدرت الأحكام العرفية على بعض الشباب، أعرف منهم طالباً عربياً، يدعى هشام عبد الله الدباغ، اتهم بحادث إغتيال القنصل البريطاني في الموصل، فحكم عليه بالإعدام، ثم خفض الحكم إلى السجن خمسة عشرة عاماً لصغر سنه.

وكان على الوزارة أن تجتاز العقبة الرئيسية التي تواجهها، وهي موافقة مجلس الأمة (أي مجلس الأعيان والنواب)، على وصاية الأمير عبد الاله. والتغلب على المعارضة، التي يرئسها جميل، والتي رشحّت الأمير زيد، للوصاية على العرش. فكان للجيش اليد الطولى في حل هذه العقدة، بفضل دعاية محمود سلمان لصالح عبد الإله، الذي بدأ يتودد لقادة الجيش، أولئك الضباط المخلصين، الذين يلهج لسانه بالثناء عليهم.

(١) – مساكين أولئك الضباط إنهم كالشموع تحترق لتنير لغيرها، إنهم أقلية عربية تقاومهم أكثرية غير عربية فتارة يطعنون بأنهم يوالون الانكليز مع أن الانكليز خصومهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض العراق، وتارة ينسبون إلى جميل، وأخرى إلى نوري، أو إلى طه ... وأخيراً طعنوا بأنهم يوالون الألمان النازيين! أما الحقيقة فكانت أبعد من أن تقال، لأن الاستعمار وأذنابه لا يريدون ظهورها، ويحاولون أن يطمسوا كل أثر لمن يضحي في سبيل قومه بالرتبة والأهل والدار..

ولما التأم مجلس الأمة، كان قواد الجيش في بهو وزارة الدفاع، يصغون إلى المذياع، إذ رأى طه الهاشمي، أن لا يحضر إلى المجلس أحد من رجال الجيش، كي لا يقال أن الجيش تدخل، وأرغم المجلس على إتخاذ قراره، كما كان يجري أيام بكر صدقي(١). وتمت الموافقة على وصاية الأمير عبد الإله، بإجماع الأصوات وحمل لنا المذياع تصفيق المجلس، فصفقنا بدورنا...

وهكذا تم لوزارة نوري بن سعيد ما تشتهيه، وكان على حساب الجيش.

(١) - أما أمين العمري فقد ساقه حب الظهور (وهو من طبعه) أن يرجو من رئيس أركان الجيش السماح له بحضور الجلسة فكان له ما أراد على الرغم من أوامر طه الهاشمي بأن لا يحضر من رجال الجيش أحد.

ثالثاً:

بين اقتراح صباح وشهادة عبد الإله

يبعد مكان الحادث مائة يارد عن منعطف الطريق المؤدي إلى دار غازي الخاصة ويقع جنوب قصر الزهور بأربعمائة يارد تقريباً، ويقوم على حراسة المكان شرطي، سرد علينا التفاصيل كالببغاء، بينما نحن نتتبع الآثار ونفحصها بدقة. فلما فرغنا، عدنا إلى سيارتنا دون أن ينبس احدنا ببنت شفة.

وفي الطريق، بادرني نور الدين بقوله: – انه ياصلاح الدين اصطدام غامض، عويص، ولايسع الانسان، مهما كان بسيط الملاحظة، إلا أن يكذب زعم الحكومة، وهويقارنه بالادلة التي يراها في مكان الحادث.

سألته: – وما هو تعليلك يانوري؟

قال: – ليس من المعقول، أن يَنقضّ عمود مثبت في الأرض، ومحكم بالاسمنت، فلا يترك ثلمة، ولا أتربة مبعثرة حول أصله. وليس من المعقول، أن تصطدم السيارة بعمود الكهرباء، بعد أن تكون قد جنحت عن استقامة سيرها، إلا إذا عبرت ساقية الماء. وكيف تعبر السيارة الساقية، وتصطدم بالعمود، ثم تنحرف إلى اليسار، وتعبر ساقية اخرى عمودية على الأولى، وتعود إلى استقامة سيرها الأولى على نفس الطريق، وتقف على قنطرته، فلا تهدم جدار القنطرة، ولا تنقلب. ألم تر السيارة سليمة، كأنها لم تصطدم، باستثناء الزجاج واطاره، الذي يحمي السائق من الهواء. والمزعوم أنه تحطم لسقوط العمود عليه. وليس من المعقول، أن اصطداماً عنيفاً كهذا، يترك للسيارة وقتاً كافياً، لتعبر كل هذه العقبات، وتأتي فوق القنطرة، ومن ثم يسقط العمود على السيارة، ثم على رأس الملك، ثم على الأرض بجانب السيارة. بينما تقضي وجهة الاصطدام، أن ينقض العمود على نفس الاتجاه، أو على عكسه. وليس من

المعقول، أن تبقى السيارة سليمة، بعد هذه الصدمات والعقبات، مهما قيل عن متانة صنعها، وهذه عجلاتها ومقدمتها، لا عطب فيهما، وكل شيء مازال في موضعه.

أنه لعجيب أن تعود السيارة إلى طريقها الأول، فلا تنحرف عن الأتجاه الرئيسي المقصود،

وعجيب أن تستقر فوق القنطرة، فلا تنقلب عندما اجتازت جدار القنطرة الذي يرتفع عن الساقيتين والأرض زهاء قدمين! وعجيب أن لا يكون في الأرض، أثر للعجلات، يدل على محرك السيارة بعد انحرافها عن الطريق المعبد، فراحت تسير على أرض رخوة، مسقاة بالماء قبل أن تصدم العمود!!

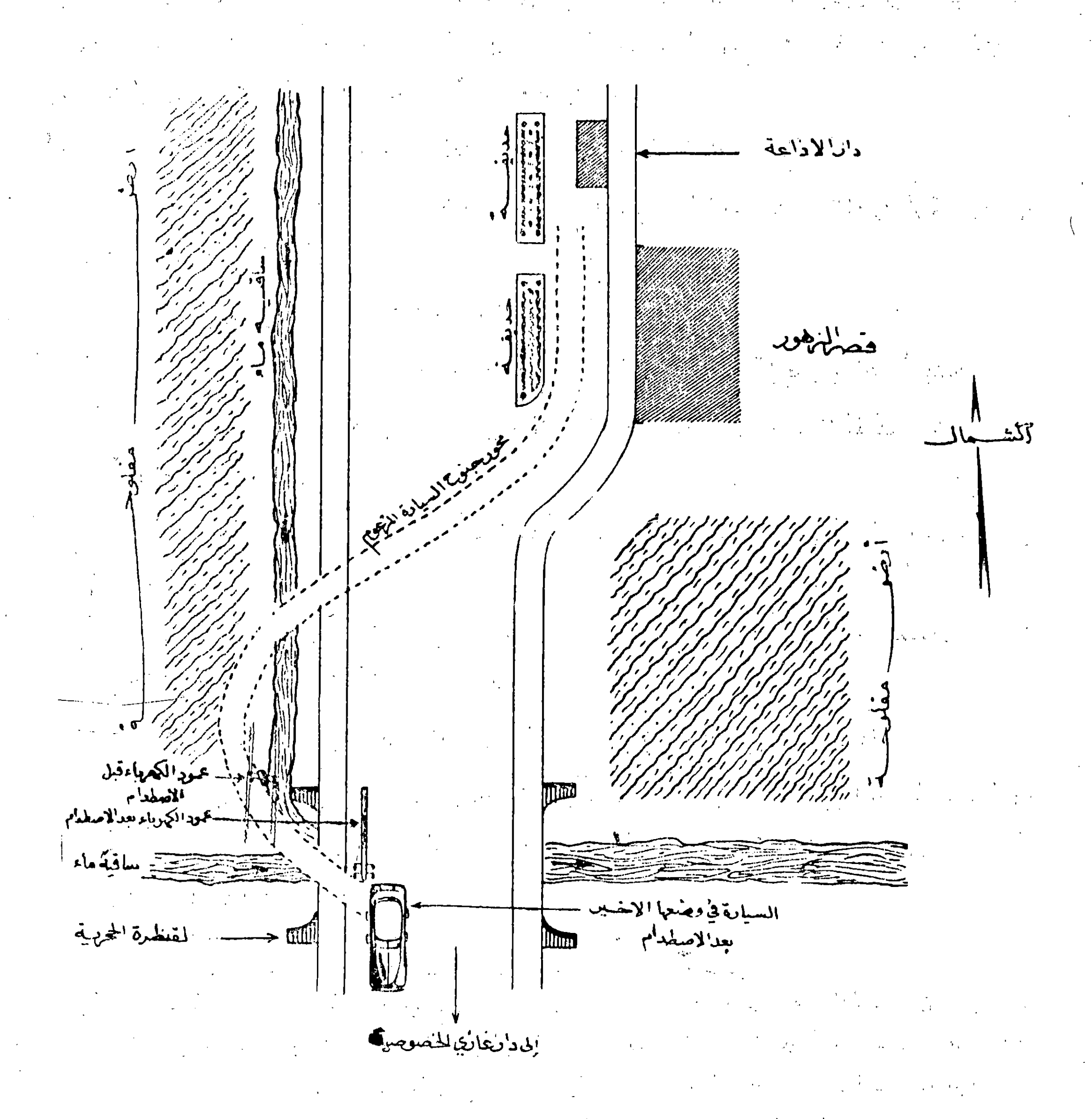
حاولت اقناع صاحبي أن لاغبار على صحة الحادث، لكني كنت كالمصعوق بما رأيت من البيّنات، وذكرتني هذه الأدلة الناطقة، بأمور فاتت، فتواردت على ذاكرتي بسرعة البرق:

تذكرت التقرير الطبي، الذي حصر سبب الوفاة بالاصابة الوحيدة في جسم في قسم المخيخ من الرأس، وما ذكر علة أخرى، أو ناحية غيرها، اصيبت بخدش أو ندب أو أثر، يدل على الاحرف البارزة في اطراف العمود المنشوري الشكل، وكان يجب أن تسحق قمة الرأس، والناصية، سحقاً عميقاً يشبه القطع.

وتساءلت لم أهملت وزارة نوري بن سعيد الحادث، وتناسته بسرعة؟

لِمَ لمْ تؤلف لجنة فنية مختصة، يتفرع عنها مجلس للتحقيق في الحادث، لاستجواب كل من له علاقة به، كالعبد الموهوم، والشخص الأهلي المزعوم، (لا أن يكتم امرهما، ويتواريا عن الأنظار). والذي اشرف على تجهيزالسيارة واعدادها، ثم ينشر هذا المجلس، على الشعب، تقريراً مسهباً بنتيجة تحقيقاته. وهذا اجراء أصولي، بسيط، تقوم به دوائر الحكومة في اتفه الحوادث المماثلة. فكيف تهمل وزارة نوري بن سعيد هذا الأمر، وتتناساه، وهو يتعلق بحادث جلل، لملك البلاد. خاصة، في وزارة رجل ، لا تفوته مثل هذه الأمور الأصولية، هو العميد طه الهاشمي.

ولاحظت كيف القى مخاطبي كلامه، وكيف كانت نبرات صوته (وهو ممن يعطف على بكر صدقي، ويناوئ مبادئنا سراً، ويمقت الذين أركن عليهم من الضباط) فكأني به يقول: لقد ناهضتم بكر صدقي، وقضيتم عليه انقاذاً لعروبة العراق، ولحياة غازي. وبعثتم الحياة لمن كان موتهم محتوماً، بعد أن اقصاهم بكر صدقي من العراق. فهاكم اليوم سيئات الذين اعدتم، اذ



مخطط يبيّن مكان حادثة مقتل غازي والعلل المزعومة

نصبوا لغازي، نفس الفخ، الذي قيل أن بكراً سينصبه(١). وعجبت:

لماذا عاش الامير زيد (بخلاف أخوته أبناء الحسين) غريباً، يتجول من بلد لبلد، فلا يقيمه الانكليز اميراً على صقع، ولا يودعه العراق مسؤولية في ادارة المملكة، رغم بطولته، وبلائه الحسن في الثورة العربية، مع أخيه فيصل!!

لماذا لم يحضر التعازي في البلاط اسوة بسائر افراد العائلة المالكة؟

ولماذا لم تسند الوصاية اليه؟ وهو احق بها من ابن اخيه عبد الاله، ووزارة نوري بن سعيد لا تجهل ذلك؟

ألأنه لم يجار الانكليز كما فعل ابناء الحسين الآخرون؟

أم لأنه صعب المراس، يعرف نوري حق المعرفة، ولا يرضى أن يكون العوبةً بيده؟

أم لأنه حمل غازي على مقت نوري وآله، فاقصاهم عن بلاطه، وبيته المالك، بعد أن كان لهم حظوة عند فيصل؟

أم لأن أمه غير عربية، وكذلك زوجته، أم لما أشيع عن إشتراكه في بيع السلاح لإسبانيا(٢)؟

أم لأن الملكة عالية لا تأمن جانب عمها، ولاتريد وصايته على طفلها، فشهدت برغبة زوجها بأن تكون الوصاية لأخيها عبد الإله؟؟؟

وتسائلت ماذا يعني زيد بقوله: «إن غازي عنيد لايقبل النصح من أحد»؟!

هل رأى ببصيرته، أي مصير سينتهي إليه غازي، من جراء مكابرته لرجال الإنكليز، ومطالبته بضم امارة الكويت إلى العراق؟ وهو الذي خبر الإنكليز في الثورة العربية، وبعدها، مثل لورنس ونيوكمب.

---

(١) – تردد على الألسنة أن بكر صدقي يريد الاقتران بإحدى الأميرات من أخوات عبد الإله بعد أن هجر زوجته النمساوية، وكان لبكر من قبلها مطلقات. وكان الشعب العراقي يعلم بشغف غازي وحبه للرياضية والمجازفة في قيادة الآليات وقيل أن بكر صدقي كان ينوي اغتيال عازي بهذه الوسيلة، لسهولة اخفاء معالم الجريمة ولإمكانية عطفها على مجازفات غازي في قيادة السيارات وهي خير طريقة لاقناع الرأي العام.

(٢) – شاع (نقلاً عن المصادر الانكليزية طبعاً) أن الأمير زيد (يوم كان سفيراً للعراق في برلين) وعزيز المظفر (بالسفارة العراقية في باريس) اشتركا في صفقة سلاح بيعت لاسبانيا إبان حربها الداخلية وشحنت الأسلحة من ألمانيا على أنها مرسلة باسم الحكومة العراقية.

أم لفت نظره، إلى نفور الشعب من سمعته المتردية، بعكس سمعة عبد الإله، فلم ينتصح؟

أم علم بمؤامرة تحاك في الخفاء، على أساس مغامرات غازي الخاصة، ومجازفاته في قيادة السيارات، التي أشتهر أمرها في عهد بكر.

أم نهاه عن مرافقة صباح بن نوري بن سعيد، في ليالي سمره الخاصة؟؟

أم أنه اخفى عنيٌّ الحقيقة، لإعتقاده بأني أحد الضباط الذين يحترمهم عبد الإله ويتودد إليهم؟

أم أنه كتم أسباب موت غازي، والدسائس التي حيكت حولها، بموجب تعليمات نوري بن سعيد، والإنكليز، لما أكتشف أن لعبد الإله ابن أخيه ضلعاً فيها؟

ثم عادت بي الذكرى إلى سنة ١٩٣٧، بعد اسبوعين من مقتل بكر صدقي، اذ جاء صباح بن نوري سعيد الى بغداد (بعد ان كان وأبوه طريدين خارج العراق) فدعاني وفهمي، إلى وليمة في فندق كارلتون (أمرزيا) اقتصرت علينا نحن الثلاثة.

قال صباح، إن أباه أوفده للاتصال بنا، واستشارتنا بخصوص عودته إلى بغداد، إذ يهمه أن يعلم وجهة نظرنا، وهل نمانع في عودته أو لا نمانع، وهو في نفس الوقت لا يقيم أي وزن لرضى جميل (المدفعي) أو غضبه، لأنه يعلم سلفاً أن جميلاً لا يريد عودته إلى العراق.

ثم أضاف صباح في مجرى الحديث، ما إذا كنا نرى قتل غازي، وإلحاقه ببكر صدقي، وتخليص البلاد من عبثه، فرد عليه فهمي بصوته الجهوري:

- «لا ياصباح لن يحدث هذا أبداً » وأجبته بدوري:

- نحن لا نرى مانعاً من عودة والدك إلى بغداد (ليتنا ماقلنا هذا)، لكننانشترط عليه أن يمد لجميل يد المعونة، لا أن يخاصمه لأننا نريد أن يوحد السياسيون صفوفهم، ليعملوا يداً واحدةً، على تحقيق أهداف البلاد. متّعظين بما لحقهم من اهانات في عهد بكر صدقي، نتيجة تناحرهم على كراسي الحكم. وحسبنا تلك السياسة المزّيفة، التي مزّقت الشعب العراقي، شيعاً وأحزاباً. فإذا عاهدنا أبوك على هذا الشرط، فعلى الرحب والسعة في بلاده. أما بصدد اغتيال غازي، فنحن أبعد الناس عن التطرق إلى ذكره، ولا نسمح بأن يُذكر أمامنا. نحن لم نقاوم بكر صدقي، إلا لكي ننقذ عروبة العراق، وهذا هو السبب الوحيد الذي دعانا إلى مقاومته أما غازي فنحن نحبه، ونخلص له، ونفديه بأرواحنا. ونصيحتي لك يا صباح أن لا تكرر ماقلت، وأن لا تفاتح به بعد اليوم أحداً .. واعلم أننا، والشعب العراقي، كله نقدس هذا البيت، ونقاوم كل من يمسه بسوء. فإذا كانت هذه الفكرة تدور في رأس والدك، فإنه يلعب بالنار، وخير له أن يبقى

حيث هو، فلا يعود إلى العراق، ونؤكد على هذا تأكيداً.

فوجم صباح، وتلعثم، إذ أدرك خطورة غلطته وفكرة أبيه، ثم سرعان ماثاب لرشده، واستجمع قوته، وقال مستدركاً:

– لكما على والدي ما أردتما منه، وسيقابلكما فور عودته إلى بغداد. أما ماقلته بصدد غازي، فهو من بنات أفكاري، وليس من رأي والدي في شيء، بل مجرد سؤال، وددت أن أطرحه عليكما، وأنا كما تعلمان صديق غازي منذ الصغر، واحترمه، واحترم البيت المالك.

– ليحضر إذن أبوك، وسنرجو من جميل أن لا يمانع في عودته، ونسعى لإزالة مابينهما(١).

وانتقل الحديث بعد ذلك، إلى مواضيع أخرى، وصباح ما انفك يبدي احترامه، ويظهر اعجابه، ببطولة واخلاص فهمي سعيد، وصلاح الدين الصباغ ورفاقهما، الذين انقذوا العراق ورجالات العراق (على شاكلة أبيه).

عاد صباح ووالده إلى بغداد، واستقرا في قصرهما الفخم بالوزيرية. وأصبح صباح صديقي، وقدم لي هدية بمناسبة زواجي في تشرين الأول من عام ١٩٣٧، هي عبارة عن فرشاة ومرآة فضيتين.

«من هو قاتل غازي ياصباح»؟

وعادت بي الذاكرة إلى سنة ١٩٢٨، يوم كان غازي تلميذاً بانكلترا يقول:

– «سيدي صلاح الدين، سأعود إلى العراق لأدخل الكلية العسكرية، وسأكون مثلك أحسن فارس بين ضباط الجيش». فكاني جوابي له:

– «اتمنى بعد ذلك، أن تحوز ياسيدي قصب السبق في توحيد البلاد العربية، وأنا حيّ

---

(١) – إن كنت شهماً، فاشهد ياجميل الملقب بالمدفعي، كيف رجوناك أنا وفهمي، أن توافق على عودة نوري إلى بغداد، وكيف انك لم توافق، إلا بعد جهد جهيد. كنا يومئذ مجتمعين في دارك بحضور أمير اللواء نظيف الشاوي، والزعيمين سعيد التكريتي، وأبو يعقوب يوسف العزاوي. وأغلب ظني أن أمين العمري، ومولود مخلص، كانا حاضرين أيضاً. عارض الحاضرون جميعاً في عودة نوري، بدعوى أنه العامل الرئيسي في بذر الشقاق، وأنه وراء كل فتنة في العراق، وأنه صنيعة الانكليز الذي لا يطاق! ثم وافق جميل أخيراً على عودة هذا الرجل، شرط أن يعتزل السياسة، ويبقى منزوياً لا يتدخل في شؤون البلاد.

هذا هو نوري يا جميل. هو خصمك في الظاهر، والكل يعلم أنه كذلك. لكنكما، في الباطن اخوان، متفقان على الهدف، تتسابقان في خدمة الانكليز وتستبسلان، فلماذا هذا الخصام بينكما يا جميل، ويا نوري؟.

أرزق، لأكون في طليعة جيشك».

ويعود غازي إلى بغداد، فينتمي إلى الكلية العسكرية، لما كنت تلميذاً في كلية الأركان. فيتعمد المرور أمامي راكباً جواده، أو راجلاً متنكبا بندقيته، ليؤدي التحية العسكرية، ويظهر لي فروسيته ورشاقة وضعه العسكري. ثم يشترك غازي في معرض الخيل، ويتسلم من أبيه فيصل الجائزة الأولى في طفر الموانع(١)، فيخاطبني ووجهه طافح بالبشر:

– سيدي صلاح الدين أتراني أصبحت الآن فارساً؟

فأجيبه: – عليك ياسيدي بما هو أكبر من هذا.

فيقول إن شاء الله.

ثم يرافق غازي كلية الأركان في سياحتها بالمناطق الشمالية، فأراه في مخفر سناط يلعب الورق مع ضباط آخرين، منهم مرافقه جميل قبطان(٢) وهو مازال ملازماً في مقتبل العمر، فأقول له:

– حسبك ياسيدي، إنك تقوم بعمل لا يليق بك، فهذا منكر يلهيك، وأنت الذي عقدت الأمة العربية جمعاء آمالها عليك، فيجيب:

– سأختبر الحياة وكل مافيها، مادمت غير مسؤول الآن.

ثم يقوم غازي على العرش بالوكالة عن أبيه الغائب في أوربا، فيتحدى رجال الانكليز ويبدي لهم عزة نفسه وأنفته أيام ثورة الآشوريين، فيعود أبوه إلى العراق طائراً(٣).

---

(١) – طفر الموانع: اجتياز الموانع (الناشر).

(٢)– منهم الزعيم الركن المتقاعد بهاء الدين نوري والعقيد الركن المتقاعد صالح صائب(بلغني أن الإنكليز أعادوهما إلى الجيش بعد أن تركنا العراق)والزعيم المتقاعد قاسم شكري الملحق العسكري في لندن الآن. أما سناط فهي قرية جبلية في أقصى الحدود شمال زاخو من أعمال الموصل.

(٣)– الآشوريون قوم يتكلمون اللغة الكلدانية، وهم من بقايا الأمم القديمة المندثرة، يسكنون الجبال في المناطق الكردية والتركية وفي القفقاس. جمعت بريطانيا شملهم في الحرب العظمى وأسكنتهم أخصب بقاع العراق في الحدود الشمالية. واستخدمتهم جنوداً في تشكيلات الليفي لإخضاع العراق. وكانت بريطانيا تعطي الجندي المسرح منهم بندقيته وعتاده فيبقيها ملكاً له. وهم يدينون بالمسيحية، لكنهم شرسوا الطباع متعصبون، ويتعطشون لسفك دماء المسلمين، حرضتهم إنكلترا على المطالبة بمجد آشور وعلى إقامة حكومة آشورية في الموصل وضواحيها، على حساب العراق والأمة العربية(سياسة إنكلترا هذه تشبه سياسة فرنسا الإستعمارية في البلاد العربية) فأعلنوا الثورة عام ١٩٣٣، وسفكت دماء غزيرة.

ثم تذكرت كيف انصرف غازي إلى اللهو لما اعتلى العرش، وكيف مقت ياسين الهاشمي، لأنه كان يرشده إلى الخير، وكيف طرد نوري وأمثاله، من مروجي الخلافات الحزبية الكاذبة، وكيف أعلن الحاج عبد الواحد صقر، احتجاجه الثائر على المهازل التي يمثلها المتزعمون بقوة الانكليز. ثم ما كان من تولي ياسين الهاشمي مقاليد الامور، وكيف استغل بكر صدقي وجوده على رأس الجيش بالوكالة عن طه الهاشمي، فيقوم بانقلابه المعروف، ويهرب نوري وجميل وأمثالهما خارج العراق، كما هرب الزعماء الوطنيون أيضاً. كل ذلك، والملك غازي منصرف إلى أموره الشخصية، كأن الأمر لايعنيه.

ثم تذكرت كيف ثاب غازي إلى رشده في أشهره الأخيرة. فإذا بالملك الشاب ، يتعطش لما فيه خير العروبة، ويطمح لتحقيق الوحدة العربية. تذكرت حديثه لي بالهاتف، ليلة ارغم الجيش وزارة جميل على الاستقالة.

– ياصلاح الدين، لقد استدعيتم جميلاً على متن طيارة من لبنان بعد مقتل بكر صدقي ليرأس هذه الوزارة، وكان ذلك خلاف رغبتي، فماذا تريدون الآن؟

– نريد الوفاء بالعهد، وقد حنث جميل بعهوده، وقسمت وزارته الجيش إلى معسكرين، ونحن ياسيدي طوع يدك ونبذل أرواحنا في سبيلك(١).

– سأقبل الاستقالة ياصلاح الدين، بشرط أن لا يأتي نوري بعده، وأنا أوافق على اسناد الوزارة لأي رئيس باستثناء نوري(٢).

– لكن نوري هو المطلوب ياسيدي، بعد أن رفض طه رئاسة الوزارة.

لكن غازي لم يتراجع وبقي على رأيه، فلما انبثق الفجر، كان لنوري ماتمنى، وكان لطه ما أراد.

---

(١) كان ابراهيم الراوي، وكامل شبيب، وسعيد يحيى الخياط، ومحمود سلمان، وفهمي سعيد، حاضرين جميعاً، وأنا أخاطب الملك، وقد غلبني الحماس. ألا رحمة الله عليك ياغازي، فقد كنت محقاً إذ لم ترض عن نوري، وإذ اقصيته من بلاطك، فقد أهاب بك هاتف أن نوري سيكون قاتلك، ولكن من أين لنا أن نعلم بما كانت الأقدار تخفيه لك.

(٢) بشهادتك يا سعادة العين مولود مخلص، وإن لم يكن بيننا معرفة سابقة، إلا في وزارة جميل بعد بكر صدقي، فإني أستشهدك باسم العروبة (فقد سمعت أنك عربي الشعور وأن دمك عربي أيضاً) عما قلت لنا ليلة سقطت وزارة جميل وعن مقترحاتك التي قدمتها لنا فرفضناها، قبل أن يحدثني غازي وبعد ذلك، وكيف أنك أبديت لنا خشيتك من خيانة نوري للبلاد،وقلت لنا أننامخدوعون. وماقولك يا نوري بهذا الموضوع، الخبر اليقين عند طه.فوقانا الله شرك يا نوري ووقى البلاد أيضاً.

ثم تذكرت غازي، لما استعرض الجيش المرابط في العاصمة في أضخم استعراض شهدته عاصمة الرشيد وقوله:

- اشكرك ياصلاح الدين، لأخذكم بالنظام الثلاثي، ولاعادة تنظيم الجيش، ولما رأيته من اتقان. وإني أشعر أن جيشنا، سيكون النواة لتحقيق ماتريدون مني، ولن يطول ذلك بإذن الله.

ثم يسلمني غازي، كأس الظفر في معرض الخيل الذي أقيم في أيامه الأخيرة ويقول:

- أبارك لك ياأخي صلاح الدين من صميم قلبي.

ثم يهديني غازي صورته، موشحة بتوقيعه، يوم قدمت له كتاباً في التعبئة الحديثة من تأليفي. ثم يحدثني بالهاتف وأنا في مقر عملي، بعد ثلاثة أيام من معرض الخيل، فيقول:

- أنا غازي. فسألته وأنالا أتوقع أنه الملك:

- أي غازي؟ قال:

- لقد أيقنت الآن، ويؤسفي أنني تأخرت، أنكم يا أخي صلاح الدين مخلصون في عملكم، وإنكم أنتم الذين تنصرون القضية العربية في العراق، لذلك قررت أن أكون أحد إخوانكم، وأن أضع يدي في يديكم. أرجو أن تقابلني بعد إفتتاح مشروع سد الغرّاف، لنتحدث على إنفراد، وسأضرب لك موعدا .قلت:

- أمرك يا سيدنا .

يالها من ساعة طالما تلفهت إليها . . . وما كان اسعدني ذلك اليوم..

فلما فتح سد الغرّاف، مات غازي.. لا بل قتل ..

إن علي أن أذكر غازياً على حقيقته، ليكون ذلك تاريخاً له. لقد مات، حين أوشكت ثماره على النضوج، بعد أن اختبر متع الحياة فى أوائل أيامه، واعتبر بتجاربه القاسية، التي كثيراً ما باعدت بينه وبين الشعب، فارتد إلى الهدى في أواخر أيامه.

وإنما أبكي غازياً، لأنه مد يده لي، لأسير في طليعة جيشه، لا في طليعة نعشه.

وإنما تبكيه الأمة العربية، لأنه أبى الإستعمار، وطرد عملاء الإستعمار من قصره. وأمضي هزيع الليل، ينشد لقومه الوحدة من دار إذاعته. فهال أعداءه أمرها، وكانت السبب والواسطة في قتله، لكي يلحقوا به الجيش من بعده..

وإنما تبكيه ابنة عمه، ووالدة طفله فيصل الثاني، لأنها لا تعلم - أو لأنها قد لا تعلم - بكيد أخيها الذي كاده لغازي. ويرثيه عبد الإله من دار الإذاعة، فيكيل اللعنات على السيارة، ليستر غدره وغدر نوري، والسيارة جاثية بجوار القصر، تناجي أثرها، وتشتكي إلى الله أنها

بريئة مما أرجفوا، وتلعن أحمد المناصفي(١) الذي أعد له المرثية، وتلعن الذين كانوا يصحبونه فيها.

لكن شهادة عبد الإله، وهو من أهل غازي، أحلّت قتله، وأسكتت جيشه، فانصاع الشعب وهو راغم. وكيف أظن بالأمير الظنون، وكيف أعلم أنه من عبيد الانكليز، وأنا أحد الضباط المسحورين بتودده، وبدعاوة محمود سلمان له؟ وهو إلى ذلك ابن عم غازي، وخال فيصل، ومن سلالة يرتبط أصلها بمحمد النبي العربي، الذي آلينا على أنفسنا أن نهتدي بمبادئه، ونحن يتناقص عددنا على قلته مع الأيام!!

وكيف لا أتمسك بعبد الإله، وكيف لا أدافع عنه، ونحن الذين بذلنا أقصى الجهد لنقيمه وصياً، يسد فراغ غازي الذي نعول على عروبته في جهادنا القومي، وأنا واحد من تلك الأقلية التي أبقاها الله، وهي في أمس الحاجة إلى من يشد أزرها، لتقوى على مكافحة سموم الطبقات الحاكمة، وطوائفها الكبيرة من غير العرب، بعد أن اختبرناها، ونبذناها، ووفقنا الله على إقصاء أساطينها من الحكم، وقاسينا، وقاست البلاد معنا الأمرين في هذا السبيل. وما فتئت هذه الطبقات الحاكمة، تستعين بكل ما آتاها الاستعمار من حول وقوة، للكيد بنا، وتشويه سمعتنا. ونحن ندعو الله مخلصين، أن يرشدنا إلى رجال الأمة من العرب الصالحين. فوجدنا ضالتنا في طه الهاشمي، وكان نزولاً عند إرادته، أننا أرغمنا غازي على استيزار نوري، ليكون صاحب الشأن مرة أخرى(٢).

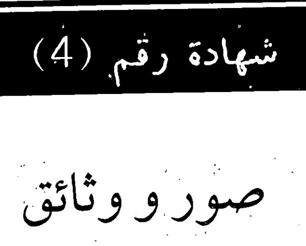
فلما نجح نوري بن سعيد، ونجح تلميذه عبد الإله، في إيقاع الصيد الثاني في الفخ، وأتمّ بشهادة الأمير المأساة الثانية، وجعله آلة بيده، ولما أفل نجم غازي وانطوى ذكره، جاء دور جيشه، دور أولئك الضباط الذين زعما أنهم في الطليعة تضحية وإخلاصاً. وكان حرياً بنا، أن نتّعظ باللوحة المعلقة في ديوان نوري، ومفادها «اتق شر من أحسنت إليه»، لكي نتّقي شره، فقد كان من واجبه، أن ينفذ التدابير التمهيدية التي قررتها الخطط البريطانية، استعداداً للحرب الثانية. ذلك أن الخطط البريطانية، قضت التضحية بغازي على مذبح الوصاية لعبد الإله، كما قضت افناء «المربع الذهبي». فكان كيد نوري عظيماً وهو يقول: «يا صلاح الدين: في رأسك صوت سوف تصيحه، لكن سوف ترى ما سيجري بالعراق». صدق نوري . . . وفاتني أنه انكليزي، تسانده الحراب البريطانية.

(١) أحمد المناصفي، هو ربيب نوري السعيد وأمين سره. ارتبط بنوري عام ١٩١٩ في بيروت، لما كان نوري سفيراً لفيصل الاول عند غورو. ومازال المناصفي في بيروت يعيش بدار نوري منذ ذلك التاريخ. ولد أحمد المناصفي في بيروت، ودرس في مدرسة الشيخ عباس، ونال شهادة الحقوق من بغداد. ولكن شتان بين المناصفي وبين فقيد العروبة عمر حمد البيروتي.. أوشك بكر صدقي على قتل المناصفي، وهو قائم على حراسة قصر نوري الفار خارج العراق، لو لم أتدارك أمره وأعمل على إنقاذه، فغادر العراق بدوره؟ أليس كذلك يا صدقي اسماعيل عباوي؟

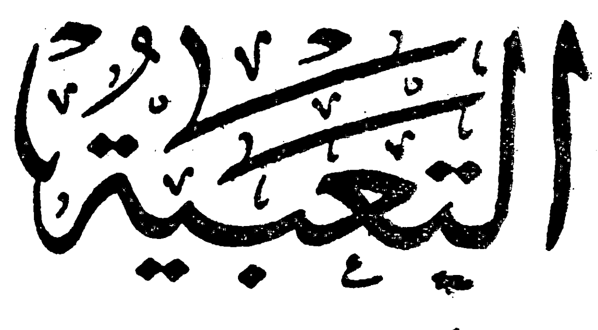
(٢)- آه منك ياقائدي آه. وأنت يانوري بن سعيد، هل تستطيع أن تنكر كل هذه الحقائق؟

شهادة رقم (4)

صور و وثائق



أصول كتب الشهيد العربي



الكتاب الأول

بالوحدات السوقية والتعبوية في سير الاقتراب . التماس
العدو . الهجوم على انواعه ومن جملتها الحركات
الليلية والهجوم على القرى والغابات .

تأليف

المقدم

صلاح الدين الصباغ

يطلب من مكتبة [illegible]
ثمنه : (٨) دراهم عراقية (أو ٨٠ فلسا)

مطبعة دنكور الحديثة • بغداد

مؤلف للبطل العربي عن التعبئة في العراق

تعلم الفروسية

في

بستة أشهر

تأليف

الرئيس

صلاح الدين علي الصباغ

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عام ١٩٣٠

مطبعة دار السلام في بغداد

فاتحة الكتاب

ـه وجوده . يمكنني القول انه من النادر
ـه على اسلوب تعليم الفروسية الحديثة
الكتب العديدة التي تبحث هـــذا الفن لدى
كبة الراقية . وكثيراً ما كنت افكر في وضع كتاب
الموضوع وذلك اعترافاً بالجميل الذي اولانيه الجيش
يوب باسناد معلميه الفروسية الي . ولان يكون وسيلة
لشرق هذه . الى اخواني الضباط ، وضباط الصف الخيالة
لكي تقوم لديهم كدليل يتمكنون به من تدريب قطعاتهم
ستة اشهر بصورة تامة

وقد وضعت الاسلوب المتبع والتمارين الاولى والثاني
الاسلوب الذي اثبتت صحته بعد تجارب عديدة وضعت
قبل اساتذتي الميجر دي جي برومليو ، دي ، اس ، او والـ
ولسن والكابتن اس ، ام ، ايج ، وراني دي ، اس ، او ، مع
الفروسية الاول في مدرسة سوكر الهند ، كما ان الجزئين
بهما مستفيدة من لذوات المشار اليهم .

— ٢ —

وقسمت اتعابي الى ثلاثة اجزاء فالجزء الاول يتضمن برنامج
تعليم الفروسية للجنود المستجدين والجزء الثاني يتضمن برنامج
تعليم الخيل المستجدة والجزء الثالث يبحث بعض نظريات الفروسية
المهمة التي يجب ان يلم بها كل معلم

وقد صممت على اصدار هذه الاجزاء بالرغم من قصر باعي
في هذا الفن الذي لا نهاية له معتقداً باني اخدم اخواني في الجيش
العراقي وفي الاقطار العربية الاخرى وان كان موجزاً ومن
الله التوفيق

بغداد في ١٣ تشرين   سنة ١٩٢٥

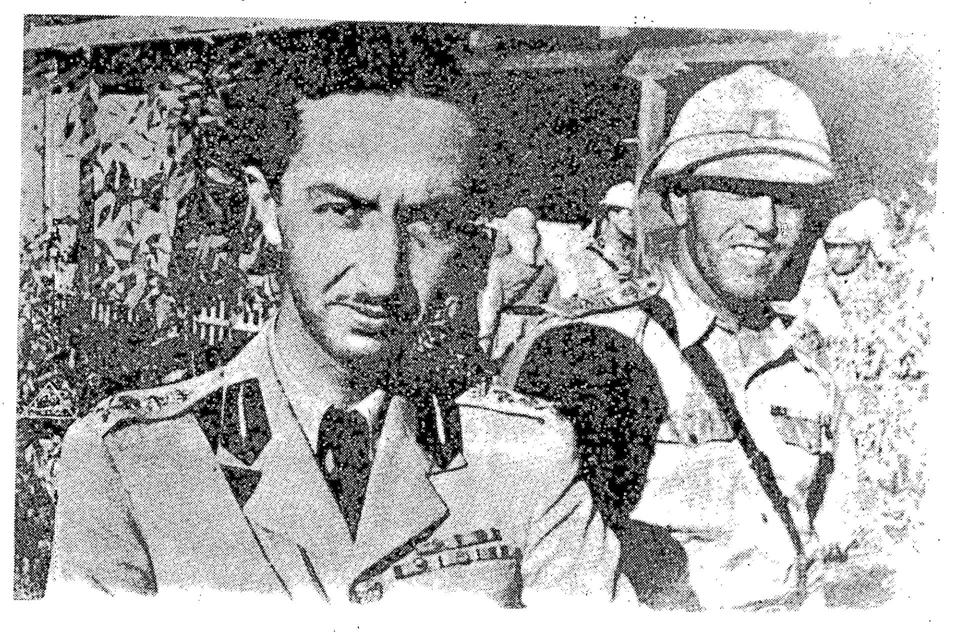
صلاح الدين علي الصباغ
الرئيس

صورة لفاتحة كتاب الفروسية

صدر الصفحة الأولى
من كتاب البطل «تعليم الفروسية»

رابعاً .

الاجتماع بالوصي



(وكانت علاقتنا بعبد الإله الوصي على أحسن مايرام)

أقام الوصي في شهر مايس من عام ١٩٣٩، حفلة شاي في ملعب التنس المجاور لقصر الزهور، قصر الملكة عالية وطفلها الملك. لم يدعُ إليها غيرنا، نحن الأربعة كامل وفهمي ومحمود وأنا. فكانت هذه الحفلة، فاتحة مسامراتنا التي دامت حتى اليوم التاسع من كانون الأول سنة ١٩٤٠.

أسمعنا الأمير كثيراً من الحمد والثناء، على ما بذلنا من جهود لإقامته وصياً. وكان محمود يسعفه إذا تلكأ. ثم قطع الأمير على نفسه وعوداً أكيدة، أوثقها بالإيمان المغلّظة، أنه سيكون عند حسن ظننا به، بل إنه سيكون أحد إخواننا، يشدّ أزرنا، ويأخذ بناصرنا، على

أساس «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» إلى الرمق الأخير..

ثم تبارى الأمير مع كامل، فخسر الأشواط كلها تجاه كامل، وافترقنا بعد ساعتين ونحن أوثق ما نكون، تكاتفاً لخدمة البلاد في السرّاء والضرّاء، على أن نواصل اجتماعاتنا في قصر الرحاب، بدون علم الوزراء، أوأقرب الناس إلينا.

وفي طريق عودتنا، لم يتمالك محمود سلمان نفسه، فبادر يسألنا بلهجة الفائز: ماقولكم فيما رأيتم؟ ألم أنبئكم أن الوصي أرفع من غازي أخلاقاً، وأعمق إدراكاً. الحمد لله الذي أظهر لكم خلقه الحسن وشمائله النبيلة، مصدقاً لما قلته لكم.

سألته: - وماذا تعلم عن ثقافته يا محمود؟

قال: إنها على ما أعلم ابتدائية. فقد انقطع عن كلية فيكتوريا بالاسكندرية، بعد سنتين من الدراسة ليلتحق بوزارة الخارجية العراقية.

قال فهمي: ما لنا وهذا يا صلاح الدين، بعد أن وجدنا ضالتنا الذي نشدّ به أزرنا. إن الأمر لا يتطلب ثقافة عميقة، وكم من نابغة وعظيم خانه الحظ فلم ينل قسطاً وافراً من الثقافة. ثم ما لنا وهذا، بعد أن وجدناه عربياً مؤمناً بسمو غايتنا، فعاهدنا على أن يجاهد معنا في سبيلها.

قلت: حسناً يا فهمي ليس لهذا الدفاع من داعٍ، فأنا أشعر بمثل شعورك، لكني أرجو الله خير العاقبة. إذ لا أكتم عليكم، أني توسّمت الشر لما اقترحنا استمرار هذه الاجتماعات، لأني تذكرت المثل التركي الذي معناه: «ادن من السلطان، تلتهمك النيران».

قالوا: أضغاث أحلام.

ابتسمنا، وانتهى حديثنا على أن يمهّد محمود سلمان لاجتماعاتنا المقبلة، باعتباره ذي الحظوة عند الوصي. كما سمح له بالاشتراك معنا في احتماعاتنا الأخرى، التي تضم طه ونوري، أو أمين العمري، وحسين فوزي، نزولاً عند إرادة فهمي. وكان الأخيران مكرهين على ذلك. ثم عرجنا على دار سعيد الخياط، الواقعة قرب تمثال فيصل الأول بالكرخ، فقضينا فيها شطراً من الليل، والبشر يعلو وجوهنا.

استمرت اجتماعاتنا في قصر الرحاب كل اسبوع، وأخذ هذا القصر يزهو بمعالم الفخفخة، ويزخر بالخدم والحشم. وكانت اجتماعاتنا تعقد على الأغلب بعد الساعة الثامنة مساءً، وتنتهي في العاشرة، ونحن نعتقد أنها سرّية لا يعلم بها أحد. وكانت تدور بيننا أحاديث شتى، فيعيرنا الوصي إذناً صاغية، وعيناً واعية، فنخال أنه يعقل ويدرك.

من ذلك أن نأتي على ذكر حوادث معينة فيها عظة وعبرة، مثل انهيار الدولة العباسية لاستعانتها بالأعاجم من غير العرب، وأن أولئك الأعاجم الذين أطاحوا بالدولة العباسية، هم أسلاف الطبقة الحاكمة اليوم، تلك الفئة من المتزعمين، الذين اشتهروا بأنهم رجالات العراق والعرب، وهم ليسوا من العراق ولا من العرب في شيء. وأن هؤلاء مافتئوا يسيرون على نهج أسلافهم، فيؤازرون كل فاتح أجنبي يضطهد العرب ويزهق أرواحهم، لكي يخلدوا وأولادهم في الأرض التي اغتصبوها هم وآباؤهم من العرب. ثم انتحلوا الانساب، فكان منهم العسكري والسعيد والمدفعي والحيدري(١). وانصرفوا إلى الكيد بالعرب والتنكيل بهم، ورفعوا الرذيلة على الفضيلة، وكلما رأوا قوياً تزلفوا . . .

ومن ذلك، نقصّ عليه قصة جهادنا، وماقاسينا من جور تكتلات قادة الجيش من غير العرب، ونحن نمثل الأقلية العربية في الجيش. لقد اجتزنا عنوة ما أقاموا بوجهنا من عقبات، ومن هضم للحقوق وتهم وأحكام .. حتى إذا بلغنا مكانناوأعاننا الله على تقليم أظافرهم في الجيش، وعلى إقصائهم من الوزارة واحداً بعد الواحد، تراجعوا صاغرين وقبعوا في مخابئهم، يتآمرون علينا متّكلين على الانكليز. ونحن نتّكل على الله، هو حسبنا وهو نعم النصير، نناشده أن يهدينا إلى عربي، نشد به أزرنا ونودعه مقاليد أمورنا(٢).

ومن ذلك أيضاً، أن انقل له بعض ما نلاقيه من البعثة الاستشارية والسفارة البريطانية، التي تصل إلينا تقاريرها بواسطة وزارة الخارجية العراقية (لما كنت مديراً للحركات ومعاوناً لرئيس أركان الجيش). وكيف أنها تقيم بوجهنا الصعوبات والعراقيل، كي لا تطبق خطة الحركات المقررة لتسليح الجيش، وتوسيع تشكيلاته في مواعيد معينة. وكيف أن السنين تمر على ما طلبنا من مصانع الأسلحة والذخائر الانكليزية والهندية، وهي تؤجل وتهمل، لأعذار واهية، يختلقونها لكي نبقى عزّلاً بلا سلاح، فلا يكون لنا شأن ولا سلطان. وما علينا إلا أن نقبل أعذارهم صاغرين، تفادياً لتوتر العلاقات، بعد أن نتأكد أنهم يسعون لتحقيق ذلك سعياً.

(١) ليت عبد الرزاق الحصان يشرع بتسجيل أنساب هؤلاء قبل أن يعدد مفاخر العرب في مؤلفاته.

(٢) نال الإنكليز الآن مايريدون، إذ أقاموا بعدنا قواداً على الجيش العراقي من غير العرب بإستثناء عدد قليل من المرتزقة. هذا هو جيش عبد الإله ونوري وجميل ومن والاهم من الأذناب، إنه والله لجيش كذاب. ولست أعني بالجيش جنوده وضباطه الصغار، بل أعني قادته لأن الجيش بهم. فالجيش الهندي مثلاً معظم أفراده من الهنود وكذلك الجيش المغربي الفرنسي، لكن قادة الجيشين من الإنكليز والفرنسيين، لذلك يقودونه للقتال في سبيل مصلحة الإمبراطوريتين. وهكذا فإن قادة الفرق في الجيش العراقي الذين خلفونا ليسوا عرباً كالشاوي، والعمري، وكامل شبيب، وصلاح الدين، وفهمي سعيد، وقاسم مقصود، ومحمود سلمان، وطه الهاشمي، فتحرّوا أيها العرب عن أصل قادة الجيش العراقي اليوم واسألوا عن نزعاتهم ومشاربهم.

وأنهم يحرصون على إبقاء الجيش مستضعفاً تحت سيطرتهم.

وكيف أن البعثة العسكرية الانكليزية، أمطرت رئاسة أركان الجيش، بوابل من التقارير البذيئة، التي تطعن في قادة الجيش، وتحط من كرامتهم، وتسفه آرائهم العسكرية (وقد نال منها أمين العمري حصة الأسد) واغتنمت كل فرصة لبث سموم التفرقة بين صفوف الجيش، موسوسة في صدور الضباط الصغار، وضباط الصف والجنود، إن حقهم مهضوم، وأنهم أولى بالقيادة من قوادهم لأنهم أعلم منهم وأفضل(١).

(١) بلغني أن أمين العمري اصبح رئيساً لأركان الجيش، فنعم الأمر لأنه عربي. كان أمين يحلم منذ أمد بعيد بأن يصبح رئيساً لأركان الجيش لكنه لن يبقى طويلاً في هذا المنصب لأنه يمقت الانكليز، وهم ينظرون إليه بغير العين التي ينظر بها إلى نفسه.

وهذه قصة ما كان بين أمين العمري ومفتش الجيش العراقي الجنرال وترهاوز: أعد أمين العمري لما كان قائداً للفرقة الأولى تمريناً عسكرياً يتضمن استخدام القوات الجوية والآلية مع قطعات فرقته بمنظمة عكر كوف، واستخدام الطائرات في الهجوم على خطوط العدو الأمامية بمثابة المدفعية في القصف على خطوط العدو واحتياطه الأمامي. فما كان من الجنرال إلا أن دنا مني مغتاظاً وهمس في إذني ما معناه: هذا جنون وحماقة، إن أمين يقوم بتمارين الحروب اليابانية الروسية، وهي لا تنطبق على تعبئة الحروب العصرية، إنها أخطاء لا أريد رؤيتها، فأجبته: – «لا يا جنرال، إن أمين محق في هذا التمرين – وكان محقاً فعلاً – فالسلاح الجوي سلاح حديث سيلعب الدور الأول في الحروب القادمة وليت قوتنا الجوية كافية إذن لكنت أول من ينادي بهذه الفكرة. وأمين ليس كما تقول ...» فقد سبق أن قدم هذا الجنرال عدة تقارير مفادها أن أمين لا يصلح لأن يكون قائداً لأنه من مروجي التعبئة القديمة ولأن معلوماته العسكرية قديمة ... فلما سمع الجنرال جوابي تمتم ثم أعرض عني وهو عابس. وهذه قصة أخرى: – كنت مدعوا للعشاء في دار وزير الدفاع طه الهاشمي وكان أمين العمري ورستم حيدر من جملة المدعوين، وكان أمين قد ألقى محاضرة عسكرية من دار الإذاعة تطرق فيها إلى ذكر قوة الجيش الألماني، وأعتقد أنه قال بأن في مقدور ألمانيا أن تحشد أكثر من مائتي فرقة عسكرية. كان الجنرال يحدث رستم حيدر في هذا الموضوع ويحمل على أمين العمري. ثم أخذني من ذراعي وجاء بي إلى رستم لكي ادلي برأي يخالف قول أمين العمري. قال: أنا مطلع يا صلاح الدين على بعد نظرك في السوق العسكري فهل تصدق قول أمين؟ ألا ترى أنه رجل خيالي؟ قلت: لا ياحضرة الجنرال، لقد كان أمين استاذاً لي في كلية الأركان الحربية في بغداد، وهو مطلع على أسس النفير ويعلم قابلية كل دولة ومقدار صناعتها الحربية. إن قول أمين صحيح لأنه يستند على الأرقام، لذلك فأنا أحترم رأي أمين وأعتقد أن بمقدور ألمانيا أكثر من ذلك. فعبس الجنرال وغير موضوع الحديث مع رستم حيدر. فهذا دأب الانكليز يبدو واضحاً من هاتين القصتين. إنهم يسعون بكل السبل للحط من سمعة قواد الجيش. أما هذا الجنرال الذي كان يكيل لي المديح ويظهر لي الاهتمام ويكثر من دعوتي إلى داره، فقد شاء الله أن ينقلب علي قبل حربنا بشهرين. وليس لانقلابه سبب إلا أن نوري أفضى له بمعارضتي للمطاليب التي نوقشت في مجلس الدفاع الأعلى.

وكنا نقول بضرورة توطيد مكانة الأمير واعلاء شأنه، حتى دفعني ذلك يوماً أن أرجو من طه الهاشمي (وكان وزيراً للدفاع)، أن يوافق على تسيير موكب يرافق الوصي في غدوه إلى البلاط ورواحه منه، على غرار موكب غازي، فكان جواب طه: لا ياصلاح الدين، فقد كفانا ما رأيناه من غطرسة غازي، إنهم كالأطفال يجهلون العوامل التي فضلتهم على غيرهم، فجعلت منهم ملوكاً وأمراء، ويجهلون واجبهم في ضبط تصرفاتهم، وحفظ كرامتهم، لتصان سمعة بيوتهم وسمعة الأمة، التي رفعتهم إلى هذه المكانة. أنا لاأريد أن أجعل من عبد الاله غازياً آخر، يدفعه الغرور والمظاهر الفخمة إلى الطيش والاستهتار، فيسيء استعمال منصبه كما فعل ابن عمه غازي. إن عبد الاله وصي لا ملك، وليس له ماللملك من حقوق، ثم إن ثقافة عبد الاله ابتدائية وقابلياته محدودة، وهاهو يرفض ألف دينار خصصها له مجلس الوزراء راتباً شهرياً، ويطلب المزيد، مع العلم أنه يقاسم أخته الملكة الوالدة وابنها الملك الطفل مخصصاتهما، ناسياً كيف كان غازي يساعده إذ لا يكفيه راتبه القليل. وهذا يجعلني أخشى عاقبة الوصي.

كانت كلمة حق، تنبّأ بها طه الهاشمي، لكنها لم ترضني مع الأسف. فتشجع الوصي وارتدى كسوة العميد، وانتفخت أوداجه زهواً وفخراً، ورافق ابن أخته في سيارته ليبدي للشعب حبه، وراح يصول ويجول بين سن الذبّان وأم الطبول، فأخذ الشعب يقول مايقول (راجع ملحق -٢-).

وكما كانت علاقاتنا بعبد الاله الوصي على أحسن مايرام، إذ يدعونا إلى قصره بين حين وآخر، لنتجاذب أطراف الحديث في شتى المواضيع، كذلك كان السيد نوري بن سعيد في أوج صداقته لنا. فلا يفوته اسبوع، دون أن يوجه لنا الدعوة إلى داره، ليوضح لنا مراميه ومقاصده، وليوجه العتاب لطه اغتياباً، لأن طه يخفي عنا أموراً يجب أن نطلع عليها، وحجة نوري في ذلك، أننا أولى بالإطلاع من جميع الوزراء الذين توصلوا إلى الحكم في العراق، بعد أن أثبتت التجارب (ويقصد بالتجارب حادثة بكر صدقي) أننا أبعد منهم نظراً، وأننا أهل لمعالجة شؤون البلاد، وأننا خاطرنا لانقاذ بلادنا بالنفس والنفيس. لذلك لا يجوز اهمال رجال هذا شأنهم، ومن الضروري أن يبقى الجيش مشرفاً على سير الأمور، مادامت الأمور في العراق قد انتقلت من بعد فيصل إلى أيدي الأطفال (ويقصد نوري بالأطفال الملك غازي، لأنه كان لا يطيق رؤيته).

ملحق رقم -٢-

سن الذبان هو معسكر القوة الجوية الانكليزية في الحبانية. وهو بمثابة خنجر في قلب العراق.

يبعد سن الذبان نحو ٦٥ كيلومتراً عن بغداد، ويقع غربها، وهو يسيطر على العراق الأوسط، وعلى جميع الطرق التي تربط العراق بالأقطار العربية، الواقعة على ساحل البحر الأبيض.

كان هذا المعسكر هدف الجيش العراقي الذي أراد الاستيلاء عليه، وكان الأمر هيناً جداً، لولا أن شاء الله، فساق فهمي إلى التسرع، والاصرار على خطئه، والقيام بحركة مخالفة لأوامري وارادتي. فانتهى الأمر بالفشل، وكان سبباً في عدم مواصلة القتال بعد ذلك.

أما أم الطبول، فهي المنطقة التي تقع فيها قصر الزهور ودار غازي الخصوصية.

وأما ارتداء الوصي رتبة عميد أو مشير، فهو أمر مخالف للدستور، لأن الوصي لايقوم مقام الملك في هذه الناحية، ولم تعط له رتبة في الجيش. لذلك كان عليه أن يستحي من ارتداء البزة العسكرية، وهو لا يعرف من تعاليمها كيف تؤدى التحية لكن خلب لبّه حب الظهور.

الفصل الثالث

الوطنية والاستعمار لايأتلفان ولايجتمعان في مكان إلا ويصطدمان

- قدوم الحسيني مفتي فلسطين إلى العراق وآراء السياسيين حول موقف العراق من الحرب
- إحالة حسين فوزي والعمري على التقاعد
- كيف وافق الكيلاني على تأليف الوزارة
- نوري يشرع في تطبيق حلوله
- اللائحة
- خصوصيات الحكام وتعلقها بالصالح العام
- وقوف العراق على الحياد
- الاجتماع الأخير
- الجيش والسياسة
- فشل الوصي في تنفيذ المؤامرة

- ضغط الوصي على طه الهاشمي
- مصير وزارة طه الهاشمي
- المؤامرة
- المنشور والملكة
- خلع عبد الإله وغدر الإنكليز

اللهم ليس لي من شاهد غيرك، وما أخشى سواك.

اللهم إني أخاف لعنة نبيك محمد، وغضبة أمتي العربية وشتيمة أجدادي وأحفادي.

اللهم فاشهد، إني زهدت بالثروة وكانت بين يدي، وبالمنصب وكان قيد منالي، اعلاءً لمجد أمتي، واحياءً لمبادئ محمد، براً بالمبدأ الذي ترعرعت عليه، ومقتدياً بتعاليم أخي الكبير المرحوم حسن شوقي الصباغ(١). وإني بذلت مابوسعي، لأكون ملماً بصناعة الجندية، ولأخدم بلادي بإخلاص وتضحية، متحاشياً نزوات الانتقام في ميدان المصلحة العامة، فلا افتري على غيري كذباً.

اللهم فاشهد، إن الذين كانوا سبباً لوقوع الحرب بين انكلترا والعراق عام ١٩٤١، هم الانكليز وأذنابهم: عبد الاله، نوري بن سعيد، جميل الملقب بالمدفعي، علي جودت بن أيوب، جلال بابان، والموالون والمرتزقة.

اللهم واشهد، إني أحب طه الهاشمي، لأنه عربي الأصل والمبدأ، ولأنه قائدي واستاذي. وهو شريف القصد في عمله، ناصح للخير في قوله، لكنه قليل الإقدام. فلما تغافل عنه نوري، أصبح كالأصم الأبكم. اطلع طه على رأي الطرفين، وكتم عنا أموراً كثيرة، كان من الضروري أن نعدّ لها العدّة. وتمسك طه بنوري، واستسلم له، فكان ذلك عاملاً مهماً، من العوامل التي أوقعتنا في حبائل نوري، وشجعت الانكليز وأذنابهم، وعبد الاله، على الاستهتار بحقوق البلاد، ومحاربتها، فلولا طه، لما أذعنّا لنوري، حتى أصبح ذا الحول والطول على أكتافنا، بعد أن كان شريداً، طريداً، أيام بكر صدقي. وغلطة طه هذه، أعظم من غلطته الأولى، التي أورثت انقلاب بكر صدقي. وإني وإن كنت واخواني ضحايا غلطتك، اهنئك ياسيدي العميد على عروبتك، وأنا مطلع على أعمالك الجليلة لقومك.

اللهم واشهد، أن نوري بن سعيد، هددني في داره بحضور اخواني الثلاثة واسماعيل نامق، قائلاً: «ياصلاح الدين في رأسك صوت، سوف تصيحه، ولكن سترى ماسيجري في العراق» قال ذلك قبل أن يهاجمنا الانكليز ببضعة أشهر. واليوم حلّ اللغز وصحّ الفال، إذ طبق نوري ما أملاه عليه الانكليز، فساقنا إلى خوض غمار الحرب مكرهين.

اللهم أسألك أن تظهر لأمتي حقيقة هؤلاء ونسبهم لتدرك وتعتبر.

(١)– كان نقيباً في الجيش العراقي، وقد توفّاه الأجل عام ١٩٢٩ في بغداد. وكان من أقرب الأصدقاء لـ «طالب النقيب» الذي نفاه الانكليز بعيداً عن العراق. (الناشر)

شهادة رقم (5)

صلاح الدين الصّباغ يكتب

١- إلى مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني
في ٢٤ حزيران عام ١٩٤٤

«أنا لست خائفاً، ولن أيأس من رحمة الله، إن شاء الله.. مع ذلك فإني اتمنى لو أكون معكم، وماكل مايتمنى المرء يدركه..

ولكن عسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم... لقد تشبثت لأجل ذلك رسمياً يوم كنت في (ايدين) أي قبل سنة تقريباً، فكان الجواب الرفض بشدة، ونقلي إلى هذا البلد المنقطع لكي لاأكون في المناطق الساحلية. وهنا لابدّ أن أشكر الحكومة الشقيقة تركيا التي آونني، وشملتني بقوانينها العادلة التي تمنع تسليمي بموجب الفقرة الثانية من المادة التاسعة من قانون الجزاء التركي، وذلك بناءً على قرار المحاكم ومحاكمتي مرتين قبل سنتين، واعتباري من اللاجئين السياسين. أني معتقد بعد الأتكال على الله، بأني سأكون مصاناً، طالما عناية الله ترعاني، وعدالة القوانين التركية تشملني».

صلاح الدين الصباغ

٢- وكتب الى السيد أكرم زعيتر:

عزيزي الأخ أكرم..

استلمت كتابك المؤرخ ١٧ أيلول ١٩٤٥ وقد يكون كتابي هذا هو الأخير الذي أودعك فيه وكلانا في تركيا الشقيقة. وقد لايسعدني الحظ أن أعود الى قومي وأبقى مشردا في الآفاق وأموت، أو قد أسعد فاعود. وأنا لست شاكيا ولا يائسا، ولا أطلب رجاء.. فان ماكان مني-غلطا أو صوابا- هو مانشأت عليه منذ نعومة أظفاري، وما تعودته من الأحرار من بني قومي أمثالك والاخوان نبيه وأخيه والسائرون على نهجه وهذه هي سعادتي وسلواي التي سوف أجعلها سميري في وحدتي وخلوتي النفسية، فهنيئا لكم بالأوطان وليبارك لكم الله، ويكون في عونكم. والى اللقاء ان شاء الله، أو أموت فأعذر..

اخي أكرم، وصلني قبل خمسة أيام كتاب من زوجتي والدة أنمار، وقد هجر أبوها العراق الى مسقط راسه دمشق كما تقول. وهي تطلب المجيء الي وليت ذلك يتم، لأن قربها مع أحد أولادي يشغلني نوعا ما عما أنا فيه. وجاء في تحريرها أن عنوانها هو بواسطة الدكتور محمد محفوظ في مسجد الأقصاب-دخلة محمد صالح المزين- رقم الدار ٣٦. وقد أبرقت اليها بأنني صحيح ولا زلت في بوردور الا أن البرقية عادت الي وقد شرح عليها بأن مثل هذا العنوان غير موجود في دمشق - فاذا سهل الله ووصلت سالما [illegible]ني أرجو أن تخبرأهلي بأني في بوردور وأنتظرهم. هذه واحدة. والثانية أن ولدي نزار مازال معتقلا في لواء العمارة. أعانه الله، ويقال أن والدته وولدي ربيعة هما في حلب وبحماية رجالها الكرام جزاهم الله خير جزاء.. فاذا تمكن ولدي نزار من الافلات من العراق فاني أرجو منك ياأخي أن تسعى لادخاله في احدى المدارس في بيروت أو دمشق، في المدرسة التي يختارها لنفسه وقابلياته، فيتكفله أهل الخير من رجالات سورية أو لبنان

لأني لست بوضع يمكنني من اعالة جميع أفراد عائلتي، إن جل ماأتمناه هو اتمام دراسة ولدي نزار ليتمكن من اعانة أخويه ربيعة وأنمار. هذا هو رجائي الوحيد الذي يخص بشخصي، فأنا قوي لاألين، يعز الحق ان شاء الله.

صلاح الدين الصبّاغ



صلاح الدين الصبّاغ في الجيش العربي في سوريا عام ١٩٢١.

أولاً:

قدوم مفتي فلسطين الحسيني إلى العراق

انتقل المفتي، من فلسطين إلى سواحل لبنان، بقارب بحري، فنجا من قبضة الانكليز باعجوبة، وأقام في لبنان تحت الرقابة، في قصر يحرسه الجنود الفرنسيون. وفي سنة ١٩٣٩، يوم كان نوري بن سعيد رئيساً للوزراء، جاء السيد عز الدين الشوا، يسألني، إن كان ثمة مايمنع من قدوم المفتي إلى العراق إذا أفلت من أيدي الفرنسيين، فكان جوابي: معاذ الله أن يكون هناك مانع، فالعراق بأسره يرحب بالمفتي، ولا يهمه غضب الانكليز لذلك، أو رضاهم. على أن مراجعة وزير الدفاع طه الهاشمي أصوب، وإن كنت واثقاً أنه لن يرد الطلب (انظر ملحق الفصل).

وهكذا، حلّ المفتي وفرسان العروبة في فلسطين، في أرض آبائهم وأجدادهم، على الرحب والسعة، كما حلّ فيها فيصل الأول وأخوه علي، وغازي وعبد الاله الوصي، من قبلهم. فالعراق ملك لهم ولكل عربي، وما للعراق للعرب، وما عليه عليهم. كتم الانكليز غيظهم، وامتعض أعوانهم، الذين يبشرون بالفكرة العراقية الاقليمية، لكن نوري كتم استياءه.

ماذُكر السيد محمد أمين الحسيني أمامي، إلا بالمدح والثناء. سمعت عنه، وهو ضابط احتياط، في أحد أفواج اللواء ١٤٥ من الفرقة ٤٦ العثمانية في الحرب العالمية الأولى. كما سمعت عنه، وهو مفتي فلسطين الذائع الصيت، وزعيمها الفذ. وهكذا، شعرت بأنه صديقي على السماع، واعجبت به قبل أن أراه، كما انني كنت صديقه قبل أن يراني، لأنه كتب يشكرني بواسطة عز الدين الشوا.

ذهبنا لزيارته نحن الأربعة: فهمي ومحمود وكامل وصلاح الدين، فأعجبنا به من الزيارة الأولى، إذ وجدناه مثلما سمعنا ومثلما تمنينا، متفقاً معنا على المبادئ العربية والأهداف

القومية، فتوالت زياراتنا له واجتماعاتنا به. فتشابكت على الأخوّة أيدينا، وسار معنا، وسرنا معه. وقد سعينا شهوراً، ليكون طه معنا فتكتمل به قوتنا، لكنه كان يرفض الاجتماع بنا بحضور المفتي، في حين أنه اجتمع بحضور نوري. ذلك لأن طه، رغم ميله لنا، بقي ينظر إلينا كما ينظر رئيس أركان الجيش إلى قادة جيشه، فلا يريد أن يرى غيره مسيطراً علينا. ولئن لم يجتمع المفتي بطه في حضرتنا أبداً، فقد كانا يتبادلان الزيارات والاتصالات ويتذاكران في الامور المتعلقة بسورية وفلسطين، وقد أفضى لنا بهذا، المفتي بالذات، وفوزي القاوقجي أيضاً.



الحسيني مفتي فلسطين

آراء
طه، والمفتي، ونوري
حول موقف العراق، في مطلع الحرب العالمية.

- خلاصة رأي طه الهاشمي -

بقي طه الهاشمي إلى أن تقلد رئاسة الوزارة، على رأيه، الذي تبنّاه قبل دخول إيطاليا الحرب. ويتلخص رأيه فيما يلي:

١- قطع العلاقات مع دول المحور.

٢- مسايرة الانكليزضمن حدود المعاهدة.

٣- تسليح الجيش العراقي وعدم التفريط به.

٤- تحاشي الدخول في الحرب، حتى ينجلي الموقف العالمي، وموقف روسيا واليابان وايطاليا، بوجه خاص.

٥- اعلان الثورة في سوريا ضد الفرنسيين، (لا في فلسطين ضد الانكليز) بقيادة فوزي القاوقجي.

ولئن أجمعنا على تأييد طه في رأيه الثاني والثالث والرابع، فإن فهمي سعيد ومحمود سلمان، لم يؤيداه في رأيه الخامس، وكانا أقرب إلى رأي المفتي. أما أنا، فلزمت الحياد في هذا الشأن، ورأيت أن اعلان الثورة في فلسطين، أو في سوريا، يجب أن يترك تقريره إلى زعماء القطرين الشقيقين. لكننا لم نوافق طه على رأيه الأول، بصدد قطع العلاقات مع دول المحور. ولئن بدا لنا هذا الأمر من قبيل المجاملة لبريطانيا، فقد كنّا نخشى، أن تكون الغاية منه تخدير الأعصاب، والتمهيد لإعلان الحرب. وكان سبب خشيتنا، تدهور مستوى مجلسي الأمة في العراق، حيث أصبح التمثيل الشعبي مهزلة. وأصبحت الموافقة برفع الأيدي، مضمونة لكل طلب تتقدم به الحكومة القائمة. أما حسين فوزي وأمين العمري (اللذان أحيلا على التقاعد فيما بعد) فكانا متفقين معنا على تأييد طه في رأيه الثاني والثالث والرابع، وعلى معارضته في رأيه الأول. إلاّ إنهما، لم يعلما شيئاً عن رأي طه الخامس، ويحتمل أنهما كانا يؤيدان رأي رشيد عالي الكيلاني، الذي سيرد ذكره، والله أعلم.

- خلاصة رأي المفتي محمد أمين الحسيني -

١- تحاشي اغضاب دول المحور، ومسايرة الانكليز في نفس الوقت، ضمن حدود المعاهدة العراقية الانكليزية.
٢- تسليح الجيش العراقي وعدم التفريط به.
٣- تحاشي الدخول في الحرب، والمحافظة على القوى العربية، من أن تستنزف في سبيل انتصار بريطانيا. فانتصارها ليس من صالح العرب في شيء، لأنها ستنقلب عليهم، كما فعلت بعد الحرب العالمية الأولى. وهذه مخالب اليهودية تنشب في فلسطين، وتقضي على آمال العرب كلها. أما الكتاب الأبيض الانكليزي، فإنه سيبقى حبراً على ورق، ثم يكون مصيره النسيان.
٤- إذا اشتركت روسيا واليابان وايطاليا في القتال إلى جانب ألمانيا، ووصلت جيوشهم مصر وإيران، فمن الواجب أن تعلن البلاد العربية جمعاء، الثورة على الانكليز، ومن معهم.
٥- اعلان الثورة في فلسطين (لافي سوريا)، بقيادة فوزي القاوقجي. وذلك، لإجبار الانكليز على رفع القيود الصهيونية كلها، والاعتراف باستقلال فلسطين، قبل نهاية الحرب القائمة، سواء انتصر الانكليز فيها أو لم ينتصروا.

بالمقارنة بين رأي طه الهاشمي، ورأي المفتي الحسيني، يظهر ما في الأولى من هدوء، وما في الثانية من ثورة نفس متألمة، جاءت كرد فعل طبيعي لما يتأجج في نفس المرء إذا تجرع غصص الآلام، وعانى ضروب المظالم، ورأى بأم عينه المذابح والتنكيل ينزلان بدياره. إذ يعمل الانكليز في القرى هدماً وتقتيلاً، وفي المزارع حرقاً واتلافاً، وهم الظالمون المعتدون.

وقد لا يجد المدقق، فرقاً كبيراً بين الرأيين، في خطوطهما العريضة، باستثناء مايتعلق بالثورة، والاختلاف على مكانها. فاعلانها في سوريا، معناه الثورة على حكومة فيشي، التي يرأسها المارشال بيتان، وبريطانيا ترتاح لمثل هذه الثورة. وأغلب ظني، أن الانكليز كانوا يشجّعون على إثارتها، تمهيداً للإنتفاع من العرب، وللإيقاع بينهم وبين الألمان. أما إعلان الثورة في فلسطين، فمعناه الثورة علي بريطانيا، مباشرة، وتأييد العراق لهذه الثورة، معناه الخروج علي أحكام المعاهدة العراقية البريطانية، مما لا يتفق مع الرأي القائل، بضرورة مسايرة الانكليز ضمن نصوص المعاهدة .

أما وقد اخذ نوري علما بما عند فوزي القاوقجي من سلاح وذخيرة، فلا مجال للشك

بأن هذه المعلومات، ستنتقل الى الانكليز، فيتأكد لديهم، بأن العراق يغذي الثورة في فلسطين. لذلك، لزمتُ جانب الحياد في هذا الشأن، ولم أبدِ فيه برأي قاطع، وإن كنت في قرارة نفسي، أميل إلى إعلان الثورة في سوريا. وبقيت أرجو أن يبتّ زعماء سوريا وفلسطين في هذا الأمر، بالإتفاق مع طه الهاشمي.

أما نوري الذي كان همه إبعادنا عن طه (لنصبح آلة في يده)، فقد تضاعف همه بقدوم المفتي. وكان يكفّهر كلما طرق سمعه اسم المفتي، أو شدنا بذكره، ونحن مجتمعون في داره. ثم تأكد لدينا فيما بعد، أن ما بين نوري والمفتي من خلاف، ليس له حل وأن لا ائتلاف بينهما. ذلك أن نوري، يريد أن يكون متبوعاً، لا تابعاً، ولا أدري، أيدفعه طبعه إلى الرئاسة، أم مصلحة من يطيعه. ويريد نوري أن تكون الكلمة له دائماً وأبداً. فإذا تولى مقاليد الأمور رفيق من رفاقه أو زعيم من زعماء البلد، لم يألُ جهداً في التفريق بينم، ليسود عليهم (فرق تسد). فيدعوهم إلى داره على إنفراد، أو يزورهم كلاً بمفرده. فإذا أصروا على وطنيتهم، وتصلبوا في عقيدتهم، فلم يظفر بهم، انقلب عليهم، وتخلّص منهم بالنفي، أو الإغتيال، أو بقوة الحراب البريطانية.

مثال ذلك ما كان من اعتقال يس الهاشمي في سوريا، واعتقال السيد طالب النقيب في العراق، واغتيال توفيق الخالدي، والملك غازي، ورستم حيدر، ثم جاء دورنا، فحرضّ الأنكليز، ليعتدوا على الجيش العراقي فيفتح العراق ويفرّق شملنا بقوة الحراب البريطانية، وهو على رأسهم، السير، والجنرال، والباشا البطل..

وما ذكر نوري في مجلس، إلا وقيل عنه أنه أنكليزي، وأنه لا يؤتمن، وقد اجمعت كافة طبقات الشعب، على وصف نوري بهذا الوصف (بإستثناء الدكتور سامي شوكت وأمثاله)، بل أن زملاء نوري أنفسهم، يؤيدون ذلك، مثل جميل الملقب بالمدفعي. ويؤيد ذلك المعتدلون أيضاً وأعني بالمعتدلين مصطفى العمري وتوفيق السويدي وابراهيم كمال. وجملة القول، أن الشعب أجمع على وصف نوري، بأنه الخائن الأول للبلاد. وأنه بفضل خيانته، بقى في الميدان يصول ويجول، فلا يلحقه ما لحق بالوطنيين من قبله من ضروب الأذى والسجن والتشريد والتقتيل. وهذا رأي الملك غازي، وحكمت سليمان، وبكر صدقي وجماعته، وصبيح نجيب، ومولود مخلص وأمين العمري، وحسين فوزي، ونظيف الشاوي، وآل الوادي وغيرهم.

وفي عام ١٩٢١، حرّض نوري بعض زبانيته، فاعتدوا على أخي الأكبر حسن شوقي الصباغ في وزارة الدفاع. وقد اعترف المعتدون بذلك أمامي بعد وفاة أخي، وعلى رأسهم المقدم الانضباط محي الدين، ورشيد المحاسب، وكان السبب الذي دفعهم إلى الاعتداء على

أخي، أنه كان معارضاً لنوري، ولقريبه جعفر، ولأنه استقبل السيد طالب النقيب في محطة بغداد، مع كثير من رفاقه. فكان أن سجن أخي، واعتقل الانكليز السيد طالب، ثم أقصي عن البلاد حتى وافته المنية. وقد دبر نوري لاعتقاله حفلة عشاء دعاه إليها.

وفي عهد الماجور ايدي، كاد نوري أن يقضي على مستقبلي، وكان وزيراً للدفاع، إذ أحالني على المجلس العسكري، طالباً طردي من الجيش، وأعاد طلبه من جديد، لما أكد المجلس العسكري براءتي. وقصة ذلك، أن نوري رفض إعطاء زوجتي الانكليزية جوازاً للسفر، لتتمكن من القدوم إلى العراق، وأمرني بطلاقها، فأبيت. ولو أنه عارض في زواجي بأجنبية، غيرةً منه على صفاء دمي، ونقاء جوهري، أو حرصاً منه على عروبة ضباط الجيش، إذن لهان الخطب، ولأكبرته واحترمته. لكنه عارض لسبب آخر، وقع علي وقوع الصاعقة. قال: كيف تجرؤ على الزواج بانكليزية؟ إنها أرفع منك وأنت لا تليق بها. كيف تأتي بها إلى بلادك لتعيش عيشتك، وهي في السماء وأنت في الأرض؟ هذا كثير عليها ويجب أن تطلقها وأنا لن أسمح بقدومها.

تناسيت هذه الحوادث وأمثالها، طائعاً مختاراً، لا لأكسب حب نوري، ولا لأنال رتبة على يده، لأنه هو الذي كان يخطب ودي، وهو راغم. لكني تناسيت هذه الحوادث في سبيل بلادي، لأنه أقنعني بأنه سيكفر عن أعماله الماضية، وبأنه اتّعظ بما ناله على يد بكر صدقي جزاء أعماله تلك. ثم مد نوري يده لنا، واستعان بطه الهاشمي للتقرب إلينا (وكان طه بجانبه)، وتحايل على فهمي، بالقرابة التي تربط زوجتيهما (زوجة فهمي رحمها الله تربطها بزوجة نوري صلة قرابة).

أجل، تناسيت ما أعرف من أمر نوري، وخدعني بما قال لي، ولفهمي، مستعرضاً الأعمال التي ستجعل البلاد العربية متمتعة بنعمة الاستقلال. هكذا اكتشف نوري من أين تؤكل الكتف، وعرف الطريق لاستغلالنا، وتشفّع بطه الهاشمي، وقال إنه لو لم يكن عند حسن ظن طه، لما أيده وآزره، وصدقه. ثم أنهما منتسبان إلى حزب الاستقلال، وإن طه كفيله، لأنه أخوه، وسيبقى أخاً له ولنا، ولن يخرج عن رأي طه ما دام حياً، وكيفما تغيرت الظروف(١).

(١) – بعد الرجاء الملح عاد نوري إلى العراق، وكان جميل رئيساً للوزراء (ومن بين الذين عارضوا عودته نظيف الشاوي وسعيد التكريتي ويوسف العزاوي (أبو يعقوب) وكانوا يقولون: – دعوا العراق هادئاً ولا تأتوا بنوري فإنه كالشرر ومثير للنار)، دعاني نوري إلى داره بالوزيرية، بواسطة فهمي، بعد عودته بأربعة أيام أو خمسة، واستقبلنا في غرفته الخاصة. وفي هذا الاجتماع أقنعنا نوري بأنه متفق مع طه، وفعلاً جمعنا بطه واستمرت الاجتماعات بيننا وأشركنا كامل شبيب فيها. وانحصرت هذه الاجتماعات على نوري وطه وفهمي وصلاح الدين حتى سقطت وزارة جميل.

وشبهت نوري بصورة ذلك الصيني، الذي ضحّى بنفسه وبسمعته، لينقذ بلاده. ذلك الوطني، الذي عرف كيف يتقرب إلى الانكليز حتى اكتسب ثقتهم، ونال بمساعدتهم أعلى المناصب وأرفع الألقاب، لكنه صار في نظر الشعب عدوه الأول، فتعطش للفتك به. ولكن الشعب يجهل، كما أن أفراد حزبه -ما عدا أربعة منهم- يجهلون، أن عدو الشعب وصديق الانكليز، ما هو في الحقيقة إلا رئيس الحزب الوطني الذي يفتك بالانكليز ويغتالهم ويهدد استعمارهم.

وحدثت نفسي قائلاً: لعل نوري مثل ذلك الصيني، ولعل ما كان بيني وبينه، ومابلغني عنه مجرد مظاهر، يلجأ إليها ليغش الانكليز، وليخفي عنهم حقيقة نفسه. ولكني، ندمت، إذ أقدمت على تجربة المجرب، وحق علي اللوم. فليهزأ بموتنا، جميل وزملاؤه من عسكريين ومدنيين، لأنهم نالوا انتقامهم، وليشمت بنا حسين فوزي وأمين العمري وزملاؤهما، وإننا لنستحق منهم ذلك. أما أتباع بكر صدقي، فقد استجاب الله دعاءهم، فجعل نوري وعبد الإله والانكليز هم الآخذون بثأرهم.

-خلاصة رأي نوري-

لم يخرج نوري عن رأيه، الذي سيرد في النقاط التالية، وكان يحاول بإصرار أن يقنعنا برأيه، أيام اجتماعاتنا في داره، التي حضر طه الهاشمي معظمها. أو أيام كان يتردد علي في دائرة الحركات، لأقنع حسين فوزي بدوري. يرى نوري أنه لا بد من الاحتفاظ بالمعاهدة العراقية البريطانية، ولا بد من كسب ثقة الانكليز، لذلك ينبغي:

١- قطع العلاقات مع ألمانيا وحلفائها وإعلان الحرب فوراً.

٢- استخدام فرقتين من الجيش العراقي للقتال في صحراء ليبيا، أو في البلقان تبعاً لما يقتضيه الموقف الحربي، يتولى صلاح الدين الصباغ قيادتهما.

٣- إرسال سماحة المفتي السيد محمد أمين الحسيني، إلى أمريكا ليتعرف على رجالاتها البارزين، وليكسب عطف الشعب الأمريكي.

٤- تصفية الحساب مع المعارضين من رجالات العراق.

وهنا، لا بد لي من أن أذكر، بأن نوري، أشار ونحن في داره، بأن روسيا ستغدر بألمانيا عاجلاً أو آجلاً. وأنها ستنحاز إلى جانب بريطانيا -كان مما قال، لما صعب عليه إقناعنا: لو كنت أعتقد أن بريطانيا ستخرج من هذه الحرب مغلوبة، لكنت أول من يشهر مسدسه

عليها. والله أعلم.

سألناه: وهل ندخل الحرب بجانب الانكليز، حتى لو دخلتها روسيا وإيطاليا واليابان بجانب ألمانيا، وكانت جيوشهم البعيدة لا تهدد العراق؟

أجاب: نعم.

قلنا: إن المغفور له الملك حسين، ما قام بثورته إلا بعد أن قطعت له بريطانيا عهوداً ومواثيق. مع العلم أن حالة العرب وموقف بريطانيا العام، كانا في الحرب العالمية الأولى، خيراً من حالتها اليوم. فهل ندخل الحرب، قبل أن تتعهد بريطانيا بحل المشاكل العربية القائمة عامة، وقضيتي فلسطين وسوريا بوجه خاص، وبمنح العراق استقلالاً ناجزاً؟؟؟

قال: لا يمكن مساومة بريطانيا، وأخذ العهود منها، وهي في حالتها الحاضرة، فلندع ذلك إلى ما بعد الحرب!

سألناه: ألا يخلي الانكليز فلسطين، والفرنسيون سوريا، لفرقتين من الجيش العراقي، نضيف عليهما فرقتين من الوطنيين هناك، فتدافع هذه الفرق الأربع عن فلسطين وسوريا، ضد أعداء الانكليز وأعداء الفرنسيين؛ وبذلك يتسنى لهؤلاء أن يستخدموا قطعاتهم المرابطة في فلسطين وسوريا للقتال في صحراء ليبيا أو في الجبهة الغربية.

أجابنا: إن هذا غير ممكن.

ثم سألناه: لماذا لا نتريث، فنرى ما يكون من أمر جاراتنا في الشمال والشرق، أو لماذا لا نقف على الحياد، وهذه إيرلندا تقف على الحياد، رغم وقوعها في قلب الجزر البريطانية، وموقفها أخطر لبريطانيا من موقف العراق ؟؟!

أجاب: إن إيرلندا، (دومنيون)، وللدومنيونات من الحرية في التصرف بشؤونها الداخلية والخارجية، ما ليس للعراق الذي يرتبط مع بريطانيا بمعاهدة.

ولما انعقد مجلس الدفاع الأعلى في وزارة الدفاع، قال رئيس أركان الجيش الفريق حسين فوزي، يسأل نوري:

– تقترحون يا باشا إرسال فرقتين من الجيش العراقي إلى البلقان، فلو مرت الفرقتان بحلب واستوقف الحلبي الجندي العراقي يسأله (خيو وين رايحين) فيجيبه العراقي «إلى البلقان نحارب الألمان» فماذا تنتظر من الحلبي إلا أن يقول: (الله الله خيو، وهذه سوريا وفلسطين)؟

فسكت نوري، ثم أجاب حسين فوزي بأن أحاله على التقاعد، هو وأمين العمري. وبذلك

فرّق بيننا، وبين هذين الصديقين، وأضاف على قائمة خصومنا خصمين وطنيين، ليسا كباقي الخصوم. فما إن أحيل أمين العمري على التقاعد، حتى طلب من طه الهاشمي، أن أحال أنا أيضاً إلى التقاعد، (أي اقتلوني واقتلوا مالكاً معي).

وفي اجتماع لنا بدار نوري، قلت أسأله «ولست أذكر إن كان طه حاضراً»: «لقد أوضحت لنا يا باشا، بأنك لاتنكر غدر الانكليز وظلمهم للعرب، ولكنك ترى بأنهم سينصفون العرب، إذا ربحوا الحرب. على أن الأكثرية الساحقة، لا ترى رأيك، بسبب الدور الذي لعبته بريطانيا لتهويد فلسطين. وبما أن الانكليز يعتمدون عليك، فإن باستطاعتنا أن نتحاشى الانقسام في صفوفنا، والخصام بيننا، إذا احتفظنا بإخوتنا جميعاً، واتحدنا سراً، وتعاونّا في الخفاء، ثم يتظاهر فريق منا بتأييد الانكليز، ويتظاهر فريق منا بتأييد المحور، بحيث نبدو للمراقبين أعداء لدودين. فنأمن شر الغاصبين، ونكون بجانب كلا الطرفين، ونكسب رضاهما معاً. إن طريقة (التقية هذه، يسلكها كل ضعيف وقع بين ظالمين أقوى منه، فأجابني نوري: لا، أنا أقاوم هذه الفكرة بكل قوة. أنا لا أريد أن تكون مقدرات البلاد بيد مثل أولئك الزعماء، الذين تعتقدون بوطنيتهم وحسن نيتهم، فهم عندي خلاف ما تعتقدون. (يريد بهذا أن يجرح من وطنية المفتي، بوجه خاص).

وتجب الإشارة بصورة خاصة، إلى قرار اللجنة القانونية التي تشكّلت، لتبحث في نصوص المعاهدة العراقية البريطانية، وما تضع على العراق من التزامات، في حالة دخول بريطانيا الحرب. تشكلت هذه اللجنة في تاريخ لا أذكره بالضبط، وأغلب ظني أنه كان بطلب رشيد عالي الكيلاني، لما كان رئيساً للبلاط الملكي، (وكان الوصي آنذاك على وفاق معه ومعنا). قررت هذه اللجنة (وقوامها قضاة وحقوقيون من الجانبين العراقي والبريطاني) بعد الدرس والتمحيص في نصوص المعاهدة، أنها لا تلزم العراق بإعلان الحرب على دول المحور، ما دام العراق نفسه، ليس مهدّداً بخطر. أما قرارها بصدد قطع العلاقات، فقد غاب عني. كما تجب الإشارة إلى بند ورد في المعاهدة العراقية البريطانية، يفيد أنه إذا حدث خلاف في تطبيق أو تفسير نصوص المعاهدة، تعهد القضية إلى لجنة تحكيم دولية.

مقابل هذا، نرى نبوءة نوري بصدد دخول روسيا الحرب ضد ألمانيا، قد تحققت. إلا أن إلحاح نوري، وتلهفه لإعلان الحرب على ألمانيا، لم يكن صادراً عن نظر بعيد، أو حنكة، فيما سيتطور إليه الموقف العالمي، وإنما كان المقصود منه، ارضاء بريطانيا فحسب. فقد اقترحنا عليه أن يتريث، حتى يتضح موقف روسيا. هذه الدولة التي يهمنا أمرها، بالنظر لموقعها السوقي المسيطر على الشرق الأدنى، ولأنها تقع على مقربة من العراق بصورة خاصة. أما

إيران، فجيشها لا وزن له، بالنسبة إلى قوى روسيا التي لا تصد، وما فيها من سيول بشرية جارفة. وكان اقتراحنا على نوري بالتريث، في زمن عالجت فيه بريطانيا سكرات الموت في الجزر البريطانية، واليونان، وصحراء ليبيا. وناوأتها روسيا، فنشرت الدعايات، وكالت لها التهديدات، ووصفتها بالرأسمالية الاستعمارية، وقد حدا موقف روسيا هذا، بكثير من الدول إلى التردد في تقرير سياستها، ومنها أمريكا بالذات. أما تركيا، فوقفت على الحياد، وعقدت مع ألمانيا ميثاقاً للصداقة، مع أنها كانت ملزمة بإعلان الحرب على ألمانيا، لما بلغت جيوشها الأراضي اليونانية، بموجب الاتفاق الذي عقدته تركيا عام ١٩٣٩، مع انكلترا وفرنسا.

يتّضح مما تقدم، أن رجاءنا لنوري (ولطه بعد نوري) بالانتظار ثلاثة أشهر أخرى (أي نيسان ومايس وحزيران من سنة ١٩٤١)، كان منطقياً وطبيعياً، بمثل تلك الظروف الدولية، وذلك المأزق الحرج الذي كانت فيه بريطانيا. وقد انجلى الموقف فعلاً في غضون الأشهر الثلاثة المذكورة، اذ كان الألمان على وشك الفراغ من حربهم في اليونان، لما اعتدى الانكليز على العراق، ثم وقع الاصطدام بين ألمانيا وروسيا.

فلو أن نوري، كان متأكداً من انتصار بريطانيا، لصبر وتأنى أشهراً معدودات، بدلاً من الالحاح والاصرار. ولو فعل، لنال من تعاوننا معه، أكثر مما يتوقع، ولوفرّ على نفسه مؤونة الرجاء. لكن نوري، كان يغامر برأيه، ويغامر ببلاده، ليرضي الانكليز. بذلنا جهوداً كبيرة، وقمنا بمحاولات عديدة، لجمع الكلمة بين هؤلاء السادة الثلاثة: نوري والمفتي وطه الهاشمي. ومن ذلك، أننا اقترحنا، أن يدعى شكري القوتلي، أو أن يعقد مؤتمر من رجالات البلاد العربية، ومندوبين عن ملوكها، لتقرير خطة موحدة حاسمة، تعيّن للبلاد العربية طريقاً تسلكه بمجموعها أيام الحرب، ولا ينفرد بلد منها برأي. ولكن تعذر علينا ذلك، لما يمتاز به نوري من استبداد في الرأي، وسعي إلى التفرقة، ولما ينفرد به المفتي، من حماس في الوطنية، فقد جعل ذلك بينهما نفوراً متبادلاً، أما طه الهاشمي، فيتصف بالمسالمة السلبية.

وهكذا، بقيت صفة القلق سائدة، فلا تستقر الأمور على حال، بل تراوحت بين مد وجزر، فكانت النتيجة سلسلة من المشاحنات والأحداث، بدأت باغتيال رستم حيدر. ثم زادت التفرقة والخصومات في الجيش، لما أحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، ثم ادّعى نوري من جديد، بأن وزارته لا تقوى على البقاء في الحكم، فأجبر رشيد عالي الكيلاني على قبول رئاسة الوزارة. ثم تدخل الوصي والانكليز في شؤون الجيش، فأجبر رشيد عالي على الاستقالة، ثم اسندت رئاسة الوزارة لطه الهاشمي، وانتهت هذه الأحداث باعتداء الانكليز على العراق، يشجعهم على ذلك افتقار الأقطار العربية إلى خطة موحدة، وسياسية تجمع بين زعمائها

وملوكها. فساروا منفردين، وتبنوا آراء متفرقة. فتحقق مأرب الانكليز، ونوري بن سعيد، والوصي عبدالاله، وأعوانهم الآخرين، الذين حرص الانكليز على خلقهم، منذ وطأت جيوشهم أرض العراق، ليكونوا رتلاً خامساً انكليزياً.

ليت فيصلاً كان على قيد الحياة، أو ليت نظام الحكم في العراق، كان جمهورياً يرأسه زعيم محنك محبوب، إذن، لسار بالعراق، على خطة موحدة، يقررها مؤتمر يمثل بلاد العرب كلها. ولما ابتلي الجيش، بطيش الوصي الغر، وبخصومته الرعناء، ولما استبدَّ نوري برأيه، وخلا له الجو، ولمن لف لفّه، من الانتهازيين، واتباع المستعمرين وبالتالي لما أقدم الانكليز على الاعتداء على العراق.

لمّا كان طه الهاشمي وزيراً للدفاع في وزارة نوري بن سعيد، طلب إليَّ أن أقدم له ضابطاً موثوقاً، يحمل كتاباً منه، إلى السيد شكري القوتلي، فكان ذلك. لكنه لم يخبرني بمحتويات ذلك الكتاب. وبعد مدة، شرّف بغداد زائران، هما السيدان جميل مردم بك وسعدالله الجابري، فزارا اخواني، وتركا في داري بطاقتيهما، لأنهما لم يجداني فيها. فأعدت لهما الزيارة في الفندق، يرافقني آمر فوج الحراسة المقدم صالح زكي الطائي، وجرى بيني وبين السيد صبيح نجيب، حديث أغاظ السيد توفيق السويدي. اتصل السيدان جميل مردم بك وسعدالله الجابري، خلال اقامتهما في بغداد، بكل من نوري وطه والمفتي، وقد لاحظت، أنهما يميلان إلى الانكليز بعض الميل. وتطوّع نوري بن سعيد، بنقل تفاصيل محادثاته معهما إلينا، فكان يفصح لنا ما يريد، ويكتم عنّا مالايريد من الأحاديث، التي كانت تدور بينهم.

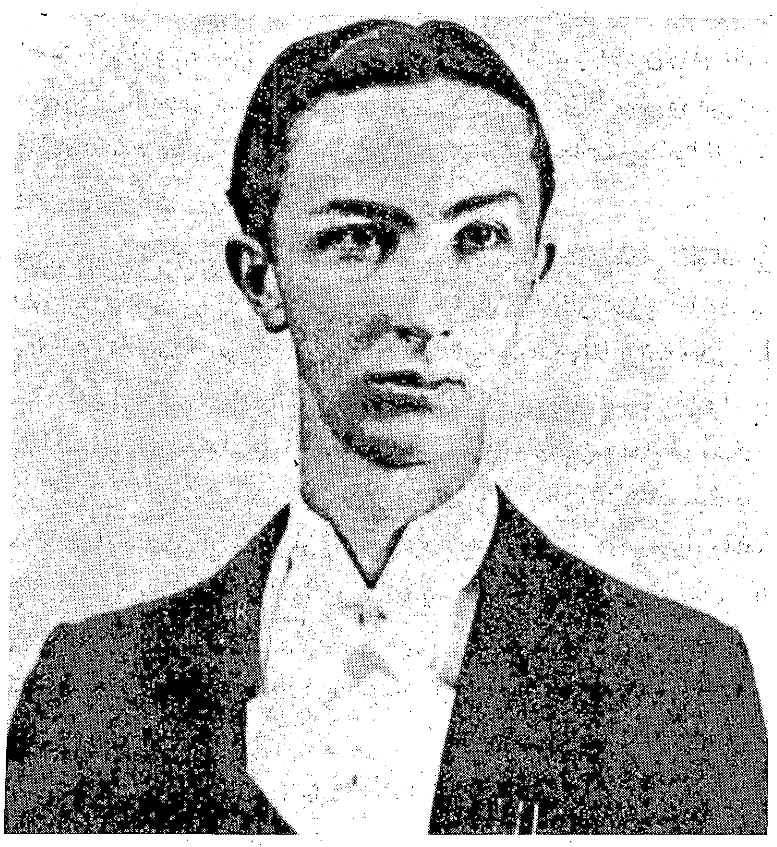
أوقفني فوزي القاوقجي ذات يوم، وأنا في طريقي إلى معسكر الرشيد، حيث مقر فرقتي، وكانت داره على ذلك الطريق. قال إن السيدين جميل مردم بك وسعد الله الجابري، يريدان مقابلتي على انفراد في داره، في اليوم التالي. وفي الموعد المحدد، قابلت السيد جميل مردم بك (أما سعدالله الجابري فكان غائباً)، ودار الحديث بيننا، حول اعلان الثورة السورية والترخيص لفوزي القاوقجي بإثارتها، وحول اشتراكي أنا وإخواني معهم في هذا الرأي. فأجبته «إن الأمر منوط بكم، أما نحن فسيّان عندنا، أن تكون الثورة في سوريا أو في فلسطين. ولا يهمّنا إلا اتفاق الآراء بين زعماء هذين البلدين، وبين طه ونوري، فدونكما إيّاهم، ونحن على استعدا للعمل، بما يجتمع عليه رأيكم. أقول هذا بالنيابة عن اخواني أيضاً».

لم يكن نوري عالماً بما عند فوزي القاوقجي من أسلحة وذخائر حربية، فقد كنا نكتم هذه الأمور كلها عن نوري وأمثاله. وأغلب الظن، أنه لم يتوصل إلى ذلك، إلا بعد أن اتصل به السيدان جميل مردم بك وسعدالله الجابري، إذ يحتمل أنهما حدثا نوري بما عند فوزي،

ويدفعني إلى هذا القول، أن نوري بعد أن اتصل بالسيدين المذكورين، أخذ يسألنا عن فوزي، ويراوغ في حديثه معنا، ويغمز إلينا عن حركاته. خاصة بعد أن أخبره أقرباؤه من صغار الضباط، بالنشاط الذي يقوم به فهمي سعيد وكامل شبيب، وإشرافهما على تدريب المجاهدين من أحرار فلسطين، تدريباً عسكرياً، يجري بصورة سرية في معسكر الرشيد، بل وفي دار فهمي أيضاً.

بعد هذا، أخذ الانكليز علماً بالأمر، وبلغهم خبره، لكننا لم نعرهم اهتماماً، واستمر تدريب المجاهدين الفلسطينيين، فكظموا غيظهم ولم تبدر منهم بادرة.

الوطنية والاستعمار لا يأتلفان، ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان



الوصي عبد الإله

ملحق رقم -١-

السيد عز الدين الشوا، شاب شجاع، نبيل، يتكلم الفرنسية بطلاقة، والانكليزية، وهو من آل الشوا، المعروفة من غزة بفلسطين. وهو من المجاهدين، الذين أبلوا بلاءً حسناً في سبيل عروبة فلسطين. عرفت هذا العربي، بواسطة الدكتور أمين رويحة، يوم كان صديقي فوزي القاوقجي وغيره، يتابعون جهادهم في فلسطين، وكنت أنا واخواني من ضباط العراق، نمدهم سرّاً بما يتيسر لدينا من سلاح وعتاد. وكنت اسلم السلاح والعتاد للسيد عز الدين الشوا مباشرة، وكان ذلك يجري بصورة سرية، فلم يعلم به أحد وكتمنا الأمر حتى على قادتنا، وعلى ياسين الهاشمي، أخي طه. ثم زادت هذه الامدادات، بعلم من وزير الدفاع طه الهاشمي، ورئيس أركان الجيش حسين فوزي، ومعاون رئيس أركان الجيش ومدير الحركات (أنا)، واستمرت الامدادات، حتى توقف القتال في فلسطين، حين لجأت بريطانيا إلى فتح باب المفاوضات، وتوسط ملوك العرب وزعماؤهم بالأمر.

عاد صديقي فوزي القاوقجي الي العراق مرة اخرى، وكان معه بعض المجاهدين (وأنا أنادي فوزي القاوقجي بكلمة «يوزباشم » وهويجيبني بمثلها. فقد كان فوزي القاوقجي برتبة رئيس خيال في الجيش العربي السوري، وكنت معه في كتيبة واحدة وأنا برتبة ملازم) بانتظار نتيجة المفاوضات الجارية في لندن، والتي اشترك فيها نوري بن سعيد (طبعاً)، وتوفيق السويدي عن العراق، وممثلون عن الدول العربية، وعن فلسطين باسم زعيمها، ثم أسفرت فيما بعد، عن الكتاب الأبيض الذي نشرته بريطانيا. ولما كان من المنتظر، أن لاتتمسك بريطانيا بوعودها للعرب كعادتها، بعد أن أخمدت نار الثورة، فقد قمت بتجهيز فوزي سراً، بألف بندقية ومائة ألف اطلاقة وألف حقيبة وتجهيزات أخرى مما يحتاج إليه الجنود. وقد سلمت السلاح والعتاد المذكور بتوقيعي، وبموافقة طه الهاشمي، على أنه امدادات لعشائر الحدود في منطقة الفرقة الثالثة، ثم سلمتها إلى فوزي القاوقجي، مع مقدار من الدنانير، بحضور المجاهد النبيل (استاذي) السيد عادل العظمة.

والسيد عادل العظمة، استاذي بالفعل، فقد كنت من صغار تلاميذه الذين درسوا على يده التاريخ، لما كان معلماً في مدرسة السلطاني ببيروت. وكنا ننظر إليه بعين الاحترام، لما كان

يتـحـى به من خلق وعطف وحـشـمـة، في لبـاسـه وحـركـاتـه، وكـانت طريقـتـة فـي إلقـاء الدروس مؤنسة طليّة. ثم كبرت منزلته في عيوننا أضعافاً، لما علمنا بأنه عربي. وفي أواخر عام ١٩١٣، غـاب هذا المعلم عن المدرسـة، فـمـا عـدت أراه، وكنت لا أدري من أي بلد هو، ولا أعـرف اسم عـائلتـه. بعـد خـمسـة وعـشـرين عـامـاً، مـررت بدمـشق، وأنا اشـغل منصـبـاً ممتـازاً في الجـيش العـراقي (في أواخـر عـام ١٩٣٨)، وكـان يرافقني اللواء اسمـاعيل نامق، في طريق عـودتنا من أنقرة حيث اشـتركنا فـي مراسم تشـييع جنازة مـصطفى كمـال أتاتورك. فدعانا السـيد شكري القوتلي، ذلك اليوم إلى الغداء في داره، حيث تشرفنا بلقاء عدد من علية القوم وأرباب العروبة، منهم الأخ المجـاهد النبـيل السـيـد نبيـه العظمـة، الذي عرفـتـه في بغـداد، يوم كـان الفـرنسـيـون يطاردونه في عـهـد الثـورة السـورية الكبرى. وقد ارتبطنا وفـهـمـي معناً، بمـيثـاق الاخـوة الوطنيـة، وأنا أجهل أنه الأخ الأكبر لاستـاذي، الذي كان من بين المدعوين أيضاً. ولولا إنـي سمـعت نبرات صـوته صدفـة، فتأملت حـركاته، التـي أخذت تمس ذاكـرتي، ولولا أن الاجتمـا ع، كان وديّاً أخـويّاً تطرق الحـديث فـيه إلى الاعـمـار، فكانت المداعبـات اللطيفة المعتـادة، وذكـر فيـه اسم «عـادل» أثناء الحديث، لما تمكنت من تذكر استـاذي، ولبـقـيت أحـاول ذلك عبثـاً، وأنا أراجـع صـحـائف المـاضـي، فـأقلبـهـا وأتلمس مـابـقي من آثارهـا، بـعـد أن مـرّ عليـهـا ربع قـرن كـامل تبـدلت خـلالـهـا المـلامح والأشكال. وتقدمت من استـاذي، وأخـذت يده وصـافـحتـه، مـصافـحـة تلميذ وفـيّ يشـعـر بالمنة، لمن علمّه حروفاً لاحرفاً، فعرفني الاستاذ وابتهج بلقائي. لكنه خسر الرهان في الاعمار إزاء شكري القوتلي على ماأذكر ..

فـدّون إذا مت، مـا تـعلمــه عن اخـوانك في العـراق وكن عـادلاً، لأن التـاريخ ظالم يمـالئ القوي.

ثانياً :

احالة حسين فوزي، وأمين العمري، على التقاعد

كان السيدان ابراهيم كمال وصبيح نجيب، وهما من الوزراء السابقين، في عداد الذين القي القبض عليهم، بتهمة الاشتراك في اغتيال رستم حيدر، بناءً على افادة القاتل. وكان ابراهيم كمال، مسجوناً في معسكرات قوات فهمي سعيد، وكان فهمي يتردد عليه، وكنا نناقش القصد من اعتقال هذين السيدين، والدافع الذي يدفعهما إلى الاشتراك في اغتيال رستم حيدر. فقد كان أحرى بهما، أن يشتركا في مؤامرة لاغتيال نوري، لأن قتله أنفع لهما من قتل رستم. ولأننا كنا - باستثناء محمود سلمان الذي لايعرفهما - أعلم الناس برأي هذين السيدين عن نوري، وبأي منظار ينظران إلى جميل الملقب بالمدفعي، بعد أن اتصلا بنا في عهد وزارة هذا الأخير. على أن الذي أثار إستغرابنا، هو ما كان من زيارات نوري لابراهيم كمال في سجنه بين الحين والحين، يتفقده على انفراد، فلايدري أحد ماذا يدور بينهما. وبعد مدة، اخلي سبيل هذين السيدين، بعد أن مُسّت كرامتهما وكرامة غيرهما على حساب الجيش، أو بالأصح على حسابنا نحن. فقد أصبح الجيش بمثابة السجن، وأصبحنا بمثابة السجانين. وزاد من كراهيتهم لنا، اعتقادهم بأننا آلات بيد طه ونوري، وخدم لديكتاتوريتهما.

شُنق قاتل رستم حيدر، بحضور العقيد سعيد يحيى الخياط، بصفته عضواً في المجلس العسكري، وبحضور المدعي العام وغيره، فحدثنا سعيد يحيى وقد استولى عليه العجب، لأنه من أصدقاء نوري، قال إن القاتل كان يصيح بأعلى صوته في ظلام الليل:

- «نوري . . نوري . . أنت الذي أغريتني، أنت الذي وعدتني، وأنت تشنقني؟ آه نوري آه. . ».

في تلك الأيام عقد مجلس الدفاع الأعلى(١) جلسة بتاريخ ١٣ شباط ١٩٤٠، في وزارة الدفاع. حضرها طه ونوري، ووزيزان آخران، وكان ماكان، من جواب حسين فوزي رئيس أركان الجيش، الذي أتيت على ذكره في مكان آخر، فلزمت الصمت في هذا الإجتماع، وتركت الكلام لحسين فوزي، ليجيب نوري ذلك الجواب، الذي ينطوي على العاطفة الإسلامية، والحب لإخوانه العرب. فأكبرت أقواله وأفعاله.

وما مرّ على هذا يوم واحد، حتى دعانا نوري للعشاء في داره، وكان ذلك على ما أذكر، مساء الرابع عشر من شهر شباط عام ١٩٤٠. فاجتمعنا في دار نوري أنا وفهمي وكامل ومحمود سلمان واسماعيل نامق وسعيد يحيى الخياط. ولوّح نوري في عرض الحديث، إلى ضرورة تخلّي وزارته عن الحكم، لأنه يشعر بضعفها وعدم قدرتها على البقاء في سدة الحكم، بعد أن خسرت رستم. لذلك فقد إتفق مع طه، على اسناد رئاسة الوزارة إلى رشيد عالي الكيلاني، على أن يصبح هو وزيراً للخارجية ويبقى طه على رأس الجيش، حيث هو.

سأله فهمي إن كان جاداً في قوله، فأجاب نوري بالإيجاب. قال فهمي:

ـ ماهذا ياباشا؟ إنه أمر لم يكن بالحسبان ومفاجأة لاندري ماذا نجيبك عليها. أنت تعلم لماذا أسندت رئاسة الوزارة إليك، وكيف تم ذلك. لقد ألبّنا علينا بسبب ذلك، خصومات كنا في غنى عنها، ولم يبق وزير سابق لم يناصبنا العداء هو وأتباعه. فكأن عداوة أتباع بكر صدقي لا تكفينا .فإذا كنت وطه قد قررتما هذا القرار، بدون أن تذكرانا، وما قطعتما لنا من عهود، فالأمر أمركما، وللبلاد ولنا، رب يعيننا ويحمينا، وليس عندي ماأقول غير هذا. أما إذا كنتما تريدان رأينالتسيرا بهدي الأكثرية، فأنا لا أرى أي دليل على ضعف وزارتكم. وقد جابهت مصاعب وصدمات كثيرة، فلم تزعزع قيد شعرة، وكان أهم هذه المصاعب موت غازي. أما مجلس النواب والأعيان، فيؤيدانكما كل التأييد، ولا ينافس نفوذكما في البلاد منافس. أما أتباع بكر صدقي فقابعون، وأما جميل وزملاؤه، فصامتون بعد أن قلّمت أظافرهم، وكسرت شوكتهم .

ولا يوجد في مثل الموقف العالمي الراهن، رئيس للديوان الملكي، أفضل من رشيد عالي الكيلاني، ما دامت الأمور(على ما يقول نوري)، بعهدة شاب قليل التجربة، حديث العهد بإدارة شؤون الملك. لاأدري ماذا يرى اخواني لكن رأيي الشخصي الذي لاأحيد عنه، هو عدم الموافقة

(١) – كان الموقف العالمي كما يلي: روسيا تقف بجانب ألمانيا سياسياً وتقف على الحياد عسكرياً وتقتسم بولونيا مع ألمانيا وتحارب فنلنده. ألمانيا تدهش العالم باكتساحها لبولونيا بمعداتها الجهنمية وجيوشها الجرارة، ولا تعرف وجهة غزوها المقبلة. تركيا متفقة مع الانكليز بموجب الاتفاقية المعقودة بتاريخ ١٩/١٠/١٩٣٩. دول العالم كلها مترددة بسبب موقف روسيا.

على هذا الإقتراح بتاتاً.

وما سكت فهمي، حتى علت الأصوات بتأييده. والتفت نوري إلي، إذ رآني ساكتاً من دونهم، فسألني:

ـ وأنت ياصلاح ماقولك ؟

قلت: الأمر الوحيد الذي حيرني ياباشا، هو قصر أعمار الوزارات في العراق، إذ حاز قصب السبق بين دول العالم في هذا المضمار. فكل وزارة تقوم، تأتي بمنهاج، وتزعم أنه يدر على البلاد ذهباً وهاجاً، ولكن الوزارة تسقط، قبل أن يجف المداد على منهاجها، فتأتي أخرى بمنهاج غيره، وتزعم أن المنهاج الأول كان ملحاً أجاجا. لاأدري، هل الإنكليز هم السبب في عدم الإستقرارهذا؟ فإذا لم يكونوا هم السبب، فما تخشون ، ومالذي جعلكم تشعرون بضعف وزارتكم، التي يؤيدها رشيد عالي الكيلاني، والوصي، ومجلسا الأمة والجيش.

أخذ نوري يقلب مسبحته بين كفيه، ويتلاعب بألفاظه، ويأتينا بحجج تافهة. منها أن وزارة يرأسها رشيد، وتضمه هو وطه، ستكون أقوى من وزارته الحاضرة، على مجابهة الموقف العالمي وتطوراته، بتأييد رشيد وجماعته. وغير ذلك من الأعذار الواهية، التي تخفي نواياه الحقيقية. فما كان من فهمي، إلا أن قطع عليه كلامه وقال:-

– (خطّية) على البلاد وعلينا ياباشا، واللـ...ـه (خطية)، أن تجعلونا ضحايا لسياستكم ووعودكم، ونحن لا نعرف غاياتكم. إن الفأس سوف تقع على هذه الرأس، على رؤوسنا ياباشا ... وأنتم دائماً على ساحل السلامة ... (خطية والله خطية) ... ونهض فهمي وقصد الباب مسرعاً فصاح الباشا:

– فهمي، إلى أين .. تعال .. قلت لك تعال يافهمي، فهمي!. ولكن فهمي راح تاركاً الاجتماع، ودار نوري، والعشاء.

ومن حق فهمي أن يبلغ به التأثر هذا المبلغ، وهو الذي يعلم كم حرّضنا نوري، على اسقاط وزارة جميل، ليكون هو رئيساً للوزارة، فيطبّق مافي جعبته من مشاريع وأعمال جبارة، تدعم استقلال العراق، وتخدم بلاد العرب وتحقق وحدتها !! وأنه متآزر مع زعماء البلاد العربية، وأنه وطه، سيسدّان الفراغ الذي تركته وفاة المغفور له الملك فيصل الأول، مازلنا نحن بجانبهما، ونمنحهما تأييدنا. ومن حق فهمي أن يتأثر، وهو الذي سمع نوري يلقي خطابه من محطة الاذاعة، بعد أن قتل غازي (كنت أنا وفهمي مدعوين للعشاء في دار رستم حيدر لما ألقى نوري خطابه) ذلك الخطاب الهتلري، المشحون بالتهديد والوعيد، لكل من تسوّل له نفسه

القيام بأي عمل ضد حكومته وسياستها، التي يؤيدها الجيش العراقي المحبوب وقادته المخلصون (على حد قول نوري).

لماذا شعر نوري بضعف وزارته؟ هل كان يخشى الاغتيال، كما إغتيل رستم حيدر؟ لا، لأنه اشترط أن تسند إليه وزارة الخارجية في وزارة رشيد، ومن أجل هذا كان ماكان مما سيأتي بيانه.

لماذا شعر نوري بضعف وزارته؟ إنه سر لا يعلمه غير نوري والانكليز، وخطة مرسومة سار عليها نوري منذ أن عرف بين العرب. فنوري، لا يقر له قرار، إلا بعد أن ينفث شرره ويضرم النار، لكنه يدفع غيره ليكون وقاداً لناره أو وقوداً لها، وهكذا يحترق بناره الأخضر واليابس، وهو على التل جالس. أراد نوري أن يقطع العلاقات السياسية مع ايطاليا، وأن يعلن الحرب على دول المحور، لكنه كان يخشى سخط الشعب وغضبه إن هو فعل. ولمس ذلك في تجربته الأولى حينما قطع العلاقات مع ألمانيا فجأة، فأثار غضب رؤساء الجيش، مثل حسين فوزي وأمين العمري. ولما كان هذان على اتصال برشيد عالي الكيلاني، ولما كان لرشيد عالي الكيلاني بعض التأثير على البلاط، لذلك رأى نوري أن يتولى رشيد عالي رئاسة الوزارة ليجابهه بأحد أمرين: فإما أن يوقد رشيد النار ويتحمل المسؤولية، أو أن يختار الاصطدام بالانكليز، أو بالشعب والجيش. عندئذ تتمهد الفرصة لثعلبيات نوري، ويشرع في تطبيق حلوله.

بعد يومين، دعانا نوري إلى الاجتماع في داره مرة أخرى، وكان طه الهاشمي واسماعيل نامق خاضرين. فأثار نوري الموضوع عينه، وأيده طه بأن الوزارة ضعيفة، لكننا لم نجد سبباً مقنعاً، وأخيراً قلنا لهما: «إذا كنتما تريان أن لا مندوحة للوزارة من الاستقالة، وأنها ضرورية، فليكن ماتريدان ونسأل الله خير العاقبة». أما فهمي، فقد لزم جانب الصمت طوال هذه الجلسة.

وفي الثامن عشر من شهر شباط عام ١٩٤٠، جمعنا الفريق حسين فوزي رئيس أركان الجيش في داره، أنا وأمين العمري، واسماعيل نامق وعزيزياملكي، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، ومحمود سلمان(١) وطرح حسين فوزي علينا نبأ استقالة وزارة نوري بن سعيد فتظاهرنا بأننا نسمع هذا الخبر للمرة الأولى، وأضاف حسين فوزي أن المرشح لتشكيل الوزارة هو رشيد عالي الكيلاني. أما نقطة البحث فتدور حول فرض نوري على رشيد عالي ليشركه في الوزارة، أو إطلاق الحرية لرشيد عالي الكيلاني ليختار وزراءه كما يريد.

(١) – لست متأكداً من حضور محمود سلمان هذا الاجتماع ولعله كان ابراهيم الرواي، لا محمود سلمان.

أغلب الظن أن حسين فوزي، لم يعلم بنيّة نوري، في الاشتراك في الوزارة المقترحة إلا بعد أن أفضى له بذلك طه الهاشمي أو رشيد عالي الكيلاني. فقد كان بين حسين فوزي وأمين العمري من جهة، وبين رشيد عالي الكيلاني من جهة أخرى، صلات وزيارات. وكان حسين فوزي كثيراً ما يشيد أمامي بذكر رشيد عالي الكيلاني، ويصرّح بصداقته له. أما أمين العمري، فكان همّه الوحيد وشغله الشاغل، أن يتولى قريبه مصطفى العمري وزارة الداخلية.

ولما كنا على بيّنة من رأي نوري وطه في هذه الاستقالة، وعلى قناعة بأن حسين فوزي وأمين العمري لا يميلان إلى نوري ولا يحبذان اشتراكه في الوزارة، لذلك اقترحنا عدم التدخل، وأن نقف على الحياد فلا نؤثر على حرية رشيد عالي الكيلاني في الاتفاق مع نوري وطه. وانتهينا إلى إقرار هذا الاقتراح، بعد أن جرى التصويت عليه وجاز الأكثرية (انظر الملحق -٢-)

بعد أن قدم نوري استقالة وزارته للوصي بيوم أو يومين، جاء طه العاشمي إلى دائرته بوزارة الدفاع لمزاولة أعماله كالمعتاد، وكان ذلك يوم ٢٠ شباط ١٩٤٠، فأرسلت له مع العقيد الركن نور الدين محمود، مدير شعبة الحركات، جداول طلبات الأسلحة، ليوقعّ عليها كي ترسل بنفس اليوم إلى السفارة البريطانية بصورة مستعجلة لكن نور الدين محمود عاد بعد دقائق فقال لي:

- رأيت طه باشا منفعلاً متأثراً، وقد رفض التوقيع على الجداول قائلاً ليوقعها وزير الدفاع الذي سيخلفني.

ثم سألني نور الدين محمود: ماذا جرى، هل سقطت الوزارة؟

فلم أجبه بل أخذت منه الجداول وذهبت لطه بنفسي فقلت له:

- هذه الأوراق مستعجلة ياباشا وقد طلبتم انجازها ليصير إرسالها اليوم. ثم قلتم لنور الدين محمود بأنكم لا تريدون التوقيع عليها وليوقعها من يخلفكم، كيف يكون ذلك وهو خلاف ماكان مقرراً.

فابتسم طه بمرارة وأجاب: أنتم لا تريدون اشتراكنا في وزارة رشيد عالي الكيلاني.

قلت: من قال ذلك ياباشا ومن نقله لكم عنا؟ لقد عقدنا بالأمس اجتماعاً في دار حسين فوزي، قررنا فيه عدم التدخل والوقوف على الحياد، بعد أن أكدتم لنا رغبتكم بالإشتراك في وزارة رشيد عالي. نحن إذاً لم نغير رأينا، بل أنتم غيرتم رأيكم. نرجوا أن نقف على حقيقة الأمر ياباشا، وأن نكتشف العوامل الخفية التي تلعب من وراء الستار، دون أن نعلم عن

أمرها شيئاً . ويهمنا كثيراً أن لا تقفوا منا مثل هذا الموقف.

فأجاب: سأنظر في الموضوع وأخبركم.

ثم وقع على الجداول وانصرفت من عنده، وطلبت كامل شبيب وفهمي سعيد، فأخبرتهما بالأمر، واستولت علينا الحيرة من هذا الإنقلاب المفاجيء. فلما انتهى الدوام الرسمي، وكان العصر، دعاني طه الهاشمي إلى مقابلته فوراً في داره الواقعة في شارع الأعظمية.بدا على طه اضطراب وتأثر عظيم وبادرني بقوله:

ـ علمت ياصلاح أن الذي يمانع في إشتراك نوري في الوزارة المقبلة هوحسين فوزي، ولا أدري إذا كان يقصدني بذلك أنا أيضاً. وإني وإن كنت قد عقدت العزم على الإنسحاب وعدم الإشتراك في الوزارة المقبلة، فأنا لا أتوقع أن يكون حسين فوزي قد قصدني ايضا. لذلك ارجو أن تذهب اليه فتقف منه على الحقيقة بنفسك.

ماكان لطه أن يكلفني بهذه المهمة لولا ثقته بصداقتي، لكنها مهمة شاقة وتكليف صعب، فقد أصبحت بين صديقين عزيزين يهمني الاحتفاظ بهما معاً. ذهبت وأنا ادعوالله أن لا أجد عند حسين فوزي ما يعارض قراراتنا، التي اتخذناها قبل يوم واحد فاستقبلني بوجهه الباش وحميميته التي اعتاد أن يستقبلني بها.

فلما قدمت القهوة سألني حسين فوزي: ماذا وراءك ياصلاح الدين؟

قلت: لقد أرسلني طه باشا إلى حضرتك ياباشا. وعسى أن ما نمي لسمعي مخالف للحقيقة، فأنتما عزيزان عندي معاً. لقد بلغ طه الهاشمي أنك تمانع في اشتراك نوري في الوزارة المقبلة، ولكنه لا يدري إذا كنت تقصده بذلك أيضاً.

سكت حسين فوزي ملياً، وحسين فوزي هادئ الطبع لا يدخن إلا إذا كان متأثراً. ونفض رماد سيكارته، ثم أجابني بكلمة موجزة ونبرة قاطعة:

– نعم ياصلاح الدين، وطه أيضاً.

– لكن كيف يكون ذلك ياباشا وبالأمس اتفقنا على خلافه؟

– صلاح الدين، إن البلاد لن تستريح إذا بقيت بأيدي هؤلاء الرجال.

– ولكن طه ليس مثل نوري ياباشا، وقد وقعت الآن في محنة، لأنكما صديقان لي ... فما أقول لطه؟

– قل له ماقلته لك.

ودخل السيد علي أبو الماي (أو أخوه الدكتور)، وهو يمتّ لحسين فوزي بصلة القرابة، فقال له: - مرافق الوصي يطلبكم على الهاتف.

وبعد دقيقة عاد حسين فوزي فقال لي:

- الوصي يدعوني ياصلاح الدين، وسأذهب إليه الآن.

قلت: - وهل انقل لطه قولك ياباشا؟

قال: - نعم ياصلاح.

وافترقنا وكان ذلك فراقاً بيننا إلى اليوم. وأسفي إذ خسرت صديقاً لم أر منه غير الطيب، وفقدت قائداً انسجمت وإياه طوال الفترة التي عملنا فيها سويةً، في سبيل طه وحزب طه.

عدت إلى طه، وأنا أتأبط أسوأ الأخبار، وألعن الساعة التي غدوت فيها ضابطاً في جيش هذه البلاد، التي حارت بين الاستقلال والاستعمار، وأصبحت مسؤولاً وأنا في منصبي الممتاز، في دور يصعب التمييز فيه بين العدو والصديق. وفي الطريق قررت أن ألزم جانب طه، بعد أن خالف حسين فوزي وأمين العمري ما توصلنا إليه من قرارات، اتفقنا على التمسك بها بالأمس القريب.

نقلت له الفقرات الأخيرة من حديث حسين فوزي، نقلتها له بشكل مقتضب بدون أن اتطرق إلى مادار بيننا من أخذ ورد بالتفصيل. فثار ثائر طه وقال ووجهه يقطر غضباً:

- إذن لن تستقيل الوزارة، بل ستبقى في الحكم وأنا ذاهب إلى الوصي، وخرجنا معاً، أنا أقصد البيت، وطه قصر الرحاب. وفي الطريق ملت على دار فهمي، فأخبرته بما حصل وكان صبحي العمري حاضراً.

قال فهمي: هذا ما توقعناه، وستهب عاصفة أخرى، لن تقع عواقبها إلا على رؤوسنا، ولا حول ولاقوة إلا بالله.

رافقني صبحي العمري إلى داري وقال: أتريد أن أخابر مرافق الوصي عبيد المضايفي وأخبره بأن الجيش لا يتدخل في مسألة الوزارة.

قلت له: افعل.

فأخذ الهاتف وفعل، فرد عليه المرافق بأن رئيس أركان الجيش موجود عند الوصي. فلما قاربت الساعة الثامنة مساءً دق جرس الهاتف في بيتي، فجاءني صوت يقول:

- صلاح، أنا نوري. أرجو أن تأتي إلى داري حالاً. فالجماعة بانتظارك.

دخلت بيت نوري، رأيت اجتماعاً قوامه طه الهاشمي، واسماعيل نامق، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، وسعيد يحيى الخياط، وكانوا جميعاً بانتظاري على أحرّ من الجمر، فبادر نوري بقوله:

- صلاح الدين، لقد قابل حسين فوزي الوصي، وألح عليه باسم الجيش أن لا يوافق على اشتراكي أو اشتراك طه في الوزارة. وقد طلبنا سحب استقالة الوزارة من لدن الوصي، لكن الوصي متردد من تدخل الجيش، فهل لك أن تذهب إلى الوصي، فتؤكد له بأن الجيش لا يتدخل في المسألة، وبأن مسعى حسين فوزي وأمين العمري ماهو إلا مسعى شخصي؟

أجبته: نعم أذهب.

فأخذ نوري الهاتف وحدّث مرافق الوصي، وتلقى الجواب بالموافقة، وبأن الوصي بانتظاري.

وإذ أنا على وشك أن أغادر دار نوري، دخل صبحي العمري وقال بأن أمين العمري أصدر أمر الانذار لقطعات الفرقة الأولى، فقلت لصبحي: وكيف تركت كتيبتك إذن، وكان عليك أن تبقى على رأسها، قال: لا بأس من ذلك، سأذهب بعد قليل.

وفي الوقت نفسه، حدثني آمر فوج الحراسة في وزارة الدفاع المقدم صالح زكي الطائي(١) فقال لي بأنه تلقى من أمين العمري أمراً بأن يكون في حالة الانذار، وعلى استعداد لتلقي الأوامر. فقلت له:

- أجل كن في حالة الانذار وعلى استعداد لتلقي الأوامر مني، لأنك مرتبط بي مباشرة لابقطعات أمين العمري، وعليك أن تتصل بي، فلا تنفذ أمراً إلا بموافقتي. فأجاب: أمرك.

ورجوت من إخواني الحاضرين أن يكونوا جميعاً على رأس قطعاتهم، كما طلبت من صبحي العمري أن يكون على رأس كتيبته.

سألني الوصي عبد الاله، إن كان رئيس الأركان يعبّر في طلبه عن رأي الجيش أم عن رأيه الشخصي، فأجبته: لقد قرر الجيش أن لا يتدخل، وتوصل إلى هذا القرار باتفاق الأكثرية فاسألوا القادة الموجودين في بغداد إن شئتم.

(١) - المقدم صالح زكي الطائي صديقي منذ الصغر وصديق فهمي في الدراسة التحق بالجيش العراقي عام ١٩٣٠ أو بعد ذلك تاركاً خدماته في الجيش التركي، وهو في الموصل وفيها ولد، صالح زكي شجاع عربي الشعور، وأصله من قبيلة (طي).

سألني: - وماهو رأي القادة البعيدين عن بغداد؟

فأجبته: - ليتصل سموكم إذا شاء بأمين زكي قائد الفرقة الثانية في كركوك، وبقاسم مقصود قائد المنطقة في الموصل، وبابراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة في الديوانية.

قال: - لا حاجة للاتصال بالديوانية والموصل، بل سأكتفي بالاتصال بأمين زكي في كركوك.

قلت: - ارجو أن تذكروا له ياسيدنا بأنني الآن عند سموكم، وأن تشيروا إلى اسم طه وتشرحوا له الموقف باختصار.

وإنما سألت الوصي أن يشير إلى اسم طه لأني كنت أعلم أن أمين زكي لا يخرج عن رأي طه الهاشمي. ثم اتصلت بمعسكر الرشيد، ودعوت اسماعيل نامق إلى الحضور وفهمي معه.

واتصل الوصي بكركوك على مسمع مني، وكان جواب أمين زكي أنه يمتثل لأوامر سموه، وأن مسعى حسين فوزي وأمين العمري صادر عنهما شخصياً، أما هو فلا يرى خيراً من طه الهاشمي لوزارة الدفاع.

ثم حضر اسماعيل نامق وفهمي سعيد، وكان معهما محمود سلمان على ما أذكر فتأكد الوصي منهما، ثم عدنا بعد ذلك إلى دار نوري، فما وصلناها، حتى كان الوصي قد استدعى نوري لمقابلته. وعاد نوري بعد نصف ساعة، فأعلن أنه سحب استقالته.

أغلب ظني أن رشيد عالي الكيلاني كان غائباً عن القصر خلال هذه المباحثات أو جالساً في حجرة أخرى. وأغلب ظنّي أن الوصي استدعى حسين فوزي مرة أخرى، وأخبره بالموقف، لكنه بقي على اصراره.

أخذ نوري يلح على طه بضرورة احالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، ونحن حاضرون.

ثم قال له أخيراً:

- أخي طه، إذا لم توافقني على هذا فأنا مغادر العراق في التوّ واللحظة. فما كان من الحاضرين إلا أن تدخلوا، ووقّع طه على صورة المسودة التي طبعها أحمد المناصفي على الآلة الطابعة، ووقعها بعده نوري بصفته رئيساً للوزراء، ولا أدري من حملها إلى الوصي، أهو نوري أم طه، إذ أنني غادرت الدار إلى وزارة الدفاع.

رأيت صبحي العمري قد سبقني إلى وزارة الدفاع، وعلى وجهه إمارات الكآبة والخيبة. فسألته:

- مالي أراك هنا ياصبحي، لا على رأس كتيبتك؟

قال: - عدت من دار نوري، فإذا بالكتيبة قد تحركت إلى معسكر الوشاش عن طريق الأعظمية بقيادة الرئيس محمود خورشيد(١) المعين في مدرسة الخيالة بأمر من أمين العمري.

قلت: وكيف يأتي ضابط من خارج كتيبتك فيقودها من دونك، ويخرج أمرها من يدك: مع أنك أنت آمرها؟

قال: - ألا تعلم أن عيبي الكبير هو أني سوري؟ وأن الدعاوة السيئة ضدي وضد محمود الهندي، تستند على هذا الأساس، فتجعلنا مكتوفي الأيدي دائماً.

لا أذكر من حمل لي الإرادة الملكية بإحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، فلما تسلمتها لم أطق صبراً، ولم استطع كتمان تأثري لإبعاد هذين الصديقين من الجيش، فحدثت أمين العمري بالهاتف، وكان في داره محاطاً بجمع من الضباط الانتهازيين.

قلت: - أهذا ماكنت تسعى إليه ياباشا، لقد ناصبتنا العداء بين عشية وضحاها ونحن اخوانك، كي تحصل على قدم سنة وبضعة دنانير على راتبك. ها أنك قد أحلت على التقاعد، كما أحيل رئيس أركان الجيش، وهاهي الإرادة الملكية قد وصلتني الآن.

أجابني: - على التقاعد؟ ... سأريكم ياخدّام عبدة الكراسي والخونة.

قلت: - أنكون اخوانك قبل يوم، ونغدو الآن خداماً لعبيد الكراسي؟ آسف جداً ياباشا، ولك أن تفعل ما تشاء، مادام هذا رأيك.

هرع أمين العمري إلى معسكر الوشاش ليقصفنا بمدافعه، ويثير حرباً بين الأخ وأخيه، وتبعه رئيس أركان الجيش، فما كاد يصل حتى تلقى من الوصي نبأ إحالته على التقاعد بالهاتف، فانسحب من المعسكر، وعاد إلى داره دون أن ينبس ببنت شفة، سوى قوله لمن كان حوله من الضباط «أردت الخير لبلادي والآن ينتهي واجبي» ذلك أن حسين فوزي نبيلٌ في أخلاقه.

بقي أمين العمري مصّراً يفاوض طه بالهاتف، وطه ينصحه ويهون الأمر عليه، وأنا أسمع مايدور بينهما، وكان صوت أمين يخفت وحدّته تخف، كلما انفض من حوله الانتهازيون

(١) - هذا الضابط كردي، وكان جندياً من جنود الليفي ثم نقلت خدماته إلى الجيش العراقي بعد أن رفع الانكليز رتبته إلى ملازم.

... متسللين إلى وزارة الدفاع ليسردوا أمامي أعذاراً منتحلة بعد أن يؤدوا تحية عسكرية رشيقة التطبيق. فمن قائل أنه لا يعلم شيئاً غير أنه تلقى أمراً بالحضور إلى معسكر الوشاش. ومن منتحل عذراً غيره من الأعذار التي يتخلق بها المرتزقة وطلبة العيش بمختلف الوسائل.

وابتسمت بمرارة وأنا أسمع آخر شروط أمين العمري، وهو أن يحال صلاح الدين على التقاعد معه، فكأنه يعني اقتلوني واقتلوا مالكاً معي ... فلما رفض طه ذلك، تنازل وأذعن تماماً. وقد صغر أمين في نظري، لما سمعت شرطه الأخير هذا(١)

فالله يعلم، وهو شاهدي، أن تأثري بفقد هذين الصديقين الوطنيين، فاق كل تأثر، فقد كان إبعادهما عن الجيش، خسارة كبيرة، أورثتنا بغضاء جديدة، فوق بغضاء جميل وجماعته وزملائه وأمثاله. وبغضاء جماعة بكر صدقي من ضباط و وزراء . وشعرنا مراراً بالفراغ الذي أحدثه في صفوفنا ابتعاد هذين الصديقين، واسفت على ذلك مراراً.

لم يكن كل هذا في سبيل نوري الخائن، ولا في سبيل رأي نوري، كما قال أمين العمري، بل كان في سبيل طه ونزولاً عند إرادته. فقد كان علينا أن نختار بين طرفين، فرجّحنا طه لاعتقادنا بأنه أنفع للبلاد.

وفي ليلة واحدة نال نوري ما تمنّاه، وأثبت قوة مركزه لدى عبد الاله، وسطوة وزارته

(١) يعلم طه كما يعلم أمين بأن لي في ملفات الإدارة بوزارة الدفاع قدم سنة واحدة، بقيت محفوظة دون أن أتمتع بها كما أراد أمين أن يفعل. وكنت حاضراً عندما قال طه الهاشمي لأمين العمري في دائرته بوزارة الدفاع قبل هذه الحادثة بقليل أن تقديم الترفيع سنة واحدة يفيدني أنا أيضاً بقدر ما يفيد أمين. إذ يؤهلني إلى رتبة أعلى فوراً، لو أنني طالبت به وكان من حقي أن أفعل.

ولو أن الوصي عبد الإله وجميلاً الملقب بالمدفعي، راجعا مدة خدماتنا في الجيش ومقدار ما نملك من أموال بعد أن صودرت، ولو أنهما تذكرا أولادنا الذين تركناهم وراءنا، لأننا لا نملك ما يكفيهم لو أخذناهم معنا، لكان خيراً لهما من التسرع ورمينا بالطمع والجشع.

ومن بعدنا أعطيت الرتب إلى غير أهلها بلا حساب، ومرافقا الوصي عبيد المضايفي وعبد الوهاب، خير مثالين على ذلك، لأن خدمتهما في الجيش العراقي لا تبلغ نصف خدماتنا أو ثلثها، ومن شاء الاطلاع على قابلياتهما وثقافتهما العسكرية، فليراجع سجلات الإدارة.

أما نحن، فلو جمعت أموالنا كلها، لما قوّمت نصف دار جميل الواقعة على دجلة في العيواضية، وأظن أن جميلاً تأكد من ذلك بعد أن صودرت أموالنا. لذلك أصبحنا خونة طامعين وأصبح وطنياً أصيلاً ... وأصبحت (أنا الدخيل) غنياً.

وما أدانونا إلا ليستروا أطماعهم، وليمحوا كل سعي وطني، وليقضوا على كل عائق يقف أمام مصالح بريطانيا.

خلافاً لما كان يزعم من ضعفها. مما دل أن لنوري اتجاهات خفية غير هذا الاتجاه. أما رشيد عالي الكيلاني، فقد زاد إصراراً على اصرار بعد هذه الحادثة التي ذهب صديقه حسين فوزي ضحية لها، لأن رشيد، لا يرتاح لاشتراك نوري في وزارته. وأغلب الظن أنه كان على اتفاق مع حسين فوزي وامين العمري بهذا الصدد، والله أعلم. ومن حق رشيد عالي أن يرفض رئاسة الوزارة، وأن يكتفي برئاسة الديوان الملكي، وهو يرى الذين آلت إليهم رئاسة الجيش من بعد حسين فوزي، قد أعلنوا ولاءهم لطه الهاشمي، وطه معجب بنوري، لا يخرج عن امره. فإذا قبل رشيد عالي برئاسة الوزارة، اصبح ألعوبة، يحركها نوري من وراء الستار، فيوجهه كما يحلو له وكما يختار.

وبعد يومين جاء إلى مقر عملي العقيد الركن (فريب)، وهو رئيس ركن الجنرال وترهاوز، وكنا نتبادل الصداقة العربية البريطانية، فهنّأني ثم اشار إليّ بسبابته، وقال:

-أنتم..أنتم...

قلت: -مالك يافريب وعلام تهنئني؟

فهز رأسه وهمهم ثم قال: كان قد نمي الينا أن بمقدوركم أن تفعلوا ما تشاؤون، لكننا لم نكن نتصور أنكم تتقنون حرب الصاعقة بهذه السرعة، فلا ينبلج الصباح حتى تكون الغيوم قد انقشعت، والأمطار قد انقطعت، والجو قد راق بعد أن كان مكهربا. أين حسين فوزي وامين العمري وعزيز ياملكي؟

فاجبت: وأنا أتساءل مثلك... عليك بوزير الدفاع، وبرئيس الوزراء نوري، فاسألهما عنهم.

قال: -نحن على بيّنة من الأمر، ولكن ليكن كما تشاء..

كان السرور ظاهراً على العقيد فريب، وكذلك كان رفاقه. ولطالما شعرت بالأسف لذلك.

وفي اليوم نفسه، جاء محمود سلمان قائد القوة الجوية، ومعه فهمي، فقال لي ضاحكاً: أتدري مالقبنا عند الانكليز؟

قلت: -لا

قال: -انه «المربع الذهبي المتوج»(١)... يقصدون بالمربع، نحن الأربعة، وبالتاج، طه الهاشمي.

سألته: -ومن قال لك ذلك؟

(١) - THE CROWNED GOLDEN SQUARE

قال: -العقيد (كالي) مفتش القوة الجوية، قال لي هذا الصباح «كنا نتوقع أن يكسب المربع الذهبي وتاجه المعركة، وأن يفعل مايريد، متى شاء».

كان محمود يحدثني مبتسماً، وكان فهمي يضحك مما يسمع، فقد تقبلا أقوال الإنكليز على ظاهرها وببساطة، أما أنا فتقبلتها باشمئزاز ومرارة.

قلت: ومتى كان الذهب عندنا؟ لله در الإنكليز ماأدهاهم، رد الله كيدهم إلى نحورهم، فما قولهم هذا الاّ سهما صوّبوه الينا. انهم يطعنون بنا يا محمود، ولايمتدحوننا بهذا اللقب. وقانا الله شره.

ونقل محمود حديث اللقب إلى طه ونحن عنده نضحك.

لكن هذا اللقب نشر في الجرائد وتردد في الاذاعات البريطانية، بعد أن اعتدى الانكليز على حقوق العراق. وترجمت عبارة «المربع الذهبي المتوج» بعبارة اخرى هي «حاملو اكياس الذهب»!

-الوطنية والاستعمار لايأتلفان، ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان-

ملحق رقم -٢-

بعد أن استقالت وزارة جميل المدفعي، اتفق كل من نوري وطه ورستم، على تخويل الجيش صلاحية ابداء الرأي في كل أمر يتعلق باستقالة الوزارات، وقيامها، وفي انتقاء رؤسائها. وكان نوري يقول، أنه إنما خولنا هذه الصلاحية لأننا نحن الأربعة، وإخواننا في الجيش، تحمّلنا جميع المصاعب، ووقفنا أمام جميع التيارات، بصدر رحب. إلا أن حقيقة ماكان يدور في خلد نوري، هو ابقاؤنا آلات في يده، لأن طه الذي نتمسك به كان مأخوذاً بسحره. لذلك كان نوري يجمعنا سراً بدون علم حسين فوزي وامين العمري، لابل إنه أخفى بعض اجتماعاتنا عن طه بالذات. فكنا نحيط طه علماً بها، على الرغم من نوايا نوري الخفية.

فلما تقدم نوري باستقالته، جمعنا حسين فوزي في داره، استناداً إلى قرار نوري وطه ورستم الآنف الذكر، وكان المجتمعون هم أمين العمري واسماعيل نامق وابراهيم الراوي وفهمي سعيد وكامل شبيب وعزيز ياملكي وصلاح الدين الصباغ. وجرى الاتفاق، على أن تكون أصواتنا حرة، لا تتأثر بالمنصب والرتبة، كما هو الأمر في القواعد العسكرية، التي تقضي باعطاء الكلمة للآمر، وفرض الطاعة على المأمور. فيكون لكل عضو من المجتمعين صوت واحد، بدون تفريق بين رئيس ومرؤوس، كذلك جرى الاتفاق، على أن يعطى كل قائد، يوجد في بغداد عندما تعقد مثل هذه الاجتماعات، حق الاشتراك بها، واعطاء صوته. وهكذا اصبح رأي أكثرية هؤلاء الاعضاء هو رأي الجيش.

الملحق رقم -٣-

العميد طه الهاشمي واسماعيل نامق وكامل شبيب وفهمي سعيد ومحمود سلمان وسعيد يحيى الخياط، جميعهم يشهدون، كيف كان نوري يتوسل الينا، لابل يلح علينا، أن نقنع رشيد عالي الكيلاني بقبول رئاسة الوزارة.

وكان طه يؤيد فكرة نوري هذه، رغم معارضتنا لها، بدعوى ضعف الوزارة بعد رستم. وكان فهمي معارضاً قوياً، يترك العشاء ويغادر الاجتماع، دون استئذان.

كانت هذه الحادثة هي السبب في احالة حسين فوزي، وأمين العمري على التقاعد، فاصبحنا ضحية لألعوبة نوري، المقررة في صلب الخطط البريطانية. وكان نوري يزعم أنه سيصبح مطلق اليد بعد إزاحة هذين الرجلين من طريقه، وأنه ستخلو له الدار.

نعم يانوري، لقد ضعفت وزارتك بعد اغتيال رستم حيدر. فقد كان رستم حيدر ضحيتك، وضحية الوصي، بسبب اطلاّعه على تفاصيل مقتل غازي، وبسبب اطلاعه على دسائسك التي أقرها اسيادك في خططهم. كان لابد من اغتيال رستم حيدر، لأنه حدّث صلاح الدين الصباغ، وقصّ له نبذاً عن اجرامك يانوري. ومنها تلك الأمور التي اعترف بها قاتل رستم حيدر، وهو عند المشنقة يصيح: «أين الوعد يانوري .. لقد وعدتني بخير الجزاء .. أهذا جزائي بعد أن قتلت رستم؟» إنك أنت القاتل يانوري، ليس القاتل ابراهيم كمال ولا صبيح نجيب. إنك أنت القاتل، لأنك شريك القاتل. ويشهد سعيد يحيى الخياط ومن كان معه، أنه لما وضع حبل المشنقة على عنق القاتل أخذ يصيح: «نوري، نوري، نوري، لقد خدعتني يانوري، وعدتني بأن تنقذني يانوري، يجب أن تشنق معي يانوري، لأنك شريكي».

ماأكثر العرب الأحرار الذين أرقت دماءهم يانوري، إن أرواحهم لتلعنك وتلعن آلك. وما أكثر العرب الأحرار الذين سوف تريق دماءهم يانوري، ما زال أسيادك هم الانكليز، وما زال عمّالك هم الانانيون، الفرديون، الخائنون.

شهادة رقم (6)

في الصحافة

كتب السيد علي محمود الشيخ :

٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ - في الساعة الرابعة بعد الظهر من اليوم الأول من تشرين الأول سنة ١٩٤٠ شوهد المقدم عبد القادر حسين آمر معتقل ابي غريب، ومعه عدا سيارته، سيارتان عسكريتان مشحونتان بكوكبتين من الجنود المنتقين من الحرس الملكي في طريق الفلوجة ميممين شطر الرمادي، ولم يعرف أحد بالضبط الهدف الذي يهدفون اليه. وفي اليوم الثاني جاء الجند الموكلون بحراستنا وهيأوا غرفة كانت خالية لضيف جديد قيل أنه صلاح الدين الصبّاغ الذي نشرت احدى صحف اليوم أن الحكومة التركية قررت تسليمه الى الحكومة العراقية. ان هذا الخبر سبق أن سمعناه من قبل، حين همست الأوساط العراقية بعد عودة عبد الاله ومروره بتركيا بزيارة رسمية لها حيث أنه فاتح بشخصه رئيس الجمهورية التركية بشأنه وانه كان قد وعده بتلبية رغبته تدعيما للصلات الودية بين البلدين والى اليوم لم نسمع شيئا، ولم نر شيئا، وان كان من المحقق لدينا أن صلاح الدين اليوم، اما أنه في يد الحكومة البريطانية في سوريا، واما أنه في يد الحكومة العراقية. وقضية التسليم لاتخلو من اما أن تكن مقيدة بشرط الابقاء على حياته واما أن لاتكون... ففي الأولى لايكون الشرف التركي معرضا للخطر، وان كان العمل من شأنه أن ينقص من بهائه

وروعته، ولكن في الحالة الثانية تكون تركيا قد داست بقدمها على شرفها بتسليمها لاجئا سياسيا الى المشنقة، وما أدرانا فلعل مقاييس الأخلاق قد ضاعت من الدول كما قد ضاعت من الأفراد...

٤ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ – في مساء أمس شوهد المقدم عبد القادر حسين في بغداد حيث عاد من سفرته من دون أن يكون معه- صلاح الدين- وفي صباح هذا اليوم نشرت بعض الصحف ومنها -صحيفة الساعة- و -النداء – أن السلطات التركية سلمت الى بريطانيا في حلب العقيد صلاح الدين الصبّاغ أحد أتباع رشيد عالي والذي له ضلع كبير في ثورة العراق عام ١٩٤١، أما جريدة -الأخبار- فإنها علقت على الخبر بقولها أن السلطات العراقية قد تسلمت العقيد منذ يومين، وأما جريدة البلاد فقد نشرت البرقية هذه مضافا اليها العبارة الآتية: وعلى أثر اجتياز الحدود السورية فقد اختفى العقيد، وقد أعلنت مكافأة مقدارها ٥٠٠ جنيه لمن يعطي معلومات تؤدي إلى القبض عليه، إن مصدر البرقية دمشق. فيُرى مما تقدم أن الأقوال بشأن تسليم العقيد واختفائه متضاربة ولا بد أن الأيام المقبلة ستكشف لنا عن السر.

٦ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ -عادت الصحف المحلية وأعلنت أن السلطات المختصة قد عثرت على العقيد صلاح الدين وأعادت اعتقاله وأنها معتزمة تسليمه الى السلطات العراقية في أقرب وقت.

٧ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ -بعد ظهر اليوم جيءبصلاح الدين.

هبطت طيارة بريطانية في مطار الحبّانية الانكليزي وكان من جملة حمولتها هو وحراسة الانكليز، والسيد أحمد الراوي وزير العراق المفوض لدى الحكومتين السورية واللبنانية، ومن هناك استلمته قوة عراقية مؤلفة من الحرس الملكي بقيادة عبد القادر حسين وعند استلامه خلع الجند ملابسه وألبسوه ملابس السجناء وقيدوا رجليه ويديه وعصبوا عينيه."

١٢ تشرين أول سنة ١٩٤٥ - في ظهر هذا اليوم زار المعتقل مدير السجن في بغداد يصحبه طبيب السجن وقد زارا صلاحا في غرفته كما أنهما قد جاءا بكمية من الغذاء له، وقالا ان الغذاء سوف ترسله ادارة السجون له يوميا.

١٦ تشرين أول سنة ١٩٤٥ - انتهى فى فجر هذا الصباح صلاح، ولكن ذكراه سوف تبقى عالقة في أذهان الأجيال القادمة.

ومنذ أن حلّ بين سمعنا وبصرنا لم يلاق من القائمين بالأمر الا عنتا وارهاقا. ان البناية التي نقيم فيها قديمة خربة وأكثر غرفها لاتصلح للسكنى، صحيح أن بعضها قد رمم أخيرا، ولكن هذا البعض هو الذي نقيم نحن فيه بالفعل، أما الذي بقي خاليا فقد ظل على قِدمه وعلى خرابه، وفي هذا البعض القديم الخرب خصصت غرفة الى صلاح ليقضي بها أخريات أيامه.

نام على الأرض الا حصيرة كانت متروكة لدى الشابندر، وأغطية بالية قذرة مدت عليها، وبطانيتان مهلهلتان التقطتا من هنا ومن هناك، هذا كل فراشه في غرفة فيها نافذتان صغيرتان في أعلى جدرانها، عاريتان من الزجاج، وبين الجدران والسقف فجوات كبيرة تضطرب فيها الرياح حرة طليقة.

لم يحلق في غضون الأيام الثمانية الا مرة واحدة تحت اشراف عريف السجن ولم يسمح له أن يستحم ولا مرة واحدة برغم طلبه المتكرر.

وإن يديه ورجليه كانت مغلولة ولم تفك عن يديه الأصفاد الا في فرصة تناوله الغذاء، لم يبرح غرفته ولم يعرض نفسه لأشعة الشمس ولا لحظة واحدة، مع أن المحكومين بالاعدام لهم في كل يوم ساعات معينة يسمح لهم فيها أن يتنفسوا الهواء الطلق، ويعرضوا أبدانهم لحرارة الشمس ولكن صلاحا، الصبور القوي الارادة لم يأبه لهذه التوافه وكان يتلقى الصدود

عن تلبية مطاليبه بشجاعة قلب ورباطة جأش.

كنا كلما تمر الأيام كلما كان اعتقادنا بنجاته من الموت يزداد لأن رفقاءه من قبل لم يمهلوا أكثر من سبع ساعات بعد نطق المحكمة بالحكم، واذا كان قد تأخر تنفيذ الحكم في كامل الشبيب عدة ثلاثة أيام فذلك لأن الأمير كان في الصيف ولم يصل بغداد حتى أصدر إرادته بالتنفيذ وسرعان مانفذ في الليل، وفي أول ليلة يستقبل بها المسلمون شهر رمضان المبارك. فمرور الأيام اذن من دون أن نحسّ أن فيها حركة تشير الى تنفيذ الحكم برغم وجود الوصي في العاصمة كان علامة خير. سيّما اذا أضيف الى ذلك احتمال أن تركيا لم تقدم على تسليمه الا بعد أن أخذت ميثاقا من الحكومة العراقية على أن تبقي على حياته.

ولكن في مساء أمس تبددت كل هاتيك الظنون والآمال.

لقد تبين أخيرا أن سبب التأخر لم يكن الخلاف على التنفيذ أو عدمه، وانما على كيفية التنفيذ، ثم تغلب الرأي الأخير وتقررت علانية التنفيذ.

وفي المساء أعطيت لصلاح أوراق ليكتب فيها وصيته.

ولما كان الوقت ليلا ونظره لايساعده على الكتابة فقد أملى وصيته التي استغرقت صفحتين كبيرتين كاملتين على الملازم عدنان محي الدين.

ونظرة واحدة الى مندرجاتها تبين مبلغ متانته واحتفاظه بهدوئه ورصانته، فقد كانت عباراتها متناسقة ومعانيها منسجمة والروح التي أفرغت فيها عالية سامية.

انه خاطب فيها أبناءه أن ينشأوا على الفكرة القومية، وأنه لاطفهم بعبارات رقيقة في شيء كثير من الدعابة والمرح، وأن لايدخلوا المداخل التي حرمتهم من عميدهم من دون أن يفيد منهم أو يفيدوا منه. انه شدد من عزائمهم وأمرهم بأن لاييأسوا من رحمة الله ولا من عطف رجالات العرب في

المستقبل، وأنه في الأخير أعلمهم بأن ميتته شريفة ومن أجل أغراض شريفة وغايات نبيلة، ثم أنه نصحهم بأن لايقيموا في العراق، وأن يختاروا صيدا مقاما ومستقرا.

ومن بعد ما أنهى وصيته طلب مقابلة الوصي للمرة الأخيرة فاسعف طلبه وأخذ الى قصر الرحاب وظل هناك مايقارب الساعة ثم أعيد الى غرفته وكانت المقابلة غير مجدية.

وبعد أن استقر في غرفته دخن سيكارة واحدة ثم استسلم لنوم هادىء هنيء كأن لم يكن هناك شيء ينتظره.

لقد عمنا الحزن والأسى على مصير فتى من فتيان العرب لم يفكر الا في حرية وطنه. ولم يكن يعمل الا لخير القضية التي استشهد من أجلها الكثيرون من قبل.

زمن تنفيذ الإعدام

في الساعة الثالثة أيقظه الحراس، وطلبوا اليه أن يتهيأ لمغادرة المكان، طلب اليهم أن يمهلوه دقائق معدودات ليتوضأ ويصلي فلم يمهل، والتمس منهم أن تعطى له فرصة خاطفة لتوديع رفقائه الذين حلوا في هذا المعتقل فلم يسعف.

أعجلوه في ارتداء ملابسه ثم عصبوا عينه ثم أحاطت به كوكبة لتقوده الى السيارة التي نقلته رأسا الى نيابة وزارة الدفاع في بغداد. ولما نزلوا به الى الأرض وأودعوه في غرفة من الغرف القريبة من الباب وهناك رفعوا

عن عينيه العصابة ونزعوا من رجليه القيود وأصلحوا ربط يديه استعدادا للشنق في محضر من بعض الضباط.

وحين شعر بأن الشنق سيكون علنا أبدى أسفه بكلمات نارية.

لم يطلب شيئا ولم يختلف وضعه ولم يختل توازنه.

وأوصى بأن يكون مرقده الأخير مع مراقد اخوانه الذين سبقوه في الشهادة وبعد أن شرب كوبا من الماء تقدم الى المشنقة بقدم ثابتة وارادة تقدر معنى الرجولة والشرف والتضحية في سبيل المبدأ الكريم. .

لم تـُجرَ له المراسيم الدينية حيث لم يُحضروا له عالما دينيا يقوم بهذه المهمة. ولم يأتوا له بابنه نزار الذي مازال معتقلا في سجن الكوت ليقابل أياه المقابلة الأخيرة وكان من الميسور استقدامه الى بغداد وهذه ليست منّة وانما هي واجبٌ قانوني.

في تمام الساعة الرابعة علا المشنقة التي كانت قد نصبت في باب وزارة الدفاع ولم يرفع الا بعد أن دقت الساعة التاسعة، وبعد أن مر أمامها الوصي في موكبه الى البلاط، لقد اجتمع حول جذعه خلق كثير أكثرهم حزانى. وهكذا القدر قد كتب في لوحه أن صلاحا يهوى العلا في الحياة وفي الموت، ففي ذمة الله والتاريخ .

علي محمود الشيخ

ثالثاً

كيف وافق الكيلاني على تأليف الوزارة

رئيس الوزراء ووزير الداخلية بالوكالة



رشيد عالي الكيلاني



وزير المالية * ناجي السويدي



وزير العدلية * علي محمود الشيخ علي



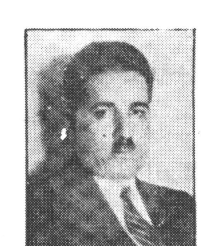
وزير الدفاع* ناجي شوكت



وزير الخارجية * موسى الشابندر



وزير المواصلات والاشغال * محمد علي محمود



وزير الاقتصاد * يونس السبعاوي



وزير الشؤون الاجتماعية * رؤوف البحراني



وزير المعارف * محمد حسن سلمان

وزارة الكيلاني

- رأي الكيلاني -

سكت نوري عن نغمة استقالة وزارته زمناً، أُنجزت خلاله بعض التعديلات في قيادة الجيش: فقد أُسندت وكالة رئاسة أركان الجيش، لأمين زكي الذي كان قائداً للفرقة الثانية. لأن النظم العسكرية لا تسمح باسناد هذا المنصب أصالةً إلاّ للضباط الأركان، وأمين زكي ليس منهم. وقد رشحه طه، لأنه كان يتلو حسين فوزي في القدم، بين القادة الذين بقوا على رأس الجيش، كما أن طه كان يعتمد على أمين زكي فأثار ذلك امتعاض ابراهيم الراوي، الذي كان يتوقع أن يكون هو المرشح للمنصب باعتباره أقدم ضابط ركن بعد حسين فوزي أما أمين زكي واسماعيل نامق، فإنهما ليسا من الضباط الأركان، وإن جاء قدمهما بعد حسين فوزي مباشرة. وبقي ابراهيم الراوي يعاتبنا على ذلك، واسندت قيادة الفرقة الثانية إلى قاسم مقصود، الذي الذي كان آمراً لمنطقة الموصل.

واسندت قيادة الفرقة الأولى التي شغرت باحالة أمين العمري على التقاعد، إلى كامل شبيب الذي كان آمراً للواء الأول في الفرقة الثالثة.

ولم يمض زمن على هذه التنقلات، حتى دعاني طه، وقال لي، أنه يرجح أن أتسلم قيادة الفرقة الثالثة، وهي والفرقة الثانية أقوى فرقتين في الجيش، من حيث العدة والعدد (التسليح والموجود). فرجوت من طه أن أبقى في وظيفتي مديراً للحركات، ومعاوناً لرئيس أركان الجيش، لأنها أعم من قيادة الفرقة، ولانني أشرف بواسطتها على شؤون الجيش بمجموعه، وعلى حركاته كلها. فابتسم طه وقال: «أنا أسدّ فراغك، وأريدك أن تكون على رأس الفرقة» فلم أجد بداً من الاذعان، بينما كان الكثير من اخواني، يفضلون لي االبقاء في منصبي، لأشرف على الجيش كله.

واسندت مديرية شؤون الدفاع إلى اسماعيل نامق. وقد استحدثت هذه الوظيفة، للإشراف على دائرتيّ الادارة والميرة، في وزارة الدفاع

. كان من نتيجة هذه التنقلات، أن ارتفعت سيطرة طه الهاشمي على الجيش إلى الأوج، وصار القادة جميعاً رهن اشارته. ولكن طه، كان مأخوذاً بسحر نوري، فكأنهما كانا متعاهدين على الأخوة.

وما أنجزت هذه التعديلات، واطمأنّ نوري على الموقف، حتى عاد إلى موضوع استقالة الوزارة، وأخذ نوري وطه والوصي، يرددّون ويعيدون،أنه من الضروري أن تؤلف الوزارة برئاسة رشيد عالي الكيلاني. ولكن الكيلاني، كان يصر على الرفض ولا يلين. فما كان من

نوري، إلا أن راح يطلب إلينا، أن نزور رشيد عالي الكيلاني، ونقنعه بقبول رئاسة الوزارة، وكان يقول أنه وطه سيكونان مع رشيد على اتفاق تام، وأنهما حريصان على تجنب الإختلاف بينهما وبينه. فكنا نذعن لرغبتهما تارة، ونتردد تارة أخرى، تاركين التقرير لهما، كي لانشرك في المسؤولية.

وأخيراً تولى المفتي اقناع رشيد عالي الكيلاني، ولست أدري من الذي استعان بالمفتي، ليقوم بهذه المهمة، أهو نوري أم طه. وجمعنا المفتي في داره وراح يقنعنا بأن رأي الكيلاني سيكون موافقاً لرأينا ورأي طه تمام الموافقة. وبأن الكيلاني سيكون معنا قلباً وقالباً، وأن تولي رشيد الكيلاني لرئاسة الوزارة، سيؤمن للبلاد حكومة قومية وطنية، تستطيع الوقوف أمام التطورات العالمية، ومعالجتها. ويريد الكيلاني مقابل ذلك، أن يتأكد من مساندة الجيش له، وأن تكون يده مطلقة في إدارة دفة الحكومة، لأنه لايطيق أن يكون ألعوبة بيد الغير.

ثم جمعنا المفتي مرة أخرى، وكان رشيد عالي حاضراً، فقال: - إخواني، أنا واثق من وطنية الجيش الجارفة، وثقتي هذه، هي التي تجعلني أفضل البقاء في البلاط الملكي، على تولي رئاسة الوزارة. ثم إنني مطلع على بعض المسائل المراد حلها بما لا يتفق مع رأيي، مما سيدفعني إلى الاستقالة كرهاً أو بالقوة(١) - أو إلى النزول عند إرادة أحد أعضاء الوزارة، فتهدر بذلك كرامتي وتضيع سمعتي في الأمة والجيش. وأنا واثق كذلك من استقامة طه ووطنيته، وطه أخي، لأني أخو يس الهاشمي. لكني مع ذلك، أريد منكم عهداً تقطعونه على أنفسكم، بأن تلزموا جانب الحق، وأنا مستعد للإصاخة إلى الحق، وللنزول عند رأيكم، عندما أزوغ عن الحق.

لكل وزارة خطة تنظم سيرها، ورئيسها هو المسؤول الأول عن ذلك. والخطة الرئيسية التي أريد أن تسير عليها وزارتي بمثل ظروف الحرب الحاضرة هي:

١- المحافظة على صلاتنا التقليدية مع الانكليز، على أساس المعاهدة العراقية الانكليزية.

٢- عدم التساهل تجاه المطالب الانكليزية، التي تخرج عن نصوص المعاهدة، إلا ماكان فيه مصلحة مشتركة للطرفين، بالنظر لما تتطور إليه حالة الحرب، أو كان فيه ضمان لاستقلال العراق الناجز، ووحدة العرب واستقلالهم، خاصة فلسطين وسوريا، على أن تعطى في ذلك عهود ومواثيق رسمية.

٣- تزويد الجيش العراقي بالسلاح من أي مصدر كان، وعدم التردد في هذا الأمر أبداً،

(١) - كان الكيلاني يغمزنا بقناته.

مادام الانكليز لا يتمكنون من تجهيزنا بما نحتاج إليه من سلاح.

فجيشنا بحكم الأعزل، لأن سلاحه القديم لا ينفع في الحروب العصرية، بينما يجب أن يكتمل في هذه الآونة تسليحه، وأن يقف على أهبَة الاستعداد.

٤- النظر في أمر إعادة الانتخابات العامة، على أساس يؤمن للمجلس النيابي أعضاء أحراراً، يمثلون الأمة ويعبرون عن رأيها، لا عن رأي الحكومة التي تكون في دست الحكم، ولا يكتفون برفع الأيدي بالموافقة دون مناقشة.

على هذه الخطة، أريد أن أسير، ولن أحيد عنها قيد شعرة، فإذا اتفقتم معي فهذه يدي أمدها لكم، وسماحة المفتي هو كفيلي، وإني اقسم على ذلك، مقابل عهدكم لي بأن تلزموا جانب الحق. إن الوصي ونوري، وطه، اتفقوا معي على هذه الأسس، فإذا توثقت منكم وقطعتم لي عهداً بأن تلقى هذه الخطة تأييدكم فإنني سأقبل رئاسة الوزارة حالاً، متكلاً بعد الله عليكم.

قال فهمي: رشيد بك. لسنا صنائع بيد أحد، كما يظن بعض رجال العراق مع الأسف، فسر على بركة الله وفق الخطة التي رسمتها، تجدنا معك لا كإخوان فحسب بل كخدم. ونحن هذا رأينا مع كل من يقول قولك، ويقرن القول بالعمل، ولايبتغي غير مرضاة الله وخير الأمة. وهذه أيدينا، والله يشهد على مانقول، إننا سنؤيد كل سائرٍ على هذه العقيدة، مترفعٍ عن استغلالها لنفعه الشخصي وأنانيته.

كانت هذه أول مرة نقابل فيها رشيد عالي الكيلاني، وقد أطلعنا فيها على رأيه وأطمأنت إليه نفوسنا.

تألفت برئاسة رشيد عالي الكيلاني وزارة قومية قوية، قلما شهد العراق نظيراً لها في عهد فيصل الأول، ولم يشهد مثلها بعد ذلك العهد أبداً. فقد اشترك في هذه الوزارة، أربعة من رؤساء الوزراء السابقين، هم ناجي السويدي، و ناجي شوكت ورشيدعالي الكيلاني، ونوري بن سعيد . وأربعة آخرون من الوزراء السابقين، هم طه الهاشمي، ورؤوف البحراني، وعمر نظمي، وصادق البصام . ومما يلفت النظر من حيث الانسجام بين أعضاء هذه الوزارة، أن ناجي السويدي و ناجي شوكت، اشتركا في الوزارة، بترشيح رشيد عالي الكيلاني. وأن صادق البصام وعمر نظمي، اشتركا فيها بترشيح طه الهاشمي. أما رؤوف البحراني فله مكانة واحدة عند الطرفين، لأنه من إخوان يس الهاشمي، مثل رشيد عالي الكيلاني. ولما كان رشيد وطه، متقاربين في الرأي، لذلك بقي نوري وحيداً في رأيه، الذي يتضارب مع رأي الإثنين

الآخرين. كان على نوري أن يجد لنفسه مخرجاً، من هذا المأزق الذي أعده بإرادته وإختياره، وكان أمام ثلاثة حلول:

١- أن ينجح في إقناع هذه الوزارة، لتتبنى رأيه وتطبق ما في جعبته من أفكار ومشاريع. فيحرز بذلك توفيقاً مابعده توفيق، وينال مايتمناه على يد أقوى وزارة شعبية قومية، يخضع لنفوذها، ويشد أزرها أفراد الشعب، وقادة الجيش جميعاً(١).

٢- أن يستخدم صداقة طه، التي يتمسك بها لإثارة الخلافات، وتمزيق الانسجام بين اعضاء الوزارة، وبذلك يحطم سمعة آخر من بقي من الوزراء الوطنيين، الذين يطمئن اليهم الجيش، ويدفع الجيش إلى اسقاط وزارة رشيد، ويكون ذلك سبباً في قيام بغضاء جديدة، ضد قادة الجيش وتحميلهم ضغائن أخرى. فلما يفقد الجيش أصدقاءه جميعاً باستثناء نوري، يبرز هذا الميدان، ويجعل من الجيش، ومن طه، آلات بيده، ويطبق مايريده بقوة الجيش الخاضع لإرادته.

٣- أن ينشقّ الجيش على نفسه، ويتخلص نوري من كل قائد يعترض سبيله.

(الوطنية والاستعمار لايأتلفان ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان)

(١) لجأ الانكليز إلى تدبير مماثل في مصر بوضعهم النحّاس على الحكم. وعلى الرغم من حراجة موقف النحاس والجيوش البريطانية تملأ أرجاء مصر فإنه لم يقطع العلاقات مع دول المحور فوراً، كما أنه لم يفعل ذلك بالأسلوب الديكتاتوري الذي لجأ إليه نوري بن سعيد، بل إن النحاس لم يعلن الحرب على دول المحور أصلاً.

وهكذا تمكن النحاس أن يسير بمصر إلى مايرضيها ويرضي الانكليز لأنه لم يكن مقيداً برجل مثل نوري. فإن الله لم يبتل مصر برجل يتمتع عند الانكليز بمثل مكانة نوري سعيد.

ملحق رقم -٤-

بدأ اتصالنا برشيد عالي الكيلاني بواسطة المفتي، وتطور ببطء من التعارف السطحي إلى الاطمئنان والثقة، بفضل حسن الخلق وطيب المعشراللذين يتمتع بهما المفتي. ولقد وقفنا على سير وزارة رشيد باتصالنا به، وأطلعنا على مايدور في خلد أعضائها من وجهات النظر- ولما كنا على اتصال بالوصي عبد الاله وبنوري، على سابق عهدنا معهما، وعلى اتصال بطه أيضاً، فقد تمكنا من المقارنة بين مانسمعه منهم، ومن تمييز الغث من الثمين مما يخالج نفوس هؤلاء السادة الأربعة، وكشفنا عن ثعلبيات نوري المنطوية بين التلافيق والتعاريج.

ويمتاز رشيد عالي الكيلاني بالسرعة في اتخاذ القرارات وتنفيذها، فهو لا يتردد في التمسك بكل تفسير للمعاهدة العراقية البريطانية، يعود بالنفع على الجانب العراقي، مما كان قد تأجل تطبيقه لسبب ما. أما نوري، فكان يفسر المعاهدة وكأنه يمثل الجانب البريطاني، ولا يطبق تفسيراً للمعاهدة، إلا إذا رضي الانكليزبه.

وقد عرف رشيد عالي الكيلاني بالجرأة، وبسرعة اتخاذ القرارات وتنفيذها. وماضي رشيد يؤيد هذا. ومن ذلك أنه خوّل بكر صدقي، الصلاحية التامة للقيام بأعمال زجرية قاسية، لقمع حركات الآشوريين، غير مبال بغضب الانكليز، وعصبة الأمم. كما بلغتنا عنه أمور أخرى، تأكدت لنا صحتها، بعد أن اتصلنا به، إثر تسلمه رئاسة الوزارة، فكان ذلك عاملاً هاماً، دفعنا إلى الاطمئنان إليه والثقة به.

ومن الأعمال التي شرع بها رشيد، خلال فترة الهدوء التي سبقت اصطدامه بالوصي وبنوري، الأهتمام بتسليح الجيش. فقد اطلع رشيد على طلبات الأسلحة المقدمة للمصانع البريطانية، فأُهمل أمرها وبقيت دون تسديد. وتأكد لديه أن الانكليز يماطلون، وأن مماطلتهم باقية، إذ جعلوا العراق في آخر القائمة، فيأتي دوره بعد فنلندا وتركيا واليونان ومصر، وكل الدول الآخرى، وأدرك الكيلاني، أن بريطانيا، قررّت أن يبقى الجيش العراقي أعزل من السلاح، خلال هذه الحرب، لأنها لا تريد أن يكون على شريان مواصلاتها، جيش مسلّح، مدرب، يتوق إلى الاستقلال والوحدة، ويعرف من هم الذين غصبوا حقوق العرب.

لذلك دعاني رشيد إلى داره ذات مساء، وكنت آنئذ قائداً للفرقة الثالثة، فوجدت عنده القائم بأعمال السفارة الأيطالية ومترجم السفارة، وكان الحديث يدور حول تزويد الجيش

العراقي بالأسلحة اللازمة، لأن المعاهدة العراقية تجيز للعراق أن يشتري السلاح من دول أخرى، عندما تعجزالمصانع البريطانية عن ذلك.

وسألت الايطالي، عن الطريق التي يمكن بواستها نقل السلاح، وتسليمه للعراق، أجاب: «إذا لم تحدث صعوبات، فإنه بالإمكان تسليمها عن طريق سوريا من قبرص» وفي اليوم التالي قدّمت لرشيد قوائم بأسلحة تكفي لتجهيز أربعة فرق من المشاة بكامل معداتها، وما يلحقها من تشكيلات الدبابات والمتممات، مضافاً إليها النسبة المئوية للاحتياط.

وبعد مدة غير قليلة، دعاني رشيد إلى داره مرة أخرى، فوجدت عنده هذه المرة القائم بأعمال السفارة اليابانية، والملحق العسكري في طهران. ودار الحديث عن الأسلحة أيضاً. ثم قدّمت له في اليوم التالي، صورة عن القوائم التي قدمتها في المرة الماضية، مع بعض الاضافات. وقد طرح الملحق العسكري على رشيد عالي سؤالاً، حول طريقة ايصال الأسلحة إلى الموانئ العراقية، بدون علم الانكليز، الذين يفرضون رقابتهم على البحار. فأجابه رشيد، بأن العراق لا يأتي بما يوجب تذمّر الانكليز، لأن ما نطلبه منكم، لا يخرج عن نصوص المعاهدة المعقودة بين الطرفين. وإننا بعد وصول الشحنة إلى الموانئ العراقية، سنأخذ على عاتقنا تدبير الأمر، وأما ماعدا ذلك فتدبيره عليكم.

كان المفتي الحسيني، قد وجّه إلينا نحن الأربعة سؤالاً، في أحد اجتماعتنا به، أيام كان الموقف متأزماً بين رشيد من جهة، وبين نوري والانكليز من جهة أخرى، قبل أن يلجأ الوصي، إلى إجبار الكيلاني على تقديم استقالته. سألنا المفتي: «ماهي درجة مقاومة العراق، ومدتها، إذا حدث عليه اعتداء انكليزي؟» فأحال اخواني سؤاله عليَّ وطلبوا مني الإجابة عليه فقلت: – إن جيشنا بأسلحته الحالية القديمة، لا يصلح إلاّ لحروب العصابات، فهو لا يقوى على مجابهة الانكليز أو الصمود أمامهم، خاصة إذا بقيت قاعدتاهم الجويتان سالمتين لهم، وطريقا البصرة وفلسطين مفتوحين أمامهم. ولا يبقى على الجيش العراقي، غير القيام بحرب المشاغلة والانسحاب، بالسرعة التي تزحف بها القوات الانكليزية. ولو كان لجيشنا على أسلحته القديمة هذه، خمسون دبابة عصرية متوسطة، وخمسون أخرى خفيفة، وأسلحة مقاومة للدبابات، وقوة جوية حديثة، بإمكانها أن تديم مائتي طائرة جاهزة للتحليق في كل لحظة، عندئذ نتمكن من الصمود أمام الانكليز ستة شهور، بشرط اغلاق شط العرب، والاستيلاء على قاعدة سن الذبان.

وأعاد المفتي علينا سؤاله هذا، يوم طلب الوصي اقالة ناجي شوكت من الوزارة، وضيق الخناق على رشيد عالي الكيلاني.

رابعاً:

نوري يشرع في تطبيق حلوله، فيلقي بشراره، ويجعل غيره وقوداً لناره، أو وقّاداً لها

جاء طه إلى مقر عمله بوزارة الدفاع، وطلب توجيه الدعوة إلى أعضاء مجلس الدفاع الأعلى، للإجتماع في يوم لا أذكرتاريخه(١). والتأم مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رشيد عالي الكيلاني، وعضوية وزير الدفاع طه الهاشمي، ووزير الاقتصاد والمالية ناجي السويدي، ووزير الخارجية نوري، ووزير المواصلات عمر نظمي، ولا أذكر إن كان ناجي شوكت بين الحاضرين. وحضر الإجتماع عن الجانب العسكري، وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، وصلاح الدين الصباغ. وكان الرئيس الأول الركن محمود الدرة، يدوّن محضر الجلسة.

طرح نوري على بساط البحث موضوعين: الأول قطع العلاقات مع إيطاليا، والثاني مناقشة الموقف الحربي والسياسي العام، وتقرير موقف العراق إزاء ذلك. وألمح نوري إلى

(١) – كان الموقف السياسي والحربي العام كمايلي على وجه التقريب:

روسيا: على عهدها مع ألمانيا، وفي حالة حرب مع فنلنده وتحتل نصف أراضي بولندة وتلحق استونيا ولا تفياوليتوانيا بالاتحاد السوفيتي، وتحتل ساربيا وبوكوفينا من رومانيا.

ألمانيا: تصول وتجول وتأتي بمعجزات حرب الصاعقة في النروج وتحتل الدانمرك وهولندا وبتجيكا.

الجزر البريطانية: مهددة بخطر الاستيلاء بعد استسلام فرنسا ونكبة الانكليز في دنكرك.

إيطاليا: تعلن الحرب وتدخل في مناوشات مع الانكليز على الحدود المصرية الليبية.

سوريا: الجيش الفرنسي المرابط في سوريا وشمال افريقيا يخضع لحكومة فيشي.

تركيا: تربطها بالانكليز والافرنسيين اتفاقية منذ ١٩/١٠/١٩٤٠ ولكنها لا تدخل الحرب بالرغم من دخول إيطاليا.

إيران: تعلن حيادها، وتخشى روسيا، وتميل إلى ألمانيا.

ضرورة قطع العلاقات مع إيطاليا، كما قطعت مع ألمانيا من قبل، كي لا تستفيد دول المحور من العراق، ولاتطلع على تنقلات الجيوش البريطانية.

اعترض الوزراء كلهم على نوري، أما طه الهاشمي فكان بين بين. قالوا إن منع إيطاليا وألمانيا من الإطلاع على حركات الجيوش البريطانية، لايكون بقطع العلاقات معها، في حين يعج العراق، بعملاء كثير من الدول التي تميل إلى المحور، وأولها السفارة اليابانية. وبمقدور ألمانيا وإيطاليا، إن تطلعا على تنقلات الإنكليزمن مدخل مضيق هرمز، ومن شط العرب، والبصرة، عن طريق سفارتيهما في إيران وسوريا، ورعاياهما الكثيرين هناك. فقطع العلاقات مع ألمانيا، لم يكن من هذه الناحية مجدياً، ولا فائدة فيه، غير المجاملة لبريطانيا، والعداوة لألمانيا من غير سبب معقول(١)

ثم إن الموقف الحربي والسياسي، يتطلب الرويّة والإنتظار، فالجزر البريطانية نفسها، مهددةٌ بالغزو الألماني، وانضمام روسيا إلى جانب ألمانيا محتمل. كما أن دخول إيطاليا الحرب، وإستسلام فرنسا وضع مصر والبلاد العربية أمام خطر قريب، بعد أن زال عنها خطر الجيش الفرنسي المرابط في المغرب العربي.

وأغلب الظن أني أعدت على المجتمعين قولي السابق، بأن الموقف السوقي لايساعد تركيا على دخول الحرب، وهي ترى بأم عينيها انهيار فرنسا السريع، وإشراف إنكلترةعلى الإحتضار، والموقف العدائي السافر الذي تقفه روسيا. وتم الاتفاق على الرويّة والتأني، واستطلاع وجهة النظر التركية، بالنسبة لتطورات الموقف الدولي المشار إليها. كما تقرر إيفاد السيد ناجي شوكت بهذه المهمة، لما له من حظوة لدى الأتراك، ومكانه في السلك السياسي بأنقرة، حيث أمضى نيفاً وأربع سنين سفيراً للعراق. فاعترض نوري، وطلب أن يرافق ناجي شوكت في هذه المهمة بحكم وظيفته، فأجيز له ذلك، وانفضّ الإجتماع بسلام، اذ تمكن نوري من ضبط أعصابه، على الرغم من تأثره.

مضت على وزارة رشيد عالي الكيلاني فترة طيبة وهادئه، ساد فيها السلام ودار دولاب الوزارة بانتظام. وعاد ناجي شوكت من تركيا، بعد أن مكث في الاستانة عدة أيام،ولا ندري حتى الآن ماذا حمل من أخبار.أما نوري، فقد مال في طريق عودته على سوريا وبيروت، فاتصل بالفرنسيين هناك، وكان رشيد عالي ينتظره، ويجهل الأسباب التي حملته على الاتصال بالفرنسيين في بيروت، ويقول: «كان على نوري أن يحيطني علماً، قبل إقدامه على هذه المحاولة. وما زلت أجهل ما كان من أمر هذه السياحة، حتى بعد ان عاد نوري إلى بغداد، كما

(١) – كانت هذه طعنة لنوري تأثر منها كثيراً.

أن رفاقي لايعلمون عنها شيئاً». وما كاد نوري يصل بغداد، حتى شدّ الرحال إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد، ثم ذهب إلى مصر مرة ثانية، وثالثة....

أثارت تنقلات نوري هذه، تذمررشيد عالي، لأنها كانت تجري بدون علمه، وهو رئيس للوزراء. أما نوري، فكان يجمعنا أحياناً عند عودته، فيكشف لنا الستارعن بعض الغايات التي يرمي إليها من وراء تنقلاته. وأنه يتصل بالشخصيات الإنكليزية في مصر، مستطلعاً رأيهم في إشراك فرقتين من الجيش العراقي في صحراء ليبيا. وربت نوري على كتفي، وقال:

– صلاح الدين، ستكون أنت قائد الفرقتين إن شاء الله.

لا أدري ما سبب إلحاح نوري علينا، وحرصه على أن تكون إجتماعاتنا في داره، في فترات قريبة. هل أراد الإطلاع على رأينا القاطع، وعلى مدى تقبلنا لرأيه، واستعدادنا لمناصرته، في الضغط على رشيد لتطبيق رأيه، أو أراد أن يكسبنا إلى جانبه ضد رشيد، إذا رفض اتبّاع الحل الأول من حلول نوري المذكورة آنفاً.

ولاحظنا، أن ملامح نوري كانت تكفهر كلما أتينا على ذكر رشيد، أو امتدحنا وزارته.

فهل أفضى واحد من اخواني لنوري، بأمر اتصالنا برشيد، وباجتماعاتنا معه في دار المفتي، وباتصالي بممثلي السفارتين الايطالية واليابانية – إن صح ظني فيكون كامل هو الواشي، والله أعلم – أم أخبر نوري بهذه الأمور، جواسيس (دون فيل) رئيس قسم الاستخبارات الإنكليزية، الذين يراقبون بيوت المفتي ورشيد وطه، والسفارتين الايطالية واليابانية، ويترصدونها في الليل والنهار، كما يترصّدون دار فوزي القاوقجي، وغيره من الوطنيين، فقد كنّا نحن الأربعة، وطه واسماعيل نامق، مجتمعين في دار نوري، وحدث أن جاء ذكر ايطاليا، وضرورة قطع العلاقات، والاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء، فقلت ما معناه: «علينا أن نفكر بمصلحتنا قبل أن نفكر بما يرضي الانكليز وأذنابهم».

وعلى حين غرة، صاح نوري:

–«يا صلاح الدين، في رأسك صوت، سوف تصيحه، لكن سوف ترى ما سيجري بالعراق».

فأجابني نوري بهذه العبارة غير المتوقعة، فبهتُّ، كما بهت الحاضرون. وتدخل طه فقال:
– لا، لا ياباشا، لا تسيء الظن بصلاح، فهو لايرمي بقوله أحداً، وأنا أعرف منك بصلاح الدين.

ضحك نوري وهو يرى حيرة إخواني ووجومهم، بعد أن مثل دوره، فابتسمت، ومرت

العاصفة بسرعة وسلام.. لكن نوري وجد في نفسه الجرأة، لأن ينفخ في وجوهنا أول رياح السموم، ولم نعهد منه ذلك منذ تعارفنا. والواقع أني ماكنت اقصد نوري بكلامي، وإنما كان جواباً قلته عرضاً، وفي سياق الحديث، فإذا كان كلامي قد أصاب نوري، فإنما لأنه أصاب أمثال نوري فحسب، أما هو، فقد صدر كلامه عن عمد وسابق تفكير، مستغلاً ملاحظتي العابرة، ليعلن عما يكنه صدره.

علق هذا الحادث بذاكرتي، وما إلتقيت بنوري أو ذكر اسمه أمامي، إلا وعاودتني الذكرى. وعبثاً حاولت أن أفك رموز عباراته، أو أن أتوصل إلى حقيقة القصد من وراء ثورته المفاجئة.

ولقد صح كلام نوري، وصدقت نبوءته، كما صدق كثير من نبوءاته!! ورأى صلاح الدين، وإخوان صلاح الدين، ماحدث بالعراق وبهم، لكن الصوت لم يكن في رأس صلاح الدين وإخوانه، بل كان، والله، في رأس نوري وحلوله، تلك الحلول التي كان عليه أن يطبق إحداها، ونجح في الثالثة منها. وما كان نجاحه بقوة ساعده، بل بأسنّة حراب الإنكليز، الذين يؤيدون ثعلبياته وحلوله، لأنها من تعاليم (نيوكمب)التي يلقنونها له ولأمثاله. (ملحق ـ ٥ ـ).

يبدو أن نوري شعر بأننا نؤيد رأيه، وهو يصف لنا رحلاته بالطائرة إلى مصر، ومقابلته للشخصيات الانكليزية هناك، لاقناعهم باشتراك فرقتين من الجيش العراقي في حرب ليبيا، فأتولى أنا قيادتهما، ويكون كامل وفهمي ومحمود، برفقتي. فنكون أول من قاد جيشاً عربياً نظامياً، في حرب نظامية، تكسبنا الشرف والشهرة والجاه، خاصة اذا سهّل الله، وكانت حركتنا على سوريا، بالإشتراك مع الأنكليز، ونحن في طريقنا إلى صحراء ليبيا.

وكان اسماعيل نامق يحضر أغلب هذه الإجتماعات، ويؤيد نوري في أقواله، فكان ذلك دليلاً على ما بينهما من أسرار. وفي أحد الأيام ذهب الشوق باسماعيل نامق حداً، جعله يقول بحضور طه «أنه سوف يؤيد الأنكليز، ولو قيل عنه أنه انكليزي النزعة» فاستحسن نوري كلام اسماعيل وعلق عليه بأمثلة شتى.

أما رشيد عالي الكيلاني، فكان كلما اجتمعنا به وبالمفتي، يشكو من تنقلات نوري ويبدي جهله لأسبابها. إلا أن شكوى رشيد كانت في أدوارها الأولى لا تتعدى العتاب على أخيه نوري.

وأخيراً أقنع نوري طه الهاشمي، بضرورة عقد مجلس الدفاع الأعلى، لبسط الموقف العالمي أمامه، ولما كان انتقالي إلى قيادة الفرقة الثالثة قد حرمني من عضوية مجلس الدفاع

الأعلى، فقد أشار نوري إلى طه، بأن حضوري في إجتماعات المجلس ضروري، للاستئناس برأيي، على اعتبار أني مطّلع على الأمور من أولها. كما أشار عليه أيضا، بضرورة حضور كامل شبيب، قائد الفرقة الأولى.

انعقد مجلس الدفاع الأعلى، وحضر الإجتماع بالإضافة إلى أعضائه السابقين، مدير الحركات نوري الدين محمود، وقائد الفرقة الأولى كامل شبيب، والمقدم الركن رفيق عارف، والرئيس الأول الركن محمود الدرة. ومهمة هذين الأخيرين، تدوين محضر الجلسة.

وطرح نوري على بساط البحث موضوعين: الأول: قطع العلاقات مع دول المحور، والثاني: مساعدة الجيش البريطاني على تحشيد جيوشه في العراق.

عرض نوري زيارته إلى تركيا عرضاً سريعاً، ومر على الموضوع مراً عاجلا، فلم يوضح موقف تركيا، ولم يحاول تفسير الغموض الذي يحيط بها من قبل زيارته لها. قال إن تركيا حرة التصرف في أمرها، وأنها طليقة اليد في توجيه سياستها، الجهة التي تلائمها. أما موقف العراق مع بريطانيا، فلا يشبه موقف تركيا، واما زيارته لبيروت وهو عائد من أنقرة، واتصاله بالفرنسيين هناك، فقد أهمل ذكرها، ولم يتحدث عن أسبابها.

فانبرى له رشيد عالي كيلاني، وناجي السويدي، قائلين: ان المعاهدة تحدد بصراحة ووضوح، مدى ارتباط العراق ببريطانيا، كما أن ارتباط تركيا ببريطانيا، قائم على الإتفاق المعقود بينهما، ولا يخرج عن نصوصها الصريحة. ولئن اختلفت النسبة بين العراق وتركيا، من حيث درجة الإستقلال، وحرية التصرف بما يتلائم والمصلحة، فإن هذا لا يعني بالضرورة، التضحية بمصلحة أحد الفريقين، لحساب الأخر، ولا يفرض على العراق، واجبات لم يرد عليها النص في المعاهدة، وإلا لما بقي للعهود والإتفاقات معنى قانوني.

وكان النقاش يدور حول بنود المعاهدة وتفسير القوانين، وكان رأي نوري، أن يكون تأويل النصوص على ضوء(الوفاء المعنوي)، الذي يفترض من العراق، بحكم صداقته التقليدية لبريطانيا-. ثم أخذ الأنكليز بعد ذلك يقولون بتطبيق المعاهدة نصاً ومعنى- وأما الآخران الكيلاني والسويدي الكبير، فكانا لا يريدان التسليم بتفسير(معنى الوفاء)، بحيث يفرض على العراق التضحية بمصلحته على هذا الشكل .

وكان نوري وهو يتكلم، يلتفت الى الجهة التي نجلس فيها نحن العسكريون. الا أننا لزمنا جانب الصمت، كما لزم جانب الصمت طه الهاشمي وزير الدفاع، وعمر نظمي وزير الأشغال والمواصلات (على ما أذكر). والظاهر أن نوري شعر بضعف حجته أمام مجلس

الدفاع، فأراد أن يدعمها بنفوذ الجيش، زاعماً أننا مطلعون على آرائه، من خلال اجتماعاتنا في داره على ماسبق بيانه. لذلك اقترح نوري أن يطّلع المجلس على رأي الجيش، وأن يطلب من الجانب العسكري، تقديم لائحة يبسط فيها الجيش رأيه، وتعرض على مجلس الدفاع الاعلى في جلسته القادمة، فأيد طه اقتراح نوري. ثم أضاف نوري على اقتراحه، بأن من الضروري اشتراكي مع رئاسة أركان الجيش في اعداد اللائحة المطلوبة، بالنظر لاطّلاعي على الأمور، بحكم وظيفتي السابقة، وأيد طه اقتراح نوري الجديد أيضاً.

وهكذا انتهت الجلسة الأولى بسلام وسكون، وما كان من أمين زكي وكيل رئيس أركان الجيش، ومن هيئة أركانه، إلا أن أناطوا بي، أمر إعداد مسودة اللائحة المطلوبة، بدعوى أنهم شغلوا مناصبهم حديثاً، وأنني أكثر منهم اطلاعاً على هذه الأمور، فوافقت مكرهاً.

مر ذلك اليوم، فلما كان مساء اليوم التالي، دعانا نوري إلى داره، وردد أقواله ووعوده المعسولة، فأجبناه: «ليتك تتفق مع الآخرين، فتجتمعون على رأي واحد، لأن الإتفاق خير من التنابذ، لا بل إن الإجماع على الخطأ، أقل خطراً من عدم الإتفاق. وبمقدور الوزارة القائمة أن تأخذ بما ترى فيه خير البلاد ومصلحتها، دون أن تخشى معارضة أحد، وهي تضم خيرة رجالات العراق».

ملحق رقم - ٥ -

نجح نوري بن سعيد في تطبيق حلوله، كدأبه دائماً، وسيبقى نوري ناجحاً لأنه ابن سعيد! وسيبقى التوفيق حليف نوري، بعكس أقرانه الذين عاصرهم جميعاً. أما سر نجاح نوري وحده دون غيره، فهو «لغز» لا يسبر غوره ولا يدرك. أتراه يقرأ في صفحات الغيب؟ أم قد خصه الله بعبقرية فذة، لاتدانيها عبقرية بين العرب؟ أم أن قوة خفية تسانده، وتعلمه، وتهيء له الفرص، فيستغلها، ويتوج بأكاليل الظفر، ويبقى وحده دون غيره، في المكان المرموق، بعد كل ثورة تخمد نارها، ويذهب ضحيتها أحرار العرب؟؟ وما من مرة تململ فيها العرب ضد الاستعمار، فرضخ الغاصب، ومنح بعض الامتيازات لصاحب الدار، إلا وكان نوري هو القابض على زمام الأمر، وهو قاضي الحاجات.

فنوري، هو المعتمد الوحيد الذي انتدب لتسليم دمشق إلى غورو، قائد الفرنسيين

البغاة.

ونوري وقريبه جعفر، هما اللذان نالا شرف تأسيس الحكم الوطني في العراق، قبل أن يحل فيصل الأول في العراق، وقبل أن يتوّج ملكاً عليه. مع أنهما لم يشتركا في الثورة العراقية، التي أجبرت الانكليز على إقامة حكم وطني في العراق، من قريب أو بعيد، ولم يكونا من الرجالات الأفذاذ الذين أداروا دفتها.

ونوري، هو الذي وقع معاهدة النفط العراقية بقلم ذهبي، محفوظ الآن في متحف النفط. تلك المعاهدة التي استوت عليها ميزانية العراق. ونوري، هو الذي أصره يؤيده «قريبه جعفر، الذي جيء به إلى رئاسة الوزارة، بعد أن كان سفيراً للعراق في لندن» على أن تفرض المعاهدة العراقية الانكليزية على العراق فرضاً، وأن يكره المجلس التأسيسي على المصادقة عليها كرهاً، وأن يجبر يس الهاشمي وغيره من الوطنيين، على الإذعان إجباراً. تلك المعاهدة التي يزعم نوري، أن مصر كانت تحسدنا عليها، وأنها لم تنل مثلها إلا بعد أن نالها العراق، والتي تحسدنا عليها الآن، كل من سوريا وفلسطين.

وهكذا، فإن كل أعمال نوري جليلة خالدة، تعود على العرب والعروبة بالنفع العميم، وسيذكرها له التاريخ بأحرف من ذهب: إن نوري سعيد وناجح، وهذا سر لا تدركه عقول العرب، فهو الذي طهر العراق من الثوار الطامعين، ومن جرثومة الأشرار الأفاكين المحتالين، أمثال رشيد عالي وفهمي والسبعاوي وكامل وصلاح الدين، ولولا نوري لما تخلص العراق منهم. ثم إن نوري سينقذ فلسطين بعد أن تطهرت، وتطهر العراق مثلها، من أمثال المفتي وزمرته، من المتشردين العابثين المحرمين. ونوري سينقذ سوريا أيضاً، إن أمكنه ذلك، ليقيم فيها نظاماً ملكياً أردنياً، بعد أن يطهرها من الكتلة الوطنية التي تطمع بالجمهورية!!!!

وأخيراً سينصب لنوري تمثال في كل عاصمة، من عواصم هذه الأقطار العربية، تخليداً لوطنيته ورمزاً لإخلاصه. فنوري، سعيد، وما أظن مصدر سعادته، إلا لقب «سير» الذي يحمله!!

خامساً:

اللائحة

شرعت بإعداد مسودة اللائحة، التى طلب مجلس الدفاع الأعلى من الجيش إعدادها للاطلاع على وجهة نظره. وبدأت بمناقشة الموقف الحربي والسياسي في العالم(١)، مما له تأثير على الشرق العربي، واضعاً نصب عيني «طلب تحشيد جيش بريطاني في العراق».

كان يؤثر علي ويعترض تفكيري أمران: الأول، رأي نوري المار ذكره، والثاني: إغفال نوري ذكر موضوعي إعلان الحرب، وإشراك فرقتين عراقيتين في حرب ليبيا، على مجلس الدفاع الأعلى، مع أن نوري كان يحدثنا بذلك، كلما اجتمعنا في داره، وأعاده على مسامعنا بالأمس القريب. ولقد أثّرت علي، وأي جندي لا تؤثر عليه مشاريع نوري ووعوده، بأن أكون أول قائد يكسب شرف إنقاذ قطر عربي عزيز، وهو على رأس فرقتين عربيتين، مجهزتين بأحدث الأسلحة، تسيران بأرتال منظّمة، وتتقدمهما الطلائع الآلية والقوات الجوية، فتخترقان شوارع

(١) كان الموقف السياسي والحربي وأنا أعد مسودة اللائحة كمايلي:

روسيا: تحتل قسماً من بولونيا والدول الصغيرة على بحر البلطيق، وتقطع بسارابيا وبوكوفينا من رومانيا، وهي في حالة حرب مع فنلنده التي تتمتع بعطف الانكليز والأمريكان ولكنهم لا يستطيعون نجدتها لتعذر المواصلات. محطات الاذاعة الروسية تشن على انكلترا والدول الرأسمالية حملات شعواء.

ألمانيا: تسيطر على أوربا الغربية وشمالها سيطرة تامة وتدخل يوغوسلافيا في حلفها. الاسراب القاصفة الألمانية والايطالية تنزل الخراب في الجزر البريطانية المعرضة لخطر الغزو.

إيطاليا: تدخل في مناوشات في صحراء ليبيا.

انكلترا: تقف في المعترك وحيدة لا يساندها غير أمريكا - وكانت مساندة أمريكا معنوية لا تتعدى إبداء الأسف، باستثناء بعض المساعدات في المؤن والأغذية.

اليابان واسبانيا: تميل سياستهما إلى المحور بوضوح.

تركيا ودول البلقان: في سكوت غامض.

إيران: تقف على الحياد.

إيرلنده: تقف على الحياد.

حلب ودمشق وبيروت، وهي مزدانة بالأعلام والرايات، وتنثر عليهما الورود من نوافذها وشرفاتها، ويعج فضاؤها بزغردة العربيات.

وبعد أن تطهر سوريا من جيوش الظلم والاستعمار الفرنسية، تتجه هذه الأرتال جنوباً في طريقها إلى ليبيا، فتخترق فلسطين وتعبر مصر العربية، وتشترك في حرب نظامية تكسب قادتها الخبرة والرتب العسكرية الرفيعة، ثم تضع الحرب أوزارها، فيعود صلاح الدين وإخوانه القادة وجيشه المنصور، إلى العراق فتحييه وهو عائد جيوش الوحدة العربية في مصر وفلسطين وسوريا. وهكذا تتحقق آمال العرب التي يصبون إليها منذ أن اندثرت دولة العباسيين.

لكن، ما ضمان تحقيق هذه الأحلام الذهبية لو انتصرت بريطانيا؟ وهذا تاريخ بريطانيا القريب والبعيد، يشهد على غدرها وسوء نيّتها؟ وهذه فلسطين تعشش فيها اليهودية؟

مع ذلك، فإن رأي نوري هذا لا بأس به، لا بل إنه حسن ومفيد. فإن دخول العراق الحرب إلى جانب انكلترا، يكسب العرب عطفها، كما يكسبهم عطف أمريكا أيضاً، إذا اشتركت في الحرب إلى جانب انكلترا. فلو فرضنا بقاء روسيا واليابان على الحياد المطلق، فإن النصر يصبح مشكوكاً فيه، وتنتهي الحرب، فيخرج الفريقان المتخاصمان منها متعادلين في كفتي الميزان، عندئذ تضطر كل من أمريكا وانكلترا إلى الكف عن مساندة الصهيونية، وإلى خطب ود العرب، وإيجاد دولة عربية لضمان التوازن الدولي، كما هو الحال في البلقان وإيران وتركيا والأفغان، ولصيانة منابع النفط، وخطوط المواصلات الامبراطورية.

خلبتني هذه النظرية أيضاً، لما أكنّه من مقت للاستعمار الفرنسي في سوريا، وأغوتني وعود نوري وقيادة الفرقتين، فحاولت تنسيق هذه النظرية، وإسنادها إلى عوامل معقولة وأسباب منطقية. فأخذ مني ذلك شطراً غير يسير من الزمن، وأنا أكتب وأشطب ثم أعود فأكتب.. لكنني كلما حاولت، وكلما اجتهدت، عمقت بي الهوة، وتماثل أمامي شبح روسيا وتعاظم، حتى استولى على نواحي فكري، فلا يتركني أحيد.. وكأني بهذا الشبح الضخم، يخاطبني بقوله: كيف تنتصر انكلترا، وما هي علائم هذا الانتصار؟ إنها واقفة على شفا جرف هاوٍ، وليس لها معين أو نصير غير أمريكا، التي ينقصها الاستعداد فضلاً عن بعد الجوار؟ وحتى لو دخلت أمريكا الحرب، ألا ترى سياستي العدائية ضد انكلترا وكذلك سياسة اليابان؟ ألا تخشى بأسنا وما لنا من قوة وسلطان؟

وكانت ثوانٍ معدودات قلبت أفكاري رأساً على عقب، وطوحت بي وبإخواني إلى مذبح

التضحية، ليحكم علينا بالإعدام ولتُسام عوائلنا وتضام، بدل أن نبقى القادة المحبوبين، المؤيدين بالانكليز والوصي ونوري، ومن، والأهم من المتنعمين. وما الذنب ذنبي، ولكنه ضميري الذي عصا، وأبى أن أكون عبداً للعاطفة، وحذّرني من المقامرة بمقدرات بلادي على المجهول، متعامياً عن الدلائل المنطقية والحقيقة والمعقول، ذلك ضميري الذي تلقن الروح القومية من بيئتي وأساتذتي وأبوي.

ما هو المقصود من تحشيد جيش انكليزي في العراق؟

-هل تبدّت للانكليز بادرة من روسيا، فشعروا بأنها ستهاجم الشرق العربي من إيران والعراق، فتقطع مواصلات الامبراطورية وتنهار الجبهة المصرية؟

لو صحّ هذا الاحتمال، فكيف يطالب نوري بإرسال فرقتين عراقيتين إلى صحراء ليبيا، وبإعلان الحرب على دول المحور، بعد أن تنضم إليه دول العالم الجبارة التي لا تقهر؟ لو صح هذا، فالعراق نفسه في خطر، وأولى بانكلترا أن تعمل على تسليح الجيش العراقي فوراً، وأن تمده بالأسلحة الحديثة، بدل أن تبقيه على سلاحه البالي ومعداته القديمة. فالبلاد بلادنا، والدفاع عنها يهمنا بقدر ما يهم بريطانيا، وأكثر. ثم إن المعاهدة العراقية الانكليزية تنص بصراحة على واجبات الانكليز، وعلى المهام الملقاة على عاتق الجيش العراقي، إذا تعرض العراق لخطر الهجوم عليه من قبل دولة أجنبية. ولو كان العراق معرّضاً بالفعل للخطر، فإن أبسط واجبات التحالف، تقضي على بريطانيا أن تخبرنا بأمر هذا الخطر، ليطرح على بساط البحث، ويناقش بصورة سرية في مجلس الدفاع الأعلى، أو ليطلع عليه رئيس الحكومة وبعض وزرائه على الأقل. ولو فرضنا بأن نوري وعبد الإله، قد أُفْردا وحدهما بالاطلاع على هذا الأمر الخطير، كان معنى ذلك الاستبداد والحكم المطلق. وكيف يقال لو صح هذا الفرض، أن في العراق حكماً دستورياً ديمقراطياً، وأن له وزراء عليهم رئيس، وجيشاً عليه قادة، ومجلساً للنواب وآخر للأعيان... إذا أُهمل هؤلاء ولم يأخذوا علماً بهذه الأمور؟

-هل علم الانكليز بأن ألمانيا وإيطاليا، ستهاجمان البلقان وتركيا، فأرادوا الاستعداد للنجدة بالتحشد في العراق؟

لو صح هذا الاحتمال، فإن تحشد الانكليز في العراق لا ينفعهم شيئاً في تحقيق هذا المقصد. إن عوامل المسافة والزمن وعسر المواصلات البرية، تجعل من الصعب نقل جيش عرمرم من الهند إلى البلقان عن طريق العراق. إذ يصل مثل هذا الجيش العراق بحراً ثم يقطعه من الجنوب إلى الشمال، ثم يجتاز الأناضول، ويعبر البوسفور، حتى يبلغ البلقان.

وأيسر من هذا بكثير، أن ينقل هذا الجيش بحراً عبر قناة السويس ويجري إنزاله على سواحل تركيا أو البلقان أو اليونان، وبذلك يستغنى عن عمليات نقل الجنود، ويختصر الوقت والمراحل الطويلة بربع الزمن الذي تستهلكه عملية التحشد والتقدم عن طريق العراق. ومع ذلك فإن أفضل مكان يجري فيه التحشد السوقي لهذه العملية هو فلسطين وسوريا، لا العراق.

–هل يرمي الانكليز من وراء تحشدهم في العراق احتلال سوريا، وطرد أتباع حكومة فيشي منها؟

لو صح هذا الاحتمال، فالتحشد الانكليزي يجب أن يجري في فلسطين، لا في العراق، بحكم طبيعة سوريا الجغرافية. وثمة احتمال آخر يهدف إلى تقصير أمد الحركات، بإرسال رتل من العراق عن طريق الفرات، للاستيلاء على حلب وشمالي سوريا، بالتعاون مع الأرتال التي تتقدم من فلسطين. فلو كانت هذه غاية الانكليز من وراء تحشدهم في العراق، فمن أولى، بالاطّلاع عليها من العراق وحكومته وقادة جيشه ورجالاته المسؤولين؟ ومن أولى من الجيش العراقي بالسير إلى حلب، ليساهم في إنقاذ شقيقته سوريا بعد أن يتم تسليحه.

– هل ساورت انكلترا الظنون، من موقف إيران وتركيا، فطلبت التحشد في العراق لموجهة الظروف المحتملة؟

وهذا الاحتمال بعيد جداً، ولا يقوم إلا إذا اتفقت إيران وتركيا مع روسيا، وهو أمر غير واقع. وقد مر البحث عن روسيا، وعما يجب على العراق في مثل هذه الحالة. أما إذا كانت انكلترا تنوي الاعتداء على إحدى هاتين الجارتين، فذلك يعني أحد أمرين: تحرش الانكليز بروسيا، أو اتفاقهم معها عليه. أما التحرش بروسيا، فاحتمال بعيد، نظراً لحراجة موقف بريطانيا آنذاك. وأما اتفاق الدولتين على الاعتداء فإن ظاهر الحال لا يدل عليه، فقد كانت روسيا تبدي لبريطانيا سياسة العداء (وذلك قبل أن تبدل سياستها وتعتدي على إيران ببضعة أشهر). ولو كانت انكلترا تنوي الاعتداء على إيران واحتلالها، فمن السهل عليها أن تقوم بعملية إنزال في خليج البصرة وشط العرب، وأن تتغلغل في قلب إيران من سهولها، مستفيدة من السكك الحديدية، دون الحاجة إلى التحشد في العراق، ضاربة بالمعاهدة العراقية الانكليزية عرض الحائط، وجاعلة من العراق مسرحاً لحركات عدائية، ضد جارتين أبديتين تربطنا بهما تقاليد تاريخية، وروابط معنوية، واتفاقية سعد آباد. فيخون العراق بذلك عهوده وحقوق جيرانه، ويؤلّب عليه عداء دولتين بدون مبرر، وبدون أن يعود ذلك عليه بنفع ما، بل لخدمة المصالح الامبراطورية فحسب.

ومع ذلك، فالواجب يقضي على الانكليز أن يخبروا المسؤولين في العراق، عن الأغراض التي يرمون إليها من وراء تحشدهم، باعتباره حليفاً لهم (على حد قول الانكليز ونوري والوصي عبد الإله وغيرهم من محبي الانكليز)، والمسؤولون في العراق، هم القائمون على الأمر فيه، أي وزارة الكيلاني وقادة الجيش.

أما وأن هدف الانكليز من تحشدهم في العراق، ينافي كل هذه الاحتمالات، فإنه لم يبق غير احتمال واحد لا احتمال غيره وهو:-

-إن هدف الانكليز من تحشدهم في العراق، هو العراق نفسه، أما غيره فيأتي بعده.

ذلك أن العقيدة القومية انتشرت بين أفراد الشعب العراقي، وعلى رأسه رشيد عالي الكيلاني وأمثاله، وقادة الجيش، ومعهم المفتي وفوزي القاوقجي وغيرهم من أحرار العرب المجاهدين من سوريين وفلسطينيين. والانكليز لا يطمئنون لهذا الأمر، وهو لا يروق لهم، لأن العراق همزة الوصل في الشرق الأوسط، ووقوعه على شريان المواصلات الامبراطورية، قضى عليه أن يبقى طوع إرادة الانكليز قلباً وقالباً، ليتمكنوا بواسطته من اللعب بمقدرات العرب. ولكن ذلك لا يتيسر لهم، ما زال الوطنيون قابضين على زمام الحكم، وما دام أحبّاء الانكليز وأعوانهم وأذنابهم (واسمهم المعتدلون) قابعين في البيوت. ثم أن اعتناق العقيدة القومية أمر لا تقره شرائع الاستعمار، ولا ترضى به نظم السيطرة على المحميات والدويلات شبه المستقلة التي تربطها المعاهدات ببريطانيا. لذلك طلب الانكليز التحشد في العراق، وإنهم لمعذورون، فلو كنت انكليزياً ونظرت بمنظارهم لفعلت ما فعلوا، ولحشدت جيشاً في العراق، ولأتيت بهؤلاء المقربين إليّ، فأقمتهم على رأس الحكم، وساندتهم وأنعمت عليهم وأكرمتهم بالجاه والمال. ولأقصيت أولئك المزعجين الخطرين وأبعدتهم، وطهّرت البلاد منهم (انظر الملحق-٦-). وإن العقيد كالي لمعذور، حين قال لي: «لم تهافتك هذا كله على تسليح الجيش العراقي بالأسلحة الحديثة والمعدات العصرية، مع أن مهمته لا تتعدى صيانة الأمن الداخلي؟» وصيانة الأمن الداخلي معناها مساندة قوى الشرطة على التنكيل بالأحرار، وعلى قتل أبناء العشائر من العرب والأكراد، الذين يستفزهم دعاة الانكليز من النوات، وضباط الارتباط الانكليز المنتسبون لدائرة الاستخبارات.

هذه هي الاستنتاجات التي توصلت إليها، من مناقشة الموقف الحربي والسياسي العام، والاحتمالات التي تتعلق بهما. وهي عين الاستنتاجات التي يتوصل إليها طه الهاشمي وكل عسكري آخر، وهي لا تتفق مع ما يريده نوري. فلماذا كلفني نوري بالاشتراك في جلسات مجلس الدفاع الأعلى، وبإعداد اللائحة وبإبداء رأيي، لو أن نوري كان مطلعاً على أسرار

خفيّة، مثل عزم روسيا الأكيد على الانضمام إلى جانب بريطانيا، إذن لأفضى بها إلى طه، ولطرحها على بساط البحث والنقاش في مجلس الدفاع الأعلى، ولتبدلت الآراء والاستنتاجات، أم أن نوري كتم أسراره عن رشيد وأعضاء وزارته، لأنه لا يثق بهم، واستعان بي، لأسيطر على هيئة أركان الجيش وتفكيرهم، فأقول خلاف ما استنتجته، وتأتي اللائحة ملائمة لمقاصده، فترغم رشيد على الإذعان؟ لو كان قد قصد ذلك، فلماذا لم يبق على رأس الوزارة، فيأخذ المسؤولية على عاتقه ويطبق ما يريد. ولماذا حمل رشيداً على تأليف الوزارة من بعده، فلم يقبل رشيد إلا بشروط، منها أن تطلق يده، فلا يكون آلة بيد أحد.

أتيت في فاتحة اللائحة على ذكر الاحتمالات السابقة، باستثناء الاحتمال الأخير، ثم توصلت إلى الاستنتاجات التالية، مستنداً على الموقف السياسي والحربي آنذاك، فسردتها بصورة مفصّلة، متحاشياً المسَّ بكرامة الأفراد:

١- ليس من المحتمل أن يهدد العراق خطر قريب، لذلك فإن تحشيد جيش بريطاني في العراق، يعتبر مخالفاً لنصوص المعاهدة العراقية البريطانية، نظراً لعدم تحقق هذا الشرط. كما أنه قد يسيء إلى جارتينا، اللتين تربطنا بهما اتفاقية سعد آباد.

٢- إن الخطر الوحيد الذي يهدد العراق يأتي من روسيا، لذلك لا بد من التأنّي ومسايرة دول المحور، ريثما ينجلي موقف روسيا، فيتحاشى العراق كوارث الحروب ولا نجعل من أراضيه ساحة للحركات الفعلية.

٣- على انكلترا أن تثق بالعراق وجيشه، وأن تخلص النية. وحسن النية يفرض على انكلترا، أن لا تهمل أمر جيشنا، وأن تعمل على تسليحه قبل أن تطلب التحشد في بلادنا، وإلاّ فهي سيئة النية، وتعمل على شل قوتنا عن قصد وعمد، لتخضعنا فنكون طوع بنانها. أما تحشد جيش أجنبي بلا مسوغ، فإنه يمس بكرامة الشعب ومعنى الجندية، لذلك فإن الشعب والجيش، لا يطيق أن يرى جيشاً أجنبياً يستعرض بلاده، ويتبختر في أرجائها وشوارعها بأسلحته ومعداته، فيبقى مكتوف الأيدي ويقوم بدور الشرطي الحارس لخطوط المواصلات ومداخر التموين والعتاد، ويكون سجّاناً لأحرار البلاد.

تَلَوْتُ مسودة اللائحة على وكيل رئيس أركان الجيش وهيئة ركنه، بحضور كامل شبيب، فوافقوا على محتوياتها بالإجماع، ثم طُبعت ووقع عليها وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، وأودعت لدى الرئيس الأول الركن محمود الدرة، لتعرض على مجلس الدفاع الأعلى عند اجتماعه.

اجتمع مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رشيد عالي الكيلاني للمرة الثالثة، وحضر الاجتماع السادة الذين حضروه في الجلسة السابقة، واستهل نوري الحديث، فأتى على ذكر الموضوع نفسه، فرد عليه ناجي السويدي، واحتدم النقاش بسرعة، وتكهرب الجو بدرجة تفوق بكثير مايتطلبه موضوع الجلسة. مما دل على أن بينهم امراً خفياً لا يدخل في موضوع الجلسة، ولا يريدون الجهر به أمامنا. وكان رشيد وناجي يهاجمان نوري بعنف، ويشددان عليه، ليأتي بما عنده من معلومات أو دلائل أو براهين أو أسرار خفية، اطلع عليها خلال تنقلاته، ليؤيد بها حجته فينزلان عند رأيه، والا فانهما لن يلعبا بمقدرات البلاد، ولن يتركا الدلائل والاسس التي يقوم عليها الموقف السياسي والحربي العام، إلى مجرد الحدس والتخمين.

وأراد نوري أن يتخلص من تشديد رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي، فطلب أن تقرأ اللائحة للاطلاع على رأي الجيش. وبدا لي أنه كان يتوقع أن تحتوي على مايلائم رغبته ويؤيد رأيه، وهو يعلم بأني أنا الذي اعددت مسودتها. أما أنا فكنت أتمنى لونُسيت اللائحة وأُهمل شأنها، فلا تتلى بمثل ذلك الجو المكهرب. ولما وصل محمود الدرة في التلاوة إلى فصل الاستنتاجات، التقى نظري بنظر نوري صدفة، فرأيت عينيه المنكمشتين تشعان ببريق الغضب وتحدجاني بنظرة ملؤها الوعيد، فكأنني قاتل صهره جعفر.. وقرع نوري على المنضدة وقال:

- «كفى.. كفى. لقد خرجنا عن الموضوع» فأجابه ناجي السويدي:

- «لابل انه الموضوع بصميمه، فلنستمع إلى الآخر».

فلما انتهت تلاوة اللائحة، عاد ناجي السويدي يستنكر موضوع التحشد الانكليزي، وكلما مضى في النقاش وتعمق في التعليق، زاد حماساً، فما كان من نوري إلا أن تناول قصاصة من الورق، فكتب عليها بسرعة، ودفع بها إلى طه. فلما قرأ طه الورقة، دق على المنضدة وطلب الاكتفاء بهذا الحد وتعطيل الجلسة. ثم نهض نوري وترك القاعة بلا سلام ولا كلام، بعد أن ألقى علي آخر نظراته، فكان ذلك فراقاً بيني وبينه.

دنوت من طه ونحن نغادر القاعة فسألته: ـ

ـ لقد انفض الاجتماع دون التوصل إلى قرار، فمتى تعقد الجلسة القادمة؟ فأجاب:

ـ لقد صرفت النظرعن توجيه الدعوة إلى مجلس الدفاع، ولن يجتمع بعد اليوم.

لماذا اتخذ طه هذا القرار وبأي حق فعل؟

لماذا نزل طه عند طلب نوري؟

لماذا أخذ طه بعد هذه الحادثة، يصبح وهو منا، ويمسي وهو علينا؟ حيناً يشتكي من تصرفات نوري وحيناً من عناد رشيد عالي؟

كل ذلك لايتفق مع صراحة طه ووطنيته واستقامته. لقد وقف منذ ذلك اليوم موقفاً بين الطرفين، فكأنه يلعب على الحبلين، وبقي طه على موقفه هذا، حتى بعد أن أصبح رئيساً للوزراء، وإلى أن قدّم استقالة وزارته. ولما أشيع بأن ناجي شوكت قد اتصل بالسفير الألماني (فون بابن) وألح الوصي على رشيد، لإخراج ناجي شوكت من الوزارة، وقف طه بادىء الأمر بجانب رشيد، وقال بأن طلب الوصي غير مشروع، لكنه مالبث أن انقلب، فنزل عند إرادة الوصي غير المشروعة، ووافق على إخراج ناجي شوكت من الوزارة. ثم انقلب على رشيد بالذات، إذ أضعف وزارته وزعزع موقفها، فسبب استقالتها. ولوصح اتصال ناجي شوكت بفون بابن، فإنني أقول وأجزم بأن هذا الاتصال ما وقع إلا برضى طه ورشيد وناجي والمفتي.

ولماذا انقلب طه على رشيد، وهو الذي أيّد نوري والوصي، وأقنعنا بضرورة تولي رشيد الرئاسة، بعد أن وضحت له من حادثة حسين فوزي وأمين العمري، شروط رشيد وآراؤه التي لا تتفق مع مشاريع نوري وآرائه، ولا تذهب مذهب نوري في تفسير المعاهدة العراقية الانكليزية بالنيابة عن الانكليز، وتطبيقها «نصاً ومعنى» بما يرعي مصالحهم ويحقق رغباتهم.

هذا هو خطأ طه الذي يلام عليه، وقد كلف خطؤه كثيراً وكثيراً جداً، إذ جعلنا نخشى جانبه ونحن إخوانه، ونرتاب في صراحته في القول، وتنزهه عن المحاباة في العمل، وتركنا بين الشك واليقين من أمره.

لو كان نوري مطلعاً على سرائر الانكليز وأسرارهم عن روسيا، فلماذا لم يبق على رأس الوزارة، ولماذا لم يأخذ على عاتقه تطبيق ما يريد الانكليز منا، ولماذا رجح الاستقالة وأجبر رشيداً على القبول برئاسة الوزارة.

فإن لم يطلع نوري على هذه الأسرار، إلا بعد أن ترأس رشيد الوزارة (بواسطة نيوكمب الذي قدم من لندن خصيصاً للاجتماع بجميل وجودت والوصي، أو بواسطة الشخصيات الانكليزية التي اتصل بها في القاهرة)، فلماذا كتم هذه الأسرار عن رشيد عالي الكيلاني، مع العلم أنه كان وزيراً للخارجية في وزارة الكيلاني؟ ولئن كان نوري لا يولينا ثقته، فلماذا يجمعنا في داره، فيفشي لنا أسراره التي لا تفيد غيره؟ ولئن لم نكن موضعاً للثقة، فهل يماثلنا جميع المسؤولين في البلاد، لتكتم هذه الأسرار عنهم جميعاً، فلا يطلعوا على ما يراد من العراق، ولتبقى هذه الأسرار وقفاً على الوصي وجميل وجودت ونوري؟

لا ريب أن مثل هذه المطاليب والأسرار، يجب أن تطرح على بساط البحث في مجلس الدفاع الأعلى، وفي الجلسات السرية التي تعقدها مجالس السلطة التشريعية، وكل تصرف مخالف، يعتبر تصرفاً ديكتاتورياً ولا يقره الدستور ولا تعاليم الديموقراطية.

إنها لأسرار يكتنفها الغموض. أسرار لا يدركها إلا من أراد أن يطبق المعاهدة «نصاً ومعنى».. والمعنى في قلب نوري «الشاعر» بفضل الانكليز على العرب وجميلهم. أما الطرف الآخر، فأنّى له أن يدركها، وهو بعيد عن مثل هذا الشعور بفضل الانكليز ومنّتهم؟ لذلك فقد حقّت اللعنة عليه.

ملحق رقم -٦-

قام الانكليز بوقائع غادرة للتخلص من الوطنيين العرب المناوئين لهم. من ذلك حادثة اختطاف يس الهاشمي في عهد الحكم العربي في سوريا، وطالب النقيب في العراق. وهما حادثتان يعرفهما كل متتبع للقضايا العربية. ولنوري بن سعيد اليد الطولى في تنظيمها.

لذلك فإن من اليسير على نوري، بعد تحشّد الجيش البريطاني، أن يتخلّص في ليلة واحدة من قادة الجيش ورشيد عالي وغيرهم، ممن لا يرضى الانكليز عنهم. وعلى رأس القائمة المفتي وجماعته وفوزي القاوقجي وعادل العظمة وغيرهم، ولا يستبعد أن يكون طه أيضاً بينهم.

شهادة رقم (7)

رسائل الصباغ

كتب إلى أحد أصدقائه، بتاريخ ١٠/٥/١٩٤٢

لقد اطلعت على الأحكام الصادرة بحقنا من اعدام ومصادرة أملاك، هذا كل ماأعلمه فيما يختص بي، وما حل باخواني الآخرين. . أما أنا فقد شاء الله أن لا أموت على الرغم من المآسي والمشاق والمراحل الشاسعة المكسوة بالثلوج، والتي قطعتها على قدمي، وأنا أواصل الليالي، أحمل حقيبة متاعي على ظهري، وأطارد. . . حتى أذن الله أن اجتاز الحدود في ٢ نيسان ١٩٤٢ وأن أصل هذا البلد المنقطع سيواس في ٢٢ نيسان ١٩٤٢ فأمرت بالاقامة فيه. لقد أنهكت قواي ولست أدري متى أستعيدها.. أنا أجهل ماذا حل بعائلتي، وقبل أربعة شهور، لما كنت في ايران، أرسلت زوجتي التي كانت ترافقني، أرسلتها الى بغداد هي وطفلها الصغير فردوه بالبقية الباقية القليلة، وكان يرافقهما الجندي الذي بقي مخلصا لي.. لكني لاأدري هل وصلوا بغداد سالمين أم لا... لذلك فأنا أجهل ماذا حل بولدي الآخرين وأمهما.. وكل ماأعرف أن شرطة هذا البلد أخبرتني بان أكبر أولادي نزار كان هنا مع غيره من اللاجئين، وقيل لي أنهم قد أعيدوا الى العراق.

أرجوا أن لاتفهموا مما تقدم أنني يائس أو أبث الشكوى.. لا والله.. فان ماحصل -شرا كان أو خيرا- ماهو الا رحمة من الله على الذين آمنوا بضرورة انقاذ بلادهم. وما المآسي التي قاسيتها وأقاسيها الآن، والتي قد

تزداد شدة وقسوة فيما بعد، ماهي الا لباس ارتديته، وقد كان نصب عيني في جميع أعمالي. وقد يتمزق أو يبقى، فألاقي به وجه ربي وأنا ناصع الجبين قرير العين اذ اديت مافي مقدوري من الواجبات المترتبة علي في هذا المضمار، والتي رضعت لبنها منذ نعومة أظفاري..

تحيتي اليك والى الأخ فخامة رشيد (بك) والاخوان الآخرين، وليعذرني من الكتابة اليه لأني أجهل عنوانه. أدامك الله بحفظه

سيواس - ١٩٤٢/٥/١٠

صلاح الدين الصبّاغ

وبتاريخ ١٢ حزيران ١٩٤٢ كتب مابلي:

لقد علمت العصابة التي تحكم العراق الآن أنني أقيم في سيواس، وانني لجات الى تركيا، لذلك أسرعت، بكل مالديها من قوة، وأحالت اضبارة حكم الاعدام الصادرة بحقي الى هذه الحكومة مع طلب تسليمي الى العراق لتنفيذ الحكم. وعلى هذا قامت محكمة الجزاء الكبرى بأخذ افادتي قبل يومين مستندة على المادة التاسعة من قانون الجزاء العسكري التركي، وعلى الاتفاقات العدلية بين العراق وتركيا. ولست أدري ماذا سيكون القرار؟ ولكن أعتقد بأن المحكمة التركية عادلة، كما أعتقد بأن الشعب التركي والحكومة التركية يعطفان على قضيتنا وعلينا، وأنها سوف لاترضى بتسليمي، لأن ذلك يخالف عاداتها التاريخية المشهورة كما يخالف الحقوق البشرية.

صلاح الدين الصبّاغ

وكتب الى الحكومة التركية :

سيواس- أوتيل أورنك

٦ تموز ١٩٤٢

- من الضابط العراقي اللاجيء صلاح الدين الصبّاغ

- الى الجهات ذات الصلاحية :

كان المسيطرون على الحكومة العراقية قد تقدموا الى الحكومة التركية بطلب تسليمي اليهم لكي ينفذوا بحقي حكم الاعدام الجائر، الا أن الحكومة التركية رفضت هذا الطلب لأن قوانينها العادلة اعتبرتني لاجئا سياسيا، وأشعر بانني مدين لأصدقائي الأتراك بواجب الشكر والامتنان. . وكانت الحكومة العراقية قد أرفقت مع طلبها بتسليمي قرار الحكم باعدامي، فقرأت فيه أنها قررت بالاضافة الى حكم الاعدام مصادرة أملاكي ايضا. وانني أعلم أن عائلتي الموجودة حاليا في العراق تعيش في حالة شديدة من الضيق والعسر، لذلك أرجو منكم مساعدتي، بواسطة الطرق الدبلوماسية أو بواسطة الهلال الأحمر، لجلب عائلتي الى تركيا وفيما يلي عنوانها في بغداد: محلة الوزيرية- بواسطة الدكتور محفوظ: زوجتي بتول الصبّاغ.

صلاح الدين الصباغ

«الا أن جميع المحاولات التي بذلها صلاح الدين الصبّاغ لجلب عائلته الى تركيا لم تفلح.»

«الناشر»

سادساً:

خصوصيات الحكام وتعلقها بالصالح العام

في أوائل الخريف عام ١٩٤٠، اجتمع في داري فهمي ومحمود وكامل، وكان موعدنا الغد في مقابلة الوصي، فقد دعانا إلى الاجتماع في قصره، لما عاد من مصيف صلاح الدين، وكان قد وقّع على قانون المعارف، بعد أن التمسنا منه ذلك، في المقابلة التي سبقت هذا الموعد. وكان هذا التماسنا الوحيد، الذي تقدّمنا به طوال مسامراتنا، فتكرّم علينا بالموافقة.

ودار الحديث بيننا، عن الكيلاني والهاشمي، وكيف أنهما ما زالا يجهلان سر تلك الموافقة، بعد أن أعيتهما الحيل، لإقناع الوصي على توقيع هذا القانون، وقضيا أشهراً يلحّان عليه في الرجاء، ويتبعانه إلى المصيف دون جدوى، ثم أجّل عرضه على المجلس النيابي، والوصي ما زال معرضاً عنهما، يختلق الأعذار حتى انتهى بهما الأمر إلى التذمر أمامنا جهراً، من تصرف الوصي، ومن دس نوري. وكم اشتكى رشيد، وطه لايقل عنه شكوى، قائلاً: من الذي يدفع الوصي إلى هذا، وهو من الذين ألحّوا عليّ، وأصرّوا لقبول رئاسة الوزارة، لما عجزت وزارة نوري عن تحمل تبعات الحكم، وشعرت بضعفها بعد اغتيال رستم حيدر. من الذي يشير عليه بهذه الأساليب الشيطانية، فيتخذ منها سلاحاً لإحراج موقف وزارتي، ولشل سيرها، وهو الأمّي الجاهل لمعنى الدستور؟

أما قانون المعارف، فقد أُعدّت أحكامه لمحاربة السموم التي تبثها المدارس الأجنبية، ولتحديد عددها وتضييق نطاق عملها، لكن الوصي يشترط للموافقة عليه، أن تستثنى من أحكامه المدارس الانكليزية والأمريكية، فيكون لكلية فيكتوريا فرع ببغداد، مثل الذي بمصر. ولقد صعب عليّ التوفيق بين مصالح الوصي الشخصية، ومصالح الأمة الحيوية، كما تعذر عليّ إقناعه قبل هذا، بضرورة التمسك بالاتفاق الذي عقدته وزارة نوري مع حكومة جلالة عبد

العزيز السعود، وهو ما زال يسمعني قارص الكلام، فأصبر عليه وأورد الحجة تلو الأخرى، أنني ما سلّمت رئيس العشيرة، إلا نزولاً عند أحكام ذلك الاتفاق، وبناء على طلب شخصي، تلقيته من جلالته، وبعد أن قطع على نفسه عهداً بأن لايمسه بأذى، وبأن يكرم مثواه، وقد فعل. أما الوصي، فيريد أن أكتم عن ابن السعود وجود رئيس العشيرة هذا في العراق، فيستخدمه ضد ابن السعود لإرضاء أهوائه الانتقامية، ولو كان ذلك على حساب العراق والعرب. ولا أدري كيف أكتم الأمر، ورئيس العشيرة يزور السفارة السعودية بين آونة وأخرى، وهي التي أنبأتني بمحل إقامته؟

أنا أجهل نوايا الوصي ومراميه، من وراء هذه الدسائس، ولكن نوري لا يجهلها. وكان على الوصي لكي يحتفظ بمثل هؤلاء، أن يرفض التوقيع على الاتفاق، لما تقدمت به وزارة نوري. وكيف أنكث العهود وأحدث الخلاف بين بلدين عربيين شقيقين، لمجرد أهواء الوصي الانتقامية من آل سعود؟ أو أثير الفتنة بين البلاد العربية وهي، في هذا العالم المحترق بأتون الحرب، أحوج الأمم إلى التعاون والتضامن وترقب الفرصة، لتنال حقوقها وتطرد بقايا الاستعمار من ظهرانيها، وترفع نير الاستعباد عن كاهلها؟

إنها دسائس يحوكها السفير البريطاني، الذي استغل جهل هذا الوصي، فراح يتصل به في قصره مباشرة، لا في البلاط، ولا يكلّف نفسه عناء إخباري وأنا رئيس الحكومة. وهذا خرق للمجاملة ولحرمة الاستقلال، ولا تقره الأصول الدولية، ولا ترضى به حكومة مهما ضؤل شأنها. ثم فتح الوصي أبواب قصره للمعارضين من صنائع الانكليز، وقربهم إليه، وهو الذي كان يتظاهر قبل الوصاية بمقتهم، فأخذوا يتنقلون بين السفارة البريطانية وقصر الرحاب، حتى تحوّل القصر الخاص بالعائلة المالكة إلى دائرة رسمية.

أما أخونا نوري، فقد استقلّ في تصرفاته وتنقلاته، فكأنه ليس وزيراً للخارجية في وزارتي، فمن داره إلى مقر الوصي، ومن بغداد إلى القاهرة، وأنا لا علم لي بشيء، وأحسب لألاعيبه ألف حساب.

وما كان طه الهاشمي ليقل عن رشيد عالي الكيلاني تأثراً، يوم كان الكيلاني يقصّ علينا أموراً كنت أنا وهو وطه نعرف ما تعليلها، وما تضمره خطط الانكليز، إذ تدفع نوري إلى عرض ما يعرض على مجلس الدفاع من مقترحات انكليزية، ويقرنها بالحجة غير الشرعية لإحراج وزارة الكيلاني. وكان المقصود في الواقع، إخضاع الجيش، لاالكيلاني، ولكن الدور كان الدور الثاني، بعد أن أيقن نوري أنه فقد ثقة الجيش به وتأييده له. وتحقق لديه اتفاق الكيلاني مع الجيش. فإذا وعوده المعسولة وجهوده المبذولة لقنص المربع الذهبي -كما يسمينا

الانكليز-، تذهب أدراج الرياح(١).

ثم انتقل بنا الحديث إلى أخبار البلاط وحاشيته، وتصرفات الوصي التي أساءت لسمعته، ورحنا نبدي ألمنا وخيبة أملنا، لما تلوكه الألسن عنه. وابتسم محمود ،أنا أقصّ عليهم ما كان من أمري مع الشريف (...).

وقصة ذلك أنني دُعيت إلى وليمة أقامها الوصي بمناسبة زيارة عطا الله باشا المصري إلى بغداد، ليقدم للملك فيصل الثاني هدية الملك فاروق، وقد دعي إليها الوزراء وكبار الضباط، وكان الحاضرون منبثّين في الحديقة يتجاذبون أطراف الحديث، وإذا برجل يحمل كأساً فيه وسكي يمد يده لي مصافحاً ويقول، «تشرفت بالأخ صلاح الدين بك... أقدم لك نفسي أنا الشريف (...). يؤسفني أنني لم أتشرف بالتعارف من قبل... أهلاً وسهلاً بك، يسعدني أن أجدك الليلة هنا. فإنني توّاق لرؤيتك وإخوانك الكرام... دعني أقبلك ياأخي....» وتلاحقت كلماته وهو يترنح يمنة ويسرة من فرط السكر، ويمسح فاه بين الفينة والفينة، فأجبته: «لي الشرف العظيم، ولك الشكر الجزيل يا سيدي على ما تكرمت علينا من عطف وحسن ظن»، حتى أغاثني آمر كتيبة الخيالة الأولى صبحي العمري، فأبعدني عنه هامساً: « ما شأنك وهذا المهذار، كأنك لا تعلم من أمره شيئاً» قلت «هو شريف من العائلة المالكة» قال: «أجل، وكان ذا حظوة عند غازي، ثم عند عبد الإله اليوم، لكنه جاسوس للانكليز، ومستخدم عند (دون فيل)، يفوق زميليه عبيد وعبد الله المضايفي في هذا المضمار، وهو ليس خليقاً بالاحترام والتعظيم، بل يرتاح لأسلوب آخر، فأصغ إلى ما سأقول، يتّضح لك ما أعني.» وكانت مداعبة باللغة التركية، تضمّنت جملاً خجلت من سماعها، فابتعدت وأنا أستعيذ بالله من هذا الشريف، الذي يرث تراث محمد، قال محمود معلقاً: هذا غيض من فيض، فإن الشريف (...) يفوقه في هذا المضمار، ولا يجد حرجاً في المفاخرة بما ارتكب من مخازي(٢). وهل أتاكم حديث الوصي

---

(١) دونت اقتراحات نوري في محاضر مجلس الدفاع الأعلى، وكان نوري يعترض على تدوين المناقشة وضبط محضر تدون فيه آراؤه، لأنه كان يخشى أن يبقى ذلك مستمسكاً ضده. ولابد أن يقضي نوري على تلك الأضابير ويمحو أثرها إذا وقعت في يده. لأن نوري كالزئبق لا يستقر ولا يمسك، بشهادتك أيها العربي الشهم الرئيس الأول الركن محمود الدرة والمقدم الركن رفيق عارف، فقد كنتما تقومان بواجب تدوين محاضر جلسات مجلس الدفاع الأعلى وتحددان مواعيد انعقاد الجلسات.

(٢) - انقل هذا على عهدة الراوي، والرواة غيره كثيرون. أما محمود فمطلع على أخبار البلاط وحقيقة ما يجري فيه لأنه كان مرافقاً لفيصل وغازي مدة طويلة. ليس بيني وبين هذا الشريف سابق معرفة ولم تقع عليه عيني قبل ذلك أبداً، لكن سمعته عند الضباط والأهلين سيئة.

ومأساة زوجته المصرية، يوم أرسلها إلى مصر بالطائرة، بحجة زيارة أهلها وكان نوري يرافقها(١) وعبيد وعبد الله المضايفي. وبينما كان الزوج يودع زوجته ويعدها بالوفاء وقرب اللقاء، كان مرافقها المضايفي يتأبط كتاب طلاقها، فما أن وصلت بيت أبيها حتى وصلها الكتاب. كل هذا وهي لا تدري أنها ضحية لكيد الآنسة الحيدرية(٢) التي رشحتها الخطط البريطانية، لتكون هي (الوصية)، فتلعب بمقدرات العرب. حتى أصبح غرام الأمير بها حديث الخاص والعام، تجري حوادثه في ميدان السباق بواسطة منفي......، وما هذا والله من الشهامة العربية في شيء، وأن الخجل ليعتريني وأنا أتحدث إليكم، بعد أن قدمت لكم الوصي بذلك الوصف الجذاب، إذ لولاي لما اتصلتم به.سألته:

– وما العمل يا محمود؟ أجاب:

– لا شيء. وأجابوا:

– لا حول لنا عليه، وإن علينا الصبر، والسعي لتلطيف الأمر.

قلت: – ألا نغار على سمعته؟ قالوا:

– بلى والله.

فأضمرت في نفسي أن أفاتحه بالأمر غداً حين نلتقي.

فلما كانت الساعة الثامنة من مساء اليوم الثاني، جمعتنا قاعة الضيوف الأنيقة في قصر الرحاب، وقد جعل أثاثها على الطراز الأوروبي، وعلّق على أحد جدرانها صورة زيتية كبيرة للمغفور له الملك حسين – جد عبد الإله – وهو باللباس العربي. وحضر الوصي بعد قليل فحييناه وقوفاً، ثم جلسنا على شكل دائرة، كعادتنا في كل اجتماع. وانقضت الدقائق الأولى في تبادل التحيات والمجاملات ثم بادرت إلى القول:

– سيدنا، أعتقد أنك من بعد اتصالنا بك وارتباطنا، أصبحت واثقاً من إخلاصنا واستعدادنا للتضحية في سبيل إحياء مجد هذه الأمة، الذي تستهدفه تعاليم محمد، فعاهدنا الله على الأخذ بها وجعلناها نبراساً لنا في الجهاد، حتى يدركنا الأجل أو يتحقق الأمل– هذا العهد يدفعنا إلى الغيرة على سمعتكم يا آل البيت، لأنها تمس بكرامة محمد، فنتوخى في القول الصراحة ولا نخشى في الحق لومة لائم، لذلك أرجو أن لا يجد سموكم مرارة في

(١) – جمعنا نوري في داره بعد عودته من مصر، وقال أنه ذهب إليها للوقوف على آراء الانكليز، لكنه لم يخبر رشيد عالي الكيلاني بذلك.

(٣) – هي بنت داود الملقب بالحيدري. لعبت هذه الآنسة دوراً هاماً في مقدرات العراق، فقد كانت تطمع بالاقتران بالوصي الذي كان شغفه بها يقارب العبادة. شبت هذه الآنسة على التربية الانكليزية وعلى خلق الانكليز. وقى الله العرب من شر الأعاجم.

صراحتي، إذ أقول كفاكم عبرة مما مضى(١).

إنه لمن الأمور الشخصية التي لا أعترض عليها، أن تنفصلوا عن زوجتكم المصرية لاختلاف الأمزجة، ولكم في ذلك كل الحق. على أن وقوع هذا الأمر عقب وصايتكم على العرش، كان له أثر سيء في نفوس الشعب، واقترن بإشاعات وتقوّلات تشوّه سمعتك، فكان لا بد من أن نلفت أنظاركم إلى ذلك. إن من حق الشعب عليكم، أن يحافظ على سمعتكم، وأن يناقشكم عليها الحساب، لأنها تمس بكرامته، لأنكم مثال أخلاقه وصدى سمعته إذ كنتم من آل نبيه وبيته المالك. ليس الانكليز بأشد من العرب تمسكاً بالتقاليد، لكنهم أبوا على إدوارد الثامن، ملكهم المحبوب أن يعبث بتقاليدهم، فأقصوه عن العرش وهم آسفون، لذلك كان عليكم أن تتجنبوا ما يدعو إلى تذمر الشعب، وهو سريع التذمر من مثل هذه الأمور كما تعلمون.

لقد ابتلى الله العراق والعرب بأدهى الأشخاص الذين عرفهم تاريخ الاستعمار في قنص الأمم بوسائل دنيئة وسبل وحشية، إذ يخلقون من أذنابهم زعماء ويحكمون على المخلصين بالفناء، هذا يرفعونه إلى مصاف الملائكة، لأنه جاسوس لهم في الدار، وهذا يجعلونه في مصاف الخونة أمام قومه، لأنه أبى الاستعمار. ومنهم من يقضون عليه بالموت، فيقتلونه غيلة، أو يدسون له سماً، ومنهم من يستميلونه بالعواطف والملذات والقصور الفخمة والحياة المترفة، حتى ضاق سفر التاريخ بأسماء الجميلات المأجورات، ذوات اليد الطولى في مصائب الشعوب ومصائرها. ولئن كنت في عنفوان شبابك، فقد سنّت للكائنات قيود لا تخرج عنها. إن قيامك بالوصاية على العرش وانتسابك إلى بيت كريم، يقضيان عليك بأن تحكم الإرادة في تصرفاتك، فتكبح جماح ميولك، وتسعى لإزالة ما يشوب سمعة آلك.. أما مطاوعة النفس، فإنها تعود بالضرر على مصالح الأمة، وتحط من ثقة الشعب بالقائمين على أمره..... (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً). وعلينا أن نلفت نظرك إلى ما هو خافٍ عليك، ورائدنا الإخلاص وحده، والله أعلم أننا كنا وما زلنا شبّاناً، ولكن نفوسنا أبت أن نقربَ السيئة، لأنها تمس بكرامتنا وواجبنا القومي، ونحمد الله على ذلك.

وإنه ليسوء الأمة يا سيدنا، أن تعلم بانصرافك إلى متع الحياة، أو بإصرارك على الاقتران من آنسة غير عربية، زينها لك سماسرة الاستعمار، وهم يمزجون السم بالدسم. لا يخفى عليك أن زيداً أحق منك بالوصاية لأنه عمك، فما فضلتك عليه حجة أسكتت المعارضين وأقنعت الشعب، إلا أن زوجته غير عربية. وهذا ولي عهد إيران، قد تزوج بأميرة مصرية نادرة

(١) هذه اشارة من طرف خفي إلى حادثة قبرص. انظر الملحق رقم -٧-

المثيل، وهو لا يدانيك حسباً ونسباً، ولست أعتقد أن مصر الشقيقة، بمانعة عنك أختها، وهذه بيوتات العرب العريقة، تفتح لك الأبواب على مصراعيها، وانبذ الغادة التي فتنتك -إذا صح مايتردد على الألسنة - فما هي إلا أعجمية غدّارة.

وليشد بعضنا أزر بعض، ولنكن على بصيرة، فإن علينا بمثل هذه الظروف العالمية، أن نستغل الفرصة لانتزاع حقوقنا من غاصبيها، لا أن تلهينا هذه الأمور، فيصرفنا الانكليز بذلك، عن السير في الطرق الموصلة إلى وحدة العرب، وإلى إنقاذ الشقيقتين سوريا وفلسطين في عهدك، وعهد فيصل إن شاء الله. وأكرر الرجاء يا سيدي، بأن تلقى قولي بصدر رحب وخاطر طيب، فالله يعلم، وأنت أيضاً، أننا ليس لنا من وراء ذلك غاية أو مأرب، إنما يدفعنا الإخلاص، ولن تحيد بنا زخارف الحياة ومباهجها عن مبادئنا شيئاً، نرجو الله أن يمدنا بعونه، ويكلل أعمالنا بتوفيقه، فتجني الأمة العربية وآل بيتكم ثمار جهودنا، فتتحقق بذلك أمانينا ونراكم سادة لا مسودين، وملوكاً على العرب وهم أحرار لا مستعبدين.

كان الانفعال ظاهراً على ملامح الوصي وأنا أتكلم، فلما فرغت من كلامي ساد صمت عميق، ثم قال: نعم يا صلاح الدين. ولكن لا أرى لأحد الحق أن يناقشني في أموري الشخصية. آه ياعبد الإله: لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي.

واعترض كامل شبيب الحديث على الفور، فأبدل الموضوع بابتسامته الخبيثة المعتادة، وقد أغاظتني.

ملحق رقم-٧-

العائلة المالكة عربية الأصل، والمنقول أنها من أشرف بيوت العرب والمسلمين، إذ تنتمي للدوحة النبوية. لذلك فإن كل ما يسيء إلى سمعة هذا البيت العربي الأصيل، ينال مني ويؤذيني أنا العربي، كما ينال بني قومي ويؤذيهم. ومن طبعي أن لا أتعرض لأحد بالتجريح والتشهير ولو كان أعجمياً.

لذلك كان علي أن أكتم الحقائق فلا أجهر بها، مع أن كثيراً من العراقيين يعرفونها. وربما عاد الجهر بها بالضرر على أفراد عائلتي، وأنا أجهل ما يلحقهم الآن من جور، على يد من لا يعرف معنى للقومية والشهامة العربية.

لكن المصلحة القومية، تدفعني إلى الجهر بالحقائق، وأنا أعالج أسباب الحرب بين العراق وانكلترا، وأسباب فشل العراق في الحرب. ولا بد من ذكر عيوبنا التي أخذت تقضي على كياننا القومي، وتفتك بتقاليدنا وعاداتنا، ومجابهتها بصراحة، لنتمكن من إزالتها. وقد علّمنا عصر الفن والآلة الذي نعيش فيه، أن العطب لا يزول إلا بعد الوقوف على السبب، والنظم الاجتماعية تقوم على هذه القاعدة، كما أن التعاليم الإلهية تأمر بها.

إن السبب الذي أودى بنا إلى هذا الدرك هو حالتنا الاجتماعية، والتربية الأعجمية في بيوتنا، والأنانية الفردية التي دفعت عيون قومنا إلى الخيانة الوطنية.

قال الله تعالى «إن الله لا يستحي من الحق» وقال جل جلاله «وإذا أردنا أن نهلك قرية، أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً».

يؤسفني أن أقول بأن إحدى فتيات العائلة المالكة تزوجت خادماً يونانياً في قبرص، بعد أن فرّت معه وتنصّرت في قداس، عقد في إحدى الكنائس بأوروبا. وقد نشرت هذه الحادثة في الصحف العالمية، وكان المرافق الأقدم المقدم عبد الوهاب، يرافقهن في مصيفهن بقبرص، فلم تؤثر هذه الحادثة على مركزه عند العائلة، وهو لا يزال أمين سرها وصديقها الصدوق.

ويؤسفني أن أقول بأن العائلة المالكة، جعلت طبيبها الخاص يهودياً انكليزياً، بدل أن يكون طبيبها عربياً أصيلاً، مع أن فلسطين تئن من الصهيونية اليهودية. وهذا الطبيب يدعى سندرسن، وهو انكليزي، يهودي، صهيوني، منح لقب (باشا) فأصبح معروفاً بسندرسن باشا. فكيف ينال العرب استقلالهم، بمثل هذه الأفعال التي يأتيها أولو الأمر منهم؟.

سابعاً:

وقوف العراق على الحياد

احتدم النقاش في مجلس الدفاع الأعلى، بعد تلاوة اللائحة التي بُسطت فيها موقف العراق العسكري، بالنظر إلى الوضع العالمي آنذاك. وخلاصة ما جاء في اللائحة أن يتمسك العراق بالحياد ما أمكنه، وأن لا يتعدّى حدود المعاهدة بينه وبين انكلترا. ووقف كل من رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي إلى جانبي، فدافعا عما احتوته اللائحة، وأوردا النصوص القانونية في المعاهدة التي تبرر للعراق الوقوف على الحياد.

كان نوري هو الذي اقترح أن أعد تلك اللائحة، للوقوف على رأي الجيش، متوقّعاً مني أن أؤيد وجهة نظره، بالسماح للجيوش البريطانية بالتحشد في العراق، فلما وجد اللائحة خلاف ما يرغب، طلب من طه، على قصاصة من الورق أن يختتم جلسات مجلس الدفاع، فوافق طه على ذلك، مع أن نوري لم يكن أكثر من وزير للخارجية في وزارة الكيلاني. وكان طبيعياً أن يعقب ذلك، هجوم على الجيش، وتطاول على الكيلاني، شنه سماسرة الانكليز في مجلس النواب والأعيان، مثل جميل وجودت وجلال بابان(١). فانبرى لهم طه الهاشمي رادا على أراجيفهم، مدافعاً عن الجيش بصدق وإخلاص، مثبتاً وطنيته وعروبته. أما نوري، فكان يماري، فهو وإن اتفق مع الهاشمي في الدفاع عن الجيش، فقد كان يشجّع الأذناب من وراء الستار، ويحرضهم بواسطة الانكليز وعبد الإله(٢) ومما قاله جلال بابان في خطاب له، عبَّر فيه عما يريده الانكليز من العراق، أن على العراق أن يختار بين ثلاثة أمور:

١- الوقوف على الحياد في الحرب، وتطبيق نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية. واتباع هذه الخطة دليل على عدم التروي، لأنه لا يتفق مع الصداقة التقليدية التي تربطنا ببريطانيا، ولا مع حرص بريطانيا على المحافظة على كياننا. لذلك كان علينا أن نوفي الصداقة حقها.

---

(١) نشرت خطبهم في جريدتي الزمان والعالم العربي في أواخر عام ١٩٤٠ (أوائل عام ١٩٤١).

(٢) - كان نوري يلمح بهذا من طرف خفي بأن قطع الصلة بيننا وبينه سيعرضنا إلى هجمات هؤلاء الأذناب لأنه كان مطلعاً على حقيقة موقفنا منهم.

٢- الانحياز إلى الجانب المعادي لبريطانيا. وهذا هو الجنون بعينه، بل إنها خطة جهنمية وخيانة وطنية.

٣- الدخول في الحرب إلى جانب بريطانيا. وهذه هي الخطة القويمة، التي يجب على العراق اتباعها، ليفي بحق الصداقة لحليفته بريطانيا العظمى (انظر الملحق -٨-).

اجتمعنا في دار محمود سلمان بالوزيرية، واستعرضنا ذلك كله، ثم كشّر كامل عن أنيابه، وابتسم ابتسامته الصفراء، التي تنم على الغدر عند المحنة، والتملص من الخطر، لينجو بنفسه، وراح يعاتبني ويقول: أنه كان محقاً فيما تنبأ به عن الوصي، يوم كاشفته بما في ضميري، وما كان من أمري أخيراً مع نوري في داره. وأنه مصيب في اعتقاده، بأن من عادة العائلة المالكة أن تجزي الحسنة بالسيئة -وقد صدق كامل- وضرب على ذلك مثلاً، ما كان من تنكّر غازي للأخوين طه ويسين الهاشمي، وهما اللذان علّماه صغيراً ورعياه. فالواجب علينا إذن، أن نتّقي في صلتنا بعبد الإله، وأن نستفيد منه بالسير في الطرق التي تلائم طبعه، ما دمنا لا نستطيع ر عه.

قلنا: -أحسنت يا كامل، نوافقك على ذلك، فاعدد للأمير ما يطيب له نفساً إن كنت عالماً بالطرق التي تلائمه.

وابتسمنا، فأجاب: -لا، لا.. نحن عرب لا ننزل إلى هذا الدرك مهما كان السبب، فكيف تقولون هذا؟ (راجع الملحق -٩-).

قلت: -إذن حسبك يا كامل وحسبنا مراوغة ومخادعة لأنفسنا، لقد بلغ السيل الزبى، وما نخشى وقوعه لا محالة واقع. لأن الانكليز وأذنابهم، لا يقصدون الكيلاني، بل الجيش، ونحن تلقاء ذلك بين أمور ثلاثة:-

فإما أن نرضخ للانكليز كما يدعو نوري وعبد الإله والأذناب، ونبقى على رأس جيش، يجعلونه كجيوش المستعمرات، فتنهال علينا الرواتب الضخمة، ونختال في المناصب الرفيعة، ونغدو والجيش من ورائنا، آلات صماء في أيديهم، ضاربين عرض الحائط بشرفنا وعهودنا ومقدرات أمتنا.

أو أن نرفع استقالاتنا، ونقبع في بيوتنا، تاركين الحبل على الغارب.

أو أن نبقى على ما عاهدنا الله عليه، فلا نحيد عن مبادئنا، وننصر الشعب ونؤيد رجالاته المخلصين، الذين يتمسكون بنصوص المعاهدة العراقية الانكليزية المقيتة. بذلك ننقذ البلاد من حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، حتى تجين الفرصة التي تعود على البلاد بالنفع، أو

ينجلي الموقف العالمي، شأننا في ذلك شأن الأمم المجاورة لنا.

كفاك يا كامل وكفانا مراوغة ومخادعة، إننا نتذمر من موقف عبد الإله وسوء سمعته، وإن محموداً يعض على أنامله من الغيظ والندم لما جنت يداه، وما بشر لعبد الإله، حتى رفعه إلى مقام الوصاية. علينا، إذا كان الإصلاح رائدنا، أن نبدأ بالرأس، فنطلعه على السيئة، ليكون على بصيرة، قبل أن يستفحل أمره. أما اقتراحك بأن نتّقيه، ففيه خطر عظيم، لأنه سيجعله يقلد الفراعنة. ثم إن اقتراحك لا يتفق مع طريقتنا التي سلكناها معه، ولا مع سيرتنا التي مشينا عليها. زد على ذلك أننا لا ندري كيف نطبق هذا الاقتراح، وقد يجرفنا معه، بعد أن أحكمت شراك الانكليز انطباقها عليه، ونفذت إلى أموره الشخصية وعواطفه الصميمة. ومن أين لنا بعد ذلك أن نمنع الكارثة عن الأمة العربية، وعن العراق وجيشه؟ أو كيف نقوى على ذلك، إذا انجرف الوصي بتيارهم، ونحن نعاني الأمرّين من الانكليز ومن الكتل الأعجمية التي تشايعهم وتتحين الفرص للقضاء علينا؟ إن الأحداث تشير إلى اقترابنا من الهوة، فهذا الوصي يتصل بحسن السهيل وبالسفير البريطاني، إذ لوحا له برؤوس الأموال اليهودية، وأخذاه إلى بلدروز، لاغتصاب أراضيها من أهلها بالظلم والعدوان، فصرخ الناس «ملوكنا تسلب حقوقنا فلمن نشتكي؟» حتى اضطر محمود أن يلتمس من الوصي الكف عن محاولة شراء الأراضي، لأنها تسيء إلى سمعته، ولكنه باء بالفشل، ولم يكن أسعد حظاً من متصرف بعقوبة، السيد جلال خالد(١).

وهذا الوصي يرافقه السفير البريطاني، يتصل بأمير ربيعة في الكوت وبرؤساء العشائر الأخرى، كما يتصل بعملاء الاستعمار وسماسرته المناوئين للعروبة، حتى ضاق الكيلاني ذرعاً بهذه التصرفات الشاذة.

وهذا الوصي يجمع صغار ضباطنا في قصره يسقيهم الشاي، أو ربما يدعو بعضهم إلى سهراته الخاصة، أو يمهد السبيل للإنكليز أن يتصلوا بهم، إذ يرافقونهم في صيد ابن

(١) – حسن السهيل نائب في مجلس الأمة العراقي، ولا يعرف القراءة ولا الكتابة. كان جاسوساً يعمل لحساب الانكليز في الحرب العالمية الأولى وأثرى بفضل الانكليز وبركاتهم عليه، فتملك أطياناً واسعة يجري فيها الماء وتكسوها خضرة يانعة. أدعى رئاسة بني تميم والعشيرة تعرفه صعلوكها لأنه كان يبيع الشوك قبل الحرب على مايروي حسين علوان. كاد الشعب يفتك بحسن السهيل أيام الحرب بين العراق والانكليز لأنه تجسس على بني قومه لحساب الانكليز وأعد لطائراتهم مهابط في أطيانه، ولم ينقذه من الموت إلا التجاؤه إلى عبد الواحد صقر.

أما المتصرف السيد جلال خالد فكان يشكو من تصرفات الوصي وتنقلاته إلى بلدروز برفقة حسن السهيل والسفير البريطاني، وتعددت مراجعاته إلى المقامات العليا بشأن ظلامات الناس في منطقة بلدروز لكنه لم يتوصل إلى نتيجة.

آوى، لكي يحرّضهم هو والانكليز، على التمرد على قادتهم -ونحن لا رأي لنا في ذلك ولا علم- سائراً في ذلك على غرار ما سار عليه نوري من قبل، فلما أبدينا له استنكارنا، وعد بالكف، لكنه لم يفعل وظل سادراً في غيه، مخفياً أمره عنا.

وهذا الوصي يدعو ابراهيم الراوي (الذي لا أشك في عروبته)، إلى الاشتراك في صيد ابن آوى أو إلى رياضة أخرى يقيمها في كل مناسبة، فأخذ ابراهيم يتنقل من مقره في الديوانية إلى قصر الرحاب، ولو عرف غاية الوصي من الالتفات إليه لما فعل. لا يخفى أن تفضيل أمين زكي عليه في رئاسة أركان الجيش، قد أثار امتعاضه، لأنه أقدم ضبّاط الأركان بعد حسين فوزي. فهو لذلك يريد رئاسة الوزارة لصديقه علي جودت بن أيوب، لينال أمنيته على يد صديقه. لكن علي جودت صنيعة الانكليز، وهو أقرب إلى جميل منه إلى نوري. ويتبع جميلاً كل من ابراهيم كمال ومصطفى العمري(١)، وهناك الجماعات المناوئة للعروبة مثل جلال بابان وأمين زكي ومن لف لفهما(٢). هؤلاء جميعاً يتصلون بالوصي، وهم تلاميذ الانكليز ومروجوا طريقتهم الاستعمارية في العراق.

أتعلمون من هو الصيد الذي تنصب له هذه الشراك؟ إنه ليس الكيلاني ، بل نحن

---

(١) - ابراهيم كمال أبوه أعجمي وأمه عربية من آل توحلة.
أما مصطفى العمري فيمت إلى أمين بالقرابة والنسب. وأمين العمري لا يرضى على حكومة لا تستوزر قريبه مصطفى ويطمع برئاسة أركان الجيش مهما كلفه الأمر.

(٢) - أمين زكي هذا غير أمين زكي رئيس أركان الجيش. كان ضابط ركن في الجيش العثماني ثم أحيل على التقاعد وبقي في الاستانة بعد حرب الاستقلال التركي وهو لا يملك شروى نقير. فلما استفاث بالعراق والعروبة جيء به إلى العراق عام ١٩٢٨ أو قبل ذلك ليكون عوناً للعروبة وعضداً لقضيتها، فما كاد يستقر به المقام حتى اتخذ الكردية مبدأ له، لا لأنه كردي بل لجني الثروة. وقد كان له ما أراد وتقلد الوزارات وتملك القصور والعقارات في عشر سنوات معدودات. هذا التوفيق ينتظر كل من يشايع الانكليز والاستعمار.
أما جلال بابان فكان في نشأته ضابطاً مدفعياً برتبة ملازم ثان في الجيش العثماني، وهو من عائلة بابان الكردية العريقة. انضم جلال (وابن عمه) للثورة العربية بعد أن أسر في الحرب العالمية، ولا أدري لماذا انضم إليها وهو الذي يجاهر بالاقليمية العراقية ولا يريد العروبة للعراق. تقلد مناصب وزارية باسم الكردية وهو في الحقيقة انكليزي النزعة يحب الانكليز أكثر من العرب، ولا يتردد في المجاهرة بالنزعة العراقية حتى في الاجتماعات الرسمية، اذ جمعتني به عدة اجتماعات رسمية في مجلس الدفاع الاعلى وفي مجلس السكك الحديدية. وكان وزيراً حين قال في مجلس الدفاع الاعلى: «نحن عراقيون فما لنا والبلاد العربية» فانبريت له على الفور وقاطعته قائلاً: «ان العراق عربي ياسيد، والعراق موطن العرب والاكراد اخوان العرب، فلا تنكر علينا هذا الحق» فسكت جلال على مضض.
فأمين زكي وجلال بابان انكليزيان أكثر منهما كرديان، وكثير مثلهما يدعون الكردية - والكردية الحقة بريئة منهما - فيتزعمون هذه الحركة في الظاهر، وهم في الباطن عملاء للانكليز يناوئون كل عربي.

والجيش من ورائنا، وهدفهم الحقيقي هو الجيش، لذلك نراهم يشجعون الضباط على مخالفة النظم العسكرية، وبالتالي يحرّضونهم على التمرد علينا، ليتم لهم القضاء علينا والسيطرة على الجيش. إن ربان السفينة والمرجع الأول والأخير، هو نوري الذي يتظاهر بحبه لنا وكراهيته لأولئك. إن نوري لن يستريح إلا بإقحام العراق في هذه الحرب، وليجرّ من ورائه الأقطار العربية شاءت أم أبت، لا لنفع يعود على الأمة، بل لمصلحة الانكليز فقط. أما العراق فيكفيه -كما كان يقول لنا- أن تدوم عليه نعم المعاهدة.

كان جديراً بنا أن نكتم سرنا ولا نعلن عقيدتنا، إذن لما وجد نوري وعبد الإله سلاحاً لمقاومتنا، ،كان جديراً بنا أن نفكر في العواقب، فلا نعدد لهما أسماء من نعوّل عليهم من إخواننا -تلك الحلقة الذهبية على حد تعبير الانكليز- لكنها غلطتك يا محمود، لأنك أدنيتنا من الوصي، وهي غلطتك يا فهمي، لأنك قدتنا إلى نوري، ثم هي غلطتي أنا، لأنني طاوعتك على مضض، فخالفت رأي أخي الأكبر(١)، وخالفت رأيي الشخصي عن شعور هذا الرجل، وكنت تعرف من أمره شيئاً كثيراً، وتعلم أنه يظهر ما لا يبطن وأنه في الواقع انكليزي.

هل تذكرون مجلسنا في دار نوري، الذي ضم طه الهاشمي واسماعيل نامق وسعيد يحيى بعد عودتي من الرياض، وأنا أقص عليه ما كان من نجاحي في المهمة التي أخذتها على عاتقي، إذ تفضل جلالة الملك ابن السعود بالتوقيع على الاتفاقين العسكريين بين بلدينا، بعد أن قضيت سنتين في تذليل الصعاب التي اعترضت هذا الأمر، إبان وزارة جميل، الذي اعترف أنه كان ظهيري فيه(٢) وجواب نوري: -«لقد أصبحت يا صلاح الدين سعودياً، ولكن ابن السعود غدّار، كذّاب».

ثم هل تذكرون مجلسنا في قصر الوصي، إذ سألني أن أقص عليه تفاصيل رحلتي

(١) كان أخي حسن شوقي الصباغ من الضباط البارزين في الجيش العراقي وفي الثورة العربية. ولد في الموصل سنة ١٨٩٥م الموافقة ١٣١٢هـ وتوفي سنة ١٩٢٨. كان رحمه الله ضابطاً في الجيش العثماني انضم الى الثورة العربية في الحرب العالمية بعد سقوط بغداد. وكان على رأس الضباط الذين ناوأهم نوري ابن سعيد، حاول نوري الكيد به والله في كل مرة. وأذكر بالتخصيص يوم قدوم السيد طالب النقيب الى بغداد واستقباله في المحطة بجانب الكرخ وغضب نوري على أخي. كان أخي يقول لي ولفهمي: «اذ أراد الله خير الأمة العربية أمات نوري بن سعيد».

(٢) - أنا أشهد أمام الله والتاريخ أنك ياجميل أشرف من نوري وأنبل منه، بالرغم من صحيفتك السوداء إذ نصرت الانكليز على قوم آووك وآووا آباءك. لقد عارضت فكرتي يوم كنت رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع عام ١٩٣٩، وكان حسين فوزي رئيساً لأركان الجيش، ونظيف الشاوي معاوناً له، وكنت أنا مديراً للحركات. وإن أنسى لن أنسَ الاجتماع التمهيدي الذي عقد في وزارة الدفاع مع الوزير السعودي معالي الشيخ يوسف يسن.

هذه، وكيف تغيرت ملامح وجهه، وقال لي ما قال نوري بالحرف الواحد: «لقد أصبحت يا صلاح الدين سعودياً الخ...» فكان أن وجّهت لي العتاب بعد ذلك يا محمود بقولك: -«كان عليك ألا تسترسل في الحديث، وأنت لا تجهل العداء المتأصل بين العائلتين المالكتين، وإن كان في حديثك خير العرب ومصلحتهم.

لئن كان لنوري ما أراد، وقضى على الاتفاقين بالموت(١)، فإن كلماتك لن تموت يا جلالة الملك عبد العزيز السعود. فما زلت أذكر يوم جلسنا في ديوان قصرك، فقلت بحضور نجلك الأكبر الأمير سعود: «أنا أوافق يا صلاح الدين على توقيع هذين الاتفاقين، إذ طالما صرّحت أن العراق حصن نجد وبابها، وأن ما يسوؤه يسوؤها. لست أنكر العداء الذي تكنه العائلة الهاشمية لآل سعود، لكن فيصلاً غلب عواطفه بالذكاء والحكمة، فاضطرني إلى مسايرته وأنا أتبع المثل القائل «عدو عاقل خير من ألف صديق جاهل» أنا لم أخش رجلاً غير فيصل ولن تنجب العائلة الهاشمية رجلاً مثله. والعراق لا ناظم له من بعد فيصل، لأن حكّامه مغرضون، تسيّرهم الأهواء، وأولهم نوري، الذي سيعمل على إحباط مشروعك هذا».

صدقت يا عبد العزيز، صدقت والله....

إذن دونكم نوري وعبد الإله يا إخواني، فثابروا على الاجتماع بهما لكني سأبقى بعيداً، إن نوري سيضرم نار السلطان عما قريب، ولست أريد أن أكون لها وقوداً.

ثم أضفت مازحاً: - بعد أن خلع على فهمي عباءة، وعلى كامل عباءة، وقدّم لي ابنه صباح هدية قبلهما. فلم يبق سوى محمود بلا خلعة ولا هدية...

قال فهمي: سأذهب أنا وكامل إلى سماحة المفتي الأكبر أمين الحسيني، فنسأله أن يدعو لتطهير العباءتين من رجس بريطانيا وسحر نوري، فنكون بعد ذلك من أصحاب العباءات...!!

وابتسمنا جميعاً ثم قلت: -لقد عقدت العزم أن لا أحضر اجتماعات الوصي بعد اليوم. أما نوري فلم تعد له حاجة عندي، إذ أيقن أنني لن أقع بفخه وأن وعوده المعسولة لن تغريني. فاعترض الثلاثة وأصروا علي أن أرافقهم في الاجتماع القادم. وكان الوصي قد طلب مقابلتنا بعد ثلاثة أيام، لكني لم أتراجع ورجوتهم أن يعتذروا لدى سموه بغيابي خارج بغداد لتفتيش

(١) - أما نصوص هذين الاتفاقين وتقرير رحلتي إلى الرياض فقد تركتها في خزانة رئاسة أركان الجيش لما توليت قيادة الفرقة الثالثة. وأودعتها لخلفي العقيد الركن نور الدين محمود، وقد ساهم في اعدادها الرئيس الأول الركن محمود الدرة مدير قسم النفير لأنه عربي غيور وهو مطلع على هذه الأحداث كلها.

قطعات فرقتي، والتحكيمات التي تشاد على تخوم العراق الشرقية، قبل أن يكون لي بهذا الاجتماع علم(١).

عادوا وعلى وجوههم الكآبة وخيبة الأمل. وقال محمود سليمان: -ليتنا ما ذهبنا، فقد فاق الأمر ما تصورنا. فالوصي الذي كان يصر على إخراج ناجي شوكت من وزارة رشيد، ثم وافق على رجاء طه بإخراج نوري معه، توفيقاً بين المصالح الانكليزية والتجانس الضروري في هيئة الوزارة، يريد اليوم أن تستقيل وزارة الكيلاني بجملتها، وحجة الوصي في ذلك، لا تختلف عن حجة نوري، وخلاصتها أن اشتراك العراق في هذه الحرب إلى جانب الانكليز أمر لابد منه، ولايكفي أن نتقيد بحدود المعاهدة، أو أن نقطع علاقتنا بدول المحور. لأن الوصي يعتقد - واعتقاده مستمد من نوري طبعاً- أن لاحياة للعرب بعد بريطانيا، فإن ماتت ماتوا.

وقد حاولت اقناعه بالعدول عن ارغام الكيلاني على الاستقالة، لكنه تمسك برأيه، وأصر على ضرورة استقالة الوزارة. وأكد علينا أن حضورك في الاجتماع القادم ضروري، وأنه سيخبرنا بموعده فيما بعد.

فأجبتهم مردداً قول نوري: «ياصلاح الدين، في رأسك صوت، سوف تصيحه، ولكن سوف ترى ماسيجري بالعراق». ألا بالله اجيبوا ياإخواني، هل الصوت في رأسي، أم في رأس نوري؟

أما اصرار الانكليز وعبد الاله على اخراج ناجي شوكت من وزارة رشيد عالي الكيلاني، فسببه دسائس نوري بن سعيد عندهما. فقد ادعيا أن ناجي شوكت اتصل بفون بابن سفير ألمانيا في تركيا، ذلك أن مجلس الدفاع الأعلى قرر ايفاد ناجي شوكت إلى انقرة، للاطلاع على رأي السلطات التركية بشأن الحرب، وموقفهم منها، وهل سيلزمون جانب الحياد.. وقد وقع الاختيار على ناجي شوكت كما سبق بيانه، لأنه يتمتع بسمعة حسنة في أوساط السلك السياسي في انقرة، ولأنه صديق عصمت اينونو. ولكن نوري، أصر على مرافقة

---

(١) - كنت قد أعددت خطة الحركات للدفاع عن العراق في عهد رئيس أركان الجيش حسين فوزي، بصفتي معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات (لم تكن هذه الخطة للدفاع عن العراق ضد عدوان انكليزي، بل كانت على أساس التعاون مع الانكليز للدفاع عن العراق من الناحية الشرقية أو الشمالية، أو في حالة انفراد العراق في الدفاع عن نفسه). وكانت معظم التحكيمات الأساسية المقررة في ملاحق هذه الخطة تقع في منطقة الفرقة الثالثة فلما نقلت من منصب معاون رئيس أركان الجيش وتوليت قيادة الفرقة الثالثة هذه، كان عليّ أن أكون على رأس لجان التحكيمات وسميت هذه التحكيمات (بخط صلاح الدين) ونقشت هذه العبارة على بضعة معاقل من هذه التحكيمات.

ناجي في هذة المهمة بصفته وزيراً للخارجية، فوافق مجلس الدفاع الأعلى على طلب نوري كارهاً، لأن ماهو معروف عن نوري من نزعة انكليزية، أقوى من نزعة الانكليز انفسهم. سيحمل السلطات التركية وغيرها إلى الحذر، فتتحاشى الإفضاء بأي شيء يفيد منه العراق. والأدهى من ذلك، أن علي جودت بن أيوب، سافر إلى أنقرة هو الأخر، مع العلم أنه لم يكن مسؤولاً، ولم تكن له أية صفة رسمية. سافر علي جودت ليطلع على ماسيكون من أمر ناجي، ولا أدري هل سفره إليها من تلقاء نفسه، أم بناء على تكاليف جهة من الجهات، كما لا أدري من أفضى لعلي جودت بقرار مجلس الدفاع الأعلى. لله در نوري والانكليز.

أما اتصال ناجي شوكت بفون بابن، فلن اعلق عليه بالنقد أو التحبيذ، بل أترك ذلك لتقدير ساسة الدول المستقلة استقلالا حقيقياً، لا لساسة الدول ذات الاستقلال الكاذب، هذا إذا صح نبأ اتصال ناجي شوكت بالسفير المشار إليه.

ملحق رقم -٨-

مما يلفت النظر، يوم القيت هذه الخطب في مجلس الاعيان، قول نوري في معرض كلامه وهو يرد التهم عن الجيش ويساعد طه: «أنه يشعر بدنو أجله» هل كان نوري يخاف أن تغتاله دائرة الاستخبارات البريطانية (في داونينك ستريت)، إذا هو لم يحقق لها ماأشار إليه جلال بابان؟

وانما يلفت هذا الكلام النظر، لأننا سمعنا كلاما يماثله من عبد الاله، عندما حاولنا (أنا وكامل ومحمود وأمين زكي) أن نقبل يده، لتكرمه بقبول رجائنا بتسمية محمد يونس السبعاوي وعلى محمود الشيخ، وزيرين في وزارة رشيد. فقد قال عبد الاله: «نحن آل البيت كتب الله علينا القتل والتعذيب»، وبعد يومين ذهب إلى الديوانية، فأرغم وزارة رشيد على الاستقالة.

هل خاف نوري وعبد الاله من الانكليز، لأنهما قاتلان اشتركا في جرم واحد، بعلم من الانكليز وانصياعاً لاوامرهم؟ -اسألوا صباح بن نوري بن سعيد عن قاتل غازي-

ترى من الذي كان يهدد نوري وعبد الإله؟

لئن كان الجيش قصدكما فقد أخطأتما. والله انما ترميان الجيش بأمر هو من شيمتكما، لأن الخائن لايفارقه الخوف. والله ماخطر ذلك على بالنا قط.

أمـا الآن، فلن أقـول مـاكـان علينا أن نقـوم به فـقـد فـات مـا فـات، وانما اترك التـقـدير والانتقاد لمن يقرأ هذه المذكرات..

الملحق رقم -٩-

أيه ياكامل شبيب، يؤسفني أن نشهد بعروبتك. لقد كتب الله عليك أن تظهر على حقيقتك أمام قومك.

لقد كنت مطلعاً على حقيقة طبعك، لكني لم استطع استئصال شأفته، كم غدرت بي ياكامل، ناكصا على عقبيك يوم المحنة وفي أوان الشدة، ثم عدت خاضعاً نادماً، واعتليت الكرسي، وصرت من اصحاب الزمن.

لقد قبلتك صديقاً لي، وأنا أعلم أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وكان شفيعك الكبير عندي عروبتك ياكامل. ولكن الجبن والأنانية، وهما اساس طبعك، دفعا بك إلى خيانة صحبك، لتقطع عليهم الطريق، ولتحط من معنويات جيشك وفرقتك، ونحن في أزمة الحرب ياكامل.

قلت لي في طهران –وأنا لا علم لي بأمر كتابيك، اللذين ارسلتهما إلى بغداد –أن تدوين المذكرات ليس من عادة العرب. لا أدري إن صح قولك هذا عن العرب، ولكني أعلم أنك لم تقل قولك، إلا لما عرفت بأنني شرعت بتدوين مذكراتي، لأنك تخاف مذكراتي، وتخاف ماسيرد فيها عنك.

لا، لاتخف ياكامل، فإن ماأدونه عنك، يعيدك إلى دارك وبنيك، ويرفع من شأنك عند الانكليز وأذنابهم. وهذا همّك ياكامل بن شبيب. لكن هناك أيضاً سيكون عذابك، لأنك ستبقى محتقراً من أطفالك، الذين ترعرعوا على العروبة في كنفك وتلقنوا تعاليمك.ألم يكتبوا لك وانت في طهران (بابا .. ياللعار .. كيف طاوعتك نفسك على خيانة قومك وصحبك؟).

مسكين أنت ياكامل، وانه لعذاب كبير. فقد سوّدت وجهك في الدنيا أمام بني قومك، وفي الآخرة أمام الله.بل لقد سوّدت وجهك أمام نوري وعبد الاله.. أسفي عليك ياصديقي كامل، وأسفي على الذكريات.

ومع ذلك فأنت عربي. وقد لقنت آلك تعاليم العروبة. ولك من المزايا مالم ينلها كثير من أبناء قومك .

شهادة رقم (8)

الحنين إلى أهله

استبد به الشوق إلى والديه. . والحنين إلى بيته. . وإلى مسقط رأسه. . وكانت قد مضت "١٢" سنة منذ رأى والديه لآخر مرّة. . لذلك قرر أن يذهب الى الموصل ليرى والديه. . وبتاريخ ١٩١٩/٢/١٥ اخذ وثيقة من حاكم قضاء حلب العسكري يوصي فيها السلطات العسكرية العربية والبريطانية بأن تسهل سبيله. . وكان الحاكم العسكري لحلب يدعى علي جودت الأيوبي!.

ووصل صلاح الدين العراق بتاريخ ١٩١٩/٣/١١ وقصد بيته في الموصل، فلم يجد فيه أحدا من أهله، بل وجد فيه أناسا لايعرفهم، وبحث عن أقربائه لوالدته حتى اجتمع بهم، فسألهم عن والده . . ووالدته . . وبيته . . فجاءته الأنباء الصاعقة وتكشفت له فصول المأساة، اذ مات والده في بغداد عام ١٩١٧ على أثر انهيار أعماله التجارية الواسعة، وصادر القضاء التركي بيته في الموصل، وحاولت والدته اللحاق بزوجها فسافرت الى بغداد . . الا أنها اضطرت الى البقاء في "شهربان" ولم تستطع مواصلة السفر الى بغداد نظرا لسقوط المدينة بيد الجيش الانكليزي . . "شهربان(١) مدينة عراقية صغيرة تقع قرب الحدود الشرقية".

صعق محمد صلاح الدين من هول ماسمعت أذناه . . وقصد "شهربان" فورا . . وهو يبكي والده . . ويحمد الله على سلامة والدته . . وما كاد يصل شهربان حتى توجه الى الدار المتواضعة التي كانت والدته تقيم فيها وحيدة غريبة.

(١) شهربان: هي مدينة خانقين الآن. (الناشر)

كانت الشمس قد غابت منذ ساعتين . . ووقف محمد صلاح الدين على الباب يستعد لمفاجأة والدته المسكينة التي لم تره منذ "١٢" سنة . . كان لايملك مالا يشتري به لباسا مدنيا . . أو لعله أبى أن ينزع عنه لباسه العسكري الذي خاض به غمار المعارك الطاحنة وهو في أجمل سنوات عمره . . خمس سنوات كاملة مستمرة . . وهاهو اليوم يخرج من ساحات الحرب سليما معافى رغم الجروح الخطيرة التي أصابته، رغم المواقف الخطيرة التي حاقت به، ورغم الاشاعات القوية التي ترددت عن مقتله في المعارك، هاهو يطرق الباب على والدته الحبيبة أخيرا..

فلما طرق الباب فتحته سيدة.. سألها ان كان هذا هو بيت الحاج علي الشامي فاجابته السيدة بالايجاب.. هكذا، وبهذه السهولة والبساطة التقى الولد بوالدته.. لم يعرفها ولا هي عرفته.. وظلام الليل يزيد من صعوبة تمييز الملامح .. قال للسيدة أنه زميل لولديها محمد صلاح الدين وحسن شوقي.. وأنه يستأذنها بالدخول ليحدثها بشأنهما.. فرحبت به وأدخلته غرفة بسيطة يضيئها ضوء شاحب.. وعلى هذا الضوء الشاحب استطاع محمد صلاح الدين أن يميز ملامح والدته ويتذكر تقاطيع وجهها شيئا فشيئا.. أما والدته المسكينة فلم تستطع أن تميز ملامح ولدها بعد مرور "١٢" سنة على فراقه عنها.. تركته صغيرا لم يكتمل نموه، وهي اليوم أمام ضابط طويل القامة طويل الشارب..!

سألها أولا عن ولدها حسن شوقي أين هو؟ قالت: سمعت انه وقع أسيرا بيد الانكليز، وأنه مازال في الأسر... ولكنها لاتدري أين هو على وجه التحديد كما أنها لاتدري عن أحواله شيئا اذ لاتصلها منه أية رسائل..

ثم سألها عن ولدها محمد.. فانحدرت الدموع من عينيها وقالت "لقد مات محمد.. استشهد في احدى المعارك"..

فراح يمهد السبيل شيئا فشيئا ليكشف لها عن شخصيته، وحدثها محمد حديثا طويلا عن ذكرياته في الموصل، وأيام طفولته الأولى وهو في

أحضان أبويه، ووقائع وأحداث لايعرفها غير محمد ووالدته.. كان محمد صلاح الدين يريد أن يعود بوالدته الى ذكريات الماضي لتعيش من جديد في تلك الأيام التي كان ولدها محمد صلاح الدين يعيش في كنفها.. كل هذا والوالدة المسكينة تزيده وهي تبكي.. وتقول نعم، نعم، هكذا كان يفعل ولدي محمد.. ولكن كيف علمت بذلك؟

ونظر محمد صلاح الدين إلى والدته وهي لاتعرفه .. وأجابها بقوله أن ولدها (محمد) طالما حدثه عن ذكرياته تلك.. وأنه كان يفضي له بذكرياته بالتفصيل نظرا لما بينهما من صداقة قوية.

وواصل محمد صلاح الدين الحديث عن تلك الذكريات.. والوالدة الحزينة تنتابها المشاعر العديدة.. فهي تبكي حينا.. وترعوي حينا.. ووجد صعوبة كبيرة في كشف شخصيته لوالدته فقد كان يخاف اذا هو فاجأها بنفسه أن لاتقوى على تحمّل الصدمة.. ولفت نظر محمد صلاح الدين فتاة في ريعان الشباب تجلس الى جانب والدته وتصغي لما يقول... ولم يكن محمد صلاح الدين يعرف هذه الفتاة ولما سأل والدته عنها أجابته: هذه "مريم" لقد ذهبت الحرب بوالديها.. فأصبحت ابنتي.. وأنا اليوم والدتها.

واستمر محمد صلاح الدين في الحديث.. عن نفسه وعن حسن شوقي.. ومضى وقتا طويلا وهو على هذه الحال حتى انتصف الليل، كل ذلك والوالدة تصغي بانتباه وتنظر الى هذا الطارق الغريب الذي لاتعرفه، ولا تميزه، ولا يخطر لها على بال بأنه ولدها.. ومرت أربع ساعات أو خمس ساعات والنور الخافت يلقي بصيصا من النور في قلوب المجتمعين الثلاثة.

وفجأة نهض محمد صلاح الدين واقفا، وكان يبدو طويلا بلباسه العسكري، وقال: لقد تأخرت.. وانتصف الليل.. لقد آن الأوان لذهابي. اني أستودعكم الله. واتجه محمد صلاح الدين الى الباب لكنه لم يخرج.. ذلك أن قدماه سارتا باتجاه غير الباب، لقد سارت قدماه نحو والدته.. ووقف أمام والدته ثم قال لها: أماه.. أنا محمد.. وأنت لاتعرفين.. أنا ولدك محمد..

أماه..!!

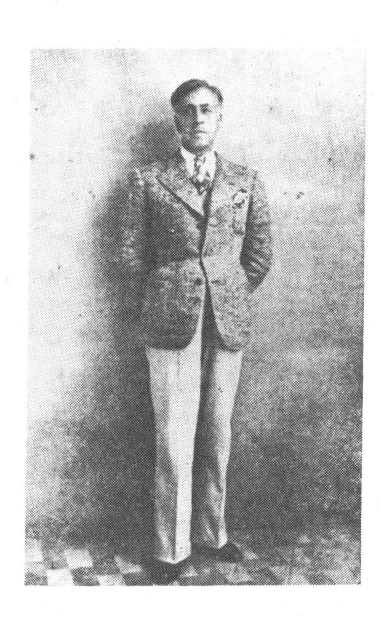
فاحتضنته الأم المسكينة وهي تقبله وتبكي ولا تصدق.. كانت القصة أقرب الى الخيال.. أقرب الى الحلم.. وكانت لحظات لاتنسى. . .

أبو الحجاج حافظ

في كتابه «شهيد العروبة»

تفاصيل هذه القصة موثّقة برسالة كتبها الصبّاغ بتاريخ ١٩١٩/٤/٢٧ إلى أخيه الأكبر حسن شوقي الصباغ بدرعا.

(الناشر)



آخر صورة للشهيد صلاح الدين الصباغ، وهو في نفس الملابس حين سلّمه الأتراك إلى الانكليز على الحدود السورية، وحين هرب من المعتقل البريطاني، وكذلك حين اقتيد إلى بغداد لاعدامه ١٩٤٤-١٩٤٥.

ثامناً:

الإجتماع الأخير

تقع منطقة ديالى بين بغداد وحدود العراق الشمالية، ويخترقها طريق طهران الذي يصل ايران بالبحر الابيض. وقد جعلت هذه المنطقة في خطط الحركات، من المناطق المحرمة لقربها من العاصمة، ورابطت فيها ثلثا قطعات الفرقة الثالثة، وخيالة الجيش العراقي بأسرها. أما الثلث الآخر ومقر الفرقة، فكان يعسكر في بغداد مؤقتاً بانتظار ثكناته التي كانت قيد الانشاء. ولما كنت قائداً لجميع القطعات المذكورة، ورئيساً للجان التحكيمات، فقد خولني مجلس الوزراء، بواسطة وزير الدفاع طه الهاشمي، صلاحية حاكم جزاء من الدرجة الأولى للسيطرة على الأجانب المتشردين والجواسيس، الذين يدخلون العراق أفواجاً بدون جواز سفر، ولإ جلاء القاطنين منهم، الذين تحوم حولهم الشبهات ولا يحملون الجنسية العراقية(١) (انظر الملحق). وكان الوصي قد زار هذه المنطقة، يرافقه طه الهاشمي، ليقدم راية لاحد أفواج اللواء التاسع، ثم تجول في قسم من منطقة التحكيمات، حيث رجوت منه أن يطبع اسمه على أول حصن شيد فيها.

قبل أن نجتمع بالوصي اجتماعنا الأخير ببضعة أيام، خابرني من معسكر جلولاء آمر الكتيبة الثالثة الخيالة محمود الهندي(٢)، وكان بالاضافة إلى واجبه الأصلي، رئيساً لاحدى لجان السيطرة على المتشردين في منطقة التحكيمات، يساعده في ذلك ضابط من شعبة الاستخبارات هو الرئيس يحيى نزهت. وطلب محمود مقابلتي في عطلة الأسبوع لأمر هام، فضربت له موعداً عصر يوم الخميس بداري. وجاء محمود في الموعد المحدد، فأخبرني بان

(١) – بشهادة الاستاذ السيد ابراهيم صالح شكر قائم مقام بلدة خانقين.

(٢) – محمود الهندي هو غير محمود بن هندي الطيار، فالثاني من عشيرة اللهيب أما الأول فدمشقي المولد، وأصله من عشيرة الجحيش العربية الساكنة في منطقة الموصل.

محمود عربي أصلاً وعقيدة، أبت نفسه أن يخدم في جيش شرقي الاردن الذي يقوده الانكليزي المدعو (بيك)، فالتحق بالجيش العراقي ١٩٢٤، وتدرج في الخيالة حتى تقلد منصب آمر كتيبة الخيالة الثالثة. ومحمود شهم شجاع ذو نفس أبية. ساهم معنا في جميع أدوار جهادنا. أما عبيد المضايفي مرافق الوصي، فهو صديق محمود في المجتمع لا في المبدأ. وقى الله محموداً وحفظه.

الرئيس عبيد المضايفي مرافق الوصي، قدم الى جلولاء بحجة زيارة صديقه يحيى نزهت، ولكنه ماجاء في الواقع الاّ ليدعوني الى مقابلة سمو الوصي هذا اليوم. ثم أضاف بأن عبيد المضايفي على اتصال مستمر بالعقيد مصطفى راغب(١) آمر لواء المشاة التاسع ـ من ألوية الفرقة الثالثة المرابطة في معسكر جلولاء ـ كما أنه على اتصال بضابط ركنه الرئيس رفيق أحمد القامجي منذ مدة.

وسألني محمود: ـ هل باستطاعتي أن أقابل الوصي، ومارأيك في هذا الأمر؟

أجبته: ـ تقضي الأصول العسكرية، كما لا يخفى عليك، أن يقابل الضباط رجال الدولة بعلم من رئاسة أركان الجيش وسماحها، لكنك اليوم أمام أمر واقع فهل قابلت الوصي قبل هذا، ولماذا تقابله الآن؟

قال: – إن الوصي يعرفني شخصياً وتربطني بمرافقه صداقة متينة، وأغلب ظني أنه يريد أن يجعلني رهن إشارة الوصي مثل الذين اتصل بهم هذا المرافق من الضباط، وأغراهم على الخروج عن سبيل الصواب.

قلت: إذن فاذهب، واتصل بدار محمود سلمان بعد مقابلتك للوصي، فقد تجدني هناك. فالتقط محمود الهاتف، واتفق مع المرافق عبيد على اللقاء في قصر الرحاب في الساعة الثامنة مساء، وأنه سينتظر سيارة تقله إلى القصر من أحد المطاعم.

وعاد محمود في الساعة العاشرة، فقابلني بدار محمود سلمان وكان فهمي حاضراً،

---

(١) – كان العقيد مصطفى راغب ضابطاً في الجيش العثماني ثم انخرط في جيش المتطوعين عند الانكليز (الليفي) حتى سنة ١٩٢٩ وهو ليس عربياً كما أنه ليس كردياً يتقن اللغة التركية وهي لغة بيته ويجهل العربية الفصحى والعامية كما يجهل الكتابة بالعربية. وهو يحب الانكليز طبعاً ويحب الآشوريين والأرمن كثيراً، لأنه يعتقد أن الآشوريين والأرمن آريون، واعتقاده هذا صحيح طبعاً، وهو إنما يحبهم لأنهم يمقتون العرب. مصطفى راغب انكليزي النزعة ويمقت الاسلام، وضباط الجيش يمقتونه إلا القليل منهم. أمين زكي يمقته كثيراً وكان قد طلب احالته على التقاعد قبل أن يتولى رئاسة أركان الجيش بالوكالة وحينما كان قائد فرقة. لكن مصطفى راغب لجأ إلي فتداركت أمره ونقلته إلى الفرقة الثالثة ولو لم أفعل لكان متقاعداً منذ سنة ١٩٣٨ ولما وقعت في كيده ونحن نحارب الانكليز. لكني أخطأت إذ تأبطت هذه الحية – والبشر غير معصوم عن الخطأ– هذا الرجل كان يخدعني جداً باظهار اخلاصه الشخصي لي، والله أعلم بما في السرائر. وفي حربنا ضد الانكليز كان يهول في وصف الموقف لضباطه ولمن يتصل به ويخيفهم، فحق عليه القول (اتق شر من أحسنت إليه) وكان مبدؤه كمبدأ نوري بن سعيد، فإن من طبعهما إيقاع الأذى بمن يحسن إليهما. معلومات مصطفى راغب العسكرية لا بأس بها.

فقص علينا ماكان يدور في خلد الوصي، وكان لا يتعدى ما نقله عن المرافق عبيد.

لم تكن هذه أولى محاولات الوصي التي أتانا علمها، وقد أمضّ في نفوسنا أن يتمادى الوصي، فيأخذ على نفسه أمر إعداد المؤامرة، وينفذ تعليمات الانكليز وسماسرتهم للكيد بنا وايقاعنا في الشراك، فيستدرج خيرة الضباط الذين أضاء الله قلوبهم بالايمان والقومية، ليجعلهم أداة للشر على جيشهم وقوادهم وأمتهم. فقلنا معاً واتفقت عبارتنا: «أهذا جزاء الاحسان؟ وبمن نستعين يارب؟».

إنها مؤامرة يعدها الاجنبي، وينفذها الوصي، وهو العربي من آل النبي. إنه يحرض ضباط الجيش على الخيانة، بدل أن يشجعهم على الطاعة. فياسوء طالع العرب، ويالخيبة أمل المسلمين. ألا كفانا الله، وكفى العرب والاسلام، شر نوري وعذنا بالله منه، ما أقوى سحره، وأعظم تأثيره على هذا الوصي، حتى نطق بلسانه وآمن بتلقيناته.

ذلك أن نوري كان يجمعنا في داره ويقول: «ليتكم تزورون الوصي لو مرة بالاسبوع فلا تتركوه وحيداً، بذلك نحتفظ به ونُبعده عن الدّساسين الذين يسعون للاتصال به» فكنا نجيبه: «ليس هذا من شأننا ويكفي اتصالك واتصال طه به» فقد كنا نحسب أنه لا يعلم شيئاً عن اتصالنا بالوصي، شأنه في ذلك شأن طه. وماعلمنا أن نوري والوصي متفقان سراً إلا بعد فوات الأوان. وكنا نعجب كيف لا يذكرنا نوري بزيارة الوصي إلا إذا تأخرنا في زيارته فعلا، ثم زال عجبنا لما شعرنا أنه يعلم بالامر، إذ أسمعنا الوصي ونوري تعابير واحدة ومصطلحات متشابهة (الملحق -١١-).

قصدنا الوصي، فكان ذلك آخر اجتماع يجري بيننا على عادتنا في كل اجتماع. وكان ختامه ألماً وندماً، فقد توسمنا الشر في وجهه المتعض ونحن نصافحه، وفأجأنا بصراحة كأنها التهديد قائلاً:

«يجب أن نماشي الانكليز ونلبّي ما يطلبون بلا قيد ولا شرط، ولا أريد أن تتصلوا برشيد عالي رئيس الوزارء، إنه ومن يواليه مجرمون، ووزارته يجب أن تسقط فوراً».

لزمت جانب الصمت، فلم أنبس طيلة الاجتماع ببنت شفة، وتولى الحديث فهمي ومحمود فأجادا وأوردا الحجج المقنعة، وبذلا التوسلات والمحاولات ليغير الوصي رأيه في رشيد عالي الكيلاني لأنه يكن لسموه أعمق الاحترام، وقد خضع لإرادة سموه، فأخرج ناجي شوكت من الوزارة بعد أن وافق سموه على إخراج نوري معه. وأن رأي رشيد يعبر عن رأي الشعب العراقي، ورأي كل عربي لدغه الانكليز عدة مرات، ويعلم ماضي الانكليز وسيرتهم مع العرب.

أما الجيش فهو من الشعب وصدى صوته، وانعكاس أحاسيسه، لكنه ليس له ضلع فيما وقع حتى الساعة من أحداث وما إصرار رشيد على عدم الاستقالة لأن الجيش يشجعه على ذلك، بل لأنه استاذ في الحقوق محيط بمواد القانون وأحكام الدستور.

رمانا أعداؤنا أيام بكر صدقي وبعده، بأننا من صنائع الانكليز إذ خاصمناه، لأنه كان يميل للألمان. فلما جاء جميل للحكم، قيل أننا من جماعة جميل، ثم لما جاء نوري، قالوا إننا من جماعة نوري، ومن أذناب الانكليز. وأجمل أمين العمري ذلك كله بقوله لصلاح الدين بالهاتف، لما أحيل على التقاعد، «إننا صنائع لعبيد الكراسي» واليوم ينعتنا الانكليز بالمربع الذهبي المتوج، يقصدون بالمربع كامل وفهمي ومحمود وصلاح الدين، وبالتاج طه الهاشمي. ولا أكتم على سموكم أن صلاح الدين هو الوحيد بيننا الذي يبدي ميلاً لطه الهاشمي، وله الحق إن فعل لأن طه غيور أبيّ، لا يضحي بفرد من أمته على مذبح الأنانية الفردية، أو المصالح الأجنبية. قالوا عنا كل ذلك ولكن أبى عليهم الذل أن يقولوا إننا نرعى شرف الجندية، ونضحي في سبيل عز العرب ومجدهم، وأن ليس بيننا صنائع لرشيد أو لغيره في العالم. وما كان منّا كاف لإقناع سموكم بأن حزبنا هو حزب الله والعروبة، وأننا عبيد الله وصنائع للعرب. انظر ياسيدنا إلى مانملك من حطام الدنيا، وإلى مناصبنا ورتبنا التي نلناها بحق وجدارة، فهي أصدق شاهد على ما أقول، إذ كان المزيد قيد منالنا، فجردتنا عقيدتنا عن الطمع، فلم نتمسك ببكر صدقي، وزهدنا بما يأتينا من نفع شخصي لو فعلنا. وكذلك جميل، وكل من حاد عن جادة الصواب.

ولم نظهر للناس أعمالنا التي عادت على البلاد بالنفع، بل استترنا وراء هذا وذاك حتى نسبت تلك الأعمال إلى نوري وغيره، فعاد عليهم ذلك بالنفع. ولو أننا أعلنّا الحقيقة للملأ، وقلنا «إنها أعمال أيدينا نحن الأقوياء الأعلون» إذن لما كان لنوري وجميل من سبيل إلى العراق بعد بكر صدقي. ولما رأيتنا على رتبنا هذه ورواتبنا، وكم من ضابط صغير حاله أفضل من حالنا – كالرئيس محمد خورشيد – ولم نتمسك بالانكليز، ولو فعلنا وائتمرنا بأمرهم، فتغنينا بالعراقية وناهضنا العروبة ووحدتها، إذاً، لأغدقوا علينا الأطيان والقصور، ولغدونا من ذوي الخبرة بالأمور فنعتلي الكراسي، لا يهمنا ما ينزل بالبلاد، قائلين عليك بنفسك لا عاش أحد من بعدك، لكن، عاهدنا الله أن نموت على سواء السبيل، وأن لا نكون آلات بيد الانكليز وعبيدهم.

فلئن جئناك اليوم، ياصاحب السمو، مسترحمين مؤازرة رأي رشيد بالبقاء ضمن نصوص المعاهدة حتى ينجلي الموقف العالمي، فلأنّ ذلك صوت الشعب وهو صوت الحق، وغايتنا إزالة الخلاف والقضاء على سوء التفاهم الذي أوغر الصدور، وربما أثار العشائر، وسفك دماء الجيش والشعب. إن استرحامنا هذا لا يعني أننا من حزب رشيد، ولو كانت

الحزبية رائدنا لإشباع أطماعنا الشخصية، لما كان سلوكنا على ماقلت مع الذين جاؤوا من قبله أو الذين سيخلفونه. بل إننا لم نكن نعرف رشيداً قبل اتصالنا بسموكم، ثم لما قام بأعباء هذه الوزارة كانت علاقتنا به سطحية جداً، لا تتعدى بضع زيارات، وربما ما كانت لصلاح الدين أية صلة به. وأما تلك العلاقة السطحية بيننا، فكانت بعد إصرار نوري وطه على أن نرجو منه، بإسم الجيش، قبول رئاسة الوزارة. وكان ما كان من صلاح الدين، إذ ناشد هؤلاء الثلاثة (نوري وطه ورشيد) أن يوحدوا كلمتهم وجهودهم، وينبذوا الأنانية الفردية والحزازات الشخصية، ويتجنبوا الشقاق والتفرقة ليستطيعوا بذلك الصمود أمام ما يحتمل أن يصيب البلاد من شرور الحرب(١). اسألوا ياسيدي اخواني هؤلاء، أو اسألوا نوري وطه واسماعيل نامق وسعيد يحيى الخياط، يشهدون جميعاً ماكان من اصراري، وحيداً، على إبقاء نوري على رئاسة الوزارة، ومعارضتي على فصل رشيد من رئاسة الديوان الملكي، واجباره على رئاسة الوزارة القائمة. ويشهدون كيف ألح علينا طه ونوري بدعوى أن سموكم يري ذلك، وأن وزارة نوري قد ضعفت بعد اغتيال رستم حيدر، وأصبحت لا تقوى على البقاء في الحكم. أما حقيقة الأمر وأسباب هذه الاستقالة فما زلنا نجهلها حتى يومنا هذا، وربما كانت من ألاعيب الانكليز الذين أرادوا من وزارة رشيد أمراً يرضيهم. ليت سموكم يسأل عن مدى تأثري يومئذ حتى تركت الاجتماع ودار نوري دون تناول العشاء، فأمتعضوا من ذلك جميعاً.

على أن رشيداً ما قَبِل رئاسة الوزارة إلا نزولاً عند ارادتكم، وبعد اصراركم عليه، واشترط أن لا تتعدى علاقتنا مع الانكليز حدود المعاهدة، فإذا بالانكليز لا يكتفون بقطع العلاقات السياسية مع دول المحور، بل يريدون اشراكنا معهم في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل، دون أن يعترفوا لنا بجميل، أو يدينوا لنا بعوض، وإذا بنوري يصرُّ على تلبية مطالبهم هذه جميعاً.

فلو سرنا مع الانكليز، كما فعل جدك الحسين، فهل يرفعون عن العراق والبلاد العربية قيودهم، وهل يمنحون فلسطين الاستقلال والحرية ويطردون الصهيونية؟ كلا إنهم لا يتطرقون إلى هذا، ولكن نوري لا يريد منهم جزاء ولا شكوراً، فهذه المعاهدة في نظره نعمة علينا،

(١) تقدمت بهذا الاقتراح في دعوة أقامها رشيد عالي الكيلاني بداره بعد اسبوع واحد من تأليف وزارته، وكان نوري وطه واسماعيل نامق بين المدعوين. كما كان كامل فهمي ومحمود حاضرين أيضاً. وجاء في اقتراحي: إن الوزارة الحاضرة تضم من الرجالات ما لم تضمه وزارة عراقية غيرها، مثل ناجي شوكت وناجي السويدي والبحراني وغيرهم. اننا نرجو ان تتحد كلمة الأقطاب الثلاثة في هذه الوزارة نوري وطه ورشيد، فهل تقسمون على توحيد الكلمة فتكسبون ثقة الجيش والشعب ونتأكد جميعاً من حسن ادارة دفة البلاد إلى ساحل الأمان.

ويكفينا كسباً أن لا يحرمنا الانكليز منها، وأن نبقى عليها بعد الحرب.

متي كانت هذه المعاهدة ياسيدنا مثالاً للحرية والاستقلال؟ وهل نلنا هذا الاستقلال -على شوائبه - عفواً بدون ضحايا؟، أم أخذناه من الانكليز قسراً وبدماء الشهداء؟ أنضحي اليوم بالعراق والبلاد العربية على مذبح المعاهدة خدمة للمصالح البريطانية. ولم الاسراع في ابداء العداء لدول المحور والحرب سجال؟ والانكليز لا يتحدثون عن حرية العرب، ولو تلميحاً. إن قطع العلاقات مع دول المحور، وتحشيد الجيوش البريطانية في العراق، أمور لا تنص عليها المعاهدة، فإذا شجعنا الانكليز وأطعناهم في ذلك، طلبوا المزيد، فحل بالبلاد الدمار، وغدت ساحة للحرب فنالوا المراد. لماذا لا نكون مثل ايرلندا التي تصر على الحياد وهي في قلب الجزر البريطانية؟ إننا نريد لتضحياتنا عوضاً وثمناً، وإلا فلن نتعدى مالنا وما علينا، ولن نخرج على نصوص المعاهدة التي كان نوري مشرعها الأعظم، والقائل إنها فيض الله علينا وبركات الانكليز. ولا يشجع الانكليز شيء مثل خلق التطاحن في صفوف الشعب، وبث التفرقة. لذلك يجب أن نكون صفاً واحداً ويداً واحدة، فإذا اتحدنا لا خوف علينا ولو كنّا مخطئين، وحسب الأجنبي حسابنا، فوقف عند حده لا يمس كرامتنا بيده ولا بلسانه.

الشعب يريد الكيلاني، والجيش يراعي شعور الشعب ويحترم رأيه، لأنه يتكون منه (خلافاً لرأي بعض الوزراء) لذلك نسترحم منك ياسيدنا أن لا تشجع من نبذته الأمة، وأن لا تهمل أمر الشعب، فتحمله على التذمر، وتثور العشائر، ثم يقمع الجيش ثورتها فتسفك دماء عربية، أولى بها أن تسفك ذوداً عن كرامتها. لقد تعلق الشعب بالجيش وأحبه بعد أن قضى على بكر صدقي، فما نشبت ثورة ولا كانت تفرقة، وأصدق مثال ما كان من اذعان رشيد عالي الكيلاني إذ لبى ارادتك، وأخرج ناجي شوكت من وزارته. ويؤلمنا أن نسمع اليوم عن محاولات خفية لشق الجيش على نفسه، وحط سمعته، يقوم بها نفر تسموا بالزعماء والوزراء، يتصلون بصغار الضباط ويشجعونهم على عصيان قوادهم، في وقت نحن أحوج ماتكون فيه إلى جيش مخلص مطيع لهم. فهل هذه وطنية منهم وخدمة للبلاد، أم خيانة وخدمة للمستعمر؟

سكت فهمي فقلنا جميعاً نؤيده:

- نتضرع إليك، ياسيدنا أن لا تعرض عن توسلاتنا.

وساد الصمت برهة شخصت فيها أعيننا إلى وجه الأمير الشاحب ننتظر منه الفرج وبلوغ الأمل، فإذا به يقول: «على الجيش أن لا يتدخل في السياسة».

نعم، نعم إنها كلمة حق، ولكنك اردت بها باطلا والله.

وهل أنت السياسي ياعبد الاله؟

ملحق رقم -١٠-

كانت عشائر العزة والكروية وغيرهما من العشائر العربية، تقطن سهول منطقة خانقين بعد الحرب العالمية الأولى، فلما اشتعلت نار الثورة العراقية، أجلى الانكليز كثيراً من هذه القبائل عن المنطقة، واحلوا محلّها المتشردين من أكراد عشيرة السنجاويين الايرانية، وهؤلاء لا تربطهم بالعرب أو العراق رابطة، وهم علوج من أجناس مختلفة، لا عمل لهم غير التهريب والتجسس وخدمة الأجانب والانكليز وإلحاق الضرر بالعراق وبالجارة إيران. وبالنظر لأنهم لا يحملون الجنسية العراقية فقد كانوا إذا كلفوا بدفع الضرائب أو خدمة العلم استنكفوا، وزعموا أنهم ايرانيون، ونزحوا عن العراق، فإذا رفع التكليف عنهم، تسللوا ثانية وانتحلوا الجنسية العراقية بقصد الارتزاق.

هؤلاء هم الذين شملتهم أحكامي وعملت على اقصائهم، يا جلال بابان.

هؤلاء هم الذين دافعت عنهم في خطابك بالمجلس النيابي وأنت تصيح: وا قوماه، الأكراد يُضطهدون في الحدود، ويبعدون إلى خارج البلاد أو إلى داخل العراق، وهذا، في نظرك، إجحاف بحقوق الاقليات وأمر لا يطاق، والجيش معتد أثيم يستحق اللعنات، ويستحق قادته أن يشدوا بالوثاق. لكن دفاعك يا جلال بابان لم يكن في الواقع لحماية الأكراد أو الكردية، بل كان يهدف إلى إلقاء التفرقة وزرع الفساد، مستفزاً الاقليات ضد الجيش وقادته، وممهداً للمؤامرات والاستعدادات التي تقررت لإثارة حرب داخلية مالم تسقط وزارة الكيلاني، ويُحال القادة المسيطرون على الجيش على التقاعد، (سوف ترى ماسيجري بالعراق) وهذا هو الهدف الحقيقي لخطاباتك كلها.

الملحق رقم -١١-

العميد طه الهاشمي يشهد أن نوري كان يطلب إلينا أن نتصل بالوصي عبد الاله أيام كنا نجتمع في داره. وكان نوري لا يطلب إلينا الاتصال بالوصي إلا عندما نتأخر في زيارته فعلاً، وقد أثار ذلك عجبنا. ثم تبين لنا بعد مدة أن نوري كان واقفاً على ما يعقد بيننا وبين الوصي من اجتماعات، لأن الوصي كان يستعمل نفس العبارات وعين المصطلحات التي يستعملها نوري.

وكان نوري يحرص كل الحرص على الاجتماع بنا دون علم طه، ليشكو لنا من تصرفات طه تجاهنا زاعماً أنه كان ينصح طه بأن يطلعنا على كل شيء لنكون على بينة من الأمور، لأننا – على زعم نوري – أكثر من جميع الوزراء خبرة في تمحيص الأمور واتخاذ التدابير اللازمة إزاءها. لكن طه كان يجيبه (طيب .. طيب ..)

ثم لا يخبرنا بشيء

وكان نوري قد ارسل لي نسخة بالانكليزية من دفاعه عن قضية فلسطين، الذي ألقاه أمام اللجنة التي عقدت في لندن قبيل هذه الحرب الاستعمارية العظمى (والتي صدر الكتاب الأبيض عنها)، لكي أتلوه على اخواني. هذا نوري، وتلك ثعلبياته ودسائسه.

تاسعاً:

الجيش والسياسة

إن من بيدهم زمام الأمور من عسكريين ومدنيين يقسمون إلى أربع زمر ثقافية:

الزمرة الأولى:

من ذوي الثقافة العالية في الحقوق والادارة، مثل رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت والبحراني وعلي محمود ومحمد يونس السبعاوي، وغيرهم ممن اشتهروا بنزعتهم الوطنية، والذين تقلدوا الوزارة ورئاستها مراراً، وجمعتهم وزارة رشيد عام ١٩٤١.

الزمرة الثانية:

من ذوي الثقافة العالية في الفنون والسياسة العسكرية، مثل الأخوين يس وطه الهاشمي وبكر صدقي وحسين فوزي وأمين العمري وغيرهم من القادة وضباط الركن.

الزمرة الثالثة:

وهم أساطين الأذناب، الذين لفظهم الجيش ونبذهم الشعب مثل نوري وجميل وجودت وجلال بابان، فقد كانوا ضباطاً ملازمين في الجيش العثماني، ثم إحتضنهم الإنكليز في الحرب العالمية الماضية وخلقوا منهم زعماء سياسيين وخبراء، لابرفع مستواهم الثقافي، فقد بقي على ماكان، بل لأنهم أجادوا النفخ في أبواق الإستعمار، ولولا ذلك لكانوا اليوم مثل باقي الملازمين المتقاعدين.

الزمرة الرابعة:

من الأميين وأولهم عبد الإله، فهو غير مثقف بل شبه أمي، بقي بعيداً عن المتاعب التي يتطلبها كسب العيش، وترعرع في الدلال والنعيم، لا في معترك الحياة، واسندت الوصاية إليه عام ١٩٣٩(أي قبل حربنا ضد الإنكليز بسنتين) ولم تؤهله للوصاية ثقافة أو ذكاء أو بطولة، بل لأنه من العائلة المالكة فحسب: عمه فيصل وجده الحسين. تلك مزاياه كلها التي رفعته علي فطاحل العرب وعلمائهم، وقدمته على غيره من الأميين الذين هم أطول منه باعاً في فهم الحياة

ومغازيها، فما كاد الوصي يعتلي الكرسي حتى غداً سياسياً يعمل مع تشرشل وروزفلت في الحقل الديموقراطي، دون أن يستشير حكومته وقادة جيشه، مع أنهما يفعلان. فكان مثله كمثل حسن السهيل وغيره من الخشب المسندة الذين خصصت لهم الكراسي في مجلس الأمة، ومضى يشرع القوانين في أمور السياسة وفي الحقل الدولي زاعماً أنه سياسي وما هو إلا جاسوس إنكليزي.

لقد باع هذا الأمير دينه وقومه وضميره، ونطق بما أوعزله به السفير البريطاني وأساطين الأذناب، فكان أول من شجع الإنكليز في إعتدائهم على العراق فحاربوه دون حجة أو سبب.

بعد أن فشل نوري في إقناع مجلس الدفاع الأعلى، وبعد أن قتل غازي ورستم حيدر وأحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد في عهد وزارته، لم يرى بدا من الإستقالة لإنجاز ما شرع به من مشاريع، وأصر على أن يؤلف الكيلاني الوزارة من بعده لينال بواسطته ما يريد، ولم تمض على تأليف وزارة الكيلاني بضعة شهور حتى أعاد نوري الكرة ، وقدم مطالب بريطانية من العراق بصفته وزيرا للخارجية، وتتلخص بافساح المجال لجيشها بالتحشد في أرضنا وأن يشترك جيشنا في الحرب فعلا. ولما كان ذلك من الأمور السياسية العسكرية فقد أحيل على المرجع المختص وهو مجلس الدفاع المؤلف من هيئة أركان الجيش وعدد من الوزراء ورئيسهم ،ليناقشه ويقدم قراره إلى مجلس الوزراء، ومن ثم إلى مجلسي الأمة.

عقد مجلس الدفاع، وطرحت مقترحات الإنكليز على بساط البحث، وكان نوري يظن أن الجو قد خلا له بعد إحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، لكن المقترحات التي تقدم بها رفضت، وخابت آماله، فطلب من طه إنهاء جلسات مجلس الدفاع، ناسياً أنه وزير للخارجية لا رئيس للوزراء. وحوّل نوري خطته، فاستعان بالوصي وبأساطين الأذناب للطعن بالجيش وبرشيد عالي الكيلاني في مجلس الأمة، فاعتلى جميل المنبر، وتلاه جودت وجلال بابان، وارتفع صراخ الأذناب من أتباعهم، يطلبون حماية الدستور من عبث الجيش والكيلاني، ومنع الجيش من التدخل في السياسة(١).

إنها والله كلمة حق أريد بها باطل، لم تراع مداخلها ومخارجها، وأسقط ذلك من

(١) اللهم عفوك عن البسطاء المخدوعين منهم مثل ابراهيم عطار باشي. اللهم وصب جام غضبك على أساطين المرتزقة المغرضين.

الحساب عمداً، لتكون غشاوة على عيون البسطاء فيخدعون، وذريعة للطعن بالجيش وكيل التهم والسباب، وحجة بيد المرتزقة لكسب الأصوات وإسقاط وزارة رشيد، وإرغام الجيش ومن ورائه الشعب على الرضوخ للإنكليز فيكون آلة صماء بيدهم. وما خطاب جلال بابان في المجلس إلا شاهد عدل على مدى خيانته، وصحبه، للوطن في كل زمان ومكان، إذ أعلن ما كان في السرائر.

ملاحظة:

إجتمعنا ذات مساء في حديقة طه الهاشمي بالوزيرية، وكان اخواني حاضرين، فقلت:
- سيدي الباشا، إننا كعسكريين لا نستطيع الحضور في مجلس الأمة للدفاع عن جيشنا وعن أنفسنا. وقد انيط ذلك بك وحدك، بصفتك وزيراً للدفاع، فكنت ممثلنا الوحيد في المجلس. فلماذا فسحت المجال للأذناب أن يهاجموا الجيش ورشيد عالي الكيلاني وهم في حججهم يغالطون ويفترون، وأنت تعلم أنهم المعتدون، وأنهم الظالمون. وهل تجيز الديموقراطية أن يطعن جيش البلاد في مجلس الأمة علناً، ابتغاء الحط من كرامته إذ يتمسك بحقوقه المشروعة واختصاصه، ويحافظ على حقوق بلاده؟

أحق أن تجهر هذه الطغمة من الأذناب بعدائها للجيش، ثم تنشر خطبهم السامة في الجرائد لإرغام الجيش على السكوت، ولهدم آخر حصن يصون مقدرات الأمة؟ أحق أن يسعى هؤلاء إلى انتزاع ثقة الأمة بجيشها، ليخلو الميدان للأجنبي ويتصرف كما يشاء، وما الفرق بين أعمال الرتل الخامس من الخونة المارقين، وبين مايقوم به هؤلاء في سبيل خدمة الأجنبي؟؟ من خلق الاختلافات ونشر الفوضى في صفوف الأمة والجيش، حتي غدا مفهوم الديموقراطية يفسح المجال لعبث الجواسيس وللدسائس الأجنبية في صفوف الجيش والشعب، وفي مجلس الأمة بصورة علنية؟

لم يكن دفاعك عن الجيش كافياً يا سيدي، ولئن ايدك نوري، وضم صوته إلى صوتك، فهو في الواقع يظهر مالا يبطن. إن ذكرك لإخلاص قواد الجيش، واشارتك لحسن نيتهم، ونفيك تدخلهم في السياسة ليس بالحجة المقنعة، وماهو إلا تملص من التطرق إلى الحقائق، الغاية منه اسكات المغرضين منهم أو البسطاء المخدوعين. أية سياسة يراد اقصاء الجيش عنها؟ وهل كانت القضايا التي عرضت على مجلس الدفاع الأعلى من اختصاص الجيش أم لا؟ إن تقدير المواقف الحربية وتطوراتها من الوجهة السوقية العالمية، وتأثيرها على السياسة العسكرية، من اختصاص الجيش وصنعته، وعلى ضوء تقدير الجيش لذلك ترسم السياسة الخارجية، وتنظم شؤون الدولة الداخلية، وباتباع هذه الطريقة، وبالتروي وعدم التسرع في

الأمور تقل الأخطاء. لكنكم بدل أن تعرضوا مقررات مجلس الدفاع الأعلى على مجلس الوزراء ومجلس الأمة، على النحو الذي تقول به الأصول الدستورية والنظم الديموقراطية، فيسكت الأذناب ولا يعلو لهم صوت، وافقتم نوري، واستغنيتم عن رأي مجلس دفاع الأعلى، ورفعتم جلساته إلى أجل غير مسمّى بمجرد أن طلب نوري منكم، وهو وزير للخارجية لا أكثر، وخالفتم رغبة رشيد عالي الكيلاني وهو رئيس الوزراء. فكان ذلك تحدياً صريحاً لحقوق القائمين على الجيش في بسط وجهه نظرهم في السياسة العسكرية.

لماذا لا تصرح بحق الجيش في مناقشة هذه الأمور في مجلس الدفاع الأعلى، وتقرن ذلك بالأدلة الدامغة، فتختم على أفواه تلك الاقلية من الأذناب واساطينها الأربع، فلا تتدخل في امور هي من حقوق الجيش وهم لا يعلمون. لماذا لا تقول لهم إن ما من ملك دستوري أو رئيس للجمهورية (مثل ليبران)، وما من رئيس للحكومة أو رئيس للوزراء (مثل دیلادیه) يجرأ على اعلان الحرب (ضد ألمانيا مثلاً) أو على السماح بتحشد الجيوش الأجنبية (مثل تحشد الجيوش البريطانية في فرنسا وبلجيكا)، أو سوق القطعات العسكرية (إلى النروج مثلاً)، إلا بموافقة القيادة العسكرية وهيئة أركانها ورئيس أركانها. لماذا لا تقول لهم أن هتلر وموسليني وتشرشل وروزفلت لا يقومون بمشروع إلا بعد أن يشبعه الجيش نقاشاً وبحثاً، وإن الرأي الذي يغلب على قراراتهم كلها هو رأي الجيش، حتى في نواحي الاقتصاد والمواصلات كالصناعة والزراعة والري والطرق والسكك.

تلك هي السياسة التي يعالجها الجيش، لكن الأذناب تعمدوا المغالطة وشطوا عن هذا، يريدون بكلمتهم أن يترك الجيش باب الوزارة مفتوحاً لجميل وجودت وجلال بابان وغيرهم من الأتباع والموالي، فلا يحصرها بزيد ويمنعها عن عمرو. وهم والله لا يفقهون للسياسة معنى غير هذا. ولا تهمهم مطالب الانكليز بشيء، ولا يحركون ساكناً إزاء ما يراد من الجيش ومن مجلس الدفاع. على أن تهافتهم على الكراسي لا يهمنا بالمقابل، ونحن نرضى بأي واحد من هؤلاء ليكون رئيساً للوزارة بشرط أن تراعي هذه الوزارة الأصول المتبعة في جميع دول العالم، فلا تبُت بقرار يتعلق بالسياسة العسكرية قبل موافقة أربابها، أي مجلس الدفاع الأعلى، وشرط أن لا تتدخل تلك الوزارة في الأمور العسكرية البحتة التي هي من اختصاص الجيش وحده، وإن لا تعمل على اقصاء خيرة من تبقى من قواد الجيش، أو احالتهم على التقاعد (بالطريقة التي اتبعت مع حسين فوزي وأمين العمري) ليخلو لها الجو فلا يوقفها عسكري عند حدها، ولا يمنعها مانع من تلبية رغبات الانكليز ومصالحهم، دون الالتفات إلى حقوق الأمة، أو ذكر نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية.

لقد أراد نوري يوماً أن يكون سفيراً للعراق في أمريكا فلماذا عدل، ولماذا لا تصر عليه أن يفعل، وتتبعه بجميل وجودت وجلال، فتجعل منهم سفراء في دول أخرى لتنجو الأمة من شرهم، فلا يجد الانكليز من يتعلق بأذيالهم غير عبد الاله، وليس من وراء عبد الاله نفع أو ضرر إذا بعدت شراك نوري عنه وعنا. وإني على يقين أن الانكليز لن يجرأوا على اغاظة العرب بالاعتداء على نصوص المعاهدة، ولن يصروا على فرض مطالبيهم علينا فرضاً.

أجابني الهاشمي: لا تقيموا وزناً لكلام هؤلاء، انهم لا شأن لهم، وهم لا يعقلون.

توقعت منك غير هذا ياسيدي واستاذي العميد طه الهاشمي - وأنت الذي سماك الانكليز تاج المربع الذهبي، بسبب مانكنه لك من احترام وتقدير - توقعت منك أن تعدّ الدواء قبل أن يتفشى الداء، فتسكت هذه الاقلية المرتزقة بالحجة الدامغة، أو أن تفسح المجال لأحدنا فيقول:

- حسبكم أيها الأذناب، فالأمر لا يقتصر على قيام وزارة في محل اخرى، ولو أنه وقف عند هذا الحد لهان الخطب فسكتنا عليه لا نجيبكم بشيء. لكننا أمام مطاليب انكليزية تتحدى نصوص المعاهدة، ولا بد أن يدرس الجيش هذه المطاليب، وأن يناقشها مجلس الدفاع الأعلى قبل أن تقرّها السلطتان التنفيذية والتشريعية، لأن من حق الجهة العسكرية أن تنظر في أمور واقعة ضمن اختصاصها. أما النقاش في ذلك فيجب أن يجري في جلسات سرية غير علنية، فإذا انعكست الآية كان ذلك من سوء النية. إن شن الحملة علي الجيش خيانة للوطن، وتوجيه الطعن لقادة الجيش تحد لهم، وهذا ليس من الحرية الديموقراطية بل أنه الفوضى، حتى إذا شاع الخلاف في صفوف الجيش، وشلَّ عزم قادته تشجع الأجنبي، وناء علينا بضغط جديد لينال ما يريد، بينما يقضي الواجب عليكم أن تثقوا بجيشكم، وتفخروا بعقيدته وشعوره.

أما السياسة التي تشغلكم في الليل والنهار، فالجيش لا يتدخل فيها إذا كان استقلال الدولة ناجزاً لا تشوبه شائبة، بعكس ما إذا كان استقلال الدولة ناقصاً، وقد غلبت على أمرها(١) كالعراق. وأما السياسة التي لا أرى أن يتدخل الجيش فيها، فهي إقامة العدل وما يتفرع عنها وما يماثل ذلك من الشؤون الداخلية. فما عدا ذلك، فالسياسة لا يمكنها الاستغناء عن رأي الجهة العسكرية، لأن السياسة العسكرية هي الناظم في تحريك دولاب الدولة، وهي العامل الأول في اعداد المناهج الوزارية والمشاريع العمرانية في زمن السلم أو الحرب على السواء. إن الأخذ بمبدأ غير هذا لايشيد صرحاً لدولة، ولايضع أساساً وطيداً لحكومة لها

(١) سمعنا هذا الكلام من طه ومن نوري. وسمعناه من نوري خاصة يوم كان رئيساً للوزارة، يدعونا للاجتماع في داره لأننا كنا أصدقاءه.

سلطة وسيادة وعليها واجب ومسؤولية، إنما يبدو ظاهرها للعيان كالدولة، وما هي في الواقع الا جماعات أمرها فوضى وفاعليتها معدومة.

إن السياسة العسكرية هي التي ترسم خطط الحركات الحربية دفاعاً وهجوماً منذ السلم. و خطط الحركات تشمل في بنودها كل ما يتعلق بالبلاد وسكانها، ومرافقها الحيوية وجهودها وثقافتها وانتاجها واقتصادها، وعلاقتها مع الدول الأخرى، وقوة تلك الدول ونزعاتها وأطماعها واستعدادها العسكري. وهكذا فإن خطط الحركات لا تترك أمراً من أمور الدولة إلا وتشبعه بحثا وتمحيصاً لأن الحروب العصرية تتطلب جهوداً جماعية، تشترك فيها الأمة بمجموعها، وتجند كافة قواها وجميع مرافقها. (انظرالملحق - ١٢-)

إن وزير الدفاع الذي يمثل الجهة العسكرية في مجلس الوزراء، ومجلس الدفاع الأعلى الذي يرسم السياسة العسكرية، يستمدان رأيهما من هيئة أركان الجيش ومن قادته، ويتخذان قراراتهما على ضوء توجيههم. ثم تعرض القرارات على مجلس الوزراء، ثم على مجلسي الأمة، فتطّلع السلطات المختلفة على رأي الجهة العسكرية وتوجيهها الفني وما تحدد من شروط تتعلق بالأمور السوقية وسياستها العسكرية.

ويتحتم على السلطة التشريعية أن تحترم هذه الأصول، فإن لم تفعل فإنما لجهل منها بالأمور الإدارية. ويتحتم عليها أيضاً أن تضع لكل سلطة حداً من الصلاحية لا تتجاوزه، ليتم التوازن بين السلطتين المدنية والعسكرية، فإن لم تفعل حلت الفوضى، هذه هي الأصول الديموقراطية، ومن الاستبداد أن يتدخل الملك أو الوصي على العرش، وكلاهما غير مسؤول بحكم الدستور. وأما تدخل غيره من الأذناب فهو شعوذة وفوضى.

هذا، يا فخامة العميد طه الهاشمي، ما وجب أن يقال في معرض النقاش لاسكات الأذناب الذين أثاروه، وأنت ذو الثقافة العسكرية العالية، والاطلاع العميق على مافي الوزارات العراقية والمجالس النيابية من أذناب أميين أو أشباههم، ليس منهم من يفقه للسياسة العسكرية معنى، أو يعلم أنها الناظم الأساسي لمناهج الوزارات ولشؤون الأمة الاجتماعية والاقتصادية والخارجية، وكل ما تتطلبه الحروب العصرية لضمان حرب جماعية.

ولكن شاء الله أن لا تقول شيئاً من هذا، فتخذل جيشاً لولاك ما قام له كيان، فيسجل عليك التاريخ خطأك الثاني الذي شجع الانكليز ومواليهم علي الاستهتار بكرامة الأمة وحقوق الجيش، فكان هذا أعظم من خطأك الأول الذي خلق بكر صدقي، إذ فضلته على سائر قوادك فصار خليفتك. وكذلك كان شأنك مع نوري في عهده الأخير.

لقد خدعك نوري، سامحك الله، فكان مثلك ياطه كمثل أبي موسى الأشعري، ونوري كمثل ابن العاص. على أنك، أي مبلغ بلغت أخطاؤك، أجلُّ من أن تطعن بشأنها أو تذمّ، فقد صدرت أعمالك عن عروبة صحيحة وأخلاق قويمة، وأنا أعلم الناس بحسن نيتك وجليل عملك.

ملحق رقم -١٢-

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة الخارجية:

من المعاهدات والاتفاقات السياسية ما يعالج أموراً تتعلق بالموازنة العسكرية واسسها السوقية، ومنها ما يعالج أموراً تتعلق بقضايا الحدود وواجبات السفراء والقناصل والملحقين العسكريين الخ .. كما أن المعاهدات والاتفاقات التجارية تعالج أموراً تتعلق بحاجات الجيش وسدها وما يفيض عليها.

العلاقة بين السياسة العسكرية والمواصلات البرية والبحرية والجوية:

يجب أن يكون للجهات العسكرية القول الفصل في مد السكك الحديدية واشادة الجسور، وشق الطرق، وبناء الموانئ الجوية والمرافئ البحرية، وتسيير الخطوط البحرية والنهرية، وفي مشاريع النقل عامة، سواء كانت آلية أو غير آلية.

العلاقة بين السياسة العسكرية والاقتصاد:

الجهات العسكرية هي التي تبت في جميع المنابع الأرضية، وأمور الري وصناعة البلاد الآلية وغير الالية، وهي التي تقرر أي المناطق يبقى بورا أو قفرا، وأيها يكون مستنقعات، وأيها تكون معدة لاغمارها بالمياه. وهي التي توافق على فتح الجداول واقامة السدود وبناء الخزانات ومشاريع التشجير. وهي التي تعين عدد المصانع ونوعها ومناطق اقامتها.

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة الداخلية:

وتتجلى في قضايا الامن، والسوقيات العسكرية، وفي الاشراف على السابلة والمهاجرين

واللاجئين، وفي كل مايهم الدفاع السلبي والايجابي، ومكافحة وسائل دس العدو وتجسسه، وفي الدفاع عن المدن، وفي تعيين المناطق التي يجب اخلاؤهامن السكان، والمناطق التي يحرم على الاجانب دخولها.

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة التعليمية:

وزارة المعارف هي الينبوع الذي يمد الجيش بالضباط، ويرفع من ثقافته العسكرية، ومن مستوى تشكيلاته الفنية والصناعية. وهناك علاقة وثيقة بين التوجيه القومي والتنظيمات العسكرية.

العلاقة بين السياسة العسكرية والشؤون الاجتماعية:

إن اعداد الامة للنفير والحرب يتطلب تنظيم الدعاية والاذاعة، والتوجيه القومي، والاخلاق الفاضلة، والعقيدة الدينية الراسخة، والمعنويات العالية. كما يتطلب تنظيم الطب والمستشفيات بما يلائم حالة الشعب والجيش في النفير. ويهم الجيش أن يكون الأفراد أقوياء في أبدانهم، وأقوياء في معنوياتهم.

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة المالية:

يجب تمويل المشاريع التي تتعلق بالتسلح والدفاع عن البلاد، واعطاء الأسبقية في تمويلها. كما يجب اعداد المال الاحتياطي لسد نفقات الحرب. الخ ...

شهادة رقم (9)

في صحيفة الجهاد الحلبية

كتب السيد محمد فهمي الحفّار تحت عنوان "الصدفة والتعرّف":

في ليلة من ليالي صيف حلب كنت راجعا الى البيت من دعوة في بستان حسن فؤاد (بك) آل ابراهيم (باشا)، شاهدت عربة واقفة الى جانب القصر، يحفُّ بها رهط من الناس. فدفعني الفضول الصحفي لأن أتقدم منهم وأرى ما الخبر، فرأيت عملاقا أسمراً يقف محتارا، فتفرس في وجهي ثم مالبث أن صاح قائلا بلهجة عراقية: ألست أنت فهمي الحفار في المخابرات الخاصة في الأركان للفرقة الثالثة عام ١٩١٩ في العزيزية؟!

فدهشت. وقلت: من يكون محدثي الكريم؟ فأجاب: أنا صلاح الدين الصبّاغ أحد ضباط جيش فيصل الأول!!

وهنا فطنت من هو البطل العسكري الذي أتحدث اليه، ثم رجعت بذاكرتي الى هذه الشخصية الفذة التي كان العسكري الزعيم أركان حرب (من ألمانيا) محمد اسماعيل الطبّاخ قائد الفرقة الثالثة يعتمد عليها في أخطر المهمات وأعظمها، وكنت أعلم الى جانب ذلك (كصحفي) الدور الكبير الذي لعبه في ثورة رشيد عالي الكيلاني خلال الحرب العالمية الثانية، وما قاساه في تجواله بعد فشل الثورة، في ايران وتركيا.

فتعانقنا مليا ثم سألت كيف وصل الى حلب، مع وجود القوات الانجليزية الى جانب القوات الفرنسية فيها فقال: ان الوقت ثمين وعائلتي وأولادي لاجئون في قصر الدكتور حسن فؤاد (بك) ابراهيم (باشا)،

واجتماعي بهم هنا غير معقول، لأن تركيا سلمتني للانجليز رغم أني لاجيء سياسي، ورغم أني ربحت الدعوى أمام القضاء التركي بحسب القوانين الدولية بعدم جواز تسليمي للانجليز، وقد هربت قبل ساعة أو أكثرمن سجن (الأنتلنجس شرميس) فجئت لأجتمع بولدي ربيعة الذي تركته صغيرا، فهل بالامكان أن أجتمع به في بيتك برهة لأراه وأبثه بعض الوصايا لتكون له سلاحا في حياته؟

فأجبته: حبا وكرامة، ثم تأبطت ذراعه وسرت معه الى منزلي، فألفيت فيه كتلة أعصاب مهتاجة كأنها مستعدة لاذابة الحديد. . . .

بعثت الى قصر حسن فؤاد (بك) أطلب ارسال ربيعة ليشاهد أباه، وبعد قليل دخل فتى يافع كفلقة القمر، يشع الذكاء من عينيه البراقتين كالشرر، فما أن اجتاز عتبة البيت حتى انقضّ البطل على ولده يشبعه تقبيلا وهو يقول: (ياهلا بربيعة.. ماشاء الله... كلش زين، الحمد لله يا بابا... الماما زينه ان شاء الله ياربيعة؟) فأجابه بأنها مريضة ونائمة، فقال البطل لولده، ياولدي لاتوقظها بل دعها مرتاحة، فاذا جاء الغد أعلمها بهذا الاجتماع وبلغها سلامي واهتمامي، ياولدي ان يسر الله وكتب لي السلامة ذهبت الى الرياض، الى ابن سعود، حيث الزعيم رشيد عالي الكيلاني هناك، ولكن اذا قبض الانكليز علي فانهم سوف يسلمونني الى الطاغيتين عبد الاله ونوري السعيد، فعندئذ لابد من اعدامي. . . ولدي ربيعة: اذا أعدموني فلا تجزع ولا تحزن، فقد ذبحت من كلابهم المستعمرين كثيرا انتقاما لما سفكوا من دماء العرب، واياك اياك أن تشرب الشهد من انجليزي فهو السم الزعاف الذي يقتل بعد حين ياربيعة: اذا رأيت الانجليزي يغسل الكعبة المشرفة بلحيته، فاعلم أنه يحاول القيام بلعبة يستعمر بها شعبا من شعوب المسلمين المتأخرة، وان جاءك انجليزي يقدم لك القرآن فاحتجز القرآن ثم اصفعه لأنه يرمي من وراء ذلك الى فتنة! عيني ياربيعة، لاتعمل بالسياسة قبل أن تكمل دراستك لتصبح ذا سلاح علمي ومركز اجتماعي يساعدانك على قهر العدو المستعمر،

وأعلمك أن لحياتك قصة عجيبة قد شرحتها لك في مذكراتي التي ستنشر بعد موتي، فأرجو الله أن يلهمك الأخذ بثأر أبيك وثأر مئات الألوف من ضحايا العرب الذين هم في أعناق الانجليز.

وهنا حضرت مائدة العشاء وبعد ذلك رجوته أن يخلع ثيابه وكلفته بالنوم، ليأخذ قسطا من الراحة، وحشوت مسدسي، وقعدت ساهرا أحرسه، وبعد ثلاث ساعات سمعت صوت حصى تقذف على أرض الدار، فخرجت فاذا بعامل الحمام الملاصقة لداري المدعو سليم الحلواني يقول: أن دوريات الشرطة والجند يقودها ضباط انجليز قد طوقت دارك فهات هذا الضيف الذي هو عندك لأهربه- فتقدمت من البطل الراقد على السرير وأيقظته برفق، وهمست في أذنه معلما بالأمر، فأخذ يلملم نفسه، ولبس بسرعة البرق ثم قال لي: انني أشكر شهامتك فأنت من جنودي العسكريين الواعين، ولكن لي عندك رجاء وهو ان اجتمعت بفخامة رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ودولة سعد الله الجابري أن تبلغهم تحياتي وتذكرهم بيوم لجأوا الى العراق حينما اتهموا باغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، فأعطيتهم قصري، ثم لما غادروا العراق الى الرياض ضلت بهم القافلة في الصحراء حتى ظلوا بلا طعام ولا ماء وهددوا بالموت، فبعثت لهم بالطائرات -وأنا يومئذ قائد قوات الجو- وبوحدات الدبابات حتى عثرت عليهم وأنقذتهم من الهلاك، فشكروني وقالوا فيما أذكر: يقدرنا الله على المكافأة! اعلم يا أخا العرب أن السلطات التركية سلمتني على الحدود السورية فسلمت قائد المخفر السوري جميع مذكراتي، وبعد قليل جاء الضابط الانجليزي لاستلامي فأبى قائد المخفر وخابر محافظ حلب -وكان يومئذ احسان الشريف- فأبى التسليم، ولكن الانجليز هبطوا حلب.

ثم قفز الى الجدار ومشى على عرض بضعة سنتيمترات كأنه العصفور حتى وصل الى الجدار الثاني فتلقاه عامل الحمام سليم الحلواني واجتذبه اليه، وجرى على أساطيح الحوانيت الى مدى بعيد ثم أنزله وذهب الى حي

الكلتاوية فآواه هناك وعكف على خدمته النساء والرجال يرمقونه رمقة العز والاجلال كبطل من أعظم الأبطال.

والى هنا لم أعلم عن البطل بعد أن سلمته الى عامل الحمام سليم أين استقر، اذ لم تكد تشرق الشمس حتى داهمت منزلي دوريات كبيرة العدد من الشرطة ومفوضيها وعلى رأسهم ثلاثة ضباط برتبة (ميجر)! ففتشوا الدار وقطّعوا بكل مافيها من فرش وأثاث ثم اقتادوني معهم الى مخفر باب الفرج، وهناك بلغ الخبر محافظ حلب فاتصل بمدير الشرطة وكان يومئذ الزعيم ابراهيم (بك) قصاب حسن فزارني في المخفر وهدأ من روعي وأبلغني تحية المحافظ احسان الشريف ثم ذهب. وبعد حين سلمتني الشرطة الى قيادة الدرك في السراي القديم، وكان هناك العقيد عبد القادر بازرباشي فاعتنى بي كثيرا وهيأ لي سريرا مريحا نمت عليه ليلتي وفي الصباح زارني أهلي ومعهم نساء من ذوي معلم الحمام سليم، ورجوني أن أبوح بأمر تسليمي البطل، له فقلت لهم: أنتم بلهاء، ان الأمر لايتعلق بحياة سليم، بل يتعلق بحياة أعظم قائد في بلاد العرب، وقد عاهدت ربي أن أموت تحت التعذيب ولا أبوح بالأمر فكونوا مطمئنين. . .

وفي المساء بعد العشاء، سمعت ضوضاء في صحن السراي، فاذا بثلاثة ضباط انجليز يتكلمون مع الدرك المناوب الملازم بكري الشوا، ثم مالبثوا أن صعدوا معه حتى دخلوا غرفتي فتنحنحت لهم، وسلمت عليهم، فقال الميجر الانجليزي للملازم: نريد أن يرافقنا قليلا لأننا نريد أن نسأله بعض الأسئلة!! فانتفض الملازم شوا وقال: - هذا في ذمة حكومتي وأنتم أجانب لاأسلمه. ثم نزل الملازم وأوعز الى الفئة بأخذ السلاح لمقاومة كل محاولة لخطفي، فكانت شهامة عسكرية وطنية رائعة، فاضطر الضباط الانجليز إلى مغادرة السراي على الفور!!

وبعد ساعتين اتصلت خلالها السلطات الانجليزية بالعاصمة ثم سلموا الملازم أمرا من قائده بلزوم تسليمي للجلادين بناء على برقية، وقبيل مجيء

الضباط الانجليز جاء الي رقيب أول من دير الزور وقال أنا مستعد لأن أضع حياتي من أجلك فماذا تريد؟

قلت: هذه البرقية الى سعد الله الجابري تؤمن ابراقها اليه. قال حبا وكرامة! وما علاقة ذلك؟ قلت لأنني سوف أسلم للانجليز بنفس الصورة التي سلم بها البطل صلاح الدين، فأعطيته اياها وهذا نصها:-

في الساعة التي تسلمونني فيها الى الجلادين الانجليز الى دهاليز التعذيب عاد الى ذهني خطاب الجنرال ديغول يوم نداء تشرشل، بأن الانجليز لايعطفون على السوريين لكنهم يريدون اخراج فرنسا منها ليحتلوا مكانهم. اعلموا أنني سأعذب بعد ساعات تحت العلم السوري الذي يمثل الاستقلال الذي سفك الشعب أنهار الدماء للحصول عليه، فبرهنوا على صدق استقلال الحكومة التي أنتم مسئولون عن ادارتها، وليشهد التاريخ على هذه المهزلة والمأساة .

وأضاف السيد الحفار:

ثم ودعني الملازم والرقيب الأول والعرفاء فركبت في سيارة الجيب مع الجلادين الانجليز يراقبنا الرئيس فؤاد الأسود رئيس شرطة الجيش السوري حتى وصلنا الى خان الشربتجي، فأودعت في سرداب رهيب مظلم ضيق ذي شقوق تخرج منه الجُرَذ والفئران لتنهش جسمي زيادة في الارهاب والتأثير على الأعصاب. حتى اذا جاوز نصف الليل جيء بي الى غرفة صغيرة فيها ثلاثة ضباط انجليز، منهم واحد مسلم من جزيرة قبرص، جنسيته تركية واسمه منير (بك) وهو ابن مفتي المسلمين الأتراك في قبرص امتهن الجاسوسية للانجليز!

هنا تكلم معي منير (بك) الكابين الجاسوس باللغة التركية وقال لي:

نحن مسلمون وهؤلاء كفرة ملعونون، تعالى معي. ثم تأبط ذراعي وأخذني الى غرفة منفردة وأخذ يرشيني بلقب (فهمي بك!) فضحكت كثيرا، قال لماذا تضحك؟ قلت: أضحكتني سخافة الأسلوب. ماذا تريد؟ تكلم دون هذه السخافات لأنني مأذون من مدرسة الكواكبي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني. فقال انك ستتعرض الى أنواع من التعذيب لايتحملها البشر، وأنا كمسلم أريد أن لاتتعرض لذلك. قل لي أين صلاح الدين الصبّاغ تخرج الآن لساعتك الى بيتك!

قلت: انني أضفته في بيتي ثم خرج، ولا أعلم الى أين ذهب. ولكن محدثي تركني واستلمني الوحشان الأول انجليزي والثاني استرالي. وتولاني الأسترالي بلكمة على حنكي راح رأسي بها الى الحائط فوقعت مغشيا علي، فبدأ يلبطني بحذائه الغليظ على جانبي ثم جيء بالماء البارد فصب علي حتى أفقت. فوضعت رجلاي في الفلق وبُدئَ بالضرب وأنا أصيح حتى أغمي علي، فسالت الدماء من أنفي ورجلاي وأصبح جسمي كدمات سوداء فأرجعت الى الزنزانة الظلماء على البلاط فقط، تنهشني الجُرَذ والصراصير والفئران.!!

بقيت على هذه الحال خمسة أيام بلياليها حتى ضج السكان المجاورون وأخذوا يقذفون الحجارة على السجن شاتمين متأثرين بأصوات الاستغاثة الى الله من التعذيب، حتى أشرفت على الموت ويئس أبطال التعذيب الكلاب من أخذ أية اشارة مني، ألقوني في غرفة غرقت بدمائي وراحوا يضربون أخماسا بأسداس، فهداهم خبثهم الى فكرة نجحوا بها حيث اعتقلوا أحد خدام قصر الدكتور حسن فؤاد (بك) ابراهيم (باشا)، وهو لا في العير ولا في النفير، فجاءوا به الى السجن وأدخلوه الغرفة التي وضعت فيها فشاهدني أكاد ألفظ أنفاسي الأخيرة كما شاهد آثار الدماء في أرض الغرفة فكاد يصعق! ثم أخرج الى غرفة منفردة فكال له الميجر الأسترالي لكمتين التقى رأسه بهما بالحائط فخرّ مغشيا عليه، فلما أسعف بالماء قال:-لاتعذبونني لأنني لاأتحمل العذاب، اذهبوا معي حتى أريكم أين هو!!!

فأركبوه معهم تتبعهم القوات الانجليزية حتى أوصلهم الى بستان في ضاحية حلب، حيث دلهم على مكان مرقده فقبضوا عليه، وهكذا عاد البطل الى قبضة جلاديه!!

والسر في ذلك أن الدكتور حسن (بك) حين علم بالعذاب الأليم الذي لاقيه خشي أن لاأتحمل الى الآخر فأبوح باسم الشخص الذي أسلمت اليه البطل، فأوعز الى خادمه هذا فغير مكانه. ولكن القدر مالبث أن دفعه للادلال عليه!

وفي صبيحة يوم رأيت الرئيس فؤاد أسود رئيس الشرطة العسكرية للجيش السوري يهجم علي وأنا بين الموت والحياة في السجن يقبلني ويقول لي:-بارك الله في الأصلاب والأرحام التي جئت منها، فقد ذقت الموت ولم تفه بكلمة ، حتى اذا جاء غيرك أسلم الرجل الى الاعدام بصفعة واحدة!

ولما فاز الانجليز الطغاة بالفريسة صلاح الدين حملوه بالطائرة الى بغداد، وعند ذاك أفرج عني فحملت الى بيتي كسيحا لايسأل عني سائل ..

محمد فهمي الحفّار

عاشراً:

فشل الوصي في تنفيذ المؤامرة الإنكليزية لإثارة حرب داخلية

ارتفع ضجيج الأذناب في المجلس وعمت الفوضى، وكانت الأكثرية التي تؤيد الكيلاني من القوميين والمدافعين عن الحق والحرية، وأما الأقلية التي تعارضه، فكانت من أعداء الفكرة العربية الذين يستندون إلى حراب الإنكليز، وهم حزب الشيطان. واشتد ضغط عبد الإله على طه الهاشمي وصادق البصام، فاختارا القعود على التل، ورفعا استقالتهما للكيلاني لإحراج موقف وزارته.

في الساعة الثامنه من مساء ٢٧ كانون الثاني١٩٤١، دعاني رشيد عالي الكيلاني للحضور في مقر رئاسة الوزارة. وهناك رأيت فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ووكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، كما رأيت الكيلاني وعلى وجهه آثار التعب والحزن، يحسب الناظر إليه أنه يكاد يبكي.

استعرض الكيلاني امامنا موقف وزارته، وأرانا كتب استقالة طه الهاشمي وصادق البصام وعمر نظمي، وقال أنه احتفظ بها ولم يقدمها بعد للوصي لتكتسب صفةالنفاذ القانونية.

وقال أيضاً: شاءت الأقدار أن أرضخ لإلحاحكم، ولإلحاح نوري وعبد الإله وطه معكم، فوافقت على رئاسة هذه الوزارة، وبذلك أوقعتموني في شرك نصبه الإنكليز وأذنابهم، لأكون أول من ينيخ للإستعمار ظهر بلاده ويقدمها مطية لغاياته، ولألقى من بعض المواطنين الإعراض والخيانة بدل المؤازرة والمعونة، وعلى رأس هؤلاء نوري وعبد الإله. وأقول، وأنا واثق، أن الإنكليز ما تشجعوا فقدموا مطاليبهم إلا بعد أن وجدوا في صفوفنا ثغرة فتحها لهم نوري وزملاؤه في بلبلتهم. لولا هذه الثغرة، لاكتفى الإنكليز بما يجنون من المعاهدة المقوته، بل لحمدوا للعراق

وقوفه عند نصوصها، ولاعتبروا ذلك خدمة كبرى لهم بمثل هذه الظروف. ويزيدني ألماً ما كان من الأخ طه الذي جعلت له في نفسي مكاناً كبيراً، لأنه أخو يس فقيد العروبة الذي ربطت به مصيري ومقدراتي، فهو مطّلع على كل شاردة وواردة، وكان إلى قبل أيام يشاركني في الرأي. وإذعانه لتهديد عبد الإله وضغطه دليل على ضعفه. ولايليق بطه أن يطعنني من الخلف، فيقدم استقالته جاذباً معه زميليه إرضاءً لرغبة الوصي ولإكراهي على الإستقالة بعد أن تفقد وزارتي نصابها القانوني. مع أن طه يدرك خطورة ما يفعل، ولا يجهل ما سيؤول الأمر إليه بعد أن تتنحى عن الحكم أقوى وزارة عرفتها البلاد. ويبرر طه عمله زاعماً أن موضوع البحث هو كرامتي وتضحيتها، وإنه إنما يرمي من وراء ما فعل إلى تلطيف الجو بيني وبين الوصي. ولو كان الأمر كما يقول، لما ترددت في القيام به، إذ ليس بيني وبين الوصي أي عداء شخصي. لكن الأمر يتعلق بمقدرات البلاد، والأنكليز يريدون التصرف فيها كما يحلو لهم، ويسعون إلى إقحامها في نار الحرب ومن ورائها شقيقاتها العربيات، بينما نعلم جميعاً أن حياة العرب وحياة الأمبراطورية البريطانية على طرفي نقيض.

لقد عزمت على البقاء في الحكم وأن لا أستقيل ولو بقي معي من بقي من الوزراء مادام هناك مبرر قانوني دستوري. وإني بصفتي أحد العاملين في تسيير شؤون البلاد ومقدراتها لن أكون أول رئيس وزارة يخضع للأنكليز ولإرادة الوصي غير الدستورية. إني لن أفتح الباب للأنكليز ليعبثوا بالبلاد ومصيرها، وليزيحوا وزارة ويقيموا أخرى، وليحلوا مجلساً وينتخبوا غيره، وفق رغباتهم ومصالحهم.

لقد دعوتكم الساعة لأني لم أجد وسيطاً بيني وبين الوصي غيركم، فهو يعطف عليكم ولا يرد لكم رجاءاً، فهل تقومون بهذه المهمة وتؤكدون لسموه أنني أول الناس في الإخلاص للعائلة المالكة بعد البلاد، وإن إصراري على عدم الإستقالة ليس تحدياً منّي له، فإن ذلك لم يجل بخاطري يوماً، وأنا الذي ما قبلت الرئاسة إلا نزولاً عند إرادته وخلافاً لرغبتي. على أن القانون صان شخصيته فجعلها غير مسؤولة، وألقى المسؤولية كلها على عاتق رئيس الحكومة. فكيف أكون أول من يخضع لإرادة الأنكليز دون استشارة مجلس نيابي حر يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً، وكيف أنسحب وأفسح المجال من بعدي للوزارة التي يريدها الأنكليز ولا يريدها الشعب، وكلنا يعلم ماذا يريد الأنكليز منا، وماستقوم به تلك الوزارة. ولو اتبعت الأصول القانونية في إقالة الوزارات، وما رست الأمر السلطة الموكلة به، بأن يقترع المجلس النيابي على عدم الثقة بوزارتي، فأنا من يمتثل برحابة صدر، أما أن يأخذ الوصي أمر الإقالة على عاتقه، فهذا تصرف ديكتاتوري لا يقره الدستور، وأنا لا أمتثل لأمر غير دستوري. إني أرجو

منكم أن تبسطوا لسموه توسلي ليصد عنه دسائس الأجانب ووشايات الأذناب فيما نسبوه إلي، ويكف عن الوساوس، ويقنع بعدالة حجتي وحسن نيتي ونزاهة مقصدي، وباعتقادي أن الأمة العربية ستجني خيراً من موقفي، إذ يتثبّت الأنكليز من إتحاد كلمتنا وصادق عزمنا على التمسك بما لنا وما علينا، كذلك أرجو منكم أن تتوسلوا من سموه ليوقع على إرادة ملكية بتسمية محمد يونس السبعاوي وعلي محمود وزيرين، بدلاً من ناجي شوكت ونوري سعيد، وقد قدمت له طلباً بذلك قبل يومين. أما طه وزميلاه فإنهما يزاولان أعمالهما، ولن أقبل منهما الإستقالة، ولن أرفعها إلى الوصي.

أوشكنا على مغادرة مقر الرئاسة حين رن جرس الهاتف، فكان المرافق الأقدم عبد الوهاب يدعو وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي إلى مقابلة الوصي في قصر الرحاب فوراً، قائلاً أنه ما فتيء يسأل عنه منذ ساعة.

قال وكيل رئيس أركان الجيش: أرجو أن تستأذن من سموه أن أحضر معي قادة الجيش المرابط في العاصمة.

وجاء الجواب بعد فترة قصيرة أن تفضلوا جميعاً.

بلغت بنا سيارتنا قصر الرحاب في التاسعة والنصف ليلاً، وشكا فهمي ألماً في معدته فتخلف.

... ودخلنا قاعة الضيوف حيث طالما استقبلنا الوصي، ولم يطل إنتظارنا حتى دخل وكان عابس الوجه، فحيانا وجلسنا جميعاً. وكان أول ما تفوه به موجهاً إلى أمين زكي

سأله:- ماذا يجرى؟

– لاشي يا سيدنا، فضل من الله ومنك. إنما هناك قضية رشيد عالي التي نلتمس من سموك... فقطع الوصي كلامه، ووضع يديه على إذنيه وقال:

– لا أستطيع أن أسمع هذا، فإن على الجيش أن لا يتدخل فيما لا يعنيه، وإن يطيعني طاعة عمياء. وما طلبت حضورك إلا بعد أن بلغني نبأ اجتماعكم عند رشيد عالي. لا يمكن أن أتحمل هذا أو أن أسمع ما تقولون أو حتى البقاء معكم. أنا ذاهب .

وأعقب الوصي القول بالعمل، فنهض وغادر القاعة مسرعاً، وتركنا وكأن على رؤوسنا الطير، وشخص بصرنا إلى الباب. وبعد فترة لا أدري ماذا دار في خلد كل منا، قطع أمين زكي حبل الصمت بقوله:

– يالها من بلوى لم تكن بالحسبان، جعلتنا في وادٍ وإبن الدلال في وادٍ. بمثل هذا العقل سنقاوم تشرشل وايدن.

فلم نتمالك من الإبتسام. سألته:– وما العمل يا باشا؟

قال:– نعود إلى بيوتنا والأمر يومئذ لله.

وإذ كنا على أهبة الخروج، دخل السيد محمد الصدر فحيانا وقال:

– ماذا وراءكم، خير إن شاء الله.

فاستبشرنا بقدوم هذا الرجل خيرا لعلمنا بما يتمتع به في قصر الرحاب من نفوذ. فدار حوله مجلسنا، وأخذنا نستعطفه ونرجوه. قلنا له:– اليوم يومك يا سماحة السيد لتحل لنا هذه المشكلة. لا يجوز بمثل هذه الظروف أن يثور بعضنا ويكافحه بعضنا الآخر فنقتتل، والواجب أن يتضامن الشعب والجيش والحكومة، فلا يجد الأجنبي ثغرة في صفوفنا يلج منها. لا يخفى عليك أن الأمة بأسرها تؤيد رشيد عالي، فاقالة وزارته تقتضي اتباع الأصول القانونية فيقتنع الشعب بأنه ما أزيح بإرادة الأنكليز وضغطهم على الوصي، بل بإرادة المجلس. وفي هذا اعلاء لكرامة الوصي في عيون الأمة وفيه اعلاء لكرامة الأمة عند الأجنبي.

أبدى الصدر ميلا لرأينا وعطفا على حجتنا فقال:

– « سأذهب لمقابلة الوصي فانتظروني حيث أنتم».

وسرعان ما عاد فقال:– آسف، ألفيت سموه ثائر الأعصاب لا يكاد يأخذ أو يعطي، ويظهر أنه ممتعض منكم كثيراً فقال أمين زكي: ولم ذلك وأي ذنب اقترفنا؟ لقد أصبحت أمورنا بيد الأطفال، وحري بالوصي أن يتعظ بما نال جده الحسين من نفي وتشريد على يد الأنكليز، وبما لحق عائلته من اغتراب وتبعثر، فيرحم نفسه وآله وسمعته.

أردفت: لقد قصدنا هذا المكان والخير رائدنا يا سماحة السيد، لقد جئنا لتسوية خلاف أحدثه الأنكليز وأذنابهم بيننا. فنحن كجنود لا نرى لمهمتنا وزنا اذا هي لم تقترن بالإخلاص، ولا تعلي من شأنها فضيلة اذا لم نكن رحماء على بني قومنا اشداء على من ينتهك كرامتهم. وأين تبقى فضائل الجندية اذا رضي الجندي بأن تحتل الجيوش الأجنبية بلاده، أو بأن يساق لقتل الثائرين من أبناء وطنه، كأن هذا الجيش العراقي لم يتألف ولم يتدرب إلا ليكون شراذم من الدرك. إن الأنكليز ومواليهم يحاولون حملنا لتحقيق ما يريدون وارغامنا، لكننا لن نخرج عن فضائل الجندية، ولن نشهر الحراب على بني قومنا ما دمنا قائمين على رأس جيشنا. هذا هو الدافع الذي دفعنا إلى الوصي متوسلين إليه أن لا يترك سبيلاً لغضب الشعب ان يثار، وأن

يتفادى القلاقل والثورات التي يحتمل نشوبها بسبب الخلاف مع الكيلاني وما غايتنا إلا التوفيق وإصلاح ذات البين. على أن هذا لا يعني أننا نعاضد رشيداً أو أعوانه، والوصي يعلم حق العلم أننا لا نبتغي من أعمالنا إلا وجه الله. لذلك نرجو من سموه أن لا يحمل قدومنا على محمل النية السيئة، وأن لا يتكبر علينا ونحن أبناء جلدته ولو كنا من قادة الأنكليز- بل من ضباطهم الصغار- لما كان منه ما كان الساعة. اتراه فاق الراشدين عظمة وحكمة حتى كبرت نفسه وهم المتواضعون، ولم يأبه لتعاليم الإسلام« وأمرهم شورى بينهم» وهم الفاعلون؟ لقد قال اعرابي لعمر:(والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد هذا السيف)، ويروى أن عمرجلد ابنه وفلذة كبده لخطيئة ارتكبها حتى مات على المقرعة. فلماذا يمتعض الوصي ان جاءه قادة الجيش وقوة الشعب متوسلين، وماذا يفعل لو جئناه مشيرين؟ وهل هناك من هو أولى منا بأن يكلمه الوصي؟ أم أنه جعل ذلك وقفاً على الأنكليز وحدهم؟ لاحظت على سحنة الصدر امارات الإمتعاض وقاطعني قائلاً:

- سأقوم بما يلزم، وأرى أن تنتظروني عند رشيد عالي في رئاسة الوزراء ريثما تهدأ أعصاب الوصي.

قلنا جميعاً: - لك الفضل والمنة، بورك فيك ، لن ننسى لطفك ياسماحة السيد .

و في الساعة الحادية عشر والنصف وافانا السيد الصدر إلى مقرالرئاسة، فاستقبلناه بالإجلال والترحاب. وقدم الصدر للكيلاني ارادتين بتسمية محمد يونس السبعاوي وعلي محمود وزيرين في وزارته. فشكر الكيلاني للصدر جميل عمله، وأبدى لسمو الوصي اخلاصه ودعا له بطول العمر.

قال الصدر:- بذلك تنتهي مهمتي وأنا ذاهب للنوم فقد تعبت.

قلنا جميعاً:- نشكرك ورافقتك السلامة.

فلما خرج الصدر اقترح محمود سلمان أن نذهب إلى الوصي فوراً لنقدم له شكرنا اذ تفضل بقبول رجائنا، وحبّذ الكيلاني الفكرة وقال أنه سيذهب إليه في الغد ليقوم بهذا الواجب.

كان الوصي هادئ الاعصاب، ولما حاولنا بالتعاقب أن نقبل يده كان يمانع تواضعا واستحياء وكان كامل شبيب أجرأنا في ذلك إذ جذب يد الوصي بقوة وهو يقول: -هات يدك لأقبلنها والله.

فلم يتمالك الوصي من الابتسام، ومما بقي عالقاً في ذاكرتي قوله: -أنا لا أريد منكم

أن تقبلوا يدي، واعلموا أنني لن أتردد بعد اليوم في التوقيع على جميع الارادات والمراسيم التي تقدمها لي الحكومات القائمة، متبعاً في ذلك نصوص الدستور التي تصونني من المسؤولية.

وهذه معجزة من المعجزات لا أدري كيف وفق الوصي إلى ارتجالها ونحن اعلم الناس بمقدار كفاءته ومدى ادراكه، فقد صوب بكلامه سهماً الينا نحن الأخوة الأربعة لا إلى أمين زكي. وكان يعني في ايماءته انكم الآن توالون رشيداً وتنسون جميلا ونوري وجودت وجلال بابان وجماعاتهم، وتتجاهلون الضباط الذين احيلوا على التقاعد، وهم جميعاً خصوم لكم يتحينون الفرصة للكيد بكم. فإذا تقلد أحد هؤلاء الوزارة يوماً وقدم لي كشفاً باحالتكم على التقاعد- مثل حسين فوزي وامين العمري- فأنني لن اتردد في التوقيع عليه، ولماذا أرفض وأنتم تريدون مني اتباع الأصول الدستورية في عدم مسؤوليتي أمام القانون.

أجبته:- إن ارادة الأمة ياسيدنا من ارادة الله فإذا اقترنت برأيكم فرقابنا أمامكم كالشعرة. ثق ياسيدنا أننا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نرى فيه استقلالنا موطدا متين الأركان ناجزاً لا عيب فيه، ذلك اليوم الذي نراكم فيه سادة أمة حرة لا مسودين، فنشمخ بأنوفنا مثل جنود الأمم المستقلة، ولا نطأطئ هاماتنا شأن ضباط المستعمرات، وثق اننا مخلصون لك ولآل البيت جميعاً.

وفي طريق عودتنا قال أمين زكي مازحاً:- وهكذا حملتموني على تقبيل يد هذا الفتى وقد شاب رأسي وأنا ابن الستين. فكأننا مجرمون نلتمس عفوه، مع أننا لا ناقة لنا في هذه الأمور ولا جمل.

اجبناه باسمين:

- ذلك ابتغاء رضوان الله ومصلحة الأمة، لا ابتغاء نفع شخصي. لولا ذلك لما كان منا ماكان.

وبعد انتصاف الليل بنصف ساعة، كنا في بيوتنا نحمد الله ونشكره على انتهاء الأزمة.

جاء محمود سلمان ظهر يوم الخميس الموافق ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ إلى مقر عملي في معسكر الرشيد، وقال أنه اتصل بالسيد الصدر واخبره أننا سنزوره في داره عصر ذلك اليوم، واقترح أن ارافقه أنا وفهمي لنشكر الصدر على ماقام به، ونلبي بعد ذلك دعوة رشيد للعشاء في داره، وكان قد وجه لنا الدعوة قبل مدة. واستقبلنا الصدر على باب داره استقبالاً حاراً، وابدى اغتباطه لزيارتنا الأولى هذه، وفي قاعة الضيوف رأيت صورة لأبيه فسألته:

– أهذه صورة والدكم؟

فمضى الصدر يقص علينا سيرة والده واستطرد قائلاً: – أنا لا أرى ضرورة للانفاق على الجيش وتسليحه، ويجدر بنا الاهتمام بالعشائر وتسليحها لأنها دعامة العراق وحصنه، والجيش عاجز عن منعها إذا ارادت امراً.

اجبت على ظاهر مابدا لي من قوله:

–لا أظن ياسماحة السيد أنك جازم فيما تقول، فالروح التي في الجيش، مثل الروح في العشائر أو باقي طبقات الأمة.

فالجيش يستمد الحياة والقوة من الأمة لأنه يتكون من أفرادها. إن قابلية العشائر على القتال الفردي لا تنكر، لكنها تفتقر إلى القيادة والتنظيم، كما تفتقر إلى السلاح الميكانيكي الحديث والتدرب على فنون الحرب العصرية.

قال:

– أنا احترم الجيش وقواده وعقيدتهم الوطنية، خاصة وانتم على رأسه، انما اقصد عدم اهمال العشائر فإن لها صولة وبأساً لا يستهان بهما.

ماكان لي أو لفهمي أو لمحمود أن ندرك آنذاك ما يرمي إليه هذا العلامة بذكرالعشائر، فقد كتم علينا أمر الشراك التي حيكت في الظلام، ثم انجلت الحقيقة أمامي بعد ساعات...

ودعنا الصدر قبل المغيب بساعة، وقصدنا دار كامل شبيب بالأعظمية لنلبي سوية دعوة رشيد فاستقبلنا بالمنامة وقال:

– سأبقى بعيداً عنكم ياأخواني فإن في ساقي ألماً يمنعني من الحركة.

قلنا: – ومتى كان ذلك وقد كنت بالأمس سليماً؟

قال: – [illegible] بالأمس وقاومته فغلبني اليوم وأصبح لا يطاق

قلنا:– والعشاء عند رشيد؟

قال: – بلغوه اعتذاري واذكروا له مامنعني عن مرافقتكم(١).

لم يكن في دار الكيلاني من المدعوين غير ناجي شوكت ونحن الثلاثة. ودخل رشيد بعد ربع ساعة فقال:

---

(١) هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يا كامل؟ أين كنت في تلك الليلة بالذات اذ طلبناك فلم نعثر لك على أثر؟ أحقاً كنت في زيارة أختك بجانب الكرخ؟

-يؤسفني أن اتركاكم، وسينوب عني الأخ ناجي والدار داركم، لابد لي من الذهاب إلى مقر الرئاسة فوراً لاقف على أسباب سفر الوصي إلى الديوانية، ونزوله في مقر الفرقة الرابعة عند ابراهيم الراوي، وقد اخبرني بذلك متصرف لواء الديوانية.

سألناه: - ولماذا سافر الوصي إلى الديوانية

فأجابنا: - لا أعلم أكثر مما تعلمون، وسأخبركم بجلية الأمر حينما أقف عليه، فاستودعكم الله. وبعد أن احتسينا القهوة جاء ناجي شوكت وقال:

- اتصل بي رشيد هاتفياً وهو يرجو أن تحضروا إلى مقر الرئاسة فوراً. قلنا:

- وأنت؟ قال:

- ليس لي أن أرافقكم لأني لست وزيراً.

أدينا التحية لرئيس الوزراء الكيلاني ولوكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي. وكان الكيلاني منصرفاً إلى مخابرة متصرفي الألوية، مبتدئاً بأحمد السوز متصرف الديوانية ثم بماجد مصطفى متصرف العمارة(١) ثم بكركوك والدليم والحلة ..الخ.

ثم التفت إلينا وقال:

- إخواني كان المجلس صباح اليوم في هرج ومرج، ولو لم أحضر بنفسي لتدارك الأمر لوقع ما لا تحمد عقباه بين الأذناب، وهم يعدون على الأصابع، وبين بقية أعضاء المجلس. فقد بدأ علي جودت بمهاجمة الوزارة وتطاول بصورة خاصة على الوزيرين محمد يونس وعلي محمود. ووجه أحمد الجليلي ألفاظاً لا تليق ليونس السبعاوي. لذلك عزمت الحكومة على فض

---

(١) أحمد السوز خريج كلية الحقوق، عربي الأصل والعقيدة، شهم، ويوالى رشيد عالي الكيلاني.
ماجد مصطفى كردي الأصل والعقيدة. كان ضابطاً في الجيش العثماني واشترك في ثورات الشيخ محمود البرزنجي ضد الحكم العربي. لكن ماجد ذكي شجاع وهو يحب العرب ويعتقد أنهم رافعوا لواء الإسلام لذلك كان تحررهم ضرورياً. اعترف ماجد لي ولفهمي في اجتماع ضمنا نحن الثلاثة في دار فهمي بأنه من أصل عربي قرشي وأنه ينتسب للأمويين، لكنه رجانا أن نكتم اعترافه. ذلك أن كثيراً من العرب ومن أشرافهم استكردوا بعد عهد العباسيين وقطن أغلبهم لواء السليمانية في منطقة راوندوز والعقره وشمالها. وقفت بنفسي على شهامة ماجد لما أعانني في حادثة تتعلق بفلسطين أواخر عام ١٩٣٥ يوم كان يس الهاشمي رئيساً للوزراء وكنت أنا معلماً في كلية الأركان الحربية ومديراً عاماً للفتوة، وكان ماجد مصطفى متصرفاً للواء الناصرية. لن أنسى لماجد شهامته نحو اخوانه العرب المسلمين. ويشهد بذلك العقيد الركن اسماعيل صفوت، والرئيس مبارك العلي، وخيري خورشيد وصالح فوزي.

المجلس كما كان مقرراً، والشروع بانتخابات جديدة تجري بحرية تامة، وتقدم للبلاد مجلساً يمثل الأمة بحق وصدق وحرية، مجلساً يرسم للحكومة الطريق الذي ينبغي لها أن تسلكه إزاء المطاليب الانكليزية، دون أن يميل لزيد من الناس أو لعمر. بناءً على هذا رفعت إلى سمو الوصي طلباً أرجوه فيه أن يصدر الإرادة الملكية بحل المجلس النيابي، مع اعتقادي بأن أكثرية المجلس الحالي تؤيد حكومتي. والظاهر أن الوصي استغل هذه الفرصة أو أنه كان ينتظرها، فهو بدل أن يجيبني إلى طلبي أو يرفضه، لجأ إلى طريقة عجيبة فذهب إلى الديوانية ليثير علي الأضداد ويكتسب إلى جانبه أكثرية المجلس، وبذلك يحرج موقفي ولا أجد أمامي بدا من الاستقالة.

وهي طريقة شيطانية رسمها الانكليز وأذنابهم ولقنت للوصي تلقيناً، وقام فيها علي جودت وزملاؤه بدور رئيسي. واتصل الوصي من مقر الفرقة الرابعة بالمتصرفين جميعاً، وأمرهم بأن يقطعوا الصلة بحكومتي ويردوا أوامرها ويتلقوها منه مباشرة. ولقد أخبرني المتصرفون بذلك وأضافوا أنهم صرفوا الوصي بالحسنى، واعتبروا ما صدر عنه تصرفاً صبيانياً، وأكدوا لي وقوفهم إلى جانب الحكومة وتأييدهم لما تقتضيه الأصول الدستورية. وبلغني أيضاً أن الوصي اتصل بالعشائر محرضاً إياها على الثورة والعصيان، كما قابل محسن أبو طبيخ ومتصرف البصرة صالح جبر (وهو من مشجعي حركة الوصي)، لكن رؤساء العشائر تملصوا بكياسة مما أراده الوصي منهم للتخفيف من حدة الأزمة، كما بلغني أن الوصي أوعز إلى ابراهيم الراوي بقطع الصلة بمقر الجيش والامتثال لأوامره هو، ولا أدري ماذا كان جواب ابراهيم.

لقد أجمع مجلس الوزراء على الثبات مهما فعل الوصي، وأن لا ينسحب ما دام الوصي يقوم بدور الديكتاتور مستنداً إلى الانكليز، ضارباً بأحكام الدستور وبحقوق البلاد عرض الحائط. ولكن مجلسنا فضل أن يستشيركم بصفتكم قادة الجيش فما رأيكم؟

قلنا بعد سكوت قصير: والله لا ندري بم نجيب، فهي مهزلة يؤسف لها، ونرى أن تستشيروا الهاشمي والصدر قبلنا.

ثم التفت إلى فهمي ومحمود وقلت لهما همساً:- أأدركتما الآن ماذا رمى إليه الصدر في اشارته إلى بأس العشائر عصر اليوم، وعلاقة ذلك بما يفعله الوصي بالديوانية؟

وجاء لأمين زكي هاتف من الديوانية من قائد الفرقة الرابعة ابراهيم الرواي، فاخبره أنه كان في الحلة، فلما علم أن الوصي ينتظره في مقره بالديوانية عاد إليها فوراً، وأنه فوجئ

بقدوم الوصي دون سابق انذار. وأنه لما حاول الأتصال ببغداد من مقره منعه الوصي، لذلك اضطر إلى مخابرة بغداد من مكان آخر. وأنه عل كل حال يجامل الوصي ويعالج أمره بالعقل، وأنه على استعداد لتلبية كل امر يتلقاه من مقر الجيش. وجرى مثل ذلك أيضاً مع العقيد عبد الرزاق حسين آمر منطقة الموصل، فافاد أن الوصي كلفه بعدم الاتصال بمقر الجيش وبرفض اوامره، واضاف أنه طبعاً لا يمتثل لهذه الأوامر الصبيانية ولا يقيم لها وزناً.

حضر طه الهاشمي واختلى برشيد عالي الكيلاني خمس دقائق أو أكثر ثم انصرف، ولا حظت من مجرى الأمور أنه اشار على الكيلاني بالكف عن الاصرار وبالاستسلام للأمر الواقع، ونصحه بالاستجابة لطلب الوصي، وإن لم يكن دستورياً، وأن الاستقالة أفضل.

وقبل أن يغادر الهاشمي المكان جاء الصدر، وكان قاسياً في نصحه لرشيد، ومما قال:- لا أدري يافخامة رشيد بك ماذا أقول، فما الأمر هين، ولا المصير محمود والرأي أن نفض اليد احمد، وإن الوقوف عند هذا الحد أسلم.

ثم تركنا ومضى إلى داره.

استمر اجتماع الوزراء زهاء ساعة، ثم وافانا الكيلاني ودعانا إلى حضور اجتماعهم، وفي غرفة صغيرة متصلة ببهو الاستقبال، قابلنا هيئة الوزارة مجتمعة واذكر ممن رأيت: رؤوف البحراني وعلي محمود ويونس السبعاوي وموسى الشابندر ومحمود علي محمود. واستهل الكيلاني الحديث بمقدمة أجملَ فيها الموقف الراهن ثم سألنا الرأي. وكان الكلام لأمين زكي فقال:

- إن كل ما يعصف باستقرار البلاد وينشر فيها الفوضى لا يلقى منا ترحيباً. نحن نؤيد الحق، وننصاع إلى احكام القانون والدستور، وليس عندي بعد هذا ماأقول.

أضاف محمود سلمان وكان متحمساً: كفى البلاد ماانتابها من مصائب فهذا يوم لابد فيه من جمع الكلمة وتوحيد الصفوف وراء رجال نثق بوطنيتهم، واني اري الثبات على هذا الموقف، وعدم الإذعان لما يضر مصلحة الأمة ويمس كرامتها. وهذا لايتم إلا إذا كان الحكم بيد المخلصين. أما الوصي فتدفعه عاطفة ليس فيها مصلحة للبلاد. عاطفة حببها له الأنكليز وأذنابهم. أما وقد بلغ الأمر بنا هذا الحد فإني أرى أن نبقى عليه.

أما فهمي وكان شجاعاً، فقد عرض الأحداث بشكل منطقي وقال في الختام:

- الجيش آلة صماء بيد الحكومة بشرط أن تكون وطنية ليس للاجانب تأثير عليها، وبشرط أن يتأكد للجيش وللشعب أن القائم على رأس الحكم يبتغي مصلحة البلاد، لا مصلحة

الأجنبي. أما الوصي فالأجانب واذنابهم يدفعونه إلى هذه التصرفات، وكلنا نعلم من هم هؤلاء. ولما كان اعتقادي أن حكومتكم تضم رجالاً مخلصين هم أنتم، فإني ارضخ لأي قرار تتوصلون إليه.

اردفت: الجيش آلة صماء بيد الحكومة إذا كانت صاحبة الكلمة في سياستها الخارجية وشؤونها الداخلية، وإذا كان الشعب حراً في انتخاب ممثليه، لا يؤثر عليه في ذلك مؤثر اجنبي. لقد كان السياسيون من تلاميذ الأجنبي هم الذين اشركوا الجيش في السياسة وشجعوه على خوضها، فلما اختبرهم الجيش واحد بعد واحد واطلع على نواياهم،قالوا أن على الجيش أن لا يتدخل في السياسة، وأرادوامسخه إلى شرطة أهلية، تحرس مصالح الانكليز في وطنها كجيوش المستعمرات، وعارضوا في تسليحه وتوحيده كي لا تقوى شوكته وتتقد وطنيته.

أي الحكومات ستتلو حكومتكم إلا حكومة تفرض نفسها على البلاد بقوة الانكليز، ورغم ارادة الشعب، ويكون الجيش في يدها آلة صماء، لا فرق بينه وبين جيوش المستعمرات. وأي الرجال سيقومون مقام ناجي شوكت وطه الهاشمي وناجي السويدي والبحراني والكيلاني، ويكون لهم نفس المؤهلات التي يرضاها الشعب فيهم، فيقررون مصير البلاد يؤيدهم الشعب ويؤازرهم الجيش، غير رجال مثل نوري وجميل وجودت، ثبت للشعب بالتجربة أنهم رجال الإنكليز، وأنهم، ليس أهون عليهم من التضحية بمقدسات البلاد على مذبح المصالح البريطانية. ليس بيننا من يجهل الغاية من تصرفات الوصي هذه، أو يجهل الذين يشجعونه عليها من وراء الستار. فلماذا يريد الوصي أن يتصرف كالديكتاتور وهو ليس بالسياسي ولا بالعسكري. أما الجيش، فقد قال كلمته الفاصلة في مجلس الدفاع، وما من قوة ترجعه عن عزمه في التأني والتروي، وفي الابتعاد عن التهور والتسرع حتى ينجلي الموقف العالمي الراهن. وقد ذكرت في لائحة اعددتها أن الجيش لا يطيق أن يرى الجيوش الأجنبية تجوب بلاده وهي مدججة بالسلاح فلا يبدي حراكاً، بل يقوم بواجب الشرطة والدرك، وينفذ مايطيب لجيوش العلوج، ويسفك دماء زكية من احرار الأمة ليوطد الأمن في البلاد في سبيل هاتك حرماتها، ولصيانة العابث بمقدساتها. لن يكون ذلك وفي العراق جيش من ابنائه البررة، لأنه ينافي شريعة محمد واخلاق العرب. ولكن دفعا لكل التباس قد يتخذه الانكليز ومواليهم حجة يسترون بها خبث نواياهم – وما اسهل حجة الذئب على الحمل – فإني أقول: – ليكن للوصي مايريد، ولتستقل الوزارة، ثم نرى ماسيكون، وللبلاد رب يحميها وشعب يذود عنها.

وقع اقتراحي بالاستقالة في آخر الكلام كالصاعقة على محمد يونس السبعاوي، فلم يتمالك نفسه وصاح «اسمحوا لي» وتلك العبارة يرددها يونس كلما استهل حديثاً. وكان يونس

يلتهب حماساً وهو ينادي بالثبات بوجه العاصفة لا الاستقالة، لانها انصياع لهوى الوصي الذي يريد أن يكون طاغية على امته وعبدا للانكليز، ثم يستفحل امره لأنه جاهل غير مثقف، ويسوق البلاد إلى كارثة إذ يزج بها في اتون الحرب بلا عوض ولا غُنم... «ارجوكم ايدوا فكرتي».

وهنا تكلم الكيلاني فافاض واستفاض، وكان ممتقع الوجه بادي الألم، ومما قال: استطيع أن اقطع بأن الوصي قد فشل في تمثيل الدور الذي اخذه على عاتقه لأثارة حرب داخلية، لأنه اصبح وحيداً ضعيفاً بعد أن خذله رؤساء العشائر وتخلى عنه المتصرفون، لكني مع ذلك عزمت على الاستقالة، وسأقدمها الآن. واعلموا ياخواني انني سأقاوم كل حكومة تأتي من بعدي وتضحي بمصالح الأمة لخدمة الأجنبي الذي، لولا مؤازرة عبد الاله والأذناب، لما تشجع فقدم تلك المطالب المجحفة، وأنا طبعاً لاأقوى على القيام بعمل مادون تأييدكم، ومن ورائنا الشعب العراقي لا بل الأمة العربية كلها.

ساد الصمت برهة ثم طلب الكيلاني من يونس السبعاوي وعلي محمود اعداد مسودة الاستقالة، وتليت ثم جرى عليها بعض التعديل باشتراك جميع الوزراء، فكانت اقسى استقالة قدمتها وزارة عراقية، وكان فيها بيان للشعب عن دسائس الأجنبي، واضطرار الوزارة للاستقالة نزولاً عند ارادة الاجنبي التي تؤثر على الوصي، ثم طيرت إلى الديوانية برقية الاستقالة موجهة إلى الوصي ومذيلة بتوقيع الكيلاني.

وإذ كنا على أهبة الخروج قلت: أرى أيها الاخوان انني العسكري الوحيد الذي قال بالاستقالة. قلت بها وأنا على يقين من أن الوصي وزملاءه انما يهدفون من وراء مناوراتهم إلينا نحن العسكريين، لا اليكم انتم الوزراء. ذلك لأن الانكليز لن يهدأ لهم بال طوال وجودنا على رأس الجيش. انهم لا يستطيعون الاعتماد علينا لأنهم يعلمون حق العلم مدى استعدادنا لمناصرة كل من يطالبهم بحقوق الأمة التي اغتصبوها، وتلك علة العلل، أنتم ذاهبون إلى بيوتكم وبذلك تنتهي مسؤوليتكم أما نحن فسنتعرض الآن إلى هجوم الوصي وزملائه مباشرة، وسيقصدوننا رأساً، وسيعملون على اقصائنا من الجيش، ذلك هدفهم الرئيسي لتحقيق خطة الانكليز التي امليت عليهم، لكننا نقطع على انفسنا عهدا اننا لن نفسح لهم المجال، فهل تؤيدوننا على ذلك كما نؤيدكم؟ قالوا: اجل، ونقسم على ذلك. (انظر الملحق -١٣-).

كان يوم الجمعة هو الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني عام ١٩٤١.

نهضت مع التاسعة وأنا متعب، وجاءني من محمود سلمان هاتف فدعاني إلى داره

فوراً، حيث ابدى طه الهاشمي رغبته في محادثتنا. واضاف محمود أنه والاخوان (ويعني فهمي وكامل) بانتظاري.

اجتمعنا نحن الأربعة في دار محمود، والتفتنا إلي كامل نهنئه مازحين على شفائه السريع من ألمه المصطنع، فقد اصبحت اساليبه مألوفة لدينا(١). وحضر طه الهاشمي بعد نصف ساعة، يرافقه وكيل رئيس أركان الجيش امين زكي، وصادق البصام، فسألناه عما حدا بجميل وجودت وابراهيم كمال وصالح جبر لقضاء الليل كله، وهم في سياراتهم يلحقون الوصي إلى الديوانية، هل فشلت خطتهم المرسومة لاثارة حرب داخلية.

أجاب: أنهم يصطادون في الماء العكر، ولكنهم لا يقدمون شيئاً ولا يؤخرون، فاتركوهم يعمهون في ضلالهم. لقد جئت الآن لاستشيركم، فقد طلب الوصي حضوري إلى الديوانية، وسوف اطير اليها مع السيد الصدر الذي بلغني أنه كلف برئاسة الوزارة فرفض، لذلك بت اعتقد أن الوصي سيطلب مني مارفضه الصدر، على أني فضلت أن اراكم أولاً، وسأقبل الرئاسة إذا ايدتموني فما قولكم؟

ساد الصمت ثم كان كامل شبيب أول من قال: «نعم ياباشا» وتلاه الآخرون، الاي.

قلت: – ماكان اجدرني بالاغتباط إذ تسنح فرصة سعيدة طالما تمنيتها وسعيت لتحقيقها منذ قتل بكر صدقي. ولكن الظروف تمنعني اليوم من هذا، فأنت ياسيدي واحد من القلائل الذين لاأشك في نزاهتهم واخلاصهم واحرص عليهم وعلى سمعتهم أن يمسها السوء في هذه الظروف. اريدك أن تبقى ذخراً للبلاد تقودها إلى ساحل الأمان، وآخر من ينزل إلى الميدان. فليكلفوا برئاسة الوزارة من شاؤوا فإنه لن يتمكن من فل عزمنا وسيحالفه الفشل، وما وقع اختيارهم عليك إلا لعلمهم بما لك في الجيش من منزلة، ليستعينوا بك علينا وهم انما يستعينون بالحديد لفك الحديد، وهي والله خدعة منهم لامحبة بك. الاترى الذين احتكروا الحكم بقوة الانكليز، ماأبعدنا عنهم وعن صداقتهم، وانه ليعز علينا أن تضطرك الاحداث إلى مناوأتنا – بالرغم من اعتقادك باننا آخر من بقي على رأس الجيش من الاباة الذين يقاومون سياسة الاستعمار واذنابه، ولا يترددون في التضحية في سبيل ذلك بكل مايملكون. إن الانكليز ومواليهم المتزعمين لن يحلو لهم بقاؤنا على رأس الجيش حتى ولو قبلنا بمطاليبهم التي هي قيد البحث، طوعا منا أو كرها. ذلك لانهم يعتقدون – وهم على صواب في اعتقادهم – باننا سنبقى حجر عثرة في طريقهم، واننا سنتحين الفرصة لكسر قيودهم ورفع نفوذهم عن البلاد،

(١) يبتدع كامل طرقاً وأساليب شتى للتملص من الميدان حين النزال، حتى اذا آن أوان الجوائز برز إلى الميدان بطلاً مغواراً.

وعلى هذا فإن اصطدامهم بنا واقع لا محالة، شئنا ذلك أو أبينا، وعاجلاً أو آجلاً. ليتك إذا تبقى على مكانتك الحاضرة محترما عند العدو والصديق، وليتك تكون مثل الماريشال بيتان الذي يقود فرنسا وهي في أشد المحنة. هذا ما أراه، أما إذا كنت ترى ظروفنا الحاضرة مثل ظروف فرنسا فدونك الرئاسة.

فأجابني: - نعم إن ظروفنا تشبه تلك لظروف.

قلت: - إذاً بشرط أن تسير الوزارة ضمن حدود المعاهدة العراقية الانكليزية، لاتخرج عنها ولاتتعداها، وبشرط أن لا يتدخل احد في شؤون الجيش بصورة مباشرة مخالفة للقانون.

قال: - لكم علي ذلك.

قلنا جميعاً:- وفقك الله وجعل العاقبة خيراً.

وتسلّم العميد الركن طه الهاشمي رئاسة الوزارة في حفلة حضرها رؤساء الدوائر الحكومية ووكيل رئيس أركان الجيش، وقواد الفرق المرابطة في العاصمة. وقرئت علينا الارادة الملكية بذلك، فصفق الحاضرون وانتهت التهاني والمراسيم.

وهكذا احبطت المؤامرة الأولى التي هيأها الانكليز وأذنابهم لاثارة حرب داخلية.

لكن كان من واجب نوري أن يقضي على (الحلقة الذهبية). لذلك وطد العزم على أن ينفذ قوله:

- ياصلاح الدين، في رأسك صوت سوف تصيحه، ولكن سترى ماسيجري في العراق.

ملحق رقم -١٣-

في الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل بلغت داري فاستقبلني من فيها مخضلة بالدموع اعينهم، أسفي عليهم ماصبرهم على الليالي العديدة التي قضوها في سهاد وقلق، وطوبى لي اني رب بيت عربي، شب على حب التضحية، وتلك سلواي والحمد الله. قضيت الليل وأنا اتقلب على الفراش، تتناوب علي أفكار شتى، فحيناً أقرر الاستقالة من الجيش، وحيناً أفكر بطريقة الارتزاق التي سار عليها كثير من العسكريين والمدنين حتى كثرت أطيانهم، وتضخمت أبدانهم، وحف بهم الخدم والحشم بعد أن كانوا لا يملكون شروى نقير، فأعيش وأهلي في

نعيم، ولتذهب البلاد ومن فيها إلى الجحيم. مالي والوطنية؟ ما الدين والشرف وما العروبة وتراث الأجداد؟ إن هي إلا كلمات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع. أين المسلمون الذين يذودون عن كرامة دينهم وتعاليم نبيهم؟ هل هم الزعماء أم العلماء؟ هل هم في الهند والأفغان، أم في تركيا وإيران، أم هم العرب الذين يقودهم المتزعمون باسم انكلترا وغيرها من دول الغرب؟ ماذا كان مصير محمد بن عبد الكريم الريفي وعبد القادر الجزائري من قبل، ومن ناصرهم من العرب ومن ساعدهم من زعماء العرب بعد أن حكم عليهم بالنفي والتشريد؟ كيف كانت حال زغلول في مصر، والمفتي في فلسطين؟ ماذا كان مصير المجاهد أبي درة عند عبد الله بن الحسين؟ بل ماذا كان مصير الحسين نفسه؟ وما هو موقف زعماء العرب وأحرارهم عند المتزعمين والمستعمرين؟ لماذا لا أصغي لنصح الناصحين يقولون: «مالك تحمل لواء العروبة على رأسك يا صلاح الدين؟ دع عنك هذه السفاسف، وعش مثل باقي أقرانك تجد أمامك ميداناً فسيحاً من السعادة. أأنت الوطني الوحيد والعربي الوحيد؟ إن غيرك كثير، وإن سعيك لن يجدي غير الدمار وما وراؤه إلا خراب الدار... ماشِ ركاب نوري وزملاؤه وعبد الإله، فتحظى بالجاه والنعيم»... إن لي أشهراً من الإجازات تراكمت منذ سنين، إذ ضحيت براحتي وراحة أهلي كي لا أبتعد عن عملي يوماً واحداً، ولم أتمتع بإجازاتي كالآخرين الذين لا يفوتهم صيف إلا وهم يسرحون ويمرحون في ربوع لبنان وغيره، فلماذا لا أقضي إجازة طويلة خارج العراق، وبذلك ألعب على الحبلين وأكسب رضى الطرفين، وأكون رب الوطنية عند إخواني المخلصين الساذجين، وأكون صاحب الحظوة عند نوري وزملائه وعبد الإله. لتحل علي يومئذ لعنة الله، ولينح علي ضميري بالتأنيب والتقريع، ولترمني الوطنية بالمروق، وليصمني شرف الجنديةبالخيانة.

ثم أعود فأقول: «ويحك صلاح الدين، أيوسوس في صدرك ما يوسوس في صدور الأعاجم الدخلاء، وما فضلك إذا طلبت أجراً ونفعاً؟ أتغريك الأوسمة العسكرية والرواتب الكبيرة على إذلال قومك وخذلان وطنك؟ وهل عندك من الوطنية ومن إباء العروبة شيء إذا أصبحت حارساً لمن يحتل بلادك، وصنيعة للذي يستعمر قومك.

وبعد فهل نسيت يا صلاح الدين عهداً قطعته لأخيك، وبيتاً عربياً ترعرعت فيه، وتعاليم لقنتها وأنت صغير من أبوك ومن أمك؟ وما دمك وما عنصرك؟ لا لن يكون هذا ما دام في العراق جيش يؤمن بالعروبة، وشعب يدين بمبادىء محمد. ولأكن ضحية، أنا وأولادي، شأن كل عربي أبي.



الوصي عبد الإله



الملك غازي وابنه فيصل

حادي عشر:

ضغط الوصي على طه الهاشمي

جاء مع المساء أحمد المناصفي، وهو ربيب نوري بن سعيد. جاء وعلى وجهه ابتسامة مكر ورياء، وكنت وفهمي، نقضي سهرتنا في دار محمود سلمان. استأذن ودخل وسلم، وسأل إن كان بوسع نوري أن يعود إلى بغداد.

قلنا:

- ويحك. ومن طارد نوري حتى ترك بغداد وهرع إلى شرقي الأردن على ما بلغنا، بنفس الليلة التي سافر فيها جميل وجودت وابراهيم كمال وصالح جبر إلى الديوانية، ليلحقوا بالوصي. وما الغرض من هذه التنقلات «النورية»؟ ومن الذي يطاردهم، وما سبب وساوسهم. وهل أصبح نوري يخاف منا بعد أن كان يصرح بأننا في طليعة المخلصين للبلاد؟ ولماذا يخاف نوري من المخلصين لولا أمور يضمرها في سرائره؟ وما الذي ساق نوري أن يستأذن منا قبل عودته؟ اتقوا الله، ويحكم، فإن هذه الشراك يجب أن تنصب في طريق الأجانب المستعمرين لا في طريقنا نحن. وهذه الألاعيب يراد بها تضليل الشعب وإيهامه بأن الجيش يسيطر على الصغيرة والكبيرة وأنه يهدد رجالاتها. ولا ندري كيف سوّغت لنوري نفسه أن يفعل ذلك، وأن يضعنا منه موضع الخصوم وقد كان بالأمس القريب لا يهدأ له بال إلا بعد السؤال عنا، ويدعونا ضيوفاً عليه مرة في الأسبوع أو مرتين، ويكيل لنا المديح والثناء. ثم تنقلب الآية بأسرع من لمح البصر فإذا هو خائف منا هارب، يعد الخطط الشيطانية للإيقاع بنا - وقانا الله ووقى البلاد شرها. ليعد نوري إلى داره يا أحمد مثلما غادرها بلا استئذان. أجابنا المناصفي:

- ليس صحيحاً ما أتاكم عن نوري، إنه لم يذهب إلى شرق الأردن بل يقيم في المزرعة بصدر اليوسفية عند أخي جعفر العسكري.

مكث الوصي في الديوانية ثلاثة أيام، الله وحده يعلم ماذا قصد بذلك وماذا فعل هناك، ثم عاد إلى بغداد. فلما كان اليوم الثاني أو الثالث، دعاني رئيس الوزراء ووزير الدفاع طه الهاشمي لمقابلته في مقره بوزارة الدفاع. قال:

- صلاح الدين، حدثني الوصي للمرة الثانية بشأن تنقلات الضباط وتجمعاتهم في منطقتي الوشاش وأم الطبول، شاهدها في طريق عودته من الديوانية إلى بغداد فألقت في نفسه قلقاً عظيماً.

قلت: - لا يخفى عليك سيدي الباشا أن هذا موسم التدريب على التمارين الخارجية من دون قطعات، وهو فصل تدريب الضباط على تمارين أعدت لهم منذ شهرين، ووزعت على جميع قطعات الفرقة الثالثة، أما الذين شاهدهم سمو الوصي فهم ضباط اللواء الأول يطبقون بعض التمارين الخاصة بمنطقة أم الطبول تحت إشراف آمرهم العقيد سعيد يحيى الخياط.

فابتسم طه وهز رأسه وقال: -أرجو أن تأمر بإبطال التمارين في هذه المنطقة وأن تنقلها إلى منطقة أخرى.

قلت: - حسناً، لكني أرى للأمر مغزى هاماً، وهو سوء تفاهم بسيط لكنه يؤدي إلى عواقب وخيمة. من الذي أوغر صدر الوصي على الجيش حتى أخذ يخشاه، وكذلك نوري بن سعيد كما ظهر لنا من كلام أحمد المناصفي، وما مصير البلاد إذا تمادى هذا الظن السيء؟ إنها مصائد وأحابيل تعد في الظلام لإيقاعنا والجيش، لذلك أرجو منك يا سيدي أن تزيل كل سوء دسه المغرضون بيننا وبين الوصي.

قال: - نعم يا صلاح الدين إنه الحق ما تقول، قاتل الله المغرضين، وسأعمل على إزالة وساوس الوصي حتى يوجه لكم الدعوة لزيارته في القريب العاجل.

ألمت بي وعكة من زكام طارىء في الثاني من شباط ١٩٤١، فأوصاني رئيس أطباء فرقتي بملازمة الدار لا أبرحها. وعادني قائد الفرقة الثانية قاسم مقصود، فطرح علي في أثناء الحديث اقتراحاً مفاده أن أتولى قيادة فرقته الثانية ويقود هو الثالثة بدلاً مني، وأضاف أنه يجد في ذلك ضرراً اقتصادياً، فهو في كركوك يقطن داراً فخمة معدة لسكنى قائد الفرقة هناك على حساب الجيش، ويتمتع بجاه واطمئنان ليس مثلهما في المقرات القريبة من العاصمة.

قلت: - فماذا دعاك إلى التضحية براحتك ونعمتك من أجلي يا قاسم؟ أرجو أن أسمع منك الحقيقة بصراحة، فهل كلفك أحد بالوساطة؟.

قال: - نعم إنها رغبة طه، أوصاني أن أكتمها عليك وأن أقوم بذلك تراضياً بيننا، فأرجو أن لا تفاتحه بشيء.

قلت: - حسناً يا قاسم. إن لطه في نفسي احتراماً كبيراً حتى ليعز علي أن أرد له طلباً، فأنا أعلم الناس بطيب نفسه. لكن الأمر اليوم لا يقتصر على مصلحة شخصية، وأنا فوق

استعدادي للتضحية بها في كل لحظة، أعلم أن قيادة الفرقة الثانية أسهل من الثالثة وأنفع. لكن في الأمر مصلحة عامة، وإني لأتساءل عن الغاية من وراء هذا النقل. فإذا كانت الغاية منه رفع نفوذي عن منطقة بغداد وما جاورها، فإن الأراضي في منطقة الفرقة الثانية أمنع وأصلح لمناوأة الانكليز وضباطها المخلصون لا يقلون عنهم في الفرقة الثالثة وفي بغداد، وسيان عندي أين أكون إذا كنت أسعى وإخواني إلى القيام بحركة معادية للوصي أو لأذناب الانكليز. لكنك تعلم حق العلم، وأنت أحد إخواننا، أن هذا لا يدور في خلدنا البتة. وقبولي لاقتراحك قبول مني للتهم التي يلصقها بنا الوصي وأذناب الانكليز ونحن أبرياء. إني بذلك أفتح الباب لزيد وعمرو أن يتدخلوا في شؤون الجيش الذي نجا من تصرفاتهم الاستعمارية منذ عهد بكر صدقي. يريدون أن لا يتدخل الجيش في السياسة لكنهم يتدخلون في أمور هي من اختصاص قيادة الجيش وحدها، فيخالفون بذلك ما يجري في دول الأرض. هب أن حسن السهيل، ذلك الأمي العامي، أو غيره من صنائع الانكليز وجواسيسهم وربما كان وزيراً، تولى وزارة الدفاع بدلاً من طه، وخول له أن يرفع ويخلع وينصب ويعزل فما حال الجيش آنذاك؟! وهل نسينا عهداً انحصرت فيه وزارة الدفاع بنوري أو بصهره جعفر، كيف استولت النزعات السامة على روح الجيش وثقافته من سوء مافعل الماجور ايدي والكولونيل جويس ورفاقهما الانكليز، حتى كان بين جدران وزارة الدفاع دائرة خاصة لمحفل الماسونية، يرأس مدير العينة الماجور براش اجتماعاتها الأسبوعية التي يحضرها هذا وذاك من الضباط، غير العرب، مثل بهاء الدين نوري، وهل كان الجيش العراقي يومئذ عربياً أم (ليفي) تابعاً للانكليز، ونقمة على العرب لا نعمة، إنهم يريدون أن يعود الجيش سيرته الأولى ليسيطروا عليه، وبذلك يطمئنون إلى أنه لن تثور بوجههم ثورة عربية أو عراقية في هذه الحرب، بل يريدون أن يزجوا الجيش العراقي في أتون الحرب أيضاً. لذلك كان تعيين الضباط أو نقلهم حقاً منحصراً برئاسة أركان الجيش لا بوزير الدفاع، لأنها وحدها تعلم اختصاص كل ضابط ومقدرته والمهام المناطة به. أنا أشرف الآن على بناء التحكيمات، وتطبيق خطة الإسكان في منطقة الفرقة الثالثة، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بتسليح الجيش وتنظيمه وخططه الحربية، وأنا واضع أسس ذلك كله يوم كنت معاون رئيس أركان الجيش، ومدير الحركات، فهل يُضحى بهذه الخطط وما خُصّصَ لها من أموال طائلة في ميزانية الدولة، إرضاء لعواطف الوصي الشخصية الانتقامية، وتنفيذاً لما يريده الانكليز وأذنابهم؟.

أما سياسة الدولة، فالجيش لا يتدخل فيها إذا لم تكن في أيدي عبيد الانكليز، وإذا تقاربت الآراء بين السياسيين والعسكريين بشأن سياسة الدولة العليا. وأما عطف الجيش على

وزارة الكيلاني، فلأنها كانت أقوى وزارة في تاريخ العراق، وأقرب حكومة إلى قلب الشعب، فجاء الوصي يريد إسقاطها بطرق ليست من أصول القانون في شيء، وبأساليب مخالفة للديمقراطية وللدستور العراقي بالرغم من نقائصه الواضحة وعيوبه الفاضحة. مع ذلك، فقد نزل الجيش عند إرادة الوصي، وأقيل الكيلاني على كره منه، وهم اليوم يتدخلون في شؤون الجيش، يريدون إقصاءنا ليخلو لهم الجو. وكانوا يظنون أن الجو قد خلا لهم بعد إحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، لكنهم اصطدموا بصخرة صلداء، فخاب ظنهم والحمد لله. لئن اعتقد طه الهاشمي بأن عبد الإله والذين يدفعونه إلى مناوأتنا، من اتباع الانكليز، سيكتفون بنقلي، فلا يطلبون من بعده مطلباً، فما أعظم خطأه إذن، وما أعظم أخطاؤه الماضية التي ما كانت لتغتفر لغيره. لا مراء في أن الانكليز وأعوانهم يتعقبون صلاح الدين وإخوانه وكل ضابط أو قائد لا يخدم مصالحهم، ولا يذعن لطبهم في اشراك العراق في الحرب. لذلك لن يهدأ لهم بال الا بعد اقصائنا عن الجيش، بل إجلائنا عن العراق لو تيسر لهم ذلك، ليكون في مجلس الدفاع الأعلى من بعد صلاح الدين ضباط لا يعرفون العروبة ولا الوطنية، فيلبون ما يمليه الانكليز عليهم، وهذا هو ما يصبون إليه، وهذا هو ما يرضي عبد الإله والآنسة التي يريد الاقتران بها والتي تسوقه إلى هذا.

إن موقفهم اليوم مع الهاشمي مثل موقفهم بالأمس مع الكيلاني، حين أصروا عليه بالرئاسة فقد كانت غايتهم من ذلك الإيقاع بيننا وبينه، ظانين أن الكيلاني سيناصبنا العداء لعطفه على حسين فوزي المحال على التقاعد، وبذلك نضطر إلى الالتجاء إليهم والى قبول فكرتهم. أراد نوري من ذلك أن يرمي عصفورين بحجر واحد، لكن الله أوقعه في بئر حفره لأخيه وخيب فأله.

واليوم ينصبون نفس المصيدة للإيقاع بيننا وبين الهاشمي حين يفرضون عليه مطاليب الانكليز، فإما أن يذعن الجيش لها، أو ينشق على نفسه إذا رفضنا، لأنهم يعلمون أن للهاشمي مكانة عند ضباط الجيش وقادته. وبذلك يتحقق لهم ما يريدون ويصبح الهاشمي آلة في أيديهم ينفذ مطاليبهم، فإذا رفض، فرضوا عليه الاستقالة وجاؤوا بأحد الأذناب فتطلق أيديهم في شؤون الجيش وليس من يناقشهم الحساب.

وبعد، فلئن تبادلنا يا قاسم القيادتين، أتراك موافقاً غلى تدخل هذا وذاك في شؤون الجيش، وهو الوحيد الذي نجا من عبث الإنكليز؟ أتراك راضياً عن إقحام العراق في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل، وعلى إرغام بقية الأقطار العربية على السكوت دون أن يُعترف لها بحق أوعوض. وهل من الصواب في شيء أن نعلن العداوة لدول المحور لمصلحة الجهة التي

تستعمر بلادنا، وهل من سديد الرأي في شيء أن نشترك في حرب ضروس لا تعرف نتيجتها بعد، بل رجحت فيها الآن كفة المحور وهو عدو الذين يستعمرون العرب قال قاسم: لا ولا شك.

قلت: ـ فما الفائدة من نقلي إذاً؟ ألا تراها قرارات صبيانية تفصح عن إندفاع أعمى وراء دوافع إنتقامية؟ إن على عين الوصي غشاوة الغرام، فهو يخاصمنا ليبدو للآنسة ذا الحول والطول، وهي تحثه على ذلك. فماذا يريد الوصي منا وما علاقته بأمور هي من اختصاص الجيش وحده؟ متى كان الوصي خبيراً سياسياً أو اختصاصياً عسكرياً، على من درس ذلك وأين، وهو الذي لا يتقن أداء التحية العسكرية؟ أفي عام واحد من الوصاية أصبح عبد الإله علاّمة في أمور الدولة لا يشق له غبار، وصاحب النفوذ والسلطان في قيادة دفة البلاد؟ وأين بقي الدستور وهو أول العابثين به؟

إن الخروج على نصوص المعاهدة، أو رفض المطاليب الإنكليزية أمران يعود للأمة وحدها حق الإختيار بينهما، فهو ليس من حق عصابة تتكلم باسم الإنكليز مثل نوري وجودت وجلال بابان وتوفيق السويدي وصبيح نجيب وابراهيم كمال الذين أوقفت عليهم الوزارات، وعلى أذنابهم النيابات، فكأنما لم يبق ناطق باسم العراق والعرب غيرهم. نريد أن يكون مجلسنا النيابي حراً، لا يرضخ لأحد حتى نأخذ منه جواب الأمة الصادق الحق علي مطاليب الانكليز. أما الوصي، فالواجب يقضي عليه أن يتجرد من الأغراض الشخصية، وأن يقف على الحياد لأنه غير مسؤول أمام القانون، وأن يسعى إلى كسب عطف الشعب، وخطب ود الجيش بدل أن يصبح آلة في يد المستعمرين. لقد رجوت طه، مراراً وتكراراً، أن يسوي العلاقات بين الوصي وقادة الجيش، وأن يزيل من تفكير الوصي تهماً باطلة يسندها إلينا الانكليز ومواليهم. لكن ثقافة الوصي محدودة، وعلى عينه غشاوة الغرام، والمرأة تلعب باسمه بمقدرات العراق والعرب، وقديماً قيل «فتش عن المرأة»، وأنا أقول «خاصة غير العربية».

وفي مساء اليوم نفسه، كان لي مع ابراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة مثل حديثي مع قاسم مقصود، فقد عادني في داري، وسرد علي ماكان من أمره مع الوصي وكيف أنه احتقر فكرة الوصي، وسعيه إلى إثارة العشائر وشق الجيش على نفسه، مما لا يقوم به إلا المجانين. وأضاف ابراهيم أنه يقاوم فكرة الوصي والذين يسوقونه إلى اقحام البلاد في هذه الحرب، واستخدام الجيش العراقي كما تستخدم جيوش المستعمرات دون أن نجني في مقابل ذلك مغنماً، وأنه سيبقى دوماً على هذا الرأي مؤيداً قرارات الجيش، وغادرني ابراهيم بعد أن سألني عن دار فهمي ليحدثه في الموضوع نفسه.

ولما أشرقت الشمس، كنت أتجول في التحكيمات المقامة في التلال المطلة على الحدود الشرقية في خانقين، بالرغم من منع رئيس أطباء الفرقة، وعدت إلى داري مع المساء وقد انتابني سعال لم أر مثله في حياتي، وانقلب الزكام إلى ذات الرئة فأردتني طريحاً من الثالث إلى الثاني والعشرين من شباط عام ١٩٤١. وعادني كثير من السادة والأصدقاء الأوفياء، يؤكدون استعدادهم للتضحية بأنفسهم في سبيلي، وما أكثر هؤلاء في أوج سلطاني، وما أسرع ما انقلبوا علي، وخانوا وجبنوا في الحرب، بل كان منهم من حكم علي وعلي اخواني بالموت شنقاً، حين خفقت في السماء اعلام الجيش البريطاني بدل رايات الجيش العراقي العربي. ولكني أشكر لطه الهاشمي نبيل عاطفته، إذ عادني مخلصاً، ولا أدري مادار بخلد اسماعيل نامق وهو يعودني ثم يعيد الزيارة لنوري. أما نوري فلم يذكرني بقصاصة ورق، وهو الذي كان يطرق باب داري ودائرتي، ويزورني مرة بعد مرة ويسأل هذا وذاك «أين صلاح؟» وما صلاح بأول من كنت خله الوفي ثم تنكرت له لما فرغت منه. أنقذ الله العروبة ووقى أحرارها من شر أحابيلك الانكليزية يانوري.

دعانا طه الهاشمي ذات يوم إلى دائرته في وزارة الدفاع، وكان الحاضرون أمين زكي وكيل رئيس أركان الجيش، واسماعيل نامق مدير شؤون الدفاع وكامل شبيب. وبعد مقدمة قصيرة حول تخوفات الوصي الصبيانية، اقترح طه على كامل أن يتسلم قيادة الفرقة الرابعة بدل الأولى. أخذ كامل يراوغ في الجواب، فقلت:

– سيدي الباشا، عجيب أن يخاف الوصي منا ونحن عرب، ولا يخاف من الانكليز، وعجيب أن يخاف ونحن أولى منه بالخوف وهو الذي يُحكم حبائله حولنا، ولا يتورع عن الاتصال بالضباط، محرضاً إياهم على عصيان أوامرنا وشق عصا الطاعة، وقبل يومين كرر الوصي ماسبق أن قام به وأخبرتك عنه. فهو يضمر لنا السوء في حين أننا مازلنا نحترمه ونجله. نحن أبرياء مما يظن، لكننا لن نخون البلاد، ولن نخدم المصالح الأجنبية، فنكون كالمرتزقة من قادة جيوش المستعمرات، لن نقتل أبناء جلدتنا الأحرار، ولن ندفع بهم إلى ساحات الحرب كالأنعام اعلاءً لمجد بريطانيا. لقاء دريهمات نأخذها لاشباع أجسام خلت من الضمير والشرف والعزة القومية. إن الجيش العراقي لم يتشكل ليكون مطية لبريطانيا التي قتلت أحرارنا ومزقت بلادنا العربية، إنما ليكون سباقاً إلى تحرير العرب، ورفع نير الاستعمار عن كاهلهم. لا ... وإلى الأبد لا ... لن يكون بجانب بريطانيا جندي من العرب الأباة، لأن بريطانيا هادمة صرح العروبة والاسلام.

ثم نهضت لأترك الاجتماع، فكان هذا تهوراً أسفت له ولم أحمد نفسي عليه(١).

وفي يوم آخر، جمعنا طه الهاشمي في بيته، وكان الحاضرون قادة الفرق كلهم وأمين زكي واسماعيل نامق - باستثناء فهمي ومحمود لأنهما ما كانا يومذاك في عداد القادة - وكان اجتماعنا، هذا، عقب المقابلة التي جرت بين توفيق السويدي وزير الخارجية العراقي والمستر ايدن وزير الخارجية البريطانية. (انظر الملحق رقم -١٤-) (وكان توفيق السويدي وزيراً للخارجية في وزارة طه).

أخذ طه يمهد السبيل إلى غايته، وبدا لي، وهو يعلل الأسباب الموجبة، ضعيفاً بصورة لم أعهدها. ولعل منشأ ذلك خلق طه العربي، فهو نبيل في عقيدته صريح في قوله، ولا يجري على لسانه إلا ما في قلبه - إلا مرة واحدة - وبعد المقدمات المستفيضة، طرق طه أصل الموضوع وهو: - «إن على العراق أن يلبي ما يريده الانكليز، هكذا طلب المستر ايدن».

لم ينبس أحدنا ببنت شفة، ثم تنحنح اسماعيل نامق وقال: - أنت يا باشا «أبو الكل» والاعتماد عليك والأمر موكول إليك، فافعل ما ترى فيه الخير للبلاد تجدنا رهن اشارتك وطوع بنانك(٢) ثم تكلم قاسم مقصود، فعبر عما يدور في خلدنا أصدق تعبير، وقال:

(١) بدر مني قبل هذا تهور تجاه أمين العمري حين نوّه أمامي بكلام مفاده أنني أصبحت آلة بيد نوري بن سعيد، كما بدر مني تهور بعد هذا تجاه رشيد عالي الكيلاني في وزارة الخارجية حين كنا نحارب الانكليز، وكان ذلك بحضور الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وفهمي سعيد ومحمود سلمان ومحمد يونس السبعاوي.

فوالله مازلت خجلاً حتى الساعة لما بدر مني، وأني ما قصدت قط أشخاص أولئك السادة الكرام، بل كنت مندفعاً بعاطفة وطنية جارفة ألهبها ما يأتيه المستترون بستار العروبة وهم ليس في عروقهم قطرة واحدة من الدماء العربية، بل سعي دؤوب لإيقاع الخلاف بين من تبقى من المخلصين.

فمعذرة يا طه الهاشمي، ومعذرة يا أمين العمري، ومعذرة يا رشيد عالي الكيلاني إن مابدر مني لم يكن موجهاً لكم بل موجهاً لنفسي.

(١) عبر اسماعيل نامق في حديثه هذا عن حقيقة طبعه في مسايرة القوى ولو كان انكليزياً. فهو بالرغم من ـبه لجعفر ولنوري، وبالرغم من زعمه أنه يناوئ بكر صدقي تقدم باقتراح أن يصنع ركاب من الفضة باسم خيالة الجيش تنقش عليه أسماء الضباط وقدمه هدية لبكر صدقي بمناسبة زواجه بالأعجمية النمساوية وهو زواجه الثالث. وهكذا فإنه لم يفعل شيئاً في مناوأة جميل، إلا بعد أن قتل، عند ذاك اتفق معنا في الأفعال. وهو يحب جميلاً أيام وزارة جميل، ويخلص لنوري أيام وزارة نوري، ويقول لطه أيام وزارة طه أنه أبو الكل وأنه الكل في الكل مع أنني على يقين بأنه لا يكن لطه حباً ولا صداقةً. وأذكر أن اسماعيل نامق قال في دار نوري بحضورنا وعلى مسمع من طه الهاشمي أنه يفضل أن لا يعارض الانكليز فيما يريدون حتى ولو قيل عنه أنه انكليزي وأنه غير وطني. كان نجم اسماعيل نامق متألقاً زمن الانتداب (قبل عام ١٩٣٣) ولكنه أفل زمن بكر صدقي، ثم عاد فتألق من جديد في عهده معنا، ولست أدري ما هو اسماعيل الآن بعد خروجنا من العراق. وهو صديق نوري بن سعيد كما أنه صديقي وصديق فهمي ولنا معاً ذكريات

- إن الحرب في حالتها الحاضرة لا تعطي فكرة واضحة عن الاتجاه الذي يجب أن نسلكه، وقد انفردت انكلترا أمام ألمانيا بعد انهيار فرنسا، فلماذانربط مصيرنا بمصيرها ونناصب ألمانيا العداء وهي التي لا يذكر التاريخ أنها كانت عدوة لنا يوما. لقد وقفت الدول الأخرى كلها موقفاً معادياً من العرب، وكانت ألدهم وأدهاهم بريطانيا. وبعد أن سامتنا بريطانيا العذاب ألواناً ومزقت بلادنا وانتهكت حرماتنا، تطلب منا اليوم - وهي في أشد المحنة - أن نضحي ببلادنا ونسفك دماءنا بدون مقابل. أنا لا أريد أن نقلب لبريطانيا ظهر المجن، لكني أرى أن على بريطانيا ألاّ تطمع بأكثر مما نالت من العرب، وأن علينا بالحزم والروية والتمسك بنصوص المعاهدة التي أملتها علينا بريطانيا، وقبلناها مكرهين. وما زلنا نذكر قول المغفور له فيصل الأول بشأن المعاهدة، وهو يخاطب أكثرية أعضاء المجلس التأسيسي التي ألتفت حول أخيك ياسين، أن «لا تتركوا فيصلاً بين السماء والأرض» ثم ماكان من أمر نوري وقرينه جعفر العسكري يومئذ. أما أن يطلب الانكليز اشتراكنا في الحرب، فهذا أمر لا تنص عليه المعاهدة، ومن حق الأمة وحدها أن تقرر قبوله أو رفضه، وليس لبضعة أفراد تولوا الحكم في العراق أن يقرروا ذلك، وكلنا نعلم من هم هؤلاء والهوة السحيقة التي تفصلهم عن الشعب باستثناء القليل منهم. إن الحق للأمة بلا نزاع، لذلك يجب أن تمنح الأمة ملء حريتها لتنتخب نواباً يمثلونها حق التمثيل. هكذا تقول الديمقراطية وهكذا ينص القرآن في الشورى. أما المجلس الحالي فأغلب أعضائه أجراء موظفون اختارهم نوري وكل قائم على الحكم، فهم أبواق لكل حكومة يتوسمون فيها القدرة على حل مجلسهم، ومنهم أبواق تذيع ما عبأه أولئك المتزعمون في اسطوانات الانكليز لضرر البلاد. ويمثل المتزعمون أدوارهم علي المسرح بالتتالي، فلا يكاد أحدهم ينتهي من تمثيل دوره، حتى يستقيل ويفسح المجال لغيره أن يمثل دوراً آخر، ويُظهِرون لبعضهم الخصومة والعدواة ليخادعوا الشعب ويشاغلوه بها، ساترين بذلك حقيقة أمرهم، إذ يركضون جميعاً نحو هدف واحد، وهو إرضاء الانكليز على حساب الأمة. فما تم التصديق على المعاهدة العراقية الانكليزية حتى استقال جعفر ونوري، وما قتل رستم حتى استقال نوري، وما أتم جميل واجبه في التضحية بشط العرب، إرضاء لسادته الانكليز، (بدعوى أنه عراقي وعربي أصيل)، حتى استقال بتحريض من نوري ...

نحن لا نريد أن تقع في شراكهم، فيكون مصيرك مثل مصيرهم، بعد أن حافظت على كرامتك حتى اليوم. ولا نريد أن تستقل برأيك، أو تعمل بما يشيره الأذناب عليك، وتترك الأمة ورجالها الكرام، ونحن على يقين أنهم سيوقعون بك وسيقيلونك من الحكم وأنت كاره، كما فعلوا بالكيلاني من قبل، ليطبقوا ماتم لهم على يدك، وهذا مالا نرضاه لك وللأمة. وأخيراً، فإذا كان

لابد من اجابة الانكليز، فعليك بالانتخابات النيابية فوراً، ودع الجواب للمجلس الذي يمثل الأمة.

سكت قاسم، وكان طه ينقل نظره بيننا، وقد لاحت له بلا ريب علائم الارتياح لما قال قاسم ترتسم على وجوهنا. كما لاحظ تأييدنا له (باستثناء اسماعيل نامق طبعاً) أما أنا فلم أخرج عن السكوت طيلة الجلسة، وقد اعجبت أيما اعجاب بروح قاسم وهي تتجلى بهذا المظهر الوطني الرائع، وأكبرت فيه أيما إكبار ذلك الإخلاص والصدق، وما كان لي بذلك علم.

انفض الاجتماع دون أن ينبئنا الهاشمي بما نوى، وشعرنا أنه مزمع - وليت الانكليز ونوري يكتفون بما أزمع - على قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا فجأة، كما فعل نوري مع ألمانيا من قبل. وبذلك يقع طه في الشراك التي نصبها حزب الشيطان بواسطة عبد الاله، ويستقيل طوعاً أو كرهاً بعد أن يفقد سمعته وتأييد الجيش له، ويتولى الحكم من بعده الأذناب، فيقضون على طه واخوانه في الجيش في ليلة دهماء، وبأسلوب أتقنه نوري وعبد الاله لما أحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، فيخلو لهم الجو عندئذ ويقدمون للانكليز ما يطلبون.

وما مضى يومان، حتى طلب طه الهاشمي أن أقابله في وزارة الدفاع على إنفراد، وطلب مني، بصورة خصوصية، أن أنقل مقر فرقتي من بغداد إلى مصيف الملك فيصل الأول في علياوة بجوار خانقين وكان جليا أن الغاية من ذلك هي ابعادي عن بغداد نزولا عند ارادة عبد الاله ومن أعد الشراك من الأذناب وكان طلبا غريبا في بابه، وغريبا من طه، وله وقع لايقل غرابة على كل عسكري وكل أجنبي، وعلى جارتنا إيران إذ ترى قائد الفرقة الثالثة يؤسس مقره على الحدود، في حين تعسكر قطعات الفرقة وألويتها في معسكراتها السلمية في الخلف ومقدمتها تمتد حتى بغداد. على أني، مع ذلك، أعجبت بالفكرة، لأني كنت بحاجة ماسة للراحة والنقاهة، كما أن الإقامة في القصر الصيفي المذكور أقل نفقة لأنه يحتوي علي أثاث ومرافق لم أحلم بمثلها. ويقع القصر على رابية، ويشرف منها على سهول واسعة وتلال، ويجري من تحته نهر الوند، وتعترض النظر من الجهة الأخرى جبال إيران الشاهقة، فكان جميلاً أن أقضي فصل الصيف هناك أنا وأهلي. لكني توقفت عن تلبية هذا الطلب ورجوت طه أن يمهلني بضعة أيام.

ملحق رقم - ١٤ -

كنت في زيارة السيدين جميل مردم بك رئيس الوزارة السورية وسعد الله الجابري - وكانا قد حلا في فندق بجانب الرصافة ضيفين في العراق العربي، فالتقيت بتوفيق السويدي للمرة الأولى إذ جاء برفقة صبيح نجيب. استطرد صبيح نجيب في الحديث، فلوّح لي وهو يبتسم عن صلتنا بنوري، وما كان من أمرنا في اسقاط وزارة جميل التي كان هو وزيراً للدفاع فيها - لنا مع صبيح ذكريات أنا وفهمي وكامل - فأجبته بصراحة: «لقد كنت أنت السبب في سقوط وزارة جميل يا أخي، فقد نسيت أنك جندي مثلنا، وقد حز في نفوسنا أن تكون أول من يعمل على شق الجيش على نفسه ليصبح معسكرين متناحرين، ولا يأتي بهذا العمل وطنيٌ يحب بلاده، فكيف طاوعتك نفسك أن تأتيه؟.

لقد أرسلت لإسماعيل نامق كتاباً من برلين حيث لجأت فراراً من وجه بكر صدقي، وصفتنا فيه بأننا خيرة شباب الأمة والجيش، وآليت على نفسك أن تحترم أولئك الشباب لا بل أن تقدسهم طيلة حياتك، فلماذا سعيت إلى تكتيل فريق يناصبهم العداء من بين صفوف الجيش؟.

سكتُّ وسكت صبيح نجيب وكلانا يبتسم. لكن توفيق السويدي الذي كان وزيراً للخارجية في وزارة جميل المشار إليها، شق عليه جوابي هذا وقال وهو يرتجف:

- مالكم أيها العسكريون بكل هذه الأمور؟ فأجبته :

- لا بل مالكم أنتم وماذا تريدون منا؟ ثم أنني ليس لي بك معرفة سابقة، لقد سمعت عنك أنك من بيت عربي كريم وأنك درست في فرنسا، وأن ثقافتك عالية، لكني أقول أننا سئمنا التنازع على كراسي الحكم، وأن البلاد سئمت الزعماء الدجالين الذين لاهم لهم سوى كسب المغانم من وراء الكراسي والتنكيل بأحرار العرب الذين يناهضونهم. ولو أن هؤلاء برهنوا للشعب والجيش على حسن طويتهم فوحدوا الصفوف لإيصال البلاد إلى أهدافها، إذاً لكان من حقك ومن حق غيرك أن تطلب من الشعب والجيش الانصياع لكم والاعتماد عليكم لكنكم، مع الأسف، متطاحنون متناحرون وأموركم فوضى بينكم.

وقد جرى هذا الحديث على مسمع من الزائرين مردم والجابري أبناء الشقيقة سوريا، وعلى مسمع من أخي المقدم صالح زكي الطائي الموصلي.

أعتقد أن توفيق السويدي بيت لي البغضاء منذ هذا اللقاء.

شهادة رقم (10)

نزار الصباغ يلتقي الرئيس جمال عبد الناصر

في يوم الاثنين ٢٩ ابريل ١٩٥٧

في تمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر في مبنى رئاسة الوزراء بشارع القصر العيني بالقاهرة.

فتح (صلاح الشاهد) باب الغرفة وان هي الا لحظة حتى وجدت نفسي أمام جمال عبد الناصر وجها لوجه.، وحدنا في غرفة كبيرة . وكان جمال عبد الناصر جالسا أمام مكتب كبير في صدر الغرفة وخلفه شبّاك يطل على حديقة صغيرة.

وكان جمال عبد الناصر مستغرقا في تلاوة ورقة أمامه. وان هي الا دقيقة واحدة حتى رفع رأسه المشوب بالبياض، ونظر اليّ وابتسم ابتسامة لطيفة وديعة جعلتني أنسى كل رهبة أو وجل، وأنا في حضرة زعيم العرب الأكبر وبطل بور سعيد ومؤمم قناة السويس. وقف على قدميه وغادر مكتبه ثم استند بيده على حافة المكتب الأمامية، وهو واقف يحدثني عن حالي وأين أسكن..؟

ووقفت مترددا هل أبدأ الكلام أم يبدأه هذا الرجل العظيم الواقف امامي. وكنت خلال ذلك أتلمس في باطن عقلي عن كلمات أستهل بها الحديث معه. وساورني الشك في قدرتي على الانطلاق بالحديث، وخفت أن يرتجَ عليَّ فلا أستطيع الكلام. ولكن الله فتح عليَّ، وشرح لي صدري، وحل عقدة لساني، فانطلقت في حديث مسهب، هادىء، منتظم، تتخلله عبارات الاخلاص والمحبة والتفاني في سبيل القومية العربية. وكان حديثا لأنساه مدى الحياة:

قال أنه كان قد استلم مني رسالة.. وأنه يشكرني عليها.. فقلت له ان المبادىء التي استشهد والدي من أجلها موجودة كلها في هذه المذكرات، وأنت ياجمال عبد الناصر حققت الأماني والأهداف التي كان والدي يسعى اليها والتي ضحى بحياته من أجلها.. وانني اذ اقدم لك ياسيادة الرئيس مذكرات والدي أرجو أن تقودني، وأن تقود معي الشعب العربي كله، الى التحرر والوحدة.. أن أمامنا معركة في فلسطين.. والطريق الى استعادة فلسطين.. يبدأ في بغداد، لذلك لابد أن نقيم الاعتبار الأول للمعركة في العراق ضد نوري السعيد وعبد الاله. ثم قلت له: ياسيادة الرئيس: أنت زعيم العرب كلهم، وعليك عقد العرب أمانيهم، وأنا كجندي أمشي وراءك وأمتثل لأوامرك وليس لك الا ان تأمرني فأطيع.. وأنا مستعد أن أسير، اذا ماأمرتني بالسير، حتى ولو كانت أمامي نار حامية أو هاوية سحيقة. ان أرواحنا فداك.. سلمت ودمت ياجمال عبد الناصر.. فابتسم جمال عبد الناصر ابتسامة حبيبة رقيقة.. وقال لي أن أملنا بكم أنتم أيها الشباب، فأنتم عدّة المستقبل، قلت له: لم يقم بين العرب سوى عمر بن الخطاب واحد، وخالد بن الوليد واحد، وصلاح الدين الأيوبي واحد... ولم يقم بين العرب سوى جمال عبد الناصر واحد.. أنت الذي سوف تحقق للعرب وحدتهم وحريتهم ومجدهم. ونحن جميعا من ورائك، نفتديك بأرواحنا.

نزار الصبّاغ يلتقي رشيد عالي الكيلاني

في ابريل عام ١٩٤٢ في مدينة سيواس:

كان في طريقه الى المانيا. وتوقف القطار به لمدة نصف ساعة في محطة سيواس..

وذهبت لمقابلته، ومعي بعض العراقيين الذين كانوا معي كلاجئين سياسيين.. قلت له..أنا نزار .. ابن صلاح الدين الصبّاغ، فبهت رشيد

عالي.. لم يكن يتصور ان يلقاني في هذه المدينة النائية.. أخذ يربت على كتفي ثم جلس يحدثنا.. كان متفائلا وهو يقول لنا:

لقد ضحينا بكل شيء في سبيل بلادنا.. وسنظل نكافح حتى نخلّص بلادنا من أخطبوط الاستعمار وأذنابه في العراق..

لقد أثار رشيد عالي فينا الأمل..

واذكر انني سألته عن ابي.. قال لي انه بخير في ايران.. وانه سيلحق به بعد أسابيع..

تهللت اساريري.. وأخذ الأمل يراودني في ان ألقى ابي.. ادركت انه سيمر بنا..

ولكن لم يمر شهر واحد حتى قامت بريطانيا بالاعتداء على ايران..

واستسلمت ايران في نفس يوم الغزو.

ثم جاءت بقية الأنباء .. قبضت السلطات البريطانية على قادة الجيش العراقي الذين التجأوا الى ايران، مادت الأرض تحت قدمي.. وتصورت أن ابي بين المقبوض عليهم..لم اكن أعرف انه اختفى.. ولم اكن اعرف قصة تنكره في زي الدراويش ورحلته الى تركيا..ولم اكن أعرف أن السلطات التركية ستأتي به الى سيواس، نفس المدينة التي أعيش فيها..ولم اكن اعرف اكثر من ذلك انه سينزل في فندق "أورتاك" الذي عشت فيه.. ويحتمل ايضا في نفس الحجرة..

قلت لنفسي.. ان مكانك الآن في العراق يجب أن اعود الى بغداد لاكون قريبا من ابي..

كنت اعرف ماينتظره من نوري السعيد.

وبسرعة تقدمت الى السلطات التركية وأبلغتها رغبتي في العودة الى العراق.. وكان هناك ١٤ عراقيا آخرون يريدون العودة.. ولم تمانع السلطات التركية في عودتنا..

كنت اريد ان ارى ابي ولو مرة واحدة قبل أن يقتلوه..

ولن تتصوروا.. تركت سيواس في نفس الأسبوع الذي وصل فيه اليها أبي.

نقلتنا السلطات التركية الى أقرب نقطة الى حدود العراق.. ان اسمها جزيرة "ابن عمر" وهي تقع على نهر دجلة ولكن في داخل أراضي تركيا.. وأخذنا نسير بمحاذاة النهر حتى تسللنا أثناء الليل عبر الحدود.. كنا نسير أثناء الليل وننام في النهار.. كانت رحلة شاقة.. وقد انتهت بوصولي الى بغداد.. فذهبت متسللا الى بيت أحد أصدقائي.. وهناك كانت المفاجأة.. عرفت لأول مرة أن أبي لم يقبض عليه.. وأنه الوحيد الذي اختفى.. اختفى ولا أحد يعرف أين ذهب؟.. ولم يكن أمامي الا أن أسلم نفسي للسلطات العراقية..

قبضوا علي حيث وجهوا الي التهمة الوحيدة التي أمكنهم أن يجدوها ضدي.. وهي تهمة الفرار من الكلية العسكرية..

لم أقل شيئا حتى بعد أن حكموا علي بالسجن لمدة شهر واحد..

وقضيت هذا الشهر في السجن.. وبعدها عدت الى الكلية العسكرية.. لفقوا تهما خطيرة ضدي.

أثارت قصة اختفاء أبي ثم التجائه الى تركيا أعصاب الانجليز وأذنابهم في العراق. ولم أتصور أبدا أن يحاولوا الانتقام منه في شخصي.. فقرروا أن يتخذوني رهينة حتى يسلّم أبي نفسه..

واسمعوا ماحدث بالضبط: بينما أنا في كليتي جاءت الشرطة تحمل أمرا بالقبض عليّ.. وذهبت معهم لأسمع الاتهامات الموجهة ضدي.. أنا متهّم بالتآمر ضد سلامة الدولة.. ومتهم بتدبير اغتيال عدد كبير من رجال العراق الرسميين وبعض رؤساء الوزراء السابقين.. ومتهم أيضا بتدبير مؤامرة ترمي لنسف الجسور والقناطر وتدمير السكك الحديدية.. اتهامات من كل نوع.. وانتهى التحقيق معي بأن أمر المحقق بالقائي في السجن بدون محاكمة لمدة تسعة أشهر.. وفي هذه الأثناء كانت المحكمة العسكرية

تجري محاكمتها التاريخية لقادة الثورة.. وانتهت هذه المحاكمات باصدار أحكام الاعدام التي أصدرتها المحكمة بالجملة.. وتصوروا مرة أخرى.. لقد قدموني الى نفس المحكمة التي حاكمت أبي غيابيا.. وحاكمت رشيد عالي الكيلاني وبقية قواد الجيش.. ساقوني في شوارع بغداد وأنا مكبّل بالأصفاد.. وأمام المحكمة العسكرية تكلمت لأول مرة..

قلت: انني بريء.. وليس لي ذنب الا أنني ابن صلاح الدين الصبّاغ..

ولم يكن من رئيس المحكمة الا أن حكم لي بالبراءة..

رهينة لمدة ٤ سنوات

لم يفرجوا عني.. أبقوني في السجن رهينة حتى يسلم أبي نفسه ..

أضربت عن تناول الطعام.. واضطروا لأن يخرجوني من السجن، ولكن ليرسلوا بي الى معتقل العمارة وهو في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة.. وفي هذا المعتقل احتجزت الحكومة العراقية كل الذين لم تجد المحكمة العسكرية ماتدينهم به.. وتقابلت في هذا المعتقل مع كثيرين من شخصيات العراق.. علوان الياسري الذي كان رئيسا لمجلس النواب.. وفائق السامرائي وصديق شنشل وماجد مصطفى من الشباب الواعي.. وتقابلت أيضا مع الشيخ عبد الواحد صقر من زعماء العشائر المعروفين.. وكان في المعتقل أيضا السيد خليل كنّه الذي كان من أعوان رشيد عالي الكيلاني ثم انقلب عليه بعد أن تزوج ابنه أخت نوري السعيد..

وكان هذا الزواج مؤهلا له لكي يصبح وزير المعارف في حكومة نوري السعيد..

وتقابلت أيضا مع المرحوم السيد عبد القادر الحسيني، وكان لاجئا في العراق، وقد اعتقله الانجليز هو وكل اللاجئين العرب الذين فتحت لهم العراق أبوابها في العهد الوطني..

وبقيت في المعتقل أربع سنوات كاملة وكنت قد عكفت أثناء اعتقالي على الدراسة.. طلبت اليهم أن يسمحوا لي بالتقدم لنيل شهادة

البكالوريا ولكنهم رفضوا!!

أبي يحتج على اعتقالي

بقيت أنا في المعتقل.. ولم أكن أعرف شيئا عن محاولات حكومة بغداد لاقناع الأتراك بتسليمهم أبي.. وكانت حكومة تركيا قد سمحت له بأن ينتقل من مدينة سيواس الى مدينة أخرى اسمها بوردور.. وفي هذه المدينة استطاع أبي أن يعرف قصتي وكيف انتهى بي المطاف الى معتقل العمارة..

وكان حمدي الباجه جي رئيسا للحكومة في ذلك الوقت..

فأرسل اليه أبي رسالة بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٤.

ولكن تركيا عادت فسلمت أبي الى جلاديه في العراق..

واسمعوا ماحدث بالضبط..

بعد انتهاء الحرب العالمية، قام الأمير عبد الاله ومعه نوري السعيد بزيارة رسمية للولايات المتحدة..

ولم يكن في نيتهما زيارة تركيا.. ولكن فجأة مرا بها في طريق العودة..

وفي تركيا جرت مفاوضات سرية بين نوري السعيد والحكومة التركية..

وانتهت هذه المفاوضات بعقد معاهدة صداقة وحسن جوار بين الحكومتين.. وتعهدت حكومة العراق بأن تبني في تركيا خزانا ضخما يكلف حكومة العراق عدة ملايين من الجنيهات مقابل تسليم صلاح الدين الصبّاغ..

كانت هناك رغبة جارفة للانتقام منه بأي ثمن.. وبسبب هذه الرغبة دفعت العراق عدة ملايين من الجنيهات من أجل القبض عليه واعدامه.. وهنا يجب أن نتساءل.. كيف تحايلت تركيا على القانون التركي وعملت على تسليم أبي الى العراق؟!

الثابت أن تركيا كانت تعرف أن الانجليز هم حلفاء نوري السعيد..

وتعرف أيضا أن هؤلاء الانجليز يحتلون سوريا، عرضت على نوري أن تعمل من جانبها على تسليم أبي الى الدرك السوري عند الحدود..

وطلبت اليه أن يستخدم نفوذه عند الانجليز ليقوموا بباقي المهمة.. وهي نقله الى العراق!!

وعلى أثر هذا الاتفاق فاجأ البوليس التركي أبي وكان يقضي أيامه الأخيرة في تركيا في مدينة بوردور..

طلب اليه أن يستعد للسفر في الحال.. وتصوروا.. لم يسعفه الوقت.. ترك حاجاته في تركيا.. ولم يأخذ معه الا مذكراته..

وكان منذ لجأ الى ايران قد عكف على كتابة هذه المذكرات فسجل فيها مرحلة تاريخية مثيرة من حياة العراق..

ونقله البوليس التركي من بوردور الى الحدود السورية..

وعند هذه الحدود كانت في انتظاره قوة من رجال الدرك السوري..

أدرك أبي الخطة التي وضعت للقبض عليه.

وبينما هو في القطار الذي أقله تحت الحراسة الى حلب اختار واحدا من رجال الدرك السوري الذين كانوا معه.. وأخذ يقطع الوقت معه في الحديث حتى اكتسب ثقته.. وبعدها قال له: - اسمع: أريدك أن تقسم لي بالله وبكل المقدسات أنك تستطيع أن تقدم لي خدمة.. واقسم رجل الدرك السوري..

قال له أبي: كما تعرف.. أنا ذاهب ليعدموني.. أنا في طريقي الى الموت.. وزوجتي تعيش في حلب، خذ هذه الأوراق وسلمها اليها، واذا لم تستطع فسلمها الى رئيسك.

ووافق رجل الدرك السوري!!

وقابل أخي ربيعة

وفي محطة حلب استطاع أبي أن يهرب..

اتجه راسا الى بيت حسن فؤاد ابراهيم"باشا" حيث كانت أمي تقيم في ضيافة عائلة الرجل صاحب القلب الكبير..

وأمام البيت وجد أخي "ربيعة" وقال له أنا كنت أريد أشوف أم نزار.. ولكن ليس عندي وقت.. بلغها تحياتي ياربيعة..

ثم خلع أبي ساعته وأعطاها لربيعة.. كما أعطاه قلمه الحبر. وروى له كيف سلم لرجل الدرك السوري أوراقه.. قائلا- إنها أوراق هامة، تهمكم، ولازم تحصلوا عليها. واختفى أبي بسرعة كما ظهر أمام ربيعة..

صحفي سوري يساعده على الهرب

وعندما عدت الى حلب عرفت بقية قصة أبي في حلب..

بينما كان سائرا يبحث له عن مأوى يختفي فيه التقى بالصحفي السوري فهمي الحفار صاحب جريدة "الجهاد"، في حلب.. وكان فهمي يعرف أبي.. فوجيء به أمامه في الطريق.. قال له- صلاح.. كيف حالك.. أشو جابك بلادنا.. وروى له والدي كيف قبض عليه.. وكيف هرب؟ وعمل فهمي الحفّار على اخفاء أبي.. فكلف أحد أصدقائه بأن ينقله في سيارة الى أحد البساتين في ضواحي حلب.. وبقي أبي ثلاثة أيام هاربا.. وفي نفس الوقت أخذ رجال المخابرات البريطانية يقلبون المدينة رأسا على عقب بحثا عنه.. وكان أبي يتاهب لمواصلة الفرار الى المملكة العربية السعودية عندما نمى الى علم الانجليز أن فهمي الحفار قد عاون أبي على الفرار.. فقبضوا عليه وأخذوا يسومونه العذاب.. وبطريقة ما علم الانكليز بمكان اختفاء والدي..!!

وأسرع الانجليز يطوقون المنطقة بدورية كاملة من الجنود وقبضوا على أبي.. وفي نفس اليوم نقلته طائرة حربية خاصة الى القاعدة البريطانية في الحبانية بالعراق.. ولم تمر ٤٨ ساعة حتى أعدّت مشنقة أمام مبنى وزارة الدفاع في شارع الرشيد وتقرر اعدامه في الشارع..

لقد أعدم عند الفجر.. وقد تركت جثته معلقة حتى الساعة التاسعة من

الصباح..

وسمعت وأنا في العراق قصة مثيرة.. قبل اعدام أبي بساعتين حيث طلب واحد من المسؤولين في بغداد أن يرى أبي.. كان مخمورا وهو يتصل بالسجن ويطلب نقل أبي الى بيته مكبلا بالحديد.. وحاول هذا المسؤول أن يتشفى منه..

قال له.. عاجبك حالك الآن..

قال له أبي.. عاجبني.. طبعا..

ويعجبني أكثر أن أراك بجانبي على المشنقة!

وأثار اعدام أبي سخط العراق كله!

سلموني وصية أبي

كنت وقتئذ في المعتقل.. اخفوا عني كل شيء عن اعدام أبي.. ولم أعرف أنهم قتلوه الا بعد ثلاثة اشهر..

بكيت بحرقة.. لم أكن أملك الا البكاء.. ومع هذه الأنباء صدر قرار بالافراج عني..

قالوا عليك أن تغادر العراق فورا..

سألت عن السبب وعرفت أن الحكومة العراقية قررت تجريدي من الجنسية العراقية.. وأصبحت شريدا بلا جنسية..

نزار صلاح الدين الصبّاغ

ثاني عشر:

مصير وزارة طه الهاشمي

في اليوم الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٩٤١، اجتمع السادة: «مصطفى وعبد العزيز وأحمد ورضوان وفرهود وجاسم وفارس» وهذه اسماء مستعارة لكرام ليس بوسعي الآن أن اذكر اسمائهم، لهم مكانة سامية بين أرباب القوة الإجرائية والسياسية في العراق وفلسطين وسورية، ولهم ارتباط وثيق بباقي الوطنيين من أحرار العرب في تلك الأقطار، والذين يرتبط معهم الهاشمي بعهد وميثاق.

أما العمدة وموضع الثقة فكان مصطفى، وقد إرتبط الجيش به منذ بضع سنين وهو الذي كفل عبد العزيز وربط به الجيش. وكان قسم عظيم تلاه كل واحد من المجتمعين جهراً (انظر الملحق -١٥-)، يعاهد الله على أن يجعل من مضمون القسم نبراساً يسير على هديه في كل تصرفاته، وأن يعمل بكل ما أوتي من قوة لإنقاذ البلاد العربية، وأن ينبذ الخلافات الناشئة عن الأنانية والحزازات الشخصية، وأن يكون«مصطفى» ناظماً لنا ورئيساً مطاعاً.

واجتمعت الآراء يومئذ على هذا القرار: -

لما كان الإنكليز قد اقدموا بتشجيع أذنابهم على فرض مطاليب مجحفة تتوخى زج العراق في الحرب، وإرغام باقي الأقطارالعربية على السكوت وعدم المطالبة بحقوقها، فإن عزم طه على قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا بصورة فجائية وبدون إستشارة المجلس النيابي أو الجيش لن يرضي الإنكليز، ولن يقعدهم عن تحقيق غاياتهم كاملة. لذلك ، فإن الإنكليز سيعملون على إقصاء قادة الجيش المخلصين، ليسيطروا عليه ومن ثم ينقاد العراق لهم كما يشاؤون.

على أن قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا يعتبر في حد ذاته خطوة كبيرة نحو مايريد الانكليز من اخضاع العراق والأمة العربية، ومن شق الجيش العراقي على نفسه، والحط من قوة طه الهاشمي وسمعته. ويصبح طه بعد قطع العلاقات أمام أمرين: أن يرضخ للانكليز ويلبي مطاليبهم كاملة، أو أن يرغمه الوصي على الاستقالة كما أرغم الكيلاني من قبل. ولما

كانت المسالمة من طبع طه، فإنه من المستبعد أن يقاوم الوصي مهما عبث بحقوق الأمة والدستور (إذا كان للعراق دستور)، وهكذا لا يبقى أمام طه إلا اختيار الطريق الثاني وتفضيل الاستقالة، بعد أن يكون قد وقع في الخطأ كما كان شأنه مع بكر صدقي، ويتنحى عن الحكم لوزارة مؤلفة على نحو مايريده الانكليز، فتقوم تلك الوزارة قبل كل شيء بتصفية قادة الجيش بحسب ما تقضي مصالح الانكليز فتحيل البعض علي التقاعد، وتلقي البعض الاخر في غياهب السجن أو تبعدهم. يتم ذلك كله فجأة وفي ليلة ليلاء، والجيش والشعب يغطان في نوم عميق. ولما كان انتظار ذلك اليوم المحتوم يعني الخضوع للأمر الواقع والاستسلام للانكليز، ويؤدي إلى قيام ثورات داخلية، ويقضي على وحدة الجيش، فيتحقق للانكليز وأذنابهم ما يتمنون، لذلك يجب اتخاذ التدابير التالية:

١- المحافظة على الوضع الراهن والتمسك بالمعاهدة العراقية - الانكليزية التي قررت مالنا وما علينا، حتى يتوفر الوقت لدراسة الموقف العالمي، وانتظار تطور الأحداث في المستقبل القريب. لذلك كان لابد من الروية والتبصر في الأمور.

٢- التوسل بجميع الحجج المقنعة لحمل طه الهاشمي على العدول عن رأيه والانتظار ثلاثة أشهر أخرى، ينجلي بعدها الموقف العالمي وتبين الحالة السوقية.

٣- إذا كان لابد من قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا، والموافقة على مطالب الانكليز فوراً، فليوافق على ذلك مجلس نيابي حر، يمثل رأي الأمة الصحيح لا استناداً إلى رغبة الوصي وقرار مجلس الوزراء فحسب.

٤- لما كانت الأكثرية في مجلس النواب الحالي لا تمثل الأمة، ولما كان أغلب أعضائه من المرتزقة الذين عينهم نوري وجميل وجودت تعييناً، فمن الواجب حل المجلس، وفسح المجال لانتخاب مجلس نيابي جديد، يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً، ثم تعرض عليه طلبات الانكليز.

٥- لما كان نوري وجميل وجودت هم دائماً وأبداً سبب الخلاف واراقة الدماء، فمن الواجب تعيين نوري سفيراً للعراق في أمريكا، وجميلاً في مصر، وجودت في سفارة غيرها، انقاذاً للبلاد من عبثهم إبان الحرب الحاضرة، وتحقيقاً لسلامة الانتخابات النيابية.

٦- لما كان الوصي غير مسؤول أمام القانون، وهو مع ذلك يواصل القيام بنشاط مخالف للدستور، ويأتي بتصرفات ديكتاتورية على غرار تصرفاته التي أودت بوزارة الكيلاني، ولما كانت التجربة قد أثبتت ضعف المجالس النيابية في العراق، وعدم تمرّسها في استعمال صلاحيتها، في إيقاف الوصي (أو الجالس على العرش) عند

حده، وفي كبح جماح ميوله الاستبدادية أو الشخصية، فمن الواجب أن تدون في الدستور مادة تنص على طريقة معالجة هذا الأمر، والسلطة التي تكلف بتنفيذها.

٧- التوسل بكل الوسائل لاستمالة الوصي ليرضى على قادة الجيش.

٨- يكلف الهاشمي بالاستقالة إذا فشل في تحقيق ما ورد أعلاه أو امتنع عنه، وذلك صوناً لسمعته، واستباقاً للأحداث الخطيرة التي ينتظر وقوعها بعد أن تمت التمهيدات إليها. ويُعَوَّل على أخلاق طه الحميدة في الموافقة على هذا الرجاء فور التقدم به.

٩- بعد استقالة طه، يقصد الوصي وفد من كرام رجالات العراق والعرب ومن قادة الجيش، فيعرضون عليه توسلاتهم ليوافق على اسناد رئاسة الوزراء إلى رشيد عالي الكيلاني، وليوافق على حل المجلس النيابي، وانتخاب مجلس جديد فوراً، ليقول كلمته في طلبات الانكليز التي تخرج عن المعاهدة العراقية الانكليزية، وللاقتراع على الثقة بوزارة الكيلاني، فيقرر بقاءها أو استقالتها وفق أحكام الدستور.

١٠- يقطع الجيش على نفسه عهداً صارماً أن لا يتدخل في شؤون الحكومة القائمة، إذا توثّق من سلامة الانتخابات النيابية، وتأكّد لديه أن السلطة التشريعية تمارس كل ماديها من صلاحيات، وأنها ليست آلة بيد الوزارة أو الوصي أو الجالس على العرش، وأن ما من وزارة تتولى الحكم بتأثير الأجنبي أو بدسائسه.

مرت عدة أيام، والكرام الذين أشرت إلى أسمائهم المستعارة وغيرهم، يترددون على طه الهاشمي جماعات ووحداناً، ضحىً وعشيةً، في داره بشارع المعظم أو في تلك بالوزيرية، متوسلين إليه أن يحقق الأماني، وهو يدنو منهم تارة، ويتأفف ولا يدلي بشيء تارة أخرى، حتى مل وملوا، فكشف طه القناع وقال:

- «لابد من الموافقة على مايريده الانكليز، وأما رضى الوصي على قادة الجيش فمستحيل».

كان ذلك فصل الخطاب، واقترب موعد الشروع بالعمل.

ملحق رقم -١٥-

في عهد وزارة جميل الملقب بالمدفعي، كان نوري يلح علينا مراراً وتكراراً بواسطة فهمي للاجتماع به، وكان قوام تلك الاجتماعات طه وفهمي وكامل وأنا، وكانت تجري في دار قريب نوري الرئيس الأول المتقاعد أحمد رمزي (المعروف بأحمد جويريد وهو تركي الأصل) وكانت دار أحمد رمزي بالوزيرية تلاصق قصر نوري.

وفي أحد الأيام قال كامل بن شبيب أنه إذا أراد نوري وطه أن ينتفعا من تأييد الجيش لهما، فليقسم نوري قسماً على أن يأخذ بعضنا بناصر بعض، وعلى الاخلاص للعروبة، وعلى مقاومة الانكليز والاستعمار الأجنبي في البلاد العربية. لكن نوري رفض أن يقسم، لأنه على استعداد للقسم بأي قسم، ماعدا مقاومة الانكليز واستعمارهم. ونوري لا يفتك بأحد ولا يغتال أحداً إلا إذا كان الانكليز قد قرروا الفتك به أو اغتياله.



الشهيد فهمي سعيد في معتقل أرواد عام ١٩٢١ حين اعتقله الفرنسيون.

ثالث عشر :

المؤامـــرة

في ليلة ١ - ٢/نيسان من سنة ١٩٤١، احتدم الصراع بيني وبين العواطف والأماني، ثم قدمت مستقبلي البسام الحافل بالمجد والنعيم، ضحية على مذبح الوطنية وقرباناً في سبيل بلادي.

في تلك الليلة انتدب فهمي بدلاً مني، بعد أن رفضت مرافقة أمين زكي وكيل رئيس أركان الجيش، لتقديم الرجاء إلى طه الهاشمي بالاستقالة. وكانت علامات التردد واضحة على وجه فهمي وهو الذي لا يستحي من الحق، لأنه يحب طه، وطه محبوب لوطنيته، رغم ما ارتكب من أغلاط، وعلى علاته.

عاد فهمي، يحمل كتاب الهاشمي إلى الوصي بالاستقالة. وأعطاني الكتاب لأحتفظ به، على أن يرفعه الوفد الذي تقرر تأليفه في اجتماع ٢٨ شباط، إلى الوصي في اليوم التالي.

وفي صباح اليوم التالي، حضر رشيد عالي الكيلاني إلى مقري بمعسكر الرشيد، وأخذني وأمين زكي إلى دار طه الهاشمي حيث كانت وزارته مجتمعة بكامل أعضائها. فاستقبلنا طه وقادنا إلى مكتبه باسماً، وبعد دقائق حضر ناجي السويدي واخوه توفيق.

استهل الهاشمي الحديث لطيفاً باسماً، وراح يستميلنا للعدول عن فكرتنا، وقال أنه سيعيد النظر في أمر قطع العلاقات السياسية، وغير ذلك من مطالب الانكليز، وأنه سيتبع الطرق الدستورية، ويسعى لكسب رضى الوصي على الجيش، ويزيل سوء التفاهم.

وهنا قاطعه توفيق السويدي وقال بغضب:

- لا، لن يكون هذا وسنفعل ما نريد.

ثم هدد وأرعد، فتوتر الجو وتكهرب، وأجابه الكيلاني بلين وتوءدة، ثم أجابه أخوه بعنف

وشدة، والتفت توفيق بعد ذلك نحوي وقال:

- أما أنتم ياضباط الجيش، فاتركوا الأمور لأهلها، ولا تتدخلوا فيما لا يعنيكم، وأنا أوصيكم بهذا، فإذا رجعتم عن غيكم عفونا عنكم.

كانت نبرات صوته وملامح وجهه تنم على مايكنه للجيش من حقد دفين، أو على الأصح لي أنا، لأني اشتركت في تحطيم آماله وآمال عصبته المؤلفة من صبيح نجيب وابراهيم كمال، لما اسقط الجيش وزارة جميل وهو فيها وزير للخارجية، ولأني جابهته بالحقيقة المرّة حين قابلته في أحد فنادق بغداد في زيارة السيدين الجابري ومردم، ولأني اطّلعت على زيارته لدار فهمي لما حاول استمالته ليصبح رئيساً للوزراء، أو وزيراً للخارجية في إحدى الوزارات (١) وكان السويدي الكبير ممتعضاً من تهور أخيه الصغير.

قلت:

- على رسلك ياسيدي، واقتصد في كلامك وتهديدك. أنا ما جئت لاستميح أحداً العفو، أو لأسأله الصفح، بل نزولاً عند ارادة الهاشمي الذي يعترف له الجيش بالاخلاص وصدق العقيدة. أما المغفرة فأنت ومن يشاطرك الرأي أولى بطلبها منا، لأننا على حق وأنت على باطل. فنحن نأبى أن نصبح من ضباط المستعمرات اشباعاً لأطماعك، وإبقاءً على مقامك. أما أنت، فعليك بأخيك والذين معه فاقنعهم بالحق إذا كنت محقاً قبل اقناعي. وها أنا انسحب راجياً أن تبت مع الحاضرين فيما يعود على البلاد بالنفع، ترانا بعد ذلك صاغرين إلى ما تفرضون علينا من عقاب.

ثم استأذنت، وتركت المكان متضرعاً إلى الله أن يسوي مابين طه والآخرين من رجال الأمة المخلصين، وما بلغت باب الدار، حتى ادركني ناجي السويدي فقال:

- لا تكترث لما قال أخي، فهو مغرض طماع وآلة بيد الانكليز.

قلت: - أرجو الله أن يوصلكم ياسيدي إلى نتيجة مرضية، ويعاد للهاشمي كتاب الاستقالة فتسوى هذه الصفحة المخزية.

وبعد ساعة أخبرنا الكيلاني، وكنت في مقري بمعسكر الرشيد، أنه اتفق مع الهاشمي على كل شيء، فاستبشرنا خيراً وحمدنا الله على هذا، وعادت وزارة الهاشمي فشغلت الدوائر كالسابق، وكم تاقت نفسي إلى رد كتاب الاستقالة لطه بنفسي وأشكر الله على عودته إلى

---

(١) يشهد على ذلك فهمي والرئيس حمود السعدون.

لله دركم من رجال عميت أبصاركم وطبع الله على قلوبكم.

الحكم مستنداً إلى رغبة العرب والشعب العراقي.

. . . . ولكن أين الوصي؟

وماذا حل به؟

إن في الأمر لسراً !.

هذا ما دار على الألسنة منذ الصباح، وجاء قرب الزوال رشيد عالي الكيلاني ومحمد يونس السبعاوي إلى مقري في معسكر الرشيد، فأنبأني بما كان من أمر الوصي فهو ما كاد يسمع من طه نبأ استقالته بالأمس، حتى ذهب إلى معسكر الانكليز بالحبانية يرافقه علي جودت بن أيوب، وكان (دون فيل) ضابط الاستخبارات البريطاني رفيقه في السفر ودليله، وقيل أن جميلاً ذهب إلى الموصل، وأنه الآن عند متصرفها تحسين علي، يستثيران العشائر الكردية والعربية، وعشيرة شمّر بصورة خاصة، لما لتحسين علي من تأثير عليها بسبب الصداقة المتينة التي كانت تربطه بزعميها الراحل المرحوم عجيل الياور(١).

واجتمع في مقري القواد، ووكيل رئيس أركان الجيش، فكان وقع النبأ عليهم كوقع الصاعقة ... الويل ثم الويل. إنها لمؤامرة مبيتة: الوصي عبد الاله بن علي بن الحسين ... ابن محمد (صلعم) يرافق جاسوس الانكليز على العرب، ويستمد من المستعمرين قوته، ليفرض أطماعهم على بني قومه وهم مرغمون. لم يرد في تاريخ العرب مثل هذا إلا مرتين كانتا في

(١) عين (دون فيل) عام ١٩٢٦ عضواً في البعثة العسكرية البريطانية في العراق وكانت رتبته في الجيش البريطاني آنذاك ملازم أول. أما في الجيش العراقي فقد عين معلماً أولاً في كتيبة الخيالة الثالثة برتبة عقيد مؤقت، وكان العراق تحت الانتداب في تلك الأيام. وكان دون فيل شاذاً بين ضباط البعثة البريطانية، همه الأول قضاء الليالي مع الساقطات في المواخير والمراقص، ولعب القمار وشرب الخمرة في الليل والنهار، واستطاع بهذه الطريقة أن يتصل بصغار الضباط وكان أسبقهم في هذا المضمار. وأتقن اللغة العربية باللهجة البغدادية العامية واختلط بمختلف الطبقات. بقي دون فيل على هذا النهج حتى انفصل من الجيش العراقي والتحق بكلوب الشهير بأبي حنيك بين عشائر شرقي الاردن العربية وبادية الشام (وكلوب هو ثاني لورنس تنجبه بريطانيا، وهو من الانكليز الاقحاح وبلاء على العرب الرحل). وفي عام ١٩٣٩ عاد دون فيل إلى العراق وهو يرتدي بزة آمر سرب من القوة الجوية البريطانية (سكوادرون ليدر) فتولى هذه المرة رئاسة الاستخبارات للقوات الجوية البريطانية في العراق وجعل مقره في بغداد على طريق معسكر الرشيد، لا في الحبانية حيث تعسكر القوة الجوية البريطانية. فكان مقر دون فيل في بغداد هو مقر الجاسوسية البريطانية علي العراق. وكان دون فيل يتصل بي حين كنت معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات بقصد تبادل المعلومات فيما يتعلق بالاستخبارات.
كثيرون من ضباط الخيالة يعرفون (دون فيل).

عصور الجاهلية الأولى وقبل الرسالة النبوية. فأما الأولى، فكان جزاء أمريء القيس أن مات بأنقرة كمدا. وأما الثانية، فكان جزاء أبي رغال أن رجمه النبي العربي بالحجارة إلى الأبد. بل إنها لخيانة عظيمة: خيانة لا تجيزها مدنية القرن العشرين، ولا تحلها تقاليد الأسلاف الأولين. إنه ليس من الكرامة والعزة، ولا من شهامة العروبة في شيء، أن يترامى الوصي على عرش عربي في أحضان الانكليز، ويتآمرون واياهم على إعداد الثورات ويخدم مصالحهم. وليس في هذا قول من قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

ويدّعون أنهم من آل النبي ثم يفضلون المربية الانكليزية، والحاشية الأعجمية على العربية، وينفرون من التخاطب باللغة العربية ليظهروا بمظهر عصري. وليس في هذا شيء من تقاليد محمد.

لذلك، عدنا إلى ماكنا عليه، وقررنا الاستمرار فيه، فإنه لا أمان للعرب مادام أذناب الاستعمار في البلاد، وأنه لا حكومة إلا التي عليها الثقة والاعتماد. وفي اليوم نفسه، طُلب من طه أن يتنحى عن الرئاسة بعد أن اتضحت المؤامرة، وهكذا، شاء الله أن يبقى كتاب استقالته في الخزانة الحديدية بمقري، لم يرفع إلى الوصي ولم يعد إلى الهاشمي.

التحق جميل بالوصي على طائرة انكليزية، نقلته إلى مطار الانكليز بالحبانية من مكان سري، حطت فيه بجوار الموصل بموجب تدابير سرية قام بها المتصرف تحسين علي. وراح متصرف البصرة صالح جبر، يكاتب العشائر في البصرة والناصرية فيحرضهم على الثورة، وقيل أن محسن أبو طبيخ يقوم في الديوانية، بنفس العمل بالاشتراك مع رايح العطية. وتلقى الشيخ محمود الكردي الأوامر الانكليزية، فهرب إلى السليمانية ليقوم بثورة كردية.

وتم القرار على مايلي:

١- تأليف مجلس للدفاع الوطني ينظر في شؤون المملكة طوال غيبة الوصي.

٢- النظر في أمر الوصي إذا رفض الرجوع عن غيه، وبقي مصراً علي وضعه المخزي في أحضان الانلكليز في معسكر الحبانية.

٣- توقيف صالح جبر وجلبه إلى بغداد، وفصل تحسين علي، وتوقيف محسن أبو طبيخ ورايح العطية وجلب الأول إلى بغداد، وإبعاد الشريف فواز والشريف حسين إلى شرق الإردن، لأنهما جاسوسان للانكليز في البلاط، وفصل باقر سركشك مدير التشريفات في البلاط، لأنه منافق يدعو بالأقلمية العراقية(١) ولا يحمل عقيدة عربية،

(١) سركشك، بلدة في ايران (باقر) منها، ولقبه واسمه يدلان على أصله، واللغة الايرانية هي لغة بيته.

وتعيين نوري بن سعيد سفيرا للعراق في أمريكا، واسناد وظائف مماثلة، خارج العراق، لكل من جميل وجودت، وإبعاد جلال بابان خطيب الانكليز في المجلس.

أما الوجيه السيد محسن أبو طبيخ فهو صديقي وصديق فهمي، ولنا منذ عهد بكر صدقي وقبله ذكريات مشتركة في سبيل العروبة، ويشهد جميل الملقب بالمدفعي، كم رجوته وكم رجاه فهمي أن يطلق سراح البطل العربي الأبي عبد الواحد صقر والسيد محسن أبو طبيخ، وكان بكر صدقي قد أمر بسجنهما لأنه كان يكره فيهما العروبة والإباء، ولكن جميلاً أصر على اطالة أمد سجنها بعد مقتل بكر صدقي، لأنه كان يكره فيهما الانتصار لياسين الهاشمي. لذلك كان عليَّ أن أزيل ما علق بالأذهان عن هذا الصديق، وكان عليه أن يؤيد بدوره حسن ظننا به، وقد كان منه ذلك، وزال سوء التفاهم حالماً التقيت به في دار الوطني العربي العقيد المتقاعد (ك)، وذلك بعد يوم واحد من القرار الذي أصدره مجلس النواب بخلع الوصي عبد الاله باجماع الآراء.

أما السبب في اسناد سفارة العراق بأمريكا إلى نوري فليس بخافٍ عليه. وكان نوري قد وعدنا بذلك، ثم انقلب كالحرباء، وطلب أن يصحبه مفتي فلسطين الأكبر، وتفصيل ذلك أن طه كلفه بالسفارة المذكورة بحضوري وحضور فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب واسماعيل نامق في داره، فوافق نوري، ولكنه اشترط أن يذهب معه مفتي فلسطين، لاعتقاده بأن أمريكا ستضع يدها على تراث بريطانيا بعد خروجها من هذه الحرب، لذلك فإن على العرب أن يكسبوا عطفها، خاصة في قضية فلسطين. ثم عدل نوري عن رأيه بعد خمسة أيام. (راجع الملحق -١٦-)

ملحق رقم -١٦-

يشهد طه الهاشمي واسماعيل نامق واخواني أن نوري قال مرة: - «لو عرفت أن انكلترا سوف تخسر الحرب لكنت أول من يشهر مسدسه ويطلقه على صدر الانكليز، وأول من يعلن عليهم حرباً شعواء».

فإذا كنت تعرف وتقول بأن بريطانيا عدوة العرب، فلماذا تقتل الشباب المثقف الحر لا لذنب إلا لأنهم قاوموا أسيادك الانكليز؟

صدقت يا نوري فبريطانيا هي عدوة العرب وعدوة المسلمين، لكنك كذبت لما زعمت أنك تشهر مسدسك على الانكليز، لأنك لم تشهره إلا على صدور أحرار العرب، كما فعل أسلافك من قبل مع أجدادنا الأحرار.

إن الذين تولوا الحكم والسلطان من بعدنا، ليسوا عرباً يا نوري، وقد كان العراق عربياً في عهدنا نحن، ونحن الذين أنقذنا العروبة من مخالبكم على قلة عددنا. وإنما خشيتمونا لأن قلّتنا غلبت كثرتكم واستطاعت أن تطردكم، لكن الانكليز كانوا يسندونكم من الوراء، ونحن ماكان يسندنا أحد.

أتدري يا نوري كم انتظر العرب حتى كان بينهم مثل صلاح الدين وفهمي والسبعاوي ومحمود وغيرهم من الاخوان الذين حكمت عليهم بالموت شنقاً؟ أتدري يانوري أية مصيبة تحل بالعرب إذا هم فقدوا شبابهم المثقف المدرب؟ كيف ينادي النشء الجديد بالوطنية، وكيف يشعر بالعزة والكرامة القومية إذا شب على تعاليمك ودعا إلى صداقة الانكليز، ورمى ابن العروبة البار بالخيانة والخروج على القانون؟ أو كيف يكون للبلاد جيش وطني إذا سار على دربك، ونادى بصداقة الانكليز وهو في الحقيقة يخدم المصالح الاستعمارية، ويقاوم النزعات الوطنية؟

دمت يا نوري حليفاً لبريطانيا أنت ومن معك، ولأكن ضحية، أنا وغيري من العرب.

رابع عشر :

المنشور والملكة

في السابعة والنصف من مساء الخميس، الموافق ٣ نيسان ١٩٤١ جلس المحاميان (ي) و(ص)، وهما من خيرة الشباب العراقي،في مقر فرقتي بمعسكر الرشيد وفي الغرفة المجاورة لغرفتي، يعدان مسودة المنشور الذي يبسط للشعب الحالة الراهنة، وما نجم عن غيبة الوصي وموقفه المخزي.

وكنت آنذاك أفكر في حل مرضٍ على ضوء المادة السادسة من قرارات ٢٨ شباط. حل يحدٌ من تصرفات الوصي الديكتاتورية التي يقوم بها بدافع من الغرور والدلال اللذين يتأصلان عادة في طباع الأمراء الذين يشبون على تملق حاشيتهم وتزلفهم، حلٌ ينشله من الهوّة المخزية التي تردّى فيها، فأساء لسمعة العرب وتقاليدهم ولآل بيته أيما اساءة. فخطرت لي فكرة تعديل نظام الوصاية على العرش في الدستور، وتأسيس مجلس للوصاية مؤلف من أربعة أشخاص مثلاً والأمير خامسهم على غرار مجلس الوصاية اليوغسلافي الذي يرأسه الأمير بول عم الملك الشاب بطرس. وبذلك تودع السلطة العليا في البلاد بيد جماعة من أخيار المواطنين ذوي الفضل والعقل، وتتخلص البلاد، ويسلم الجيش من ديكتاتورية الفرد وتصرفاته الشخصية ونزعاته الإنتقامية، ثم لايبقى للوصي أو لنوري أو للأنكليز تأثير على قرارات هذا المجلس الديقراطي المثالي الخبير، فتهدأ النفوس، ويطمئن الجيش إلى سير الأمور ضمن نصوص المعاهدة وقوانين البلاد .

تجسّمت هذه الفكرة في مخيلتي، ولاح لي أن أعرضها على سموالوصي فإذا وافق عليها انحلّت الأزمة الراهنة حلاً ناجعاً، يرفع عن كاهله أعباء لا طاقة له بها. واتصلت هاتفياً بقصر جلالة الملكة، اخت الوصي ووالدة الملك الطفل فيصل الثاني، لالتمس من جلالتها أن تدلني على وسيلة لمقابلة الوصي. خاطبني المرافق الأقدم عبد الوهاب عبد اللطيف، فطلبت اليه أن يتوسل من جلالة الملكة الوالدة لتكلمني في أمر يتعلق بسمو اخيها الوصي. وانتظرت فترة وأنا أتضرع إلى الله أن يمدني بعونه لتحقيق ما أقوم به على مسؤوليتي الخاصة دون أن استشير أحداً من اخواني، اذ صح عزمي على مسك المنشور وعدم اذاعته اذا رأيت من

جلالتها ما يشجعني، في أول حديث لي مع سيدة العرب، وعقدت كل آمالي على ذلك.

وجاءني صوت غاضب يصيح:

- ماذا تريد؟

صوت الملكة الوالدة عالية، أم الملك الطفل فيصل الثاني، وزوج الملك غازي ضحية الأنكليز.

قلت:- سيدتي صاحبة الجلالة، أريد أن أكلمك بشأن سمو الوصي واذا ...

- لكن.. من أنت حتى تكلمني؟

- أنا يا سيدتي صلاح الدين الصباغ قائد الفرقة الثالثة.

- ايـ..ـه! ليس لي كلام معك.

وانقطع صوت الملكة، وسمعت الهاتف يطرح بعنف، فاستولى علي النفور والامتعاض، لكني تغلبت عليهما وخاطبت المرافق عبد الوهاب بعد قليل.

قلت: لقد استنكفت الملكة فما كلمتني، وأنا أحاول الوساطة بالخير فيما يتعلق بسمو الوصي، ولن تمر ساعة أو ساعتان حتى يسبق السيف العذل.

وبعد برهة رن جرس الهاتف فالتقطته فاذا المرافق عبد الوهاب يقول:

- جلالة الملكة تكلمك.

قلت: نعم ياسيدتي جلالة الملكة أنا صلاح الدين .

قالت: العفو، فقد كنت متأثرة، لكني أرجو أن يكلمني رئيس أركان الجيش .

قلت: سيدتي، الأمر يتعلق بسمو الوصي، وأنا وسيط بالخير فكيف أتصل به؟

قالت: لا علم لي بمكانه، ولا يمكنني أن أخبرك به، واذا كان لكم ماتقولون فليكلمني رئيس أركان الجيش .

- ولكني يا سيدتي عربي

- نعم، وليكلمني رئيس أركان الجيش .

واتصلت برئيس أركان الجيش سريعاً، ورجوته أن يتصل بالملكة عله يهتدي منها إلى وسيلة للإتصال بالوصي وبعد ساعة كان رئيس أركان الجيش في مقرى بعد أن وقع المنشور الذي أرسل اليه في داره. ولما سألته عما بينه وبين الملكة أجاب: رأيت أن لا استرسل في

محادثتها، فقد لمست في حديثها الغرور وقصر العقل (انظر الملحق - ١٧)

والله لقد خالفت وأخوك وعمك تعاليم القرآن وتقاليد العرب في جميع العصور والأزمان. لكنها مقادير شاء الله أن يراها صلاح الدين واخوانه وكل عربي وطني. وشاء الله أن يذاع المنشور فتتلاقفه الأيدي، وتنشره الجرائد، وينادي المنادي ويردد الشعب شيباً وشباناً:« يسقط الخونة، يسقط عبد الاله الوصي الجاسوس الأنكليزي» كل ذلك وليس للشعب، وليس لنا وإياكم، من ثأر أو عداء أو مطمع شخصي. انها فروض كان لزاماً علينا أداؤها ولزاماً على كل عربيٍّ أبيّ .

وما أذيع المنشور، حتى رست في ثغر البصرة بارجتان انكليزيتان على حين غرّة، فلا استأذنتا ولا اطلقتا التحية،، وقد خرقتا بذلك أصول المجاملات الدولية استهتاراً بكرامة العرب والعراق، ثم جاءنا بعد ذلك نبأ وصول الوصيّ عبد الاله وجميل وجودت إلى فندق شط العرب، بعد أن نقلتهم إلي الشعيبة طائرة بريطانية. وأنَّ متصرف البصرة قام بجمع ضباط حاميتها، وتقديمهم لعبد الاله وأنَّ هذا حرضهم على شق عصا الطاعة، وحثهم على عدم الإمتثال لأوامر مقرّ الجيش في بغداد، ليساعدوه في الحرب الداخلية. فكان جوابهم بالنفي، وأكدّوا امتثالهم لأوامر القيادة العسكرية، ورفضوا الوقوف بجانب من يخون البلاد.

وفي اليوم نفسه، انعقد بوزارة الدفاع في بغداد مجلس حكومة الدفاع الوطني، برئاسة رشيد عالي الكيلاني، وحضره وكيل رئيس اركان الجيش أمين زكي، ومدير شوون الدفاع اسماعيل نامق، ومدير الحركات نور الدين محمود، وقادة الفرق (باستثناء قائد الفرقة الثانية قاسم مقصود لبعد مقره عن العاصمة) واتخذ المجلس المقررات التالية:

١ - تقديم مذكرة إلى الحكومة البريطانية على الفور، بضرورة احترام نصوص المعاهدة، وعدم التدخل في شؤون العراق الداخلية، واحترام الحقوق الدولية، فإن تشجيع الحكومة البريطانية للوصي ولمن لاذ بالمعسكر الإنكليزي من المواطنين، ومحافظتها عليهم في معسكراتها وسفنها الحربية، ووضع وسائط النقل تحت تصرفهم، يتنقلون بها في الأراضي والمياه العراقية سرّاً وعلناً، ومساعدتهم على احداث القلاقل والثورات، وتخصيص محطةً لاسلكّية للبث تنطق بلسانهم، كل ذلك يعدّ تدخلاً شائناً في أمور البلاد الداخلية، لاتقرّه الأصول الدولية، ولا المعاهدة المعقودة بين البلدين، مما يسيء إلى استمرار العلاقات الحسنة بينهما.

٢ - إيفاد قوة إضافية لتعزيز حامية البصرة، لقمع أية حركة من حركات العصيان قد

يثيرها عملاء الإنكليز هناك. وعلى ذلك تحرك لواء المشاة الثاني ولواء مدفعية الصحراء الأول، وهما من قطعات الفرقة الأولى، وعسكرا في منطقة البصرة.

٣ ـ توقيف صالح جبر متصرف لواء البصرة، وجلبه إلى بغداد لأنه قطع الإتصال بالعاصمة.

٤ ـ اطلاق الحرية للوصي على ألاّ يُسمح له بالإتصال مع العشائر.

وأوفد للإشراف على تنفيذ هذه المقرارات، ضابطا ركنٍ برتبة رئيس أول هما محمود الدرة من دائرة الحركات، ومحمد حسن الطريحي ضابط ركن مدفعية الفرقة الثالثة. وقدم لي الطريحي تقريره، فإذا هو طافح بأعمال الوصي وأعوانه المخزية(١)، وانهالت من البصرة الطلبات بضرورة وضع حدٍ لتلك التصرفات، لكني بالرغم من ذلك، طيّرت برقية إلى الطريحي وإلى حامية البصرة، أكدت فيها وجوب الإبتعاد عن كل مايمس بشخص الوصي والذين معه، وإطلاق الحرية لهم، فإنهم لاتأثير لهم ولأعمالهم بعد أن وضحت للشعب حقيقتهم. أما الإنكليز فلم يعدلوا عن تحديهم وعدوانهم، وأخذت محطة إذاعتهم السرية في مطار الشعيبة تذيع باسم عبد الإله ماعنّ لها وطاب من طعن وقدح باحرار العرب وبجيش البلاد.

لم تطل إقامة الوصي في فندق شط العرب، فإنتقل ومن معه إلى إحدى البارجتين الراسيتين في وسط النهر مقابل البصرة، ومكثوا فيها بضعة أيام، ومن حولهم ربابنة البارجتين والكولونيل وورث، وهم يحتسون الويسكي كل مساء تحت ظلال العلم البريطاني وفي المياه العراقية، على مرأى من افراد الشعب والجيش الواقفين على ضفاف النهر وهم يعجبون لصروف الدهر، ويأسفون لحالة رجل ينتمي إلى الدوحة النبوية، ورجال اغتصبوا الزعامة الوطنية، فثبتتها لهم الحراب الأجنبية. أنت ياعبد الإله ثاني من لجأ إلى بوارج الإنكليز من المسلمين، وصاحبك، آخر ملوك بني عثمان، الذي لجأ إلى البارجة الإنكليزية، وقومه يذودون عن الحرية، كفى الله التاريخ بكما، ولم يجعل لكما ثالثاً في المسلمين. وأسفاً عليك إذ كنت عربياً عريق النسب، وأين منك شهامة العرب وأحكام القرآن ، وهل أنت ياعبد الإله أعقل العرب وأتقاهم لتكون مولاهم؟ أم أنك لو جردت من الحسب والنسب، ونزعت عنك الكسوة والمنصب، لغدوت ضعيف العقل واهن الجسم بلا مزية عند العرب؟

ولكن «كما تكونوا يولَّ عليكم». اللهم أعد للعرب إذن قويم الأخلاق، ومتعهم بالاستقلال والحرية، كما أعدتها للأمة التركية التي اتبعت تعاليم الاسلام فطردت السلطان، وكان أقرب

(١) تركت تقرير الطريحي في الخزانة الحديدية في مقر فرقتي ببغداد، وليته ينشر يوماً ليبيّن للملأ مساوئ الوصي وأعوانه، ومدى خيانتهم للبلاد.

إلى الأوثان منه إلى البشر، وأقامت مقامه فرداً عالماً عاقلاً من أفراد المجتمع، عارك الدهر، وخبر الأيام وكان طيلة حياته جندياً. «إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» صدق الله العظيم.

ملحق رقم -١٧-

كانت الطائرات الانكليزية تلقي على قصر الملكة، والمربية معها، الرسالة تلو الرسالة مثلما كانت تلقي الرسائل علي السفارة الانكليزية في بغداد، وأخطأ الطيار الانكليزي المرمى يوماً، فالتقط الرسالة جندي عربي فقرأ فيها ما موجزه:

«اختي عالية: في ١٤ حزيران، ساكون مع الجيوش الانكليزية في بغداد، فالتقي بكم وبالعزيز فيصل – التوقيع: عبد الاله المقيم في معسكر الانكليز بالحبانية».

لذلك، تقرر نقل الملكة وطفلها إلى المصيف الخاص بالملك (مصيف صلاح الدين)، لإبعادهما عن تحكيمات خط دفاع بغداد، صيانةً لها وخوفاً على طفلها من قنبلة تلقيها عليهما طائرة انكليزية لإثارة فتنة في الجيش والعراق، بعد أن يضحى بها وبطفلها مثلما ضحي بزوجها من قبل، فالملكة قد لا تدري أن أخاها كان شريكاً لنوري في الجريمة، وأن أخاها طامع في العرش ليكون ملكاً لا وصياً. وفيصل الثاني قد يكون مثل أبيه غازي وجده فيصل الأول، لا مثل خاله عبد الاله، وأنه قد يثأر إذا كبر، فعلى نوري أن يلحقه بأبيه كي يؤمن على مستقبل وحيده صباح وبنيه.

تذكرت تلك البدوية المتواضعة من أطراف العرب، التي أثارت النخوة في العشائر العربية أيام الثورة العراقية، إذ صرخت ونساء الحي من خلفها يصرخن: «ويلاه ياعرب ويلاه .. أيهتك كوكس حرمتنا؟» فحثت أبناء عمومتها من العشائر العربية في الديوانية على الاقبال بعد أن أدبرت أمام الجيوش الانكليزية بقيادة كوكس طاغية الاستعمار، فكان للبدوية ماتمنت، وجابهت العشائر الحديد والنار في موقعتي العارضيات والنارنجية، وكان النصر فيهما حليف العرب بدلاً من الذل والعار. لم يكن نوري يومذاك حامي بيضة العراق، ولا جعفر ولا جميل ولا جودت ولا بابان لكي يتقلدوا فيما بعد الزعامة، ويتمتعوا بالقصور ويتملكوا الأطيان، ولكن شاءت مقادير الاله منذ عهد العباسيين أن يغرس العرب ليجني غيرهم ثمار غرسهم، لذلك كان مصير أحرار العرب وشيوخها في العراق وسوريا وفي مصر والمغرب الانزواء أو السجون أو

القبور .. وهذا مصير شعلان أبي الجون وعبد الواحد صقر والعظمة.

يا جلالة الملكة: بعد أن سلم نوري مفاتيح العاصمة السورية لغورو، قائد القوة الفرنسية الفاتحة، لما جمعتهما في بيروت مائدة الطعام، فهام فيصل الأول على وجهه طريداً، وبعد أن وقع جدك الحسين في أسر الانكليز بقبرص ولاذ أبوك بالفرار ولم يبقى لكم دار ولا قرار، فتح لكم العراق أبوابه، وتوجكم ملوكاً عليه .. والعراق، هو الذي توجكم عليه لا نوري ولا كوكس الغدار.

ياابنة النبي، تلك البدوية هي التي حققت لك عرشاً، وسلمته لك بدون مقابل أو عوض .. والله لو سرت على نهجها، وفعلت فعلها أنت وأخوك، لما بقي في العراق صعلوك أجنبي، لكن لا عتب عليك، فهذا دأب من جاءه الملك بلا تعب، وكانت حاشيته قليلة الأدب، ومن الأجانب لا من العرب، وانصرف إلى أموره الشخصية. وهذه مساوئ التربية الأعجمية الافرنجية التي تسربت إلى دار فيصل وعلي، فجعلتكم تنفرون من التخاطب بالعربية وهي لغة جدكم محمد، وجعلتكم تطردون من داركم كل عربي قومي.

هل كان أبوك ليرضى بهذا لو كان على قيد الحياة؟ وهل أرضاك وأنت في شرفة قصرك استعراض الجيوش الانكليزية، وهي تتدفق من الهند والبصرة ومن فلسطين والحبانية، وفيها الهندي والانكليزي واليوناني والبولوني، بدلاً من الحجازي واليماني والسوري والفلسطيني والمصري والمغربي والعراقي، وهل أعجبك نشيد أولئك العلوج، فأنشدت معهم نشيد التاج البريطاني (حفظ الله الملك) وقلت معهم سحقاً للقائد العربي صلاح الدين الصباغ، وليحيا القائد الانكليزي المنصور وجيوشه الأجنبية؟ هل أقمت الحفلات والأفراح لأن صلاح الدين راح وحل محله كورنواليس السفاح؟ أم شعرت بمثل تلك البدوية من الفرات؟ أو اختها التي قالت في أيام الجاهلية:

ليت للبراق عيناً فترى ما ألاقي من بلاء وعنا

فعلى من يقع اللوم ياجلالة الملكة الوالدة، يا ابنة قريش؟ ويا سيدات العرب في كل مكان .. ليكن شعاركن الأخلاق القويمة، والعروبة الأصيلة، والوطنية الصادقة، لتجعلن من أشبالكن أسوداً تطهر البلاد من كل أجنبي دخيل، وتثأر لمحمود وفهمي وصلاح الدين ومن مضى قبلهم.

شهادة رقم (11)

في رده على كتاب المفوضية العراقية :

التاريخ ١٩٤١/٧/٩

الى - من خابرني باسم المفوضية العراقية في طهران.

من - العقيد صلاح الدين الصبّاغ قائد الفيلق (القيادة الغربية)

الموضوع - طلب سيارة

كتابكم المؤرخ في ١٩٤١/٧/٨ الموجه اليّ:

اولا - ماهو رقم السيارة التي تطالبوني بها والى من تعود؟ اذ أن السيارة التي في حوزتي تعود الى شخصي، واني لم أجلب معي سيارة تعود الى غيري، فاذا كان لديكم دعوى مقامة عليّ من هذا القبيل فارجو توديعها الى المحاكم الايرانية.

ثانيا - اني لم أتبلغ من حكومتي الشرعية باني مقال أو محال على تقاعد. أو . أو الخ.. واني مازلت ضابطا في الحكومة العراقية الشرعية وأدعى بـ(العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ) ومنصبي الأخير قائد الفيلق (قائد القيادة الغربية) والذي قاتل الانكليز مع حكومته الشرعية دفاعا عن حقوق بلاده ومن ثم التجأ الى ايران وصودرت منه أسلحته على الحدود بموجب الأصول الدولية. لذلك اني لاأعترف بمخابرتكم اليّ، ولا بمفوضية لاتقرها حكومتي التي تعلم أني قائد جيشها من أول يوم تشكل فيه الجيش العراقي.

ثالثا - ان الوصي على العرش العراقي الشرعي وأعضاء حكومتي الشرعية هم الآن في طهران وعليه أرجو اتباع الأصول الدولية. وأن

تتوسطوا الحكومة الايرانية لتوجيه كتابكم الى حكومتي وذلك بعدما اطلعتم اني لست ممن يعترف بغيرها.

العقيد الركن قائد فيلق

(قائد القيادة الغربية)

صورة الى: فخامة رئيس الوزراء السيد رشيد عالي الكيلاني.

وقال الصباغ في دفاعه الاخير امام الاتراك:

ان جيش العراق وشعبه يحبّني ويحب رفاقي الذين أعدموا ويبكيهم حتى تدمى عيونه. والانكليز وأذنابهم، المضرّجة أيديهم بدماء اخواني، يتلهفون قتلنا، لأنهم يعلمون أن الشعب الذي يحبنا لن يطأطأ لهم راسه حتى ولو انتصر الانكليز في هذه الحرب. . أنهم خائفون لأن الجيش العراقي مازال متعلقا بي وبزملائي... انهم يلفّقون ويحتالون ويتلهفون القبض عليّ، فاذا كان لهم ذلك لم يكتفوا باعدامي، ولن يروي غليلهم سوى التمثيل بجسدي، لأنني كنت أقدم رفاقي الذين أعدموا وقائدهم... ان العراق لن يجد من يحل محل أصحابي الذين أعدموا لعشرين سنة أخرى.

ويختتم صلاح الدين الصبّاغ دفاعه المجيد بهذه العبارة الرائعة: لادراهم عندي لتوكيل محام.. وليس ورائي حراب انكليزية تحميني.. ولا أية قوة أخرى الا الله، وعدالة قضيتي التي فديتها بكل شيء...

خامس عشر:

خلع عبد الاله وغدر الانكليز

هكذا، احتضن الوصي نوري وجميل وجودت، ومثّل دور الديكتاتور مستغلاً منصبه وتراث أجداده للإيقاع بقادة الجيش من أبناء قومه. وأثيرت قضايا نوري وشرّع بتطبيق حلولها وفق تعاليم نيوكمب - فاستقال رشيد عالي الكيلاني بسبب ديكتاتورية الوصي يوم ذهب إلى الديوانية، وأقصى صوته الذي كان يصيح في مجلس النواب بأنه ليس مناوئاً للانكليز، لكنه يريد أن يطبق المعاهدة بالنص والحرف.

أما وزارة طه الهاشمي التي جاءت على أعقاب وزارة الكيلاني، فقد كانت ضعيفة أمام جميل وجلال بابان وعلي جودت الذين حملوا على الجيش في خطبهم، كما أنها لم تستطع أن تحدّ من جبروت الوصي، أو تكبح من جماح ديكتاتوريته، أو تخفف من حدة خصومته وجامَ غضبه الذي صبه على قادة الجيش. بل إنها لم تتمكن من تهدئة أعصاب الوصي التي أثارها تحريض الانكليز وأذنابهم من الوزراء والدساسين من حاشية القصر الذين ناصبونا العداء لأننا قاومنا بكر صدقي، وقد كانوا يؤيدونه(١) أو لأننا عرب، ندعو إلى عروبة العراق، وهم أعاجم اقليميون يبشرون بمبدأ العراق للعراقيين.

هذا التحريض، وهذا الدس، هوّل أمرنا على الوصي، وأثار كبرياءه علينا، وجعلنا في نظره قتلة سفاحين. فاختلق علينا وافترى، وأظهر الخوف من الحركات التي تقوم بها وحداتنا العسكرية أثناء تدريبها اليومي في منطقة الوشاش وأم الطبول، أو في منطقة المعسكرات، لذلك رجانا طه أن نكف عن اجراء التمرينات هناك، وأن نمتنع عن اصدار أمر الانذار لأن الوصي يعد ذلك تهديداً موجهاً إليه بالذات. فاستعذنا بالله ثم بطه من الاختلاف ومن وساوس الوصي، وتوسلنا إليه أن يجمعنا بالوصي ليشملنا بحلمه ورضاه، وليزيل سوء ظنه بنا. لكن الوصي، المستجد في مهنته الذي لم تمض عليه في الوصاية إلا سنتين، بقي على اصراره، وأخذ يضغط على طه بغرور وكبرياء لتشتيتنا وأقصائنا عن مسلكنا الذي نشأنا فيه منذ نعومة أظفارنا، ونحن على دأبنا أوفياء لمهنتنا، مخلصين في واجبنا الذي تفرضه علينا مراكزنا

(١) مثل المرافق الأقدم المقدم عبد الوهاب عبد اللطيف.

وعقائدنا وتقاليدنا، يشهد الله أننا لم نفكر يوماً بأن نناصب عبد الاله العداء، أو بأن نثير علينا خصومته، أو بأن نمس كرامته أو كرامة آله بسوء. يشهد الله أننا بقينا على ذلك طوال وجودنا على رأس الجيش. ولكن شاءت إرادة الله أن نبتلي بخصومة الوصي العامدة، فراح يتحين الفرص للايقاع بنا، ولو كان ثمن ذلك أن يرتمي في أحضان الانكليز. وراح يقول، في الخطاب الذي ألقاه بعد عودته إلى بغداد، إن الله لطف به وأنقذه من أيدينا بأعجوبة، ولولا تلك الأعجوبة لفتكنا به. إنه يفتري في هذا القول ليستر عيبه، وليبرر ارتماءه في أحضان الانكليز، فيضلل الشعب عن الحقيقة، ويخفي عنه ما كان مقرراً من خطط وتدابير لا يليق بأمير عربي أن يقوم بها، ولا تليق بآل النبي(١) إنه والله ما كان مكرهاً ولا مطارداً ولا مطروداً، وما كان عند عمته الأميرة صالحة، ولا عند العشائر من بني جلدته في الديوانية، ولا في الموصل ولا في الناصرية، لأنه يتحاشى الاتصال ببني قومه، ويتعمد الحط من كرامتهم، ويتقصد مخالفة تقاليدهم، ظاناً أنه يفرض شخصيته على الشعب بالغطرسة والكبرياء، بدل التودد والاسترضاء، ليذل الشعب بالمستعمرين الذين يدين لهم بالولاء. أنه كان في الحبانية، مرتمياً في أحضان الانكليز، لا خائفاً، بل عامداً، فقد جاد دورهم للادلاء بدلوهم، فنقلوه وجماعته من معسكرهم بالحبانية إلى معسكرهم بالشعبية على متن طائراتهم، ثم نقلوهم إلى بارجة، يرفرف عليها العلم البريطاني، قصدت البصرة من عرض البحار، ترافقها بارجة اخرى، فرستا في الميناء العراقي بدون علم السلطات العراقية، وبدون اطلاق التحية، ليثير الوصي حرباً داخلية، يتذرع بها الانكليز للتدخل في شؤون البلاد، كما فعلوا في ثورة عرابي المصرية، ثم لينتقل بعد ذلك إلى فلسطين فيتعاون مع الانكليز في الحرب وفتح البلاد، كما يفعل راجات الهنود. ولولا الزور والافتراء لما وجد الانكليز سبباً يبرر اعتداءهم علينا ونحن أبرياء.

---

(١) يقول المثل« كلام الملوك ملك الكلام» لكن الأغراض تعمي البصائر. والأمير عبد الإله لا يتورع عن الكذب الذي لايناسب مقامه وسمعة آله. فالشعب العراقي بأسره يعلم أنه كان في أحضان الأنكليز وأنه كان يتنقل في طائراتهم من الحبانية إلى الشعيبة إلى البارجة الراسية في ميناء البصرة ثم إلى فلسطين. ويقول الأمير عبد الإله في خطابه أنه اخترق الحصار بلطف الله، وإني لأعجب كيف استطاع أن يخترق الحصار إذا كان قصره مطوقاً، ولو كان هنالك حصار، لما تمكن الوصي من الذهاب إلى دار عمته الأميرة صالحة الواقعة في الرصافة فيعبر الجسور تحت سمع الجيش وبصره، الجيش الذي زعم أنه يخشاه. لكن الجيش بريء والله، وقول الأمير زور والله، فإن الجيش لو أراد به سوء لأصدر الأمر إلى حرس القصر بإلقاء القبض عليه مباشرة، ولما فسح له المجال لأن يغادر القصر بسيارته. لكن الأمير شاء أن يتطرق لمواضيع يعرفها الشعب ثم أراد أن يسترها بالتلفيقات كما كانت عملية اغتيال غازي. إن الذي يتولى زعامة قومه بالحراب الأجنبية هذا رأيه.

من ثعالبة الانكليز ومستعمريهم الدهاة (ادمونس)، فهو خليفة كوكس ولورانس وصنو كورنواليس ونيوكمب(١) حرصت بريطانيا على ابقائه في العراق، واصرت على تعيينه مستشاراً خاصاً لوزارة الداخلية، ونديماً لباقي الوزارات العراقية، بصرف النظر عن تطور الظروف السياسية. يدّعي ادمونس أنه صديق الكيلاني بالزمالة والاختصاص: لأن الكيلاني تولى وزارة الداخلية عدة مرات، ولما له من خبرة في شؤون البلاد الداخلية.

جاء ادمونس يوماً، فأكد للكيلاني بشرف بريطانيا العظمى، أن حكومته لا تنوي شراً، وأنه سيقوم بإزالة ما علق بالأذهان، في المحافل البريطانية، حول الكيلاني والحكومة والجيش. وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا وافقت على إخراج عبد الاله من العراق، وإنها ستعلن اعترافها بحكومة الكيلاني فور اقتراع المجلس النيابي على خلع عبد الاله عندما ينتخب خلفاً له، وأنها لا تصرّ على طلباتها التي نجم عنها سوء التفاهم، وتود أن تقف عند حدود المعاهدة مع العراق الخ ..

رأيت رشيد عالي الكيلاني يشيّع ادمونس إلى باب قاعة الرئاسة، وكان قد دعاني لمقابلته، فصافحني وهو يكاد يطير من الفرح وقال:

-لقد انفرجت الازمة ياصلاح الدين، والحمد لله. لقد وعدني ادمونس وعد صدق، ولست أظنه كاذباً أو مخادعاً فهو صديقي.

وبالفعل، انقطع صوت الإذاعة البريطانية السرية في تلك الليلة بالذات، ثم أتانا، في صباح اليوم التالي، نبأ وصول عبد الاله وجماعته أرض بيت المقدس على متن طائرة بريطانية.

اجتمع مجلس النواب، وقرر بإجماع الآراء، خلع الوصي عبد الاله، وانتخاب الشريف

(١) يقال أن نيوكمب صديق العرب مثل لورانس وأنه يدافع عن حقوقه مثلما دافع لورنس عنها وعن قضية الحسين، ذلك الدفاع الذي قطع أوصال البلاد العربية وجعل الحسين شهيداً لقضية فلسطين. جاء هذا الأنكليزي من لندن إلى بغداد ليجتمع بنوري وجميل وجودت وعبد الإله سراً، لا ليجتمع برئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني واقيمت على شرف نيوكمب الحفلات والضيافات فلم يبق جاسوس بريطاني لم يدع إليها، ثم عاد نيوكمب إلى لندن بعد أن زود هؤلاء الجواسيس بالتعليمات السرية وهو على تمام الثقة بأنه قد توصل إلى القضاء على الجيش وأن المسألة العراقية قد انتهت وكان لنوري من بعدها أن يتشجع ويقول:(يا صلاح الدين برأسك صوت سوف تصيحه لكن سترى ما سيجري بالعراق).

أما أدمونس فيزعم أنه خليفة (الميجر صون) لبعث الأمة الكردية وأنه كان حريا به أن يكون كردياً لولا أن الأقدار أخطأت فولدته أمه انكليزيا! يجيد أدمونس اللغة الكردية وله شغف كبير بالقضية الكردية مثل شغف بلفور بالقضية اليهودية، على أن المقصد الحقيقي هوالإضرار بالعرب والأكراد وليس المصلحة البريطانية فقط.

شرف وصياً(١) فاستبشرت البلاد، وحمدنا الله على إخفاق المؤامرة الثانية، وانقطاع دابر المؤمرات السرية كلها. ولكن فاتنا أن بريطانيا قد عقدت النية على أخذ العراق على غرة والفتك به. فاتنا أن تاريخ بريطانيا ملئ بالمظالم، وأن شيمتها الغدر لكسب المغانم، وأنها شاربة دماء الشعوب المسالمة البريئة.

ذلك، أن قسماً من الجيش العراقي، كان يرابط في منطقة الفلوجة وسن الذبان بقيادة فهمي سعيد، وفي ليلة الجمعة، أي قبل أن يغدر الانكليز بالجيش العراقي والعرب بليلة واحدة، جاءني المقدم الركن حقي عبد الكريم، وأخبرني أن مكالمة هاتفية جرت بين معسكر الانكليز في الجبانية وبين السفارة الانكليزية في بغداد، جاء فيها أن المستر بيلي سيعقد قرانه على مس كور نواليس غداً. أما المستر بيلي، فهو مفتش في دائرة البرق والبريد يقال أنه يهودي، وأما مس كورنواليس، فهي ابنة السفير الأنكليزي في العراق الذي تم تعيينه خلال الحودث الأخيرة. وأما عبارة Will engaged فمعناها باللغة العربية عقد قران، ولكن معناها بالاصطلاح العسكري الالتحام أو الهجوم. ولما كان غير معقول أن يعقد قران المستر بيلي هذا، على ابنة كورنواليس في ذلك الوقت، والانكليز يسحبون نساءهم من العراق، ويبعثون بهن إلى البصرة ومنها إلى الهند، فقد كانت هذه الاشارة واضحة على غدر الانكليز. لذلك اخبرت فهمي بالأمر فوراً، واوضحت له اعتقادي بأن الاشارة تدل على أن الانكليز يبيتون شراً، وانهم سيقومون بالهجوم. كما اخبرت رئاسة أركان الجيش بذلك.

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة الموافق ٢ مايس ١٩٤١، طبقً الانكليز مافُطروا عليه من وحشية تجاه الشعوب الضعيفة، فغدروا بالعراق وجيشه المسالم، وقصفوا المعسكرات وأراقوا الدماء، بلا سابق انذار، ألا ما أوحشكم يابني سكسون، ماأوحشكم مع العرب خاصة، أما تأكيد ادمونس وشرف بريطانيا العظمى فقد ذهب أدراج الرياح.

مضت على عبد الاله وأعوانه بضعة ايام وهم في شرق الاردن، ثم جاء منه هاتف يريد مخابرة أخته الملكة في قصر الزهور، فأذنت له بذلك. وجاء المقدم الركن حقي عبد الكريم مسرعاً وقال: اقترح ياسيدي قطع الاتصال بين قصر الزهور وخارج العراق في مثل هذه الظروف، فسألته: ولماذا ياحقي؟

قال: بعد أن خابر الوصي أخته، وطلب إرسال ملابسه العسكرية والمدنية، خابر الآنسة الحيدرية، ووعدها بقرب اللقاء في العراق، أما الآنسة، فقد طلبت من الأمير أن يبر بالوعد، وهو

---

(١) الشريف شرف من أولاد عون وهو في السبعين من العمر. تجدر الملاحظة هنا أن المجلس النيابي قرر خلع عبد الإله باجماع الآراء لا بالأكثرية.



الأمير سيبرُّ بوعده . . وهو تعليق أربع ضحايا على باب وزارة الدفاع . .

تعليق أربع ضحايا على باب وزارة الدفاع عربون الحب والإتفاق.

قلت: كلا، لاتمنع القصر من الإتصال بمن يريد، وأخبر دائرة المراقبة بذلك.

عاد حقي بعد قليل، فأخبرني أن الآنسة الحيدرية اتصلت بالآنسة مآرب بنت الدكتور سامي شوكت، فبشرتها بقرب العودة (لم تذكر الوصي)، وأنه وعدها بتعليق الضحايا (لم تذكر العدد ولا وزارة الدفاع). وفات الحيدرية أن المراقبة كانت تصغي، وهي تخاطب عبد الاله.

سألت حقي عبد الكريم وأنا اتجاهل: وماذا وراء هذا اللغز إذ يقولون بتعليق الضحايا الأربعة على باب وزارة الدفاع؟ ولماذا على باب وزارة الدفاع بالتخصيص؟

أجابني: هذا واضح ياسيدي، فالضحايا أربعة من العسكريين.

قلت: ولكن، مابال هؤلاء النسوة وأهلهن يتدخلون فيما لا يعنيهم، وهم جميعاً يسرحون في قصورهم ويمرحون، ونحن ليس بيننا وبينهم عداء سابق.

قال: أنتم ياسيدي تجاهرون بعروبتكم، وهذا لايرضي الآنسة الحيدرية التي نشأت على التربية الانكليزية، والتي تطمع بأن تكون (وصية). واقترح إتخاذ الإجراءات بحق هؤلاء الخونة

وأهلهم حالاً، واتباع قول الشاعر: «إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا».

قلت: لا ياحقي فالانكليز ذنب الأفعى، والانكليز رأسها. لا العربي ولا أي مواطن عراقي. إننا لو قضينا على هؤلاء، الساعة أو من قبل، كما تفعل الأمم المستقلة، لقضي على العشرات كل يوم، فلا ينتهي الأمر إلا بازدياد الضغائن والاحقاد، ومن السهل أن يقوم خائن إذا مات خائن مادام الانكليز في العراق، فالانكليز هم السبب، لولاهم لما كان نوري ولاعبد الاله ولامن لف لفهما. الانكليز هم الأصل والخونة فروع لهم، وأنت مهما قطعت من الفروع نمت مكانها أخرى، لكنك إذا تخلصت من الأصل ذوت الأغصان وانقطع دابرها.

وما انصرف حقي حتى رن جرس الهاتف، فسمعت صوت طه الهاشمي يقول: صلاح الدين أصحيح إنكم تريدون بأعضاء وزارتي سوءاً؟

قلت: وكيف سوغت لك نفسك أن تسألني مثل هذا السؤال ياسيدي؟ وهل عرفت عنا أننا مجرمون، أم عهدت فينا الحطة في الأخلاق وأنت مطلع على سرائرنا؟

قال: لا يساورني شك فيما تقول، لكنها إشاعة راجت فبلغت سمعي. فهل جَدَّ جديد بينك وبين توفيق السويدي؟

قلت: قاتل الله المغرضين وشيعة الأجانب وأذناب المستعمرين، ليس بيني وبين السويدي أو غيره من عداء، وما أرجو إلا أن يقينا الله شرهم. إن السوء ياسيدي من شمائلهم، فإنهم لو أفلحوا لما عفوا عنا، لكنه ليس من شمائلنا ولن ينالهم منا الا الخير، فلتهدأ نفوسهم لأنهم في حرز حريز. ووالله لقد تأثرت لأنك تطرقت إلى ذكر هذا الأمر وأنت أعلم الناس بحقيقتي.

قال ضاحكاً: أشكرك ياصلاح الدين. وودعني.

وشاء الله أن لا ينقضي شهر واحد حتى يعود عبد الاله وجميل وجودت إلى الحبانية، فيهيئون للقيادة الانكليزية طرق التجسس، ويكتبون المناشير، ويرشدون الانكليز على نقاط الضعف في صفوفنا نفعاً لخططهم الحربية، ويخبرونهم عن دار صلاح الدين الصباغ أين تقع لتصليها طائراتهم برشاشاتها، فتصاب امرأة وطفلها بطلقة نارية، كل هذا وعوائل عبد الاله وجميل وجودت يسرحون في القصور ويمرحون في حماية صلاح الدين واخوانه، وفي حرز الشيمة والشهامة العربية(١).

(١) فمن هو الدخيل يا جميل؟ أهو أنا لأن والدي سوري عربي ووالدتي موصلية، أبوها كرخي من عقيل نجد؟ أم أنتم الدخلاء يا نوري ويا جميل، اذ انتما من أبوين لا يعرفان العربية. وأبوك يا جميل مثل أبيك يا نوري . . كلاهما ليس عراقياً.
لقد طرقتما هذا الباب فحق عليكما الجواب.

وشاء الله أن أكون، بعد شهرين، في إيران دخيلاً في وطن باقر سركشك، وأجداد نوري وجميل، اقرأ نص حكم الإعدام الصادر علي وعلى اخواني، وأنا في زي درويش اتوكأ على عصاي، وأقطع سهول تبريز وجبالها المكسوة بالثلوج، وتقفو أثري الجيوش الانكليزية والشيوعية ومن يواليهم من العلوج. لا جديد تحت الشمس ياهؤلاء، وليس ثمة مايثير العجب إذ حكمتما علينا بالشنق، فأنتما اليوم على غرار أسلافكما بالأمس، تريدان أن يخلو لكما الجو كما خلا لهم زمن العباسيين، واحكامكما هذه شهادة خالدة عليكما. (انظر الملحق -١٨-)

أياك ادعو أيها العربي فاستيقظ واتعظ.. أترى بين من حكم عليهم بالإعدام أعجمياً غير عربي؟

إصغَ اذن أيها العربيُّ وارجع إلى تاريخك، وتأمل في قول من قال: «ماحن أعجمي على عربي، لا وربِّ الكعبة».

وردد أيها المطرب البغدادي محمد القبنجي:

زرعت المجد في وطني وغيري قد جنى الثمرا

ذلك لأن صلاح الدين واخوانه يقولون:

ولي وطن آليت ألا أبيعه وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا

بلادي، بلادي، ليتني أراك سعيدة أبية، طاهرة نقية، وقد خلت لاهلك الدار، وطهرت ربوعك من دنس الأجنبي والاستعمار.

أنت عزيزة يابلادي وإن جُرْتِ عليَّ، وليس لي من بعدك دار ولا قرار. أنا يابلادي لا أؤمن بمبادئ الانكليز والألمان، ولا بمبادئ الروس والطليان، فمبدئي العروبة وأنا عربي عربي. فلماذا يصبح الأجنبي حاكماً، والصهيوني أصيلاً، ويعد ابن الصباغ دخيلاً؟

هل كذب التاريخ؟ أم أن العرب اليوم غير العرب بالأمس؟

لابل «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» صدق الله العظيم.

ملحق رقم -١٨-

ترجمة عن جريدة (اطلاعات) الإيرانية –

العدد ٤٧٦٢ تاريخ ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٤١

صدور الأحكام في بغداد على رشيد عالي وصحبه

بناء على الأخبار الأخيرة من إذاعة بغداد، كانت قد تشكلت محكمة عرفية عسكرية لمحاكمة رشيد عالي وصحبه. وقد صدرت الأحكام على رشيد عالي والمتهمين الآخرين.

وقد جاء فيها الحكم بالإعدام على رشيد عالي، ووزيرين من وزرائه، وأربعة من ضباط الجيش، منهم الجنرال أمين زكي رئيس أركان الجيش العراقي، كما جاء فيها الحكم بمصادرة أموالهم ووضعها تحت تصرف الحكومة. ومن بين المحكومين بالإعدام وزير العدل في وزارة رشيد عالي، واسمه (علي محمود) ومعاون رئيس أركان الجيش، الجنرال صلاح الدين الصباغ، واللواء محمود سلمان، أما باقي صحبه، فقد صدرت عليهم الأحكام بنسبة الجرم، وهي تتراوح بين سنة واحدة وخمسة عشر سنة.

ولما كان عدد من المحكومين خارج العراق، فقد جرت محاكمتهم غيابياً. أما أمين زكي رئيس أركان الجيش، فقد خفض حكم الإعدام الصادر عليه إلى السجن المؤبد، بعد أن ألقي القبض عليه في طهران، وأرسل منها إلى بغداد. وأمين زكي مسجون الآن في بغداد.

أما رشيد عالي، فقد غادر أنقرة، وهو يقيم الآن في برلين. وقد ذكرنا هذا في عدد سابق.

هذا، ومازالت المحكمة العسكرية توالي عقد جلساتها لمحاكمة باقي صحب رشيد عالي، واصدار الاحكام عليهم كل بنسبة خطورة جرمه.

وقد حكم على ناجي شوكت (وزير الدفاع في وزارة رشيد عالي) بالسجن خمسة عشر عاماً. وهو الآن في تركيا.

شهادة رقم (12)

الحـــــوار الأخـــــير

بين الوصي عبد الإله وصلاح الدين الصبّاغ قبل تنفيذ الإعدام

عبد الاله : هل يعجبك حالك الآن .؟ وهل هذا هو المصير الذي تتمناه وتسعى اليه..؟

صلاح الدين: نعم.. يعجبني حالي الآن! وأنا لست نادما على مافعلت.. ولست أسفا على شيء.. ولو أعاد التاريخ نفسه، ووجدت نفسي في نفس المركز الذي كنت احتله وعلى عاتقي نفس المسؤليات، لما ترددت في القيام بنفس العمل... ان ضميري مرتاح تماما لأنني أعتقد بأنني قمت بواجبي خير قيام لنجاة وطني وعروبتي..

عبد الاله : هل عندك حديث أخير تريد أن تقوله لي قبل إن تموت.

صلاح الدين : انني أخاف عليك من نفس المصير..(!!!) وليس عندي سوى هذا التحذير أسوقه اليك ياعبد الاله...

ونشرت جريدة الأخبار الصادرة في بغداد يوم ١٧ تشرين الأول عام ١٩٤٥ تحت عنوان "اعدام صلاح الدين الصبّاغ": في الساعة الرابعة من صباح أمس (١٦-١٠-٤٥) نفذ حكم الاعدام شنقا بالعقيد صلاح الدين الصبّاغ، وقد أعدم علنا أمام وزارة الدفاع وبقيت جثته معلقة حتى الساعة التاسعة ..

وصلاح الدين الصبّاغ هو العقيد الرابع الذي يعدم لاشتراكه في معركة ١٩٤١ أما الثلاثة الذن سبق أن أعدموا فهم العقيد الركن كامل شبيب والعقيد الركن فهمي سعيد وعقيد الجو محمود سلمان.

"ونفذ حكم الاعدام به بناء على محاكمة ، فقد حوكم أثناء غيابه والحكم الغيابي يكتسب الصفة القطعية بعد مرور ستة أشهر من تاريخ صدوره، ولذلك

صدرت الارادة الملكية بتنفيذ حكم الاعدام فيه ونفذ أمس...

وأشرف على تنفيذ الحكم مدير الشرطة العام ورئيس المجلس العرفي العسكري والمدعي العام ومدير سجن بغداد وطبيب السجن ، وقامت بالتنفيذ مديرية السجون وكان المحل محروسا من قبل حرس الجيش والشرطة . .

ووضعت على صدره لوحة فيها اسمه وملخص الحكم الصادر عليه من المجلس العرفي العسكري والمادة التي حوكم بموجبها وهي ٨٩(أ) من قانون العقوبات البغدادي، وهي تطبق بحق كل من شهر سلاحا بوجه دولة بالاتفاق مع دولة أخرى...

ثم تناولت الصحيفة تاريخ حياة البطل الشهيد محاولةً أن تجد ثغرة لتطعن البطل، وترضٍ عبد الاله ونوري والانجليز وعندما عجزت قالت تحت عنوان. . . معتد بنفسه. . . " وكانت التقارير الواردة عنه من انكلترا والهند عن دراسته هناك جيدة، وقد اكتشف فيه آمر الدورة في كمبرلي بانكلترا اعتداده بنفسه وتدخله فيما لايعنيه، فقال عنه في تقريره: "صفته الظاهرة ثقته بنفسه واعتداده بها، واستعداده لابداء رأيه في أي مسألة يجري البحث فيها.. ولا ريب في أن هذا هو الذي قاده الى هذه الخاتمة التعسة..."...!!!

الفصل الرابع

العدوان الانكليزي على العراق عام١٩٤١
الحرب العراقية الانكليزية

لقد فرض الانكليز علينا القتال، فوقفنا بوجه العدوان، لنعلن للعالم أجمع، أن الأمة العربية لا تقبل الاستعمار، ولا ترضخ لجور الإنكليز، وترفض تقديم فلسطين العربية للصهاينة.

- *دور الإنكليز والحالة المعنوية في العراق*
- *قواعد الإنكليز في العراق*
- *من وقائع قتالنا مع الإنكليز*

أولاً:

دور الإنكليز
والحالة المعنوية في العراق

للإستعمار أساليب لايدركها إلا من احتك بالمستعمرين، أو ألمّ بعض الالمام بالطرق التي ينتهجها الفاتحون لاخضاع قوم لا يمتّون إلى عنصرهم، أو تهيأت له فرص الدرس في المعاهد العسكرية العالية الإنكليزية، أو وقف على اسرار دوائر استخباراتهم ـ فإنه لا بد مدرك أن للاستعمار اساليب جاء ذكرها في الآية: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون»... وكذلك يفعل المستعمرون، من إنكليزوفرنسيين، أو طليان وأسبان، وكل مستعمر على شاكلتهم.

شاء الله أن يبتليني يوماً، فأوقعني بيد جبار كان يكرم مثواي لغرض في نفسه، وهو قادر على قتلي بلحظة، وطي سجلي من عالم الوجود متى أراد، فلا يسأله عني سائل. وكان قد أطلع على أمري بعد أن ألقى علي القبض وأنا أجوب الفيافي والقفار النائية، وأطارد في سبيل بلادي ولا نصير لي إلا الله.

كنت مستسلماً لمشيئة الله عندما جاء يوماً، فعرض على عرضاً، قال إنه لن يعلم بأمره غير الله ورئيس دائرة الإستخبارات في حكومته. فإن قبلت العرض، أنقذت نفسي من الموت، وكسبت متاع الحياة الدنيا وزينتها، وعفا عني الإنكليز وأعوانهم. أما فضائل الأخلاق فأفقدها، وأما راحة الضمير فأضيعها، وأما عند الله فأكون ملعوناً إلى الأبد.

سألته: ـ لماذا وقع اختياركم عليّ لمثل هذه المهمة، وهي لاتتفق مع سمعتي ولا مع عادتي.

فأجابني: - أتقول هذا وأنت العسكري الذي شغل المناصب العالية؟ ألم تتح لك تلك المناصب أن تعلم بأنك، ومن ماثلك أو علاك منصباً وسمعة وجاهاً،هم الذين يجب أن يقع الإختيار عليهم، وهم الذين يُقَدَّمون على العامة، ويُفَضَّلون على الصغار الذين لا شأن لهم في

بلادهم ولا مركز، لأنهم يتوصلون بما لهم من جاه وسمعة عند قومهم إلى إعتلاء أسمى المناصب والإختلاط باسمى الطبقات، ويتمكنون من التأثير على مرؤوسيهم وعلى سواد الشعب.

قلت: ـ ولكن كيف تثق بي؟وما الذي يضمن لك بقائي على العهد إذا ما أفلت من قبضتكم، وبلغت مكاناً أميناً فلا تدري أين أنا ولا تسمع من خبري شيئاً؟

قال: ـ هناك قيود معينة تفرض عليك، فإذا تحديتها أو خرجت عنها لقيت حتفك.

وهنا، مرّ أمام عيني شبح نوري، وتذكرت خطابه في مجلس الأعيان لما اشتدت الأزمة وألح الإنكليز في طلباتهم التي فرضوها، إذ قال: «إني أشعر بدنو أجلي». فتعذر علينا تفسير قوله هذا، ولم نتمكن من الإهتداء إلى الأشخاص الذين كان يخشاهم، فقد كان يعلم أن الجيش بعيد جداً عن التدني لإغتياله أو لمس كرامته بأذى.

ثم مر أمامي شبح الأمير عبد الإله، وتذكرت يوم كنا في قصره نحاول تقبيل يده، ومعنا أمين زكي، قبل ذهاب سموه إلى الديوانية، وإكراه رشيد عالي الكيلاني على الاستقالة، إذ قال: - «نحن آل البيت، كتب علينا القتل والتعذيب» فتساءلنا ممن يخاف القتل والتعذيب وهو يعلم أننا من عشيرته واخوانه؟ لعله كان يخاف الذين قتلوا غازي؟ الله أعلم بذلك.

ولزمت جانب الصمت، وناجيت نفسي قائلاً:

- أهذا ما كتبت علي يارب أن أسمعه وأنا في محنتي.

فأعاد علي السؤال: - «ماذا تقول»؟

قلت: - والله لا أدري ماذا أجيبك الآن.

قال: إذن، أعمل فكرك، وأجمع رأيك وسأراك بعد ثلاثة أيام.

وبعد ثلاثة أيام، كنت هائماً على وجهي، وقد منّ الله علي فأفلت من قبضة الجبار بأعجوبة، ولم يظفر مني بشيء والحمد لله، لأني كنت صادقاً والصدق أنجى والله يحب الصادقين. وسوف أعود إلى ذكر هذه الحادثة بالتفصيل في كتاباتي القادمة إن شاء الله.

هذا هو الأسلوب الذي اتبعه الانكليز في العراق، منذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى الآن وانكلترا أدهى الدول الاستعمارية في هذا المضمار. ولم يتبع الاستعمار هذا الاسلوب إلا بعد أن اصطدم بإباء شعب بكرٍ، عاش تحت راية الإسلام، و آمن بمبادئه السامية متمسكاً ببعض التقاليد والسجايا العربية العريقة، فقد كانت العزة القومية من شيمة أهل العراق، وكانوا يترفعون عن مخالطة الأجنبي الغاصب أو التعاون معه، وكان الأنانيون من

رجالات العراق الطامعون بجر المغانم، لا يجرؤون على مد أيديهم للمستعمر، بالرغم من العطاء الذي بذله لهم، والسلطان الذي أغراهم به ليستميلهم، وليسيطر بواسطتهم على بني قومهم.

إذ ما كاد عمال الانكليز وصنائعهم يندمجون في صفوف الزمر الوطنية، إثر تتويج فيصل الأول (المنكوب من الفرنسيين والانكليز) ملكاً على العراق، حتى رأينا الشقاق والنفاق يدبّان في صفوفهم، وإذا بهم يتسابقون إلى خطب ودّ الانكليز، فمن فاز بودّهم كان المبرِّز في حلبة السباق.

وما كاد الانكليز يرمون لعمالهم وصنائعهم بالعظام الفارغة، وبفتات المائدة التي احتوتها المعاهدة العراقية الانكليزية، حتى رأينا الأخ يكيد لأخيه(١) ويريد به شراً، فساءت نوايا المسؤولين، واستسلموا للأنانية والغواية، فطاب المقام للانكليز، ونالوا المديح والإكرام.

ودامت الحال على ذلك حتى دهمتنا الحرب الحاضرة، فإذا من بالعراق من رجال مدنيين أو عسكريين، قد شغلهم التناحر والتباغض، وتوكأ معظمهم على الانكليز. وإذا بأساطين الرتل الخامس، قد احتضنوا الملك الطفل في البلاط، وانبثوا في الوزارات ودوائر الدولة، وتوزعوا في صفوف الجيش والمدارس وفي أنحاء البلاد. وأغلب هؤلاء اعتلوا المناصب بتعاونهم مع الغاصب.

أما الطبقة الوسطى والعامة من أفراد الشعب، والبقية الباقية من زعماء الثورة العراقية، فقد كانوا هم الوطنيون، لذلك، تنكر لهم القائمون على الحكم، ونفر منهم أولو الأمر في الجيش، وكانوا يرمقون الحكومة والجيش بنظرات التهكم لأنه جيش الشريف فيصل، وما فيصل وحكومته وجيشه إلا آلات مسيرة يديرها الأجنبي كيف ومتى شاء، شأن الراجات في المستعمرات.

فلما كانت واقعة الآشوريين، وقفت الحكومة موقفاً حازماً، وتصرفت كما تتصرف الحكومات المستقلة فأوقفت الأجنبي عند حده، لأن الحكم كان بيد حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي، ولو كان الحكم بيد نوري وأمثاله، لما استطاعوا أن يقفوا موقفاً مثله. فلما أحرز الجيش النصر على الطامعين ببلاده، تعلقت به القلوب واطمأنت إليه النفوس، ثم أقبل الشعب على الجيش بكليته بعد أن قتل بكر صدقي، فأولاه ثقته وأناط إليه أمر رعايته. فقد أدرك الشعب أن الجيش وحده هو موضع الثقة في الملمات، وأيقن أنه هو الراعي الذي يصدّ العابثين بأمور البلاد، ويقف بوجه تصرفاتهم الديكتاتورية.

---

(١) كما كاد توفيق السويدي صنيعة الأنكليز لأخيه ناجي عدو الأنكليز.

والحكم في العراق دستوري ديموقراطي في ظاهره، وهذا مايراه الزائر الأجنبي في المراسيم والتشريفات، وما يقرأه القارئ في بطون القوانين. إلا أن واقع الحكم وتطبيقه، في العراق، ديكتاتوريّ على أبشع صورة. حكمٌ استبداديٌ قائمٌ على الحزازات الشخصية، والتناحر لإشباع الأنانية عن طريق خدمة المصالح الأجنبية. أما المجالس النيابية في العراق، فما هي إلا نماذج عن المجالس التي كانت في عهد السلطان عبد الحميد، ليس لها سلطة ولا رأي ولا حرية.

وهكذا أصبح تشريع البلاد العوبة بيد القائمين على دفة الحكم وممثلي السلطة العليا، والسلطة العليا، نفسها، آلة بيد الانكليز وصنائعهم، والويل لمن يخالفهم.

لكن الجيش خالفهم مرتين، وتغلب عليهم، فقلّم أظافرهم مرتين. وهبَّ الجيش إلى إطلاق الحرية، فكان على الانكليز أن يتدخلوا في المرة الثانية، ليحتضنوا مواليهم وعبيدهم علناً، فيخرج الجيش صفر اليدين أمام الأكثرية. فالذين مارسوا الحكم في البلاد، ونالوا الجاه والسلطان برعاية الانكليز وحضانتهم، كانوا هم الأكثرية المعروفة في الأوساط السياسية، وما جرى تطبيق المعاهدة البريطانية (نصا وروحاً) كما يريد الانكليز، إلا بفضل تلك الأكثرية، وقلة عدد الوطنيين في صفوف المسئولين السياسيين والعسكريين.

ثانياً:

قواعد الإنكليز في العراق

اتخذ الإنكليز في العراق معسكرين، الأول في سن الذبان، والثاني في الشعيبة، ولاتنحصر أهمية هذين المعسكرين، من الوجهة السوقية، بتأمين خطوط المواصلات الإمبراطورية في حالة وقوع إعتداء من خارج العراق فحسب، بل هما بمثابة سهمين صوبا على عقدة الأعصاب لشل أية محاولة عدائية قد تبدر من داخل العراق. وهذان المعسكران طعنتان داميتان مزمنتان في صميم كل ضابط يغار على كرامة قومه، ويطمح إلى استقلال ناجز غير مزيف، ويتطلع إلى تكوين جيش قويٍ يحمي حمى البلاد بنفسه لا بمعونة غيره.

لما أعلنت الحرب الحاضرة، كان الجيش العراقي يفتقر إلى خطة للحركات(أي خطط الحرب) يبني عليها تنظيمه ووضعه وتسليحه وتدريبه، ويقرر على ضوئها كيفية الدفاع عن تخومه، أما خطة الحركات التي كان قد وضعها قائدي وأستاذي العميد الركن طه الهاشمي لما كان رئيساً لأركان الجيش عام ١٩٣٣، فقد مضى عهد تطبيقها، ولم تعد تتفق مع الموقف العام سنة ١٩٣٩، ولا مع حالة الجيش العراقي. وكان أساس تلك الخطة أن يقوم الجيش العراقي بمهمة الستار والمشاغلة لكسب الوقت ريثما ترد النجدات البريطانية من وراء البحار، لكنها لاتشير إلى أكثر من ذلك، أي أنها ليست شاملة الأطراف. وقد تعذر ذلك على واضع الخطة، وأشار إلى هذا الوضع الشاذ قائلاً انه يجهل مقدار المساعدة التي يقدمها الجيش البريطاني وأوانها. وكان الجيش العراقي آنذاك، مؤلفاً من أفواج وكتائب لا يزيد عددها على عشرين ألفا بين ضابط وجندي.

أما وقد شغلت منصب معاون رئيس أركان الجيش العراقي، وأنا ذلك الضابط الذي يدمى قلبه كلما رأى طائرات الانكليز تحلّق في سمائه، ومصفحاتهم تصول وتجول في أرضه، والعلم البريطانيّ يرفرف على مطاراتهم ومعسكراتهم الفخمة، يقولون جميعاً، للأجانب الذين يزورون بلادي، إن الهيمنة لهم والسطوة بيدهم، وأن استقلال العراق وغرور جيشه وكرامة شعبه وعزة مليكه أو وصيِّه ومن يليهما، ما هي إلا مظاهر مزيفة، فقد كان علي، وأنا أعد خطة الحركات، أن أحاول استغلال الفرصة التي سنحت بقيام الحرب الحاضرة لأسد هذا الفراغ،

وأضعا نصب عيني الدفاع عن العراق ضد كل أجنبيٍّ طامع، ولم أستثن الأنكليز من حسابي، بل أدخلتهم أيضاً ولم أجعل الدفاع مقتصراً عن تخوم العراق الشرقية والشمالية فحسب، بل شاملاً الدفاع عن الغرب والجنوب أيضاً ضد الأنكليز والفرنسيين، وشلِّ الهيمنة السوقية لمعسكري سن الذبان والشعيبة فى أي وقت تسوّل للإنكليز أنفسهم أن يغدروا بالعراق ويعتدوا على حقوقه المشروعة.

لذلك، قمت بجولة استطلاعية بالسيارة والطيارة استغرقت مدة من الزمن، يرافقني رئيس ركن القوة الجوية المقدم الركن سامي فتاح، وضابط ركن قسم النفير في شعبة الحركات الرئيس الأول الركن محمود الدرة. وتوصلت بعد هذه الجولة إلى وضع خطة مفصلة للحركات، صادق عليها رئيس أركان الجيش الفريق الركن حسين فوزي، ووزير الدفاع العميد الركن طه الهاشمي، وشملت الخطة ملاحق سار عليها الجيش في وضعه وتنظيمه، وتوسيعه وتسليحه وتدريبه وتحكيمه. وعيّنتُ المناطق التي يجب تحكيمها بمعاقل من الإسمنت وأرصدتُ المبالغ لها.

فلما علم رئيس البعثة البريطانية بتحكيم تخوم العراق الشرقية، أهتم بالأمر وربت على كتفي مادحاً عملي، وكيف لا يهتم الجنرال وترهاوز بهذا الأمر وقد انقلبت روسيا على بريطانيا وحالفت المانيا، وعادت البعثة البريطانية من روسيا تجر أذيال الخيبة والفشل. واستدعى الجنرال وترهاوز ضابطين من مهندسي الجيش البريطاني المدافع عن طبرق، في طرابلس الغرب، وبقيا شهراً واحداً، شيدا خلاله معقلاً نموذجياً مماثلاً للمعاقل التي شيدوها في قلعة طبرق.

واستمر العمل دون انقطاع، حتى غدر الإنكليز بنا، وبذلك قضوا على أحد ملاحق الخطة كنت قد كتمته عنهم وعن كل إنسان، أعددته واحتفظت به، ثم مزقته يوم غادرت بغداد وهو قسم من ملحق التحكيمات خاص بتحكيم الفاو، وضفتي شط العرب، وهور عبد الله، ومنطقة الزبير، وصدر أبو غريب، والفلوجة، وصدر السرية، والرمادي، والرطبة، والحديثة، وبيجي، وبغداد، وغيرها من المواقع على دجلة والفرات.

وكنت أترقب وصول الجيشين الألماني والأيطالي أبواب الإسكندرية مهددين الشرق العربي، لأنه كان السبيل الوحيد لإقناع الإنكليز بضرورة تحكيم الناحية الغربية من العراق، متعللاً باحتمال تدفق السيل الألماني والموالين للألمان من جيش حكومة فيشي في سورية. اذاً لوافق الإنكليز على ذلك بطيب خاطر ولما ساورهم الشك فيما أرمي إليه من وراء تحكيم الناحية الغربية من العراق. ولكن شاء الله أن لا أكون في العراق لما سنحت تلك الفرصة

المرتقبة.

ولو أقيمت التحكيمات في نواحي العراق الغربية، لما أقدم الإنكليز على الإعتداء على العراق، ولما تجرأوا على ضرب بنود المعاهدة عرض الحائط. فلا يجدون بداً من ابدال المعاهدة القائمة بمعاهدة الند للند، ولعاهدونا على انقاذ سورية من الفرنسيين وانقاذ فلسطين من الصهيونيين. ولو فعل الإنكليز ذلك، لكسبوا تأييد العراق وجيشه وتأييد البلاد العربية جمعاء، ولدامت عليهم الفوائد التي يجنونها، وأهمها حماية خطط مواصلاتهم، ولزمت البلاد العربية جانبهم وهي موحدة قوية ناجزة الإستقلال.

ليت هذه الحرب وقعت عام ١٩٤٥ لا عام ١٩٣٩، ليتها وقعت بعد أن تنجز الخطط ويتسلح الجيش، ويتسلح أحرار العرب في العراق، اذن لرأينا الإنكليز يخطبون ود العرب راغمين. ولتحررت سورية وفلسطين دون تعب أو نصب، ولأصبحنا على وفاق مع الإنكليز وتقابلت مصالحنا، ولما علا ضجيج الإنتهازيين والأذناب، ولما كان للخصام باب .

لكن أنى للإنكليز أن يدركوا، وعقليتهم تراجع الغابر وتتمسك بالحاضر. ولو كنت انكليزيا أنظر بمنظارهم لفعلت ما فعلوا، لكني عربي لا أفعل إلا ما يفعله كل عربي .

ثالثاً:

من وقائع قتالنا مع الإنكليز

لقد فرض الإنكليز علينا الحرب فرضاً لأنهم كانوا يريدون توجيه سياسة العراق وفق مصالحهم الإستعمارية متجاوزين نصوص المعاهدة الانكليزية - العراقية، وما قصدنا قتالهم أو الاشتباك معهم، ولكنهم بدأوا بقتالنا، فكان لابد لنا من الدفاع عن شرفنا ووطننا، وكان من عوامل اخفاقنا:

١- مخالفة فهمي سعيد لأوامري الصادرة إليه. فهو بدلاً من أن يمسك رأس جسر الفلوجة وصدر السرية والرمادي، ذهب من تلقاء نفسه، واشغل التلول التي تحيط بسن الذبان قبل أن يحاربنا الانكليز بيومين. وكان ما قام به هذا الأخ خطأ سوقياً فاحشاً قلب خططي التي كان علي أن أتخذها رأساً على عقب، وألجأني إلى اتخاذ تدابير ثانوية، ولكن استحال علي أن أعيد ما كان متصوراً بهذه التدابير الثانوية.

(يشهد بذلك كامل شبيب والرئيس الأول الركن نعمان الأعظمي. وقد كتبت أوامر بهذه الصدد).

٢- بعد أن اعتدى الانكليز علينا وقصفوا قطعاتنا بيوم واحد (أي يوم السبت)، طلبت من فهمي بإلحاح أن يهاجم سن الذبان فوراً وفي تلك الليلة بالذات، قبل أن تتكاثر نجدات الانكليز وأسلحتهم، وهي ترد عليهم بالطائرات. وكانت نسبة قوة فهمي إلى قوة الانكليز عشرة إلى واحد، ما عدا الطائرات. أما نسبة المدفعية فكانت واحداً إلى صفر.

لكن فهمي أجّل هجومه يوماً بعد يوم حتى هجم الانكليز أخيراً بفوج واحد تجاه عشرة فغلبوا قوات فهمي لأنه أهمل الوصايا التي أصدرتها بشأن إتخاذ تدابير الدفاع وتوزيع القطعات عندما كان يحاصر سن الذبان.

٣- سقطت الفلوجة بيد مئتي جندي آشوري، أنزلوا بواسطة الطائرات في الحصوة شرقها. بينما كانت الأوامر صريحة بضرورة مراقبة هذه المنطقة بدوريات ثانية لمنع

مثل هذه الحركة. لكن آمر اللواء وضباطه أهملوا ذلك خيانة منهم، وكان عددهم أكثر من ١٥٠٠ لما استسلموا لمئتي جندي، وكانوا متحصنين بالخنادق، وكان سلاحهم أقوى من سلاح العدو.

٤- كانت خطة الزعيم اسماعيل حقي في استرداد الفلوجة خاطئة، كما أن القوة لم تكن كافية فضلاً عن ضعف المعنويات. فالهجوم على الفلوجة، كان يجب أن يتم بقوة لا تقل عن ثلاثة أفواج بالإضافة إلى القطعات السيارة الأخرى وبطارية مدفعية ملحقة بها، كان يجب أن يجري الهجوم على الفلوجة بالمشاة من جنوب البلدة بمحاذاة النهر، لا من شرقها، وبفوج واحد يستولي على الهدف الأول وهو الجسر والقسم من البناء الواقع جنوب الشارع المؤدي إلى الجسر، بينما تقوم سرية الخيالة والدبابات بمشاغلة القطاعات المخندقة شرق البلدة وشمالها ومنعها من الافلات إلى الشمال. وبعد أن يستولي الفوج الأول على الهدف، يتخلله فوج آخر فيستولي على الهدف الثاني بينما يحصن الهدف الأول. ويبقى دائماً فوج للاحتياط.

لكن هيئة ركن الزعيم، كانت تتأخر في إرسال صور من أوامرها لأطلع عليها، وتتصل برئاسة أركان الجيش (دون أن يكون لها الحق) وتهملني. ولقد كتبت إلى اسماعيل ولفت نظره إلى ذلك إلا أن هيئة الركن استمرت على خطتها، وأظنها كانت تقصد الوقيعة بيني وبين اسماعيل وهو أقدم مني رتبة، إذ أن الرئيس الركن عباس يميل إلى الانكليز.

ومع أن القطعات العراقية تمكنت من دخول الفلوجة بالفعل، إلا أن الاستيلاء على المدينة فشل لسببين:

(١) لعدم وجود احتياط

(٢) لتضعضع المعنويات من طائرات الأعداء، ولعدم وجود طائرات تساند قطعاتنا.

٥- طلب التوسط بالمتاركة.

٦- الموقف السلبي الذي وقفه كل من سعيد يحيى الخياط وكامل شبيب.

٧- انهيار المعنويات تماماً، وعدم إطاعة الأوامر، وخيانة الفوج (..)، وعدم موافقة الضباط على قيادة الفرق.

ملحق رقم -١٩-

١- لماذا لم نواصل القتال ضد الانكليز؟

في فمي ماء، وهل ينطق من في فيه ماء؟ لست بقادر والله أن آتي على ذكر أسباب ذلك الآن، وعلي أن أختار السكوت لأن مصلحة أمتي وسمعة جيشي الذي أحبه يقضيان عليّ ذلك. ولن أحيد عن هذا الموقف في الوقت الحاضر ولو قطعت إرباً إرباً.

ولكن إذا مد الله في عمري إلى ما بعد هذه الحرب، أعلنت الحقيقة على الملأ، فقليل من اخواني يلمون بها؟ لذلك أسأل الله أن يظهرها وأن لا تدفن مع أصحابها في أعماق القبور. وليتأكد كل عربي إنني واخواني ضحينا في سبيل الوطن بكل عزيز لدينا، بمالنا وبأنفسنا وبسمعتنا، وتلك تضحية قلما دوَّن التاريخ مثيلها لأحد.

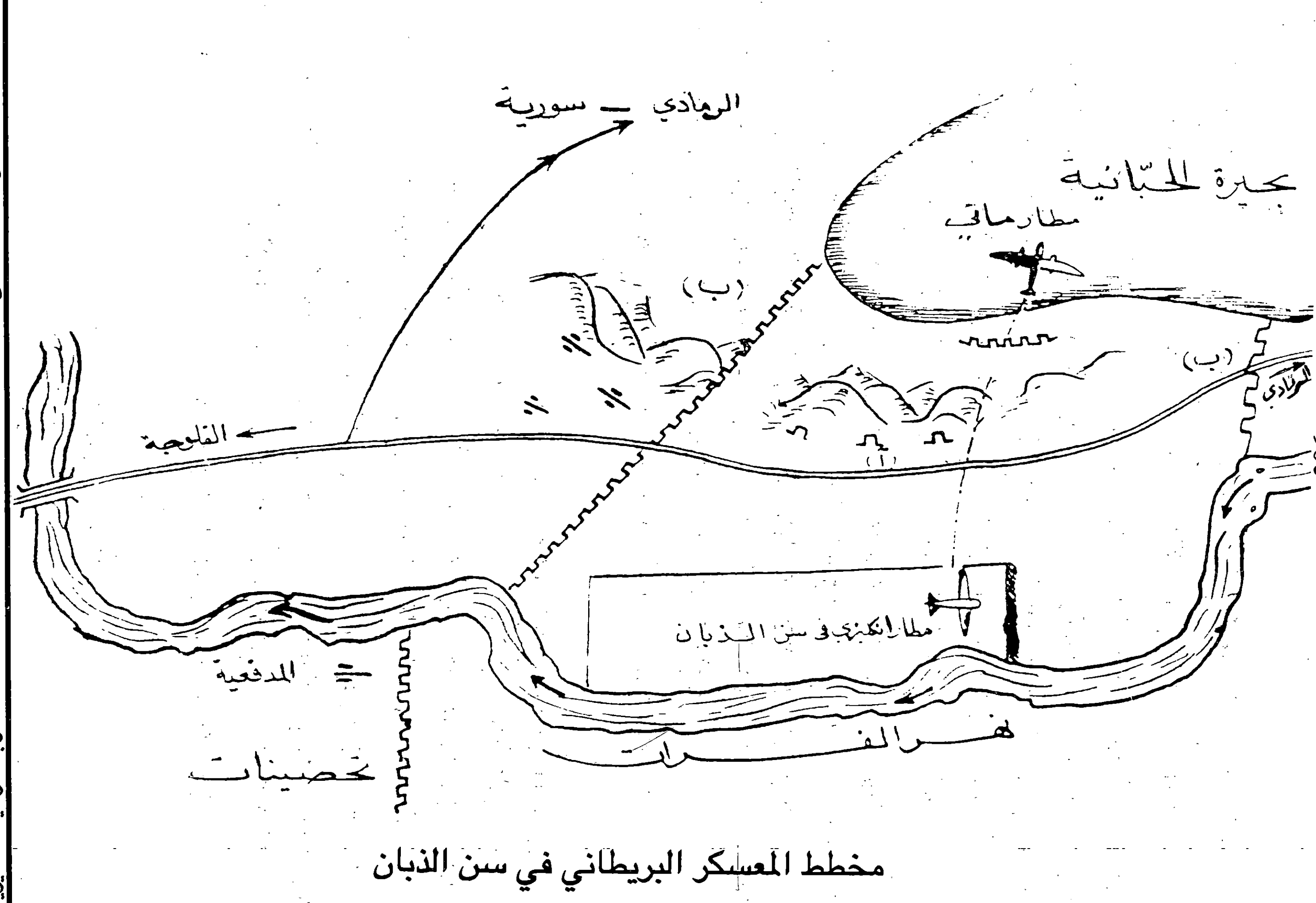
٢- هل عادت الحرب بيننا وبين الانكليز علي البلاد بالنفع أم بالضرر؟

ليس من المعقول أن يبدأ الحمل بالهجوم على الذئب، ومن يصدق ذلك كان مغرضاً أو عديم الإيمان. وعلى الرغم من أننا لم نبدأ الحرب. فإن وقوفنا بوجه العدوان الانكليزي أعلن للعالم أجمع أن الأمة العربية لا تقبل الاستعمار، ولا ترضخ لجور الانكليز، ولاتوافق على الصهيونية في فلسطين، لقد أعلنّا على رؤوس الاشهاد أن العربي لا ينسى الثأر ولو انتقل إلى الأجيال القادمة، إلا إذا نال مهر الدم وحاز الاستقلال. وقديماً قيل:

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبهِ الدمُ

فإذا انتصر الانكليز في هذه الحرب لا نصرهم الله، وإذا تصرفوا تصرفاً عاقلاً حكيماً فمنحوا الأمة العربية بعض الامتيازات وقليلاً من الحقوق البشرية، فهم إنما سيفعلون ذلك متأثرين بنتائج الحرب العراقية – الانكليزية. لأن الدول الضعيفة تأخذ الاستقلال بالمطالبة والنضال، فهي كالطفل الرضيع لا يعطى لبنا إلا إذا بكى.

وإني لعلى يقين أن سياسة نوري وأمثاله والذين سيخلقهم الاستعمار من بعده – وهي والله خيانة وطنية عظمى لا سياسة – تتلخص بالسير في ركاب الانكليز إلى الأبد.



مخطط المعسكر البريطاني في سن الذبان

شهادة رقم (13)

كيف حصل الابن على مذكرات أبيه

قصة المذكرات التي دونها الشهيد

ذهبت الى سوريا حيث عرفت من أخي ربيعة ماقاله أبي عن الأوراق التي أعطاها لرجل الدرك السوري.. وكنت أعرف أن من عادة أبي أن يكتب آراءه في الكثير من المشاكل التي يصادفها في حياته.. ادركت أنه كتب مذكرات سياسية.. وان هذه المذكرات على جانب كبير من الأهمية.. وأخذت أفتش عن رجل الدرك حتى عرفته.. وعرفت منه أنه سلّم الأوراق الى رئيسه... وذهبت الى رئيسه فقال أنه سلمها الى ضابطه .. والضابط سلمها الى رئيسه..

وظلت الأوراق تنتقل من يد الى أخرى حتى وصلت الى السيد احسان الشريف محافظ حلب.. فذهبت اليه.. وكانت المفاجأة..

صحيح أن هذه الأوراق وصلت اليه، ولكنه لم يدرك ماتحويه.. ألقاها جانبا ثم أخذها معه الى دمشق وتركها في بيته..

وذهبت الى دمشق وحصلت على هذه الأوراق..

كانت مذكرات سياسية خطيرة..

وفيها يكشف الستار عن مؤامرة الانجليز وأذنابهم في العراق..

ابي لم يعدم ولكنهم قتلوه

بقيت كلمة واحدة أقولها..

أبي لم يعدم.. ولكنهم قتلوه..

لقد حكموا عليه بالاعدام غيابيا.. وكان مفروضا بعد أن قبضوا عليه

أن يعيدوا محاكمته.. ولكنهم أعدموه دون محاكمة..

وقبل أن يعدم سألوه عن رغبته الأخيرة..

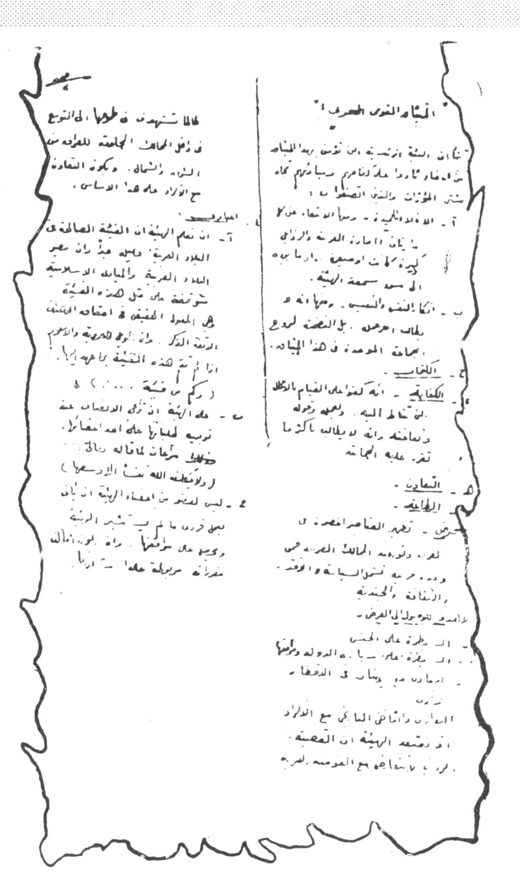
قال لهم.. أريد أن أرى ابني نزار..

رفضوا اجابة رغبته.. حرموه من أن يراني.. وحرموني حتى من أن ألقي عليه نظرة أخيرة..

نزار الصبّاغ



صلاح الدين الصبّاغ معلّماً في كلية الأركان العراقية عام ١٩٣٥.



الميثاق القومي العربي

صورة نادرة للميثاق القومى العربى بخط يد البطل العربى صلاح الدين الصباغ

الفصل الخامس

الخاتمة

- ليلة النجاة .
- رسالة إلى حمدي الباجه جي .
- العدل التركي ـ دفاع الضابط العراقي صلاح الدين الصباغ .
- إلى أولادي .

أخي فـهـمي: ياصـديقي الذي لا يفـوته في الاخـلاص صـديق، سـمـعت أمس من الإذاعـة أن نـوري شنقك أنت ويونس السـبـعـاوي ومـحـمـود سلمـان .. وأنكم الآن تحت الثرى، وقد لايُعرف لكم قدر أو قبر.

لا أدري كيف أنعيك يا فـهـمي، وكيف اشيـد بك وأمـجـد أعـمـالك العظيـمـة، وأنت الذي ضحيت بمالك ونفسك في سبيل بلادك، واهملت نفسك وأطفالك الذين أصبحوا الآن بلا أم ولا أب، بلا إرث ولا دار.

أخي فـهـمي: لا أدري هل بكاك أحـد غيـري، وأنت وحـيـد بـلا أخ ولا أم ولا عم ولاخـال، وحيد كما كانت خصالك وشجاعتك ونزاهتك.

هل كـان لنوري وغـازي وعبد الإله وآلهم دار أو قـرار في العـراق لولاك يافـهـمي؟ وأنت اشـجع اخـوانك وأصلبـهم في مقـاومـة بكر صـدقي. لقد كـان جـزاؤك من الذين أعدت لـهم الملك والجاه والعقار، جزاء سنمار.

هل مر بخيالك، وأنت واقف على المشنقة، شبح نوري، فتذكرت قولك وكررته: «سوف تقع الفـأس على هذه الرأس، على رؤوسنـا يـاباشـا .. خطيـة والله خطيـة وأنتم دائمـاً على سـاحل السلامة ياباشا. رؤوسنا ياباشا .. خطية والله خطية».

عليك رحـمـة الله يـاأبا يـعـرب.. عليكمـا رحـمـة الله يايونس ويامـحـمـود. وعـزاء للعـرب وللعراق، طوبى لكم أيها الشـهـداء، فـهذا هو المصـير الذي وضعـنـاه نصب أعيننا، وعزائي أنكم استشـهدتم في سبيل بلادكم. وليعش البـاشـا وأحـفـاد البـاشـا وأمـثـاله على جمـاجمكم وزرعكم، كما عاش اسلافهم من قبل على جماجم وزرع أجدادكم.

لقد عاجلك نوري بالشنق ليسكت صوتك يافهمي، وليطمر معك ماتعلم من أسراره. وهو يطلب من الأتراك الآن بإلحـاح إعـادتي إلى العـراق ليلحـقني بك وبإخـواني وإخـوانك، إذ لـم يبق على قيد الحياة من يعلم بأمره وأمرك سواي.

لقد أرسل نوري للأتراك إضبـارة الحكم بالإعدام الصـادرة عليّ، وهي مليئـة بأكـاذيب المنافـقين من شـهـود الزور، وطالب بإعـادتي إلى العـراق لتنفيـذ حكم الإعدام بحـقي. لكن طلبـه رفض لأن قانون الجزاء التركي يعتبرني مذنباً سياسياً. ثم اعاد نوري طلبه فرفض من جديد.

والله لست سـيـاسـيـاً، ولست بالمذنب السـيـاسـي. لكني مـذنب لأني وطني، وكفـى ذنبـاً أن أكون وطنياً، لأنها في شريعتهم أكبر الذنوب وأقبح العيوب.

أولاً:

ليلة النجاة

يمتد مجال الرؤية بعيداً عن الثلوج التي تعلو أديم الأرض متراً أو أكثر، فتعكس أشعة النجوم المتلألئة بعد أن ودعها القمر، وأنا وصاحبي نغذ في سيرنا مجدّين، ننتزع من الثلوج ساقا طمست إلى ما فوق الركبة، فتغور فيها الساق الثانية، والعرق يتصبب منّا بالرغم من نسيم الليل وبرده القارس، وإتجهنا نحو هضبة عريضة على نجد من الجبال الواقعة على الحدود الإيرانية التركية بين بلدتي (ماكو) الإيرانية و(بايزيد) التركية.

وقف صاحبي رضا قولي على حين غرة، وأشار بيده ثم قال همساً :

ــ وصلنا والحمد لله، هو ذا المخفر، ألا تراه؟ قلت:

ــ لا

قال: قف مكانك، وسأذهب وحدي ثم أعود.

وتقدم عدة خطوات ثم اطلق من فمه ثلاث صفرات متتابعة، فجاء صوت يقول بالتركية: قف، من هناك؟

فتثبت عندئذ من موقع المخفر الذي كانت الثلوج تطمره، وسرت في جسمي قشعريرة من وقع هذا الإيعاز التركي، فقد أحيا ذكريات مضت عليها إثنتان وعشرون سنة، يوم كنت ضابطاً في الجيش العثماني، (الذي انفصلت عنه وأنا في التاسعة عشرة من العمر مستهدفاً إنقاذ العروبة من براثن الإستعمار الغربي). وتمثل أمامي شبح فهمي، ونحن الإثنين نحارب الإنكليز في الحرب العالمية الأولى، ثم ونحن نحارب الفرنسيين في موقعة ميسلون بسوريا. وأخيراً ونحن نحارب الإنكليز مرة أخرى لما اعتدوا علينا في العراق.

بركت وأنا خائر القوى، واستندت على الثلوج، ثم شخصت ببصري نحو المخفر، وقلت محدثاً نفسي وأنا أهز رأسي(آه ..تركيا بعد سبعة شهور من المشاق.. ترى هل نجوت؟ لقد نفذت طاقتي والله، وإني لأشعر بالتعب. لك الحمد ياربي والشكر. ترى ماذا حل بإخواني الذين بقوا في طهران؟). ثم عاد صاحبي بعد دقائق وقال:

ـ هيا بنا إلى المخفر.

يتألف المخفرمن قاعتين شيدتا بالطين والحجر، وسقفتا بجذوع الشجر، وكانت القاعة التي إنتظرت فيها مهملة بلا أثاث، قد أقيم في أحد جدرانها موقد كان يحرق آخر ماتبقى فيه من روث الحيوانات الذي يتخذ في هذه النواحي وقوداً لخلوها من الغابات والأشجار. اظن أن القاعة خصصت لمقابلة من هم على شاكلتي ولمراجعة القرويين المجاورين للمخفر.

وخلعت نعليّ اللذين أتلفتهما الثلوج، وحاولت نزع جوربي المصطبغين بالدم والقيح من أصابع قدمي المتورمة المزرقة، وبينما كنت أصلي، دخل القاعة العريف حسن ونائب عريف رضا قولي، وكان يبتسم برفق، قال :

ـ أهلاً بك ، وحمداً لله على سلامتك، هل لي أن أعلم باسم حضرتك؟

فأجبته: ـ يعز علي أن لاأجيبك على سؤالك، لكني سأجيب آمريك أو قائد الحدود. إني أخشى محذوراً إذا أفضيت لك باسمي وأمري، ولكن لك أن تعلم أنني لاجيء أرجو منكم قبولي، وأنني مسلم، وأنني كنت ضابطاً في جيشكم في الحرب العالمية الأولى. وقد تعلم من قادتك غداً من أنا إذا سهل الله وإلتقيت بهم، فهل يرضيك رجائي هذا؟

قال : ـ سمعاً وطاعة، ولك ياسيدي ماتريد .

هكذا كان العريف حسن لطيفاً رقيقاً منذ إلتقينا حتى افترقنا. وبقي، هو ومن معه، لايعرفون هويتي ولاحقيقة أمري، وقد كتمت عنهم ذلك لثلاثة أسباب:

الأول ـ لخشيتي من تعليمات معينة تمنع دخولي تركيا والإلتجاء إليها، نظراً لإتفاق تركيا مع الإنكليز وأنا ممن حاربوا الإنكليز.

الثاني ـ ليهتم رجال الحامية بأمري، فيعجلوا بإرسالي إلى قوادهم بصورة أمينة.

الثالث ـ لعلمي بأن العربي ممقوت عند الأتراك، والإيرانيين، بل عند أمم الأرض كافة، وإننا لمستحقون مقت الشعوب مادمنا خاضعين للمستعمرين وأذنابهم.

وقد لفتت حالتي نظر العريف حسن، وكانت موضع عنايته، فقد كان وجهي محترقاً وشفتاي متورمتين وقدماي داميتين، فرجاني أن أرافقه إلى قاعة الجنود ففعلت، وقوبلت هناك بوجوه باشة مرحبة، وانهالت علي التهاني بينما كان العريف حسن ينزع جوربي، ويغسل قدمي بالماء الحار، ثم يعد لي طعاماً ويحسن وفادتي. وجعلت أقص عليهم من قصص الجندية والمواقع الحربية الصغرى ما طاب لهم، فكانوا يصغون إلي بأدب واحترام حتى كاد يخيل إلي،

وأنا أحدثهم، بأني لست بالرجل الدخيل، بل ذلك الضابط الذي يخاطب أمثال هؤلاء الجنود في الحرب العالمية الماضية، وهم الذين تفاخر بهم تركيا لما هو معروف عنهم من طاعة للرؤساء وصبر على المكاره.

فلما دونت في مذكرتي العبارة التالية: (وصلت المخفر التركي في قطاع قيزيل ديزه في الساعة ٢٣,٤٥ من ليلة ٢/٣ نيسان عام ١٩٤٢ ميلادية، أو ربيع الأول ١٣٥٨ هجرية، وهي ليلة من توكل على الله وصبر) تذكرت حقيقة مكانتي ومكانة أمتي بين الأمم، فلزمت الصمت فوراً، وهذه ظاهرة نفسية تعاودني كلما ناقشت رجلاً من أمة حرة مستقلة. واستأذنت للنوم، فأجابوا بصوت واحد «عم مساءً» ثم أغمضت عيني في فراش العريف حسن الذي أعده لي، وأنا أقارن بين هؤلاء الجنود الذين يحرسون بحق حدود بلادهم المستقلة، وبين بعض الجنود في الأقطار العربية – إن صحت فيهم هذه الصفة – تلك الجموع المرتزقة من الضباط الذين نشأوا على يد أسيادهم الانكليز والفرنسيين والطليان و الإسبان، مثل الذين استسلموا مع وحداتهم عن رضى وطوع، لحفنة من العلوج في الفلوجة والحبانية دون إطلاق رصاصة، وانحازوا إلى جانبهم وهم مسلحون بالمدافع والرشاشات والبنادق والطائرات. أولئك الذين فتحوا أبواب البلاد للأجنبي، ووافقوا على أن يصبحوا حراساً لمواصلاته ومداخره مقابل رتب كاذبة و أوسمة زائفة ودراهم معدودة. أولئك الذين يسرحون الآن ويمرحون، متفاخرين لأنهم حلفاء للأجانب وأعوان لهم، متباهين لأنهم يتآمرون على بني جلدتهم، فرحين لأنهم ينكلون بأحرار البلاد، ويقدمونهم إلى المشانق. أولئك الذين اعتنقوا مذهب لبيك يا أباحنيك، لبيك يابيك، لبيك يا وترهاوز، لبيك أيها الانكليزي، لبيك أيها الفرنسي، لبيك أيها الايطالي، لبيك أيها الاسباني، سواء في شرقي الإردن أو العراق أو مصر أو سورية أو المغرب العربي.

يستكين العرب لهذا الذل والعار، وعددهم يربو على أربعة أمثال عدد الأتراك، وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، وليس لهم عشر معشار ما لتركيا من المكانة والاعتبار. فكيف أفاخر وأكابر، وكيف أقول إن بلادنا حرة مستقلة؟ وهل تحق لملوكنا وأمرائنا ألقابهم. أم لممالكهم وإماراتهم هذا المفهوم، أم لمجالسهم هذه الصفة؟ وهل ينطبق على جيوشهم معنى الجندية وهي التي تدعم وتحرس المصالح الأجنبية، وتحافظ على القيود الاستعمارية، وهم وحاشيتهم ومجالسهم وجيوشهم أسود جبابرة على بني قومهم، وصعاليك مماليك للأجانب.

استيقظت في الساعة التاسعة وأنا أشعر بشيء من الراحة والنشاط، وكانت أشعة الشمس تأتي من نوافذ القاعة التي لم يبق فيها أحد غيري. فقد تسلل الجنود إلى واجباتهم دون أن يثيروا ضجة متفادين إزعاجي. وما كدت اعتدل في الفراش حتى دخل العريف حسن

ومعه عريف آخر، على ذراعه شارة مذهبة لا تشبه شارة العريف حسن. فعلمت أن هذا العريف الجديد ضابط صف أقدم متخرج من مدرسة ضباط الصف، وله من الامتيازات ماليس للعريف حسن وأمثاله المتدرجين إلى رتبهم من الوحدات، كما هي الحال في الجيش العراقي.

– عم صباحاً، أقدم لك عريف مخفرنا، العريف الأقدم السيد مصطفى، كان غائباً في بعض واجبه فلم تره عند قدومك، وحضر بعد منتصف الليل وأنت نائم.

كان العريف مصطفى لا يقل عن رفيقه أدباً وتواضعاً على الرغم من مظهره الرزين الذي يمارس به السيطرة على جنوده. فلما شرعت بتناول طعام الفطور أخذ العريف مصطفى يستجوبني بلباقة وأسلوب أعجبني صوغه للإطلاع على أمري وما أحمل معي. وراح يدون أجوبتي التي أدليت بها للعريف حسن من قبل، بخط لاتيني واضح. ثم أخرجت من حقيبتي كل ما أملك من ملابس ودراهم فوضعتها أمامه قائلاً: – لقد وضعت في هذه الحقيبة كل ما أملك من حطام الدنيا أما الملابس التي أرتديتها الآن، فسأخلعها واعطيها إلى صاحبي رضا قولي.

كانت ملابسي، الرثة البالية، هدية عظيمة لذلك القروي الفقير رث الثياب رضا قولي لما ودعته، فتقبلها ولسانه يلهج بالشكر. وما كان أكبره وهو يحاول أن يرفض عشرة تومانات، كانت آخر ما تبقى عندي من العملة الإيرانية، وهو يقول: – لا ياسيدي، ليس لي أن آخذ هذه الدراهم لأنها تنفعك، وما أجري عند الله إذا أخذتها منك مقابل عملي؟ أنا لم أفعل إلا ما أمرني به الدين، والحمد لله على الاسلام.

وأخذ يقبل يدي، ثم انحنى ليقبل قدمي طالباً العفو لأنه فقير لا يملك ما يقدمه لغذائي وعشائي لما كنت في داره غير الخبز والسمن. صافحت هذا النبيل المتلهف لكسب رضى الله مودعاً، فشيعني بنظرات العطف والود مشفوعة بأدعيته لي بالسلامة والتوفيق، ورددت كلماته بعينها: «الحمد لله على الاسلام».

ولكن مهلاً يارضا قولي ... أتراك محافظاً على هذه السجايا، متلهفاً لرضى الله لو أتاحت لك التربية العصرية أن تتخرج من إحدى المدارس الانكليزية أو الفاشية أو البلشفية أو النازية، وأن تتخلّق بأخلاق المدنية والثقافة العصرية؟ أم نابذاً اسم الله ورضاه من بيتك، لتصبح ذئباً آكلاً لحوم البشر وهو في ثياب إنسان وعبداً للآلة والدينار؟

وداعاً يارضا قولي وداعاً. أعزّ الله من اعتنق مبادئك السامية التي وضعت للبشرية أسس السلام، ومكنني من الإقرار بفضلك والاعتراف بجميل أولئك الكرام في إيران من

أمثالك.

ومشينا إلى قرية كردية متواضعة، تقع في وادٍ ضيق، يبعد عن المخفر زهاء ألف متر. فأخذوا لي منها برنوناً كردياً امتطيته بعد أن صافحت العريف مصطفى الذي شيّعنا حتى غادرنا تخوم القرية. وانحدرت قافلتنا المؤلفة من جنديين والعريف حسن، وكانوا يقودون البرنون بالمناوبة خشية سقوطه في هوة ثلجية وانقشعت الثلوج حين اقتربنا من سهل قيزيل ديزه حتى وصلنا منزل الآغاالكردي، وهنا استشارني العريف حسن، تأدباً منه، بالموافقة على تناول الغذاء والاستراحة، وكانت الساعة تقارب الواحدة بعد الظهر.

يقوم منزل الآغا الكردي منفرداً على سفح مرتفعات تحده من الشمال، وتشرف على جميع القرى المبعثرة في سهل قيزيل ديزه في الجنوب، ويقع على عين ماء صغيرة، ويشمل مضيفاً وداراً للحرم والخدم. ورحب بنا الآغا ومن معه، وهش وبش للعريف حسن مما دل على معرفة سابقة بينهما، لكنها كانت مجاملة فيها تكلف وتظاهر. وأبدى الآغا اهتماماً بأمري لما رأى العريف حسن يقوم على خدمتي ويصب الماء على يدي، على الرغم من مظهري وملبسي. ومال الآغا على العريف حسن يكلمه بصوت خفيض، وبدا لي أنه يحاول الاطلاع على حقيقة أمري ولكنه، لم يحصل علي جواب شاف غير كوني لاجئاً إلى تركيا، وقد تأكد لي ذلك من نظراته التي بقيت عالقة بي، مترقبة حركاتي وسكناتي طوال مكوثنا عنده.

وكان الحديث ونحن نتناول الطعام يدور بين الآغا والعريف حسن حول الحرب وموقف الأمم المجاورة لتركيا، وتطرق الحديث إلى العرب وموقفهم وحرب الانكليز والعراق، فلزمت جانب الصمت، واكتفيت بالإصغاء إليهما. وفجأة علا صوت الآغا وانهال على العرب بالشتم والسب، ثم قال بشماتة: - إن الله عادل قهار، والعرب يستحقون أن يحل بهم ضعف ما أصابهم جزاءً لما جحدوا وأنكروا النعمة، وما أسمع عن بؤس حالهم يسرني، قاتلهم الله وحل عليهم غضبه جزاء ما فعلوا بنا.

والتفت إلي ليرى هل أصدق قوله، وأردف: - ألا ترى معي بأن العرب كفرة وبأني إنما أقول الحق يا بيك؟

* * *

خضت غمار الحرب العالمية الأولى في فوج من الأفواج التركية، وكنت آخر من تبقى من الضباط الأولين، وكان ضباط الفوج يحبونني. وفي فترة ساد السكون فيها أرجاء الجبهة، جلسنا نتجاذب أطراف الحديث، فما كان من مرافق الفوج المدعو توفيق وهو شاب من الأستانة

بمثل عمري، كان قد انتسب إلى الفوج حديثاً، إلا أنه انهال على العرب وعلى الشريف حسين وآله بالشتم والسب. فنهضت وصفعته، ثم طرحته أرضاً، وكنت أقوى منه فتغلبت عليه. فراح يبكي ويستغيث وإذا بآمر الفوج يدخل علينا بدون سابق انذار، فصاح:

- ماهذا ويلكم؟

فوقفت وصرخت بوجه آمر الفوج قائلاً بدون شعور:

- سيدي القائد. دونكم إياي، فأعدموني فوراً بلا رحمة ولا شفقة. أنا عربي. أنا عربي. فأفعلوا ما تريدون. ماذا أساء العرب إليكم لكي يهانوا ويشتموا؟ وهل بين ضباطك من أقراني ضابط قام بمثل ما قمت به من خدمات طوال وجودي في هذا الفوج، مع أني عربي، فلماذا تشتموننا؟

ثم انخرطت في البكاء، وجميع الضباط في وضع الاستعداد وكأن على رؤوسهم الطير. وتقدم القائد نحو مرافقه وهو ممتقع الوجه وصاح به:

- لك الويل يا خائن، من بث فيك هذه السموم؟ ألا يكفينا ما آلت إليه حالة بلادنا وقد تمزقت أوصالها؟

ثم بصق على وجهه، وأمر بسجنه فوراً، وخرج لا يلوي على شيء. وبعد ساعة دعاني آمر الفوج - وكان في الخامسة والأربعين من العمر تقريباً - فربت على كتفي وقال:

- يابني، أرجو أن تنسى ما سمعت، وأن تمحوه من ذاكرتك. إن العدو الأكبر الذي يخيفنا ليس هذا العدو الذي يجابهنا الان بمدافعه وجيوشه الجرارة، بل هذه الأفكار الهدامة التي تناهض كيان الدولة العثمانية ودينها والعرب عز الاسلام ودعامته، وأنا أول العاملين ضد هذه السموم، ولا أطيق أن أرى في فوجي أحداً يبشر بهذه الأفكار، فهل تعدني بنسيان ما حدث؟

وفي اليوم التالي، أرسل توفيق إلى قيادة الفرقة ولم أره بعد ذلك. أما أنا فبقيت أحارب الانكليز حتى كانت الهدنة، ونقمتي تشتد على كل طامع باستعمار العرب. وقد أحسن آمرالفوج فيما فعل.

نسيت توفيق ونسيت الحادثة، لكن توفيق نبهني إلى عروبتي فاتقدت جذوتها على مر السنين بالرغم مما لقنته في مراحل الدراسة، وكانت اللغة العربية تستبعد من برامج التدريس. شرعت منذ ذلك اليوم أقرأ كل ما كتب بالعربية، وأصغي إلى كل ما قيل بالعربية. وثار الطبع منذ ذلك اليوم فغلب التطبع، وآمنت أن لا إسلام ولا سلام للعالم إلا بالعرب، وأيقنت أن العرب

أئمة الهدى، ونبراس احترق ولا يزال يحترق لينير لغيره، لكن جزاءهم كجزاء سنمار.

تأملت هذا الآغا الكردي ذا القامة المديدة والبنية القوية، وهو في العقد السادس من العمر، واكتشفت سر احتفاظه بالأطيان والقرى التي يملكها في سهل قيزيل ديزه. فهو مداهن مثل غيره من المتمولين عبيد القوة .. وهو أيضاً سياسي على جهله وبالرغم من تأخر الوسط الذي يعيش فيه. وحاولت أن أتفادى الجواب، وأن أسكت على مضض إذ تذكرت حادثة توفيق، فأنا اليوم لست كما كنت بالأمس، وأنا أعلم اليوم مالم أكن أعلمه في الماضي، وللأيام عبر ودروس قاسية، علمتني على كره مني ضرورة المداهنة – وما أمرّها على طبعي – كما تعلمها من قبلي هذا الآغا البسيط فحافظ على حياته ونمط عيشه.

لكن الآغا، أعاد علي السؤال وألح في طلب الجواب، فقلت: في اعتقادي أن القرآن ما أنزل عربياً إلا لأن الله أراد العرب بقوله «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

إن أنبياء العالم ورسله من العرب، وإنهم كالشمعة احترقوا لإنارة غيرهم. وقال محمد صلى الله عليه وسلم: – «من أحب العرب فقد أحبني». «أنا مسلم وهذا ما أعرفه عن العرب وكلنا مسلمون، لذلك أرى أن لا نصدق كل ما نسمعه عن العرب، فقد نكون مخطئين». وسرعان ما تبدلت أفكار السبطاء، وصدّقني القوم والآغا في طليعتهم.

مسك الآغا عنان البرزون وهو يودعني، ليته ومن معه علموا بأن محدثهم عربي، وأن العروبة أعز عزيز عندي. ليتهم علموا مقدار تأثري من قول الآغا لأنه باطل، ليتهم علموا أنني حملت نفسي على المداهنة اضطراراً، فلم أعلن لهم عروبتي، بل لجأت إلى الدفاع عن العرب باسم الدين، دون أن أذكر شيئاً عما ورثه العرب من فضائل ومزايا صافية كصفاء سمائهم، عالية كعلو نجومها، مع أن الطريقة الأولى أسهل وأقرب إلى عقول هولاء البسطاء.

لا، لا تطاوعني نفسي أن أسمع طعناً بعبد الاله صادراً عن إنسان غير عربي. لا لن استعين على عبد الاله بالأجنبي، لأنه ابن عمي، أنا منه وهو مني وإن قتلته أو قتلني. فالعربي أصيل في مادته أصالة فرسه، بهي في الباطن بهاءه في الظاهر، لا يتبدل إلا إذا تبدلت بيئته وجوهره.

فطغيان الأنانية على العقيدة، ولا سيما في أوساط الساسة المسؤولين العرب، جعلهم لا يرون في الضرر الذي يحيق بقوميتهم وعروبتهم أي خطر، مادامت مصالحهم مؤمنة، ولولا هذا لفضلٌ كل منهم أن يموت إلى جانب قومه على أن يحتمي بالمستعمر الأجنبي.

ثانياً:

رسالة إلى حمدي الباجه جي

حضرة الأخ النبيل السيد حمدي الباجه جي:

بوردور في ١٨ آب ١٩٤٤

الألقاب مؤقتة، وكلمات مثل صاحب الفخامة والمعالي والمقام الرفيع يمجّها كل عربي لأنها تنافي نوقه وتقاليده، وكذلك النازية والفاشية والشيوعية والديموقراطية فإنها نعوت أعجمية، إذا كان في غاياتها من نبل فهو لا يعدو ما تنطوي عليه الآية «إنما المؤمنون اخوة» من معان سامية. هذه الآية رمز لنا نحن العرب، ولما كنت أعلم بأن حضرتك ينتمي إلى اسرة عربية وإلى عشيرة عربية فقد فاتحتك بقولي:«حضرة الأخ» لا «يا صاحب الفخامة.» ولو كنت أعجمياً لترفعت عن الكتابة إليك لأني أعتقد بقول القائل: «ما حن أعجمي على عربي لا وربّ الكعبة» وما أكثر الضحايا العربية على يد الأعاجم.

غادرت بغداد، وتركت فيها أهلي وأطفالي الثلاثة نزار وربيعة وأنمار، ونزار أكبرهم في التاسعة عشرة، وأنمار أصغرهم في الخامسة من عمره اليوم. تركتهم في بغداد لأسباب ثلاثة:

الأول: - لأني لست من ذوي الأموال أو الأطيان والإيراد، ولم أكن أملك حين غادرت العراق غير راتبي الأخير الذي اقتسمته مع أهلي، وهو لا يكفي لوقايتهم من العوز لو أخذتهم معي. غادرت بغداد وأنا أردد قول الشاعر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةٌ   وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرامُ

الثاني: - لأني أعتقد أن أبنائي هم أبناء أمتي أيضاً، وامتي أحوج إلى أبنائها وإلى تثقيفهم من سائر الأمم.

الثالث: - لأني حريص على عروبتهم وثقافتهم العربية وهم في بدء نشأتهم. وأن لايكونوا عالة وشراً على بلادهم.

وتركت نزاراً في بغداد تلميذاً في المدرسة العسكرية بارزاً في صفه، متفوقاً على أقرانه في جميع مراحل الدراسة التي سبقت المدرسة العسكرية، وقد فهمت من كتاب أخذته من زوجتي قبل بضعة أيام،أن ولدي نزار قد منع من متابعة الدرس منذ أكثر من سنتين. فاستنتجت من هذا أن ولدي معتقل أو مسجون وإلا لما انقطع عن الدرس، كما استنتجت من التاريخ أنه اعتقل قبل أن يتم السابعة عشرة من عمره (ألا تراه طفلاً). وإني، وإن كنت أجهل الذنب الذي اقترفه وأسباب اعتقاله أو سجنه، إلا أنه مهما كانت الأسباب طفل. وقتل الطفل عندي خير من بقائه جاهلاً غير مثقف، لأنه يصبح عالةً وضرراً لما تستهدفه الأمة ولما يريده أبواه.

فليقتل هذا الطفل إذا استحق هذا الحكم.

أنا لم أنتقم من عربي لأني عربي. ولأني أعتقد أن كل عربي يريد لقومه الخير، ويتوخى ايصالها إلى الهدف، لكن التباين في الطرق المؤدية إلى هذا الهدف، يدفع بأنانية البعض إلى الانتقام من مزاحمهم الذي هو أقوى منهم حجة، والنتيجة خسران مبين للأمة، مع الأسف.

ومما لا يخفى على حضرتك، أن الأغراض الانتقامية تعمي وتفقد البصيرة والحكمة، ولا تتماشى مع مقتضيات العدل والسيادة. وإني أرجو أن لا تكون الدوافع الانتقامية عند من سبقك في الحكم، هي التي أودت بهذا الطفل إلى السجون والمعتقلات، وإلى حرمانه من متابعة الدرس، خاصة وهو ليس ذا مال ليتمكن في المستقبل من تعويض ما يفقده الآن، وهو ولي أخوته وأهله من بعدي.

إن اعتقادي بنزاهتك وبماضيك وبعروبتك وببعدك عن الأنانية وترفعك عن النزعات الانتقامية، ساقني إلى مراسلتك ومفاتحتك بأمر لا يتعلق بشخصي لأني لا بد أن أموت يوماً، بل بأمر طفل ومن ورائه أطفال قصر، سيبقون ملكاً للأمة وهم لادار لهم ولا عقار، وليس من سبب للأخذ منهم بالثأر.

إسأل الله أن يسدد خطاك إلى مافيه خير البلاد، وسلام الله عليك.

صلاح الدين الصباغ

ثالثاً :

العدل التركي

دفاع الضابط العراقي صلاح الدين الصباغ المقيم في سيواس

١٩ تشرين الأول ١٩٤٤

اصـدرت الحكومـة العـراقـيـة، التي تدين بالـولاء للإنكليـز، حكمـهـا عليَّ وعلى رفـاقي بالإعدام مستندة على التهم التالية: ـ

١ ـ عدم موافقتنا على إدخال العناصر الموالية للإنكليز في الوزارات العراقية، أو جعل رئيسها منهم، وسعينا إلى اسقاط مثل هذه الوزارات إن وجدت.

٢ ـ خلع الوصي السابق وتنصيب وصي غيره.

٣ ـ قيادة الجيش والشعب إلى قتال الإنكليز.

وقد حكم بالإعدام على خمسة، ونفذ الحكم بثلاثة منهم، وبقيت على قيد الحياة أنا ورشيد عالي الكيلاني، أما رئيس أركان الجيش الجنرال أمين زكي وباقي قواد الفرق فهم في غياهب السجون. وأحد قواد الفرق موجود الآن في إيطاليا. أما أنا فقد كنت قائد الفرقة الثالثة، ثم توليت، أيام حربنا مع الإنكليز، قيادة الفرقتين الأولى والثالثة واللواء المصفح.

وكان أتباع الإنكليزفي العراق قد قدموا إلى الحكومة التركية طلباً بتسليمي قبل خمسة شهور، لينفذوا بحقي حكم الإعدام، لكن تركيا رفضت ذلك لأن قوانينها العادلة تعتبر مسألتي سياسية. إلا أن أتباع الإنكليزلم يخجلوا وجعلوا يبحثون عن وسيلة ثانية لتسلمني تركيا إليهم، فينفذون حكمهم بإعدامي.

لم تكن لي أو لزملائي سواء منهم العسكريون أو المدنيون، الذين أعدموا أوالذين

مازالوا على قيد الحياة، لم تكن لنا مآرب شخصية أو غايات انتقامية من الحوادث التي وقعت في العراق منذ عام ١٩٣٥، بل العكس فإننا لو توخينا النفع الشخصي لما آل أمرنا إلى هذه الحال. كانت رواتبنا الكبيرة ومراكزنا العالية في الجيش توفرلنا أماناً ورفاهاً لايحظى بهما الوزراء، لأن الوزارة في البلاد الواقعة تحت حماية الأجنبي قصيرة العمر لاتلبث أن تستقيل، فيغدو الوزير بعدها لاشيء. وكان جواب الذين كلفوا بالوزارة من قادة الجيش أنهم يفضلون الإحالة على التقاعد من تولي الوزارة ومن تولي رئاسة الوزارة أيضاً.

كانت الحكومة العراقية، قد طلبت من الحكومة التركيةتسليمي إليها، لتنفذ حكمها بإعدامي،وقد استمعت محكمة الجزاء بسيواس إلى إفادتي بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٤٢، وقابلتها بالإتهام الذي أصدره ضدي أتباع الإنكليز في العراق، فقررت براءتي، واعتبرت مسألتي سياسية، ورفضت طلب إعادتي إلى العراق لتنفيذ الحكم، فبرهنت على عدلها وعدالة قوانينها.

إن الذين يطلبون إعدامي يستمدون القوة من حراب الإنكليز، ويملكون جميع الوسائل لتحقيق مآربهم. لقد استعانوا بشهود الزور، من كل خائف أو كاذب أو مرتش، ليملأوا بأقوالهم اضبارات الإتهام، أما أنا فلي، بعد الله، سند عظيم، هو وجودي في تركيا وإرتباطي بها. لذلك اترك للقانون التركي أن يدحض هذه التهم، وأن يذود عن حقوقي، وما عليَّ غير قول الحق.

صدر الحكم في العراق بإعدام كل من رشيد عالي الكيلاني وصلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعاوي. وقد ألقى الإنكليز القبض على رفاقي الثلاثة الأخيرين في إيران، ونفذ بهم حكم الإعدام قبل خمسة شهور ولما بلغ الحكومة غير الشرعية القائمة الآن في العراق أن الحكومة التركية رفضت طلبها بتسليمي، كررت الطلب من جديد بعد أن نسبت لي تهمة معينةفصلتها عن باقي التهم الواردة في طلبها السابق، ألا وهي تهمة الإعتداء على الوصي، لكي تعتبرقضيتي غير سياسية، حتى إذا ماسلمتني الحكومة التركيةإلى العراق نفذ الحكم بإعدامي حالاً.إن مافي هذه المحاولة من تضليل يكفي للدلالة على ظلمهم ودناءتهم، وكان أحرى بهم أن يخجلوا من مراجعة القضاء التركي بمثل هذه الحيلة، لأنه يعلم ما يتخذ من قرارات، لكنهم يبتغون إلقاء القبض عليَّ بأيةطريقة لإعدامي. وليس عجيباً أن يبتغي ذلك من دخل البلاد بحراب الإنكليزالذين سفكوا دماء شعبه، وانتهكوا حرمات وطنه، وقد فصلت ذلك في إفادتي قبل خمسة شهور.

لاأدري هل تعد هذه التهم قانونية أم لا، فأنا عسكري ولا علم لي بتفاريع القانون، لذلك أترك تقدير هذا الأمر للقضاء. إنهم يريدون إعدامي ليجعلوا مني عبرة للعراقيين والعرب

جميعاً، فيظهر للملأ بأس الإنكليز وعظمتهم، وينذرون الناس بأن من يناوىء الإنكليز يلقى نفس المصيروأنهم قادرون على أن يأتوا به حيثماذهب.

والوطني منكوب في البلاد الرازحة تحت نير الإستعمار، معرض للموت أو العذاب والحرمان هو وأولاده، وهكذا شأني وشأن رفاقي الذين أعدموا وهذا جزاء وطنيتنا الصادقة، ولو ماشينا الإنكليز، شأن الخونة الذين يحكمون العراق اليوم، لكنا الآن في بيوتنا نقبض رواتبنا الضخمة، ونتنقل في سياراتنا الفخمة بين حفلة يقيمها الوصي اليوم، وأخرى يقيمهارئيس الوزراء غداً وثالثة يقيمها الإنكليزبعد غد. لكننا ضحينا بذلك، وكنت قبل تسعة شهورأجوب جبال إيران وأنا في زي درويش، وأقاسي برد الشتاء وأنا فقير رث الثياب، ومررت بين الجيشين الإنكليزي والروسي حتى بلغت الحدود التركية يوم ٢ نيسان ١٩٤٢.

إن جيش العراق وشعبه يحبني، ويحب رفاقي الذين أعدموا، ويبكيهم حتى تدمى عيونه. والإنكليز وأذنابهم المضرجة أيديهم بدماء إخواني، يتلهفون لقتلنا لأنهم يعلمون أن الشعب الذي يحبنا لن يطأطىء لهم رأسه حتى ولو انتصر الإنكليزفي هذه الحرب.

أنا لست مجرماً ولامجرماً سياسياً، لأني لم أنتقم من أحد ولم أعتدِ على أحد، لكنني عسكري وطني محارب للإنكليز. ولقد كنت عسكرياً منذ خمس وعشرين سنة أو أكثر فلم يتلطخ اسمي يوماً، وكانت صفحتي بيضاء دوماً، بل انني كنت من ألمع ضباط الجيش العراقي، ومن أحبهم إلى أفراده. وتخرجت من أعلى المدارس العسكرية في العراق والهند وإنكلترا، ومن تركيا قبل ذلك، وشغلت في السنوات العشر الماضية مناصب معاون رئيس أركان الجيش، ومدير الحركات وقائد فرقة، وقائد فيلق، وكنت، أثناء الحرب العراقية الإنكليزية، قائد الجبهةالغربية. فتربيتي وثقافتي لا تسمحان لي بالوقوف موقفاً خشناً من أحد، وما ينسب لي ولرفاقي من اعتداء على الوصي لا ينطبق على الحقيقة، لأن سياق الحوادث في العراق لم يكن يتطلب منا ذلك. وسأذكر بالأقسام الخمسة التالية موجزاً لما وقع في العراق من احداث منذ ست سنوات:

القسم الأول ـ وزارة جميل الملقب بالمدفعي ـ من سنة ١٩٣٧حتى ٢٤ كانون الأول من سنة ١٩٣٨

القسم الثاني ـ وزارة نوري بن سعيد ـ من كانون الأول ١٩٣٨حتى نيسان ١٩٤٠

القسم الثالث ـ وزارة رشيد عالي الكيلاني ـ من نيسان ١٩٤٠حتى كانون الثاني١٩٤١

القسم الرابع ـ وزارة طه الهاشمي ـ من كانون الثاني ١٩٤١ حتى نيسان ١٩٤١

القسم الخامس ـ وزارة رشيد عالي الكيلاني ـ من نيسان ١٩٤١ حتى حزيران ١٩٤١ وفيه خلع الوصي والعدوان الإنكليزي.

قبل الشروع في إيضاح هذه الأقسام الخمسة أقول: ـ

أولاً: ـ إن الخطط البريطانية في العراق تتلخص بما يلي :

أ ـ تحريض العشائر وأفراد الشعب على الثورة، وشق عصا الطاعة على الحكومة، ليثبتوا بذلك العداوة بين الجيش والشعب، ويستنزفوا قوى الجيش وسلاحه.

ب ـ جعل الجيش في حالة ضعف دائم، وإشاعة التفرقة وعدم الثقة بين قواد الجيش، وهذه إحدى وظائف البعثة العسكرية البريطانية الموجودة في العراق بموجب المعاهدة العراقية الإنكليزية.

جـ ـ اغتيال الوطنيين أو وصم اسمائهم بما يشينها، لكي يرسلوا إلى الحدود النائية حيث ينسى أمرهم.

د ـ تنصيب نصف الوزراء على الأقل ممن يدين لهم بالولاء.

ثانياً: ـ تنص المعاهدة العراقية الإنكليزية على ما يلي:

أ ـ للإنكليزأن يتخذوا لهم معسكرات ومطارات في الشاطيء الأيمن من الفرات على بعد ٦٥ كيلو متراً غربي بغداد، وفي جوار البصرة.

ب ـ للإنكليزأن يسوقوا من الهند إلى فلسطين وبالعكس عن طريق شاطيء الفرات الأيمن، ما لا يزيد عن اللواء الواحد من قواتهم العسكرية بشكل متفرق في حالة السلم أو الحرب. على انه لايجوز لهم نقل جيوشهم عن طريق أخرى، أو بإتجاه آخر، أي في باقي المناطق العراقية الواقعة شرقي نهر الفرات. والغاية من هذا: أن لا يستفيد الإنكليزمن العراق ضد تركيا أو إيران وقد أخذت هذه الناحية بعين الإعتبارمنذ أن عقدت المعاهدة.

حـ ـ إذا لم يشترك العراق في الحرب، فإنه لا يسمح للجيوش الإنكليزية بالتحشد في العراق، وإذا أعلنت إنكلترا الحرب على دولة أخرى، فإن الحكومة العراقية ليست ملزمة بقطع العلاقات مع تلك الدولة. هذه العوامل الثلاثة كانت السبب في نشوب الحرب العراقية الإنكليزية، وأعني بها: التحشد الإنكليزي في العراق، وقطع العلاقات السياسية بين العراق والدول المعادية للإنكليز، ووضع الجيش العراقي تحت الإدارة الإنكليزية. وكان هدف الإنكليز من وراء ذلك الإعتداء على سوريا وإيران وإحتلالهما، وقد حدث هذا بالفعل بعد أن جعلوا

العراق قاعدة لحركاتهم الحربية.

القسم الأول

في عام ١٩٣٦قام رئيس أركان الجيش العراقي المرشال طه الهاشمي بزيارة رسمية لأوروبا وانكلترا، فانتهز وكيله، الجنرال بكر صدقي قائد الفرقة الثانية، فرصة وجوده على رأس الجيش فضيق الخناق على الوزارة، حتى أسقطها واغتال جعفر باشا وزير الدفاع، آنذاك وصهر نوري بن سعيد وهذان الأخيران معروفان بميلهما إلى الانكليز.

وقد لاذ كل من نوري وجميل وعلي جودت بالفرار لأنهم من أتباع الانكليز، أما طه الهاشمي فقد آثر البقاء في تركيا لأنه كان لا يحبه. وأما الملك غازي فقد كان راضياً عن هذه الحركة.

ومنذ أن وقعت هذه الحادثة، أخذ الجيش بالتدخل في تأليف الوزارات أو في انتقاء وزارة الدفاع، ولكن تدخله لم يكن متواصلاً بل آنياً وليد الساعة. وغني عن البيان أن الدولة ذات الاستقلال الناجز تعتبر هذا التدخل من جانب الجيش أمراً غير مألوف، لكنه يصبح ضرورة وواجباً في الدول الرازحة تحت نفوذ الأجنبي، إذ كلما اشتدت رقابة الجيش على الوزارات قل عدد الوزراء الموالين للاستعمار، وبالتالي قل نفوذ الاستعمار.

أخذ الجيش بالتكتل، واتحدت كلمته شيئاً فشيئاً، حتى إذا كان عام ١٩٣٧ قتل بكر صدقي، فتولى جميل الملقب بالمدفعي رئاسة الوزارة وهو من الموالين للانكليز. كما تولى صبيح نجيب وزارة الدفاع، وهو من أركان الحرب المتقاعدين، وهو اليوم سفير العراق في أنقرة. وصبيح نجيب يميل للانكليز كثيراً، لذلك سعى إلى شطر الجيش شطرين. فما كان من الجيش إلا أن ضغط على الوزارة، وحملها على الاستقالة بسبب تصرف صبيح نجيب وأبدى الجيش رغبته في أن يتولى طه الهاشمي رئاسة الوزارة، لكن هذا اعتذر قائلاً أنه رجل عسكري ليس بمقدوره أن يتولى غير وزارة الدفاع، وأنه صلب في علاقته بالانكليز، لذلك يقترح إسناد رئاسة الوزارة لنوري بن سعيد. وقد أصر طه الهاشمي على موقفه هذا، لذلك أسندت رئاسة الوزارة لنوري. وبعد أن قتل بكر صدقي، أصبح حسين فوزي رئيساً لأركان الجيش، وكنت أنذاك معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للشعبة الأولى (مديراً للحركات).

القسم الثاني

يبدأ هذا القسم في ٢٤ كانون الأول ١٩٣٨ وينتهي في نيسان سنة ١٩٤٠ لما كان نوري رئيساً للوزراء، البارزون في هذه الفترة هم نوري بن سعيد رئيس الوزراء، وطه

الهاشمي وزير الدفاع، ورستم حيدر وزير المالية، ورشيد عالي الكيلاني رئيس الديوان الملكي في بلاط الملك غازي. سارت الوزارة في أشهرها الثمانية الأولى نحو الإصلاح، فتضاعف عدد أفراد الجيش وخطت التربية والتعليم خطوات واسعة، وتفتحت أنظار الشعب، وزالت البغضاء بين الجيش والشعب وانتهى عهد الثورات المسلحة في العراق.

كان الملك غازي يمقت نوري بن سعيد، كما أن نوري بن سعيد كان يبادل الملك غازي مقتاً بمقت، وكان الملك غازي معروفاً بعدائه للانكليز من قبل أن يكون ملكاً، وكانت محطة الإذاعة الخاصة التي يملكها غازي تذيع من قصره برامجها المعادية للانكليز، منددة بفظائع الانكليز في فلسطين وباقي البلاد العربية. كما أن الملك غازي كان يتطلع إلى ضم إمارة الكويت إلى العراق.

لكن هذه الحال لم تدم طويلاً، ومن البديهي أن لا تدوم، إذ قتل الملك غازي في ليلة ٤-٥ نيسان ١٩٣٩ بموجب الخطط الإنكليزية، وعلل القتل بحادث سيارة. لكن الشعب والجيش لم يصدقا هذا التلفيق، واتضح أن للوصي ولنوري إصبعاً في الموضوع. وأقدم سكان الموصل على قتل القنصل البريطاني في بلدهم، وتجمعت في الأفق سحابات قاتمة السواد، فزُجَّ بمئات الناس في السجون حذراً من الطوارىء، أما الجيش فقد حافظ على الهدوء، ولم يحرك ساكناً بالرغم من تأثره العظيم.

وخلف غازي وصي على العرش اسمه عبد الإله، وهو أخو الملكة وابن عم غازي، وخال الملك الصغير الحالي. لكن الوصاية لم تكن في الواقع من حق عبد الإله وإنما كانت من حق الأمير زيد عم الملك الطفل، وهو في الخمسين من العمر، لكن الأمير زيد كان عدواً للانكليز مثل غازي.

ولما تولى الأمير عبد الإله الوصاية، جعل يتودد للجيش بإخلاص وحرارة، كما توثقت علاقته بنوري بن سعيد توثقاً عظيماً. وبنتيجة تقرب عبد الإله ونوري من الجيش، عقدت بيننا وبين الوصي اجتماعات أسبوعية أو نصف شهرية تمتد ساعتين أو أكثر، كنا نتناول خلالها الأحاديث الأخوية، ونأتي على ذكر ما يلقاه الجيش على يد الانكليز من مواقف العداء، ونحدثهما عن مساوىء الانكليز وحبائلهم، فنرى على وجه عبد الإله ونوري بن سعيد امتعاضاً وعدم ارتياح. وكانا يدافعان عن وجهة النظر الانكليزية، ويبذلان جهوداً كبيرة لإقناعنا بسلوك هذا الطريق. واستمرت اجتماعاتنا من شهر مايس ١٩٣٩ حتى شهر كانون الثاني ١٩٤١.

بعد شهرين طلّق عبد الإله زوجته المصرية، ووقع في غرام فتاة يعد أبوها من أنصار

الانكليز الكبار، ويتقاضى منهم راتبا شهرياً ضخماً. وما لبث عبد الإله، بتأثير هذا وبتأثير نوري بن سعيد وبتأثير باقي أتباع الانكليز، أن أصبح عبداً للانكليز بمعنى الكلمة، وأخذ يقضي كل أيامه بين ظهرانيهم.

وبعد أن أعلنت انكلترا الحرب على ألمانيا في أيلول عام ١٩٣٩، عقدت مؤتمرات عديدة، وكان علي، بحكم وظيفتي، أن أحضر الاجتماعات العسكرية التي يعقدها الانكليز أو مجلس الدفاع الأعلى العراقي -وقد حضرت بعضها برفقة رئيس أركان الجيش حسين فوزي، كما حضرت بعض المؤتمرات الخاصة التي عقدتها هيئة أركان الحرب التابعة للجنرال ويفل في مصر عند قدومها إلى العراق. وقد بادر نوري بن سعيد، بالاتفاق مع عبد الإله، إلى قطع العلاقات السياسية بين العراق وألمانيا حالما أعلنت انكلترا الحرب عليها. فعل ذلك دون أن يخبر أحداً، ودون أن يستشير المجلس النيابي بينما كانت الدومنيونات البريطانية ما زالت على علاقاتها بألمانيا. وهكذا سبق العراق كلاً من كندا واستراليا وجنوب افريقيا في هذا المضمار، وكان نوري بن سعيد يريد بما فعل أن يجر مصر والبلدان العربية الأخرى إلى خوض غمار الحرب بجانب الانكليز. وقد تحدى نوري الجيش والشعب بتصرفه هذا، وأثار امتعاضهما، لكنه لم يكتف بما كان منه، بل وعد السفير البريطاني بأن يدخل العراق الحرب بجانب الانكليز، وقدم لمجلس الدفاع الأعلى اقتراحاً بذلك، ولكن المجلس رد اقتراحه وقابله بفتور واشمئزاز. كما اقترح نوري مراراً أن يرسل العراق فرقة أو فرقتين من جيشه للقتال في صحراء ليبيا بمصر، فكان طه الهاشمي ورستم حيدر (وزير المالية) وحسين فوزي (رئيس أركان الجيش) يردون اقتراحه رداً خشناً.

ثم حاول نوري بن سعيد إقناعي واستمالتي إليه، فتعلق بي وتعددت زياراته لي على انفراد في مقر عملي، أو دعاني إلى بيته، وكنا نقضي في الحديث ساعات طوالاً فلا يظفر مني بطائل. كذلك قام نوري بعدة محاولات لقطع العلاقات السياسية بين العراق وايطاليا.

ألفى نوري نفسه في مأزق حرج لأنه لم يفلح في تنفيذ مطاليب الانكليز، ولم يجد حلاً، لكنه لم يلبث أن وجد الحل. ففي ١٨ كانون الثاني من عام ١٩٤٠ أطلق رجل النار على وزير المالية رستم حيدر وهو يزاول مهام وزارته، وكان تدبير ذلك بخطة انكليزية، وقضى رستم نحبه بعد خمسة أيام، وزج بالكثيرين في السجن من جراء هذا الحادث الذي هز وزارة نوري بن سعيد وضعضعها. وجاء نوري يوماً فقال أنه يعتقد بأن رشيد عالي هو الشخص الوحيد الذي يستطيع إعادة الأوضاع إلى نصابها. واستطاع نوري إقناع طه الهاشمي بهذه الفكرة، ودعاه مع قواد الجيش إلى داره ليبسط لنا رأيه. وكان رأيه أنه سيتولى وزارة الخارجية، إذا وافق

رشيد عالي الكيلاني على رئاسة الوزارة، كما أن طه الهاشمي سيتولى وزارة الدفاع.

نجحنا في إقناع الكيلاني بعد كثير من الرجاء والإلحاح، فلما قدم نوري استقالة وزارته، ذهب رئيس أركان الجيش حسين فوزي لمقابلة الوصي ورجاه أن لا يوافق على إشراك نوري بن سعيد في الوزارة المقبلة. فكانت النتيجة أن الوصي ونوري أحالا حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد. فامتعض الكيلاني ولم تؤلف الوزارة، وهكذا عاد نوري إلى كرسي الرئاسة، ولكنه كان يدير الدفة بصعوبة. وبقي شهراً كاملاً وهو يرجو قواد الجيش وطه الهاشمي والوصي أن يحملوا الكيلاني على تأليف الوزارة بعد أن اشترط شروطاً قطعية لسياسته.

القسم الثالث

يبدأ هذا القسم في نيسان ١٩٤٠ وينتهي في كانون الثاني ١٩٤١ لما كان رشيد عالي رئيساً للوزراء. وكان نوري بن سعيد وزيراً للخارجية، وناجي شوكت للداخلية، وناجي السويدي للمالية، وطه الهاشمي للدفاع. وهذه الوزارة كانت أقوى الوزارات التي شهدها العراق، وكانت قراراتها تلقى موافقة الجيش وتأييد الشعب، إذ أيقنا أن أعضاءها لا يخضعون لسلطان الانكليز ولا يأتمرون بأمر نوري ابن سعيد. أما نوري وعبد الإله فكانا يحاولان أن يكسبا تأييد هذه الوزارة القوية ليحققا مآربهما، ويزجا العراق في الحرب دون أن يلقيا معارضة من أحد. فلا تجد مصر، ولا تجد البلاد العربية الأخرى، بدا من الاقتداء بالعراق والدخول في الحرب إلى جانب الانكليز. لكن كيدهما ارتد إلى نحريهما، ووقعا في الشرك الذي نصباه، فلم يبق أمامهما غير اللجوء إلى الانكليز، وتحريضهم على الاعتداء على العراق.

وجاء في بيان الكيلاني، الذي أعلن بموجبه سياسة وزارته على الأمة والمجلس، أن حكومته ستحترم المعاهدة العراقية البريطانية وتراعي نصوصها، وأنها لن تخرج عن ذلك قيد شعرة. وكان يعيد هذا التصريح في كل مناسبة بشكل قطعي جازم. وما مضى شهر أو شهران، حتى تقدم نوري بنفس الاقتراحات التي طرحها على بساط البحث لما كان رئيساً للوزراء. وانعقد مجلس الدفاع الأعلى، وحضره الوزراء المذكورة أسماؤهم أعلاه، وباقي أعضاء الوزارة، وحضر عن الجانب العسكري أنا ورئيس أركان الجيش. وكان المجلس قد رأى دعوتي لحضور جلساته على الرغم من انتقالي من منصب معاون رئيس أركان الجيش إلى قيادة الفرقة الثالثة. قال نوري أن على الحكومة العراقية أن تحدد سياستها تجاه بريطانيا لكي تتوثق الأواصر بين البلدين. فأجاب الكيلاني أنه قد رسم سياسة العراق تجاه بريطانيا في بيانه الوزاري، وأنه لن يحيد عن ذلك. فاقترح نوري قطع العلاقات مع ايطاليا، فقال

الكيلاني ووزراؤه إن قطعنا العلاقات مع ألمانيا كان سابقاً لأوانه، وكان خطأً كبيراً، لأننا نجاور دولا تدين بديننا ويربطنا بها ميثاق سعد آباد، فقيامنا بقطع العلاقات مع ألمانيا وايطاليا ووقوفنا منهما موقفاً عدائياً، قبل معرفة الخطة التي ستنتهج عليها الدول المجاورة لنا، قد يثير استياءها، وقد يؤثر عليها تأثيراً سيئاً. ثم أن المعاهدة العراقية البريطانية صريحة، ولا يوجد فيها نص يلزم العراق بقطع علاقاته مع الدول الأخرى، أو بإعلان الحرب ضد الدول الأخرى. فتساهلنا في أمر ليس للانكليز حق فيه لن يعود علينا إلا بالضرر. وبالفعل فقد كان العراق هو السبب الذي حدا بمصر إلى قطع علاقاتها مع ألمانيا.

وطال الحديث في هذا الموضوع، ثم استقر الرأي أخيراً على إرسال ناجي شوكت إلى أنقرة ليقف على وجهة النظر التركية في هذا الصدد، لما له من مكانة عند الأتراك، وما كاد المجلس ينتهي إلى هذا القرار حتى طلب نوري إرساله مع ناجي شوكت بصفته وزيراً للخارجية، وأصر على طلبه هذا.

ورد في اتهامات المدعي العام التي صدر علي بموجبها حكم الإعدام أن سفر ناجي شوكت إلى تركيا كان خلافاً لرأي الوزارة، ووصف ناجي شوكت بأنه «ثائر» إلا أن ما جاء في إفادة علي جودت يؤيد ماذكرته أعلاه، ويقول فيها أنه سافر هو أيضاً بالإضافة إلى من ذكر، ولما كان سفره بدون علم من أحد فإنه يعتبر تجسساً. وهذه المناورات والأكاذيب لا يتقنها إلا أنصار الانكليز والذين في قلوبهم مرض.

كان ناجي شوكت معروفاً في الأوساط السياسية التركية، وعلى هذا فقد أقام عدد من السفراء الولائم على شرفه، وأظن أن الفون بابن دعاه إلى حفلة شاي. فانتهز نوري بن سعيد هذه الحادثة واتصل بسفير انكلترا في أنقرة فقام هذا بنقل الخبر إلى السفير الانكليزي في بغداد، وبالتالي إلى الوصي. وهكذا قامت قيامة الوصي وسفيري انكلترا في أنقرة وبغداد، وراحوا يطالبون على لسان نوري بن سعيد أن يحدد العراق موقفه من بريطانيا وأن تطبق المعاهدة روحاً ومعنى. وما عاد يرضيهم تصريح الكيلاني الذي أعاده مراراً وتكراراً على الشعب والمجلس أنه سيطبق نصوص المعاهدة حرفياً.

وكان الكيلاني يحرص على حضور الاجتماعات التي تبحث في اقتراحات نوري بن سعيد، بيد أن مقترحات نوري كانت لا تلقى الموافقة، ولا يؤخذ بها لذلك عمد الوصي إلى التدخل في شؤون الوزارة والتأثير عليها تأثيراً فعلياً، كما أنه امتنع عن إقرار القوانين التي يجب أن تعرض على المجلس، وأوقف لديه كثيراً من الإرادات الملكية لكي يحرج موقف الوزارة. وأخيراً طلب الوصي إقصاء ناجي شوكت من الوزارة فلم يوافق الكيلاني على ذلك، ولم يجد

سـبـبـاً يبـرر هذا الأمـر. وانقطع نوري عن الدوام في دائرته بوزارة الخـارجـيـة، وأخذ يتـصـل بالوصي والانكليز رأساً، ثم يسافر إلى القاهرة ويعود دون أن يقابل الكيلاني. وهكذا اتضح الموقف بين الكيلاني وأنصار الانكليز، وقام بعضهم بالهجوم على الكيلاني في البرلمان. وأخيراً تدخل طه الهاشمي وشخصيات أخرى للتوفيق بين الطرفين، واقترحوا إقصاء كل من نوري بن سعيد وناجي شوكت من الوزارة. وحصل الاتفاق على هذا، وكان الوصي قد وافق عليه أيضاً.

وبعد أيام عاد الوصي يقول أنه لا يستطيع الاتفاق مع الكيلاني أبداً، و أنه لايريد أن يرى وجهه، وأنه يريد اخراج رشيد عالي واسقاط وزارته. قال الكيلاني أنه جاء إلى الحكم بناءً على توسلنا وإلحاحنا، لكنه بعد أن تولى الحكم، لايرضخ ولا ينسحب تجاه هذه المعامله الشائنه. وكان يؤيد الكيلاني كثير من العشائر وأفراد الشعب وما لبث أن اكتسب تأييداً شعبياً اجماعياً منقطع النظير. على أن بعض وزرائه قدموا استقالاتهم بتأثير الوصي عليهم، كما انسحب طه الهاشمي من الوزارة لأنه كان يقف على الحياد. قال الكيلاني أنه باقٍ على رأس الحكومة هو ومن معه من الوزراء الذين يكتمل بهم النصاب القانوني، وأنه لن يفسح المجال لأحد أن يلعب بمقدرات البلاد. أما السفير البريطاني فقد قطع صلته بالوزارة ورئاستها، ولم يعد يراجعها، وأخذ يتصل بالوصي مباشرةً خلافاً للقوانين والتقاليد الدولية، ويواصل زياراته لأنصار الانكليز مثل جميل وجودت ورئيس مجلس الأعيان.

وفي إحدى الليالي استدعى الكيلاني القادة العسكريين الموجودة مقراتهم في بغداد، وهم أمين زكي رئيس أركان الجيش وأنا وفهمي سعيد وكامل شبيب ومحمود سلمان قال لنا: -أيها الرفاق تعرفون ما هي المطاليب الانكليزية، ويؤسفني أن أقول أن وصيّنا عبد الإله قد فسح المجال واستجاب لمطاليب الانكليز على علاتها ودون روية، فأدى بنا إلى هذا الوضع. أنا على رأس وزارة شرعية، وقد توليت الحكم بعد تردد ورجاء من الوصي ومن نوري بن سعيد ومن طه الهاشمي، ومنكم يا قواد الجيش- وقد اشترطت لقبولي شروط قطعية وافق الجميع عليها. والآن فإني لن أترك الوزارة لنوري أو لأي إنسان غيره، ليضحي بالأمة وبمصالح البلاد. ولن أترك الوزارة حتى ولو بقي في وزارتي ثلاثة من رفاقي نظراً لوجود النصاب القانوني. ولقد دعوتكم الليلة لإعتقادي بأن الوصي يستجيب لرجاء قواد الجيش، لذلك أرجو أن تذهبوا غداً لمقابلة سمو الوصي فترجون منه ذلك. وإني أقوم بهذا في سبيل البلاد لأن الأنكليز اذا لمسوا من جانبنا تراخياً تتابعت مطالبهم الخارجة على نصوص المعاهدة واحدة بعد واحدة. كما أرجو أن تسترحموا من الوصي أن يوافق على تسمية محمد يونس السبعاوي وعلي محمود الشيخ علي وزراء في الحكومة بدلاً من نوري بن سعيد وناجي شوكت، وأن تقدموا

لسمو الوصي احترامي العميق.

كان رئيس أركان الجيش أمين زكي في رئاسة الوزراء حين طلب على الهاتف، وكان محدثه مرافق الوصي فقال له أن الوصي يريد أن يراه فطلب أمين زكي من مرافق الوصي أن يأذن الأمير ويسمح له بإحضار قادة الجيش معه. وبعد دقيقة جاء الجواب: نعم ليحضروا.

ورد في بيان الوصي ما يؤيد هذا، إذ يقول أنه هو الذي دعانا وأننا لم نذهب إليه من تلقاء أنفسنا. ولما كانت خطة الانكليز إثارة العشائر وتشجيعها على العصيان كلما رأوا الجيش والشعب متحدين لأن الثورة يعقبها بالضرورة تدخل الجيش، وبالتالي إيقاد جذوة البغضاء والعداوة بين الشعب والجيش من جديد، وكنا نحن أفراد الجيش نعلم أننا نقتل أبناء وطننا. وكانت القلوب قد أخذت تميل إلى الجيش بعد أن مرت على العراق خمس سنوات لم تحدث خلالها ثورة. والواقع فإنه ليس بين أفراد الجيش أو بين الوطنيين المخلصين من يتمنى وقوع العداوة بين الشعب والجيش خاصة في مثل تلك الأيام. وبتأثير هذه الفكرة تحركت بنا سياراتنا لمقابلة الوصي، وبعد أن قدمت لنا القهوة أُعلن عن تشريف الوصي، فرأيناه في حالة عصبية شديدة. قال يسأل رئيس أركان الجيش: -ما الذي يجري؟ فأجابه رئيس أركان الجيش: -لا شيء أبداً يا سيدنا والحمد لله. إن الكيلاني يسترحم منكم اللطف وأرجو أن تسمحوا لي ببسط الأمر أمامكم.

فقطع الوصي كلامه وقال: -لا، لا، لن أسمح لكم أبداً أن تتكلموا في هذا الموضوع. وأنا ما طلبت مقابلتكم إلا بعد أن علمت أنكم مجتمعون عند رشيد عالي الكيلاني، لذلك لن أجلس معكم وسأذهب. قال هذا ثم خرج وتركنا في حيرة واضطراب. فلما أوشكنا على الخروج من القاعة دخل رئيس مجلس الأعيان محمد الصدر فقال: لماذا أراكم هنا؟ خيراً إن شاء الله.

ولما كنا نعلم بما لهذا الرجل من تأثير عظيم على الوصي وآله، فقد سرّنا وجوده بيننا وشرحنا له تفصيل ما حدث، وقلنا له نرجوك يا صاحب السماحة أن تعمل على إنقاذ الأمة، فالجيش هو الذي سيدفع ثمن هذا الوضع السيء وعواقبه الوخيمة، وهذا ما يريده الانكليز. نحن لا نريد إراقة دماء الشعب، فقد أريقت دماء كثيرة بدسائس الانكليز، لذلك نتوسل إليك أن تعمل على إقناع الوصي ليأخذ بوجهة نظر الكيلاني ولو بصورة مؤقتة، ولو لشهر واحد. وقد ينسحب الكيلاني من تلقاء نفسه إذا رأى أنه لا ينسحب بضغط أجنبي.

قال حسناً انتظروا، وذهب. ثم عاد فقال: -أرى أن تذهبوا الآن وسأعمل على تسوية

الأمر إن شاء الله، فانتظروني عند الكيلاني فشكرناه كثيراً، وافترقنا على أتم وفاق وعدنا إلى رئاسة الوزارة. وعند انتصاف الليل تقريباً نجح رئيس مجلس الأعيان في تسمية الوزيرين اللذين أرادهما الكيلاني، ثم ودعنا وقال إنه ذاهب إلى منزله.

واتصل محمود سلمان قائد القوة الجوية، بمرافق الوصي هاتفياً، مستأذناً السماح لنا بتقديم شكرنا للوصي، فذهبنا وقابلنا الوصي وقدمنا له شكرنا بإخلاص وقبلنا جميعاً يد هذا الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر، وبيننا رئيس أركان الجيش الذي يبلغ الستين. ثم عدنا إلى بيوتنا.

إنهم يزعمون في اتهامهم أننا اعتدينا على الوصي في هذا الوقت. وأنا لم أرَ وجه الوصي منذ ذلك الحين، وأرجو أن لا يقدر الله أن أرى وجهه مرة أخرى.

وهناك تناقض كبير بين البيان الشخصي الذي أدلى به الوصي المخلوع عبد الإله، وبين إفادة رئيس مجلس الأعيان محمد الصدر، هذا التناقض يظهر في الأمور التالية:

١- يقول الوصي في بيانه أنه هو الذي دعانا، وهذا صحيح. إذ لم يكن بنيتنا الذهاب إلى الوصي ليلة رجانا الكيلاني رجاءه، بل كان بنيتنا الذهاب إليه صباح اليوم الثاني. وما ذهبنا إليه في تلك الليلة بالذات إلا بناءً على طلبه، وبعد أن وافق على حضورنا جميعاً برفقة رئيس أركان الجيش. وبعد أن قابلنا الوصي وخرج رأينا رئيس مجلس الأعيان. وهذا أيضاً أمر طبيعي إذ لا بد لمن دعانا من أن يرانا، وإلا فلماذا دعانا؟

٢- لما سئل رئيس مجلس الأعيان عن فحوى العبارات التي قلناها له حين رأيناه والتي كانت ضد الوصي، أجاب بأنه لا يذكر فحواها، إلا أنها عبارات خشنة لو نقلها إلى الوصي لتأثر واستشاط غضباً. يستدل من هذا أننا حين قابلنا الوصي لم نهدده ولم نوجه إليه كلاماً خشناً. وعلى هذا فالوصي لم يكن بالأصل غاضباً علينا ولا متأثراً منا. أما وأن الأمر كذلك فلماذا يتهمنا هذا الرجل؟ وما معنى قوله (لا أذكرها، لكني لم أنقلها للوصي) إنه تلاعب بالألفاظ وقلب للحقائق.

٣- لا يذكر الوصي في بيانه شيئاً عن نوع لباسنا، ولا يقول أننا نحمل مسدساتنا لما قابلناه. لكن رئيس مجلس الأعيان، هذا المعمم الذي لا يعرف من الأمور العسكرية شيئاً، يقول أن ذهابنا إلى قصر الوصي بلباسنا العسكري، يعتبر بمثابة تهديد للوصي.

وغني عن البيان أن العسكريين لا يراجعون المقامات العليا إلا بلباسهم العسكري، ولعل هذا التقليد متبع في تركيا أيضاً. أما اللباس المدني، مثل لباس السهرة وغيره، فلا يرتدى

عندنا إلا نادراً. ثم إن الأوامر العسكرية تفرض علينا الذهاب إلى قصر الوصي باللباس العسكري، وتحظر علينا الذهاب إليه باللباس المدني. ولا ينحصر ذلك في المراجعات الرسمية فحسب، بل يشمل الحفلات ومراسيم التهنئة بالأعياد أيضاً. الحق أن من يعد ذهابنا إلى الوصي باللباس العسكري تهديداً له، جاهل لا يعرف شيئاً.

٤- يقول رئيس مجلس الأعيان أننا قابلنا الوصي حاملين مسدساتنا، والواقع أن أحداً منا لم يكن يحمل مسدسه، وسأثبت ذلك بعد قليل. وعلى فرض ذهابنا إليه بمسدساتنا فإن هذا الرجل لا يميز بين القادة الكبار وبين ضباط الجيش الصغار الذين يتبخترون بمسدساتهم في الشوارع، لأن الأنظمة والأوامر لا تمنع ضباط الجيش عندنا من حمل السلاح في الأوقات العادية، بشرط أن يكونوا بملابسهم العسكرية. كان الجو بارداً في تلك الأيام من شهر كانون الثاني، لذلك تدثرنا بمعاطفنا، لكننا أعطينا المعاطف والأنطقة إلى الخدم قبل أن ندخل القاعة حسب العادة المتبعة. فكيف رآنا رئيس مجلس الأعيان في القاعة بمسدساتنا ونحن لا نطاق علينا لنحمل به المسدس.

٥- يقول رئيس مجلس الأعيان أن رفاقي كانوا يضعون مسدساتهم تحت السترة، لكني أحمل مسدسي فوق سترتي. إن المسدسات المستعملة في جيشنا تزن كيلو غراماً أو أكثر وهي من المسدسات الانكليزية الضخمة. فإذا حملها الضابط تحت السترة كان مظهره ، قبيحاً غير منسجم، كما أن أنظمة الجيش تمنع حمل السلاح تحت السترة منعاً باتاً تحت طائلة العقوبة. على أنه يجوز للضباط أن يحملوا مسدساتهم فوق السترة وعلى النطاق فقط. ولا يعقل أن يصدر رئيس أركان الجيش وقادة الفرق أمراً بمنع شيء معين، ثم يكونون أول من يخالف هذه الأوامر. بل إن هذا لا يخطر لهم على بال.

٦- الواقع أن أحداً منا لم يكن يحمل مسدسه البتة. فإن لرئيس أركان الجيش البالغ من العمر الستين، ولي ولكل من رفاقي قواد الفرقة، ولقائد القوة الجوية، لكل منا سيارة خاصة به وسائقاً للسيارة، وعريف انضباط، ومرافق خاص. وهؤلاء جميعاً يحملون مسدساتهم فماذا يدعونا إلى حمل مسدساتنا وممن نخاف كل هذا الخوف؟ ولو كنا نحمل مسدساتنا فعلاً بقصد تهديد الوصي، فهل من المعقول أن يذهب إلى الوصي، أشخاص بهذا العمر وبهذا المقام فيشهرون عليه مسدساتهم ويقولون له: أيها الوصي افعل هذا ولا تفعل ذاك وإلا قتلناك.

لو كان بنيتنا أن نقوم بعمل كهذا، لفعلنا ونحن جالسون في مقراتنا. كان يكفي أن نرسل إلى قصر الوصي ضابطاً برتبة مقدم، أو أحد أفراد سرية حرسه فيقول له:أيها الوصي أنت موقوف. وكان يكفي أن يتوجه إليه أحدنا فيقدم له مطاليبنا فإذا رفضها لجأ إلى

التهديد. لأن الجيش كله كان في قبضتنا وقد ثبت ذلك حينما حاربنا الانكليز.

واضح من هذا أن ذهابنا جميعاً لتهديده لا يستقيم، وإن ذهابنا إليه بهذا الشكل الجماعي لا يفسر إلا بالالتماس والاسترحام، لأن رجاء الجماعة أقرب إلى الاستجابة من رجاء الفرد.

٧- ذهبت عصر اليوم الثاني بصحبة فهمي ومحمود سلمان إلى منزل رئيس مجلس الأعيان لنشكره. وهو يذكر زيارتنا هذه في إفادته. وقد استغرقت زيارتنا نصف ساعة حدثنا خلالها عن سيرته وسيرة أبيه إذ سألته عن الصورة المعلقة في صدر المكان، وكانت صورة أبيه. ثم تطرق إلى ذكر العشائر وبأسها وضرورة الاهتمام بتسليحهاوالاستفادة منها، فأجبته بأن الجيش يشعر بمثل شعور العشائر، ولكنه يمتاز عليها بالقيادة والتنظيم والسلاح الحديث، فقال:- اخواني: أنتم والجيش معكم قرة عين الأمة، وأنا احترم الجيش وعقيدته الوطنية، خاصة وأنتم على رأسه، ولكني قصدت الاستفادة من العشائر فلا نهمل أمرها.

واضح من هذا أن رئيس مجلس الأعيان لا يذكر العبارات التي قلناها، كما لا يذكر أين قلناها، وإفادته بهذا الصدد مليئة بالمغالطات، بعيدة عن الحقيقة. فإنه ما قال قوله الذي أتيت على ذكره في قصر الوصي، بل في داره هو، إذ أراد أن يظهر اغتباطه بزيارتنا الأولى له، فراح يعبر عن تعلقه القوي بالجيش. ولو أننا كنا قد هددنا الوصي كما يدعي هذا الشخص، فلماذا سكت على ذلك ولم يعلنه على الملأ، أو على قادة الجيش في حينه؟

قصدنا بعد ذلك دار الكيلاني رئيس الوزراء وكان قد دعانا إلى العشاء، فجلسنا في القاعة أنا وفهمي سعيد ومحمود سلمان وناجي شوكت. وكان الكيلاني يتكلم بالهاتف فلما فرغ، دخل وقال: - تفضلوا إلى الطعام أيها الاخوان، ومعذرة لتخلفي عن المائدة، إذ لابد من ذهابي إلى رئاسة الوزراء بعد أن أخبرني متصرف الديوانية بالهاتف، أن الوصي في الديوانية، وأنه الآن في مقر الفرقة الرابعة هناك. وكان الكيلاني شاحب الوجه.

ودعانا الكيلاني إلى رئاسة الوزراء بعد ساعة، فرأينا فيها رئيس أركان الجيش وباقي قواد الجيش، كما رأينا رئيس مجلس الأعيان يحدث الكيلاني قائلاً: قلت لك يا فخامة رشيد بك أن لا تصر على طلب حل المجلس النيابي، لأن الوصي لن يوافق، وهكذا أصبحت الآن في موقف حرج.

وكان قائد الفرقة الرابعة - وهو الآن في ايطاليا - يخابر رئيس أركان الجيش بالهاتف من الديوانية. قال له أن الوصي جالس في مقره، وقد طلب مقابلة بعض رؤساء العشائر

ليحرّضهم ويحرّضه هو أيضاً، على التمرد على الكيلاني وأنه اتصل بالمتصرفين هاتفياً ودعاهم إلى مادعانا إليه، وأردف لكنه صغير السن لا يدري ما يفعل وأنه سيعمل على إحباط محاولاته دون أن يشعر، فشكره أمين زكي على ذلك.

واتصل المتصرفون بالكيلاني فأخبروه بما طلب الوصي منهم. ولما انتصف الليل اجتمع الكيلاني بأعضاء وزارته في غرفة خاصة، ثم دعانا لإبداء رأينا فأجبناه بأننا نتمنى وضع حد لهذا الحال ضمن حدود القانون، ونأسف لتردي الأوضاع إلى هذه الهوة. وأننا مع اعتقادنا بأن الحق بجانب الكيلاني، وخاصة فيما حدث تلك الليلة، لأنه محاولة لإقالة الوزارة بطريقة غير مشروعة، نرجح استقالة الوزارة. وكان الهاشمي قد أبدى رأياً مثله ثم انصرف. وهكذا قدم الكيلاني استقالته للوصي برقياً، وثبتها بكتاب أرسله إلى الديوانية فاستدعى الوصي طه الهاشمي إلى الديوانية وكلفه بتأليف الوزارة، فدامت وزارة الهاشمي من كانون الثاني عام ١٩٤١ حتى نيسان ١٩٤١.

إن اتصالنا بالوصي، والتهم التي تنسب إلينا معطوفة كلها على هذا القسم، إذ تألفت وزارة الهاشمي المحايدة بعد انتهاء هذا القسم مباشرة، وطه الهاشمي محبوب لدى الجيش.

يقول الوصي في بيانه أنه ذهب إلى الديوانية ليتخلص من ضغط الجيش عليه، في حين أنه كان يجلس في مقر الجيش بالديوانية، ولو كان بنية الجيش أن يضغط على الوصي، لأصدر أوامره إلى قيادة الفرقة الرابعة أن تفعل. ولو كان بنيتنا أن نعتدي على الوصي أو أن نلقي القبض عليه، لما كان هناك حاجة تدعونا إلى ارسال الدبابات، وحشد لواء من الجنود لمحاصرة قصره، إذ يكفي أن نرسل ضابطاً كبيراً مع نفر من جنود الانضباط إلى قصر الوصي، فيلقون القبض عليه، ويضعونه تحت رقابتهم فيحولون دون خروجه. أو يكفي أن يصدر أحد قادة الفرق أمره إلى سرية الحرس فيلقي القبض على الوصي دون ضجة أو صوت.

لقد كنا ننظر إلى الوصي بعين الاحترام سواء في ذلك الوقت أو بعد انسحاب وزارة طه الهاشمي، وحتى بعد خلعه والتجائه إلى المدمرة البريطانية، وذهابه إلى القدس بعد ذلك بطائرة إنكليزية، وساثبت ذلك في القسم الخامس، إلا أن الإنكليز ونوري بن سعيد وعلي جودت وجميل الملقب بالمدفعي، دبروا هذه المكيدة ليقسموا الجيش على نفسه، وليثيروا العداء بين الجيش والشعب، وليحيلوا ألمع قادة الجيش على التقاعد، وبعد أن يتم لهم إضعاف الجيش على هذه الصورة، يتوصلون إلى تنفيذ مطاليب الإنكليز باشراك فرقة أو فرقتين من الجيش العراقي في ميادين القتال، ويضعون الجيش والشعب تحت تصرف الإنكليز الدائم، ويفسحون المجال

لحشد الجيوش الإنكليزية في العراق، ومنه يهاجمون سوريا وإيران وربما تركيا أيضاً اذا اقتضى الحال. وفعلاً هاجم الإنكليز سوريا وإيران بعد خمسة شهور من الحرب العراقية الإنكليزية.

وسأوضح في القسم الخامس كيف تكررت المحاولات بعد أربعة أشهرلإبعاد الوصي عن التدخل في مثل هذه الخلافات، مستنداً في ذلك إلى افادة صالح جبر الموالي للإنكليز، وإلى افادة الضابط محمد حسين الطريحي.

يقول الوصي في بيانه أنه لم يقابلنا أثناء وزارة الهاشمي أو بعدها، وهذا صحيح واضيف عليه ان طه الهاشمي طلب مراراً أن يقدم قادة الجيش - وأنا منهم - إلى الوصي ليقبّلوا يده وليلتمسوا منه أن لا يضمر لهم العداوة والبغضاء، لأنها مكيدة من تدبير الإنكليز واتباعهم تبتغي اخراجنا من الجيش ليسيطروا عليه من بعدنا.

إلا أن محاولات الهاشمي رفضت جميعاً، وكان الوصي يقول: أنا لاأحب الجيش ولا قادته هؤلاء.

إن ما حدث على عهد وزارة الهاشمي جدير بالتأمل، اذ لو صح أننا اعتدينا على الوصي، لتوصل القائمون على الحكم إلى اتخاذ هذا الحادث دليلاً قانونياً ضدنا. إلا أن الوزارة لم تفعل شيئاً من ذلك، وهذا مايثبت براءتنا مما نسب إلينا.

إننا لم نعتدِ على الوصي ولا على غيره في أي وقت من الأوقات، كما أنني لم أر وجه الوصي منذ أن رفض مقابلتنا وحتى الساعة. وهذه الإتهامات التي رمانا بها أعداؤنا ليس لها إلا تفسير واحد، وهو أنهم يريدون الإنتقام ليتخلصوا منا فيصفو لهم الجو، ويحكمون العراق وفقاً للخطط التي وضعوها دون أن يعارضهم معارض.

القسم الرابع

يبدأ هذا القسم في كانون الثاني من عام ١٩٤١، وينتهي في نيسان عام ١٩٤١، وهو عهد وزارة طه الهاشمي.

تلقى الشعب والجيش نبأ انسحاب رشيد عالي الكيلاني من الحكم بالأسف العظيم، وكان قد اذاع بياناً مؤثراً اوضح فيه أسباب انسحابه. ومع ذلك فقد اغتبط الجيش لتولي طه الهاشمي مقاليد الأمور بعد الكيلاني.

يقوم قصر الوصي غربي دجلة على حدود بغداد، وعلى بعد مائتي متر شمال القصر تقع مناطق التدريب والمقرات والمعسكرات التابعة للفرقة الأولى. وكانت أفواج هذه الفرقة

ومدفعيتها تتجمع، بين حين وآخر، في ساحة التدريب لتقوم بتمارينها المعتادة. وفي أحد الأيام تلقى رئيس الوزراء وزير الدفاع طه الهاشمي هاتفاً من الوصي قال فيه أن هؤلاء الجنود الذين يقومون بتمارينهم يريدون به سوءاً، وأنه يخشى أن يكون جمعهم وتدريبهم وسيلة لتنفيذ مآربهم في ليلة ليلاء، وهكذا كان الوصي سبباً في إرجاء التمارين أو صرف النظر عنها قبل انتهائها. ويذكرني ذلك بقصة قرأتها في جريدة(تصويرالأفكار) عن السلطان السابق عبد الحميد، فقد كان كثير الوساوس والشكوك، وكان أفراد حاشيته يزيدون الطين بلة اذ يختلقون أخباراً يبتدعونها من خيالهم الخصب فيوسوسون بها صدر عبد الحميد لينالوا الحظوة عنده، فيقوى مركزهم. وجاءه أحدهم يوماً بنبأ مفاده أن طائفة ممن يريدون به شراً عزموا على تطيير منطاد مشحون بالمفرقعات لا يكاد يصل سماء القصر حتى يسقط عليها بجهاز ميكانيكي فينفجر. فاستبد الخوف بالسلطان وساكني القصر، وانقلب ومن فيه رأساً على عقب.

لم تكن لمحاولات الوصي هذه أي معنى، وهي أن دلت على شيء فانما تدل على أحد أمرين: التوهم بتأثير وساوس حاشيته الموالية للانكليز، أو تعمد القيام بها لبث التفرقة في الصفوف وفقاً لتدابير الانكليز وشراكهم. وقد نقل لنا طه الهاشمي كثيراً من أخبار الوصي هذه، وكان رئيس اركان الجيش لاينفك يرجو من طه ويشكو إليه قائلاً إن موقف الوصي غير معقول، لأنه يتدخل في شؤون الجيش واختصاص قادته. لماذا ينفر الوصي منا ويمقتنا، ومن يدفعه ويشجعه على ذلك؟ ارجو أن تقدمنا إلى الأمير الوصي لنقبل يده ونطلب منه العفو، مع اننا غير مذنبين وغير مسيئين. على أن مساعي طه الهاشمي في هذا السبيل فشلت، وهكذا ذهبت محاولاتنا لاسترضاء الامير أدراج الرياح، ولم نر وجهه ولا قدر الله أن نراه بعد اليوم.

ولما جاء وزير الخارجية البريطانية المستر ايدن إلى القاهرة، قابل فيها وزير الخارجية العراقية وطلب منه المطاليب بشكل قطعي بات:

١- قطع العلاقات السياسية بين العراق وايطاليا.

٢- السماح للجيش البريطاني بالتحشد في الاراضي العراقية.

٣- عدم ارتياح الانكليز لموقف قادة الجيش العراقي.

وكان على انصار الانكليز أن يجدوا وسيلة لتنفيذ مطاليب الانكليز، لذلك دأب الوصي عبد الاله على ازعاج طه هاشمي والضغط عليه باستمرار.

ولما أُصبت بذات الرئة، قام طه الهاشمي بزيارتي كما قام بزيارتي بعض الوزراء.

قال طه الهاشمي أنه: لولا مرضي لافضى إليّ بخبر يهمني، ولكنه يخشى أن يؤثر

قوله علي وانا مريض، فلما رجوته أن يفصح، قال أن هناك مؤثرات تضغط عليه، وبعد أيام زارني قائد الفرقة الثانية قاسم مقصود (وهوالآن مسجون) فاخبرني أن القائمين على الحكم، يريدون انتقالي إلى قيادة فرقته الثانية بدلاً من فرقتي الثالثة وانتقال قائد الفرقة الأولى كامل شبيب (وهو الآن مسجون أيضاً) إلى قيادة الفرقة الرابعة.

فلَفَتُّ نظر قاسم مقصود إلى أن مثل هذه التنقلات يجب أن تجري بموافقة رئاسة اركان الجيش. لأن النظم العسكرية عندنا تقضي بحصر أمر تنقلات الضباط بيد رئاسة اركان الجيش. وليس للوصي أو لوزير الدفاع أو لاية جهة اخرى أن يمارس هذه الصلاحية، أو أن يتدخل في هذا الأمر، لأنه من اختصاصات رئاسة أركان الجيش وحدها، والكلمة لها في تقرير تنقلات الضباط على ضوء معلوماتها عن كفاءاتهم ومزاياهم. أما قادة الفرق فلايكون نقلهم إلا بقرار تصدره هيئة عسكرية خاصة، ويوافق عليه رئيس اركان الجيش ثم وزير الدفاع. إن اطلاق يد الوصي في شؤون الجيش، يخضعه لأوامر الانكليز وادارتهم، إذ يستجيب الوصي إلى مطاليب الانكليز فيكيد لنا ويحيلنا على التقاعد، فيسير الجيش من بعدنا في ركاب الانكليز ويتضح من مراجعة افادة الوصي أنه كان يبيّت هذا بالفعل.

لم يساورنا الشك في وطنية طه الهاشمي، ولا تبادر إلى أذهاننا يوماً أنه يفضل مصلحة أخرى على مصلحة بلاده، لكنه كان هدفاً لضغط قوي، لم يستطع أن يخفف من حقد الوصي وبغضائه التي أبداها لقادة الجيش دون سبب مبرر ودون ذنب جنوه. وكان يعلم حق العلم أنه لا سبيل إلى الوقوف بوجه المطاليب الانكليزية أو معارضة مايريدون. وإزاء هذا الموقف الذي وقفه الوصي والانكليز واتباعهم أعرب الشعب والجيش عن تمنياته بتولي رشيد عالي الكيلاني رئاسة الوزارة. وكان الرأي العام صريحاً في هذا الموقف، لذلك توجه رئيس أركان الجيش يرافقه فهمي سعيد (وقد نفذ فيه حكم الاعدام) إلى طه الهاشمي فأعطاهما هذا استقالته بخط يده، وعدَّ الهاشمي ذلك فضلاً منه وعملاً معروفاً. وحاولا رفع كتاب الاستقالة إلى الوصي، لكن الوصي لم يكن موجوداً في قصره، ولايدري أحد أين ذهب. وهكذا أرسلت لي الورقة التي حررعليها الهاشمي استقالته فوضعتها في الخزانة الحديدية بمقر غرفتي ومازالت هناك. وتبين لنا في اليوم التالي أن الامير قصد المعسكر البريطاني الواقع على بعد ٦٥ كيلو متر غربي بغداد بعد أن أخبره الهاشمي هاتفياً بأمر استقالته.

يجدر الوقوف هنا قليلاً لمناقشة بعض الجمل والعبارات الواردة في بيان الوصي، قبل الانتقال إلى سرد وقائع القسم الخامس:

١- أعود فأقول أن الوصي والثلاثة المشهورين بموالاتهم للانكليز: نوري وجودت

وجميل، كانوا في قبضتنا وكان بمقدورنا القاء القبض عليهم أو اتخاذ أي اجراء آخر ضدهم، لو كان ذلك في نيتنا. وكان من الميسور أن يتم ذلك دونما صوت أو ضجة قبل أن يقدم الهاشمي استقالته. فنأمر مثلاً سرية الحرس القائمة على حراسة الوصي بأن لاتسمح له بمغادرة قصره، أو يرسل مدير الشرطة العام مفارز من الشرطة إلى منازل الثلاثة الآخرين فيضعهم تحت الرقابة. أما الإتهام المزعوم بأننا قمنا باحتلال بغداد بالدبابات وألوية المشاة، أو بتطويق قصر الوصي بها، فانه زعم لا صحة له. لقد كان الشعب معنا والجيش بيدنا، وما من قوة تقف أمامنا أو تمنعنا، فلماذا نكلف جنودنا هذا العناء ولماذا نحملهم على اجراء هذه المناورات الممتازة بدون حاجة تدعو لذلك. لقد كانت أكثر من فرقتين من الجيش العراقي تعسكر في بغداد بالفعل، فما معنى ماورد في الاتهام من احتلال بغداد؟

٢- جاء في بيان الوصي ذكر الاميرة صالحة، وهي تقيم شرقي دجلة على الشاطئ الايسر وفي داخل بغداد، أما معسكرالطيران البريطاني فإنه يقع على بعد ٦٥ كيلو متراً غربي بغداد وعلى الشاطئ الأيمن من نهر الفرات، وأما قصر الوصي فإنه يقع غربي دجلة وعلى شاطئه الأيمن بجوار ثكنات الفرقة الأولى والطريق التي تصله بالمعسكر البريطاني معبّدة بالاسفلت.

فلو كان الوصي قد ذهب إلى منزل عمته الاميرة صالحة كما يدّعي في بيانه، فلا بد له علي كل حال من عبور دجلة على أحد الجسور، ولابد له أيضاً من اجتياز جسر آخر قبل وصوله إلى المعسكر البريطاني. فلو صدق زعمه بأننا طوقنا قصره واحتللنا بغداد ووضعنا الدبابات على رؤوس الجسور واستخدمنا في ذلك قوات الجيش والشرطة، فكيف تمكن من اختراق كل هذه الحواجز عند ذهابه إلى منزل عمته بعد منتصف الليل ثم عند خروجه في الصباح مرة ثانية؟ كيف تمكن من ذلك إذا كانت بغداد كما يقول؟ لا بل إن الوصي يستحي أن يقول في بيانه أنه ذهب إلى المعسكر البريطاني برفقة صديقه دونفيل، الضابط الانكليزي في دائرة الاستخبارات في السفارة البريطانية.

٣- قلت أن قصر الوصي يقع في منطقة مقرات الفرقة الأولى، وأن ثكناتها تبعد مائتي متر عن القصر باتجاه الشمال الغربي. وهذه المنطقة ليس لفرقتي (الثالثة) علاقة بها. لأن الفرقة الثالثة التي أنا قائدها تنحصر منطقتها بين الشاطئ الأيمن لدجلة وتمتد شرقاً إلى الحدود الايرانية. وربما كانت إحدى السرايا أو الأفواج التابعة للفرقة تقوم بالتدريب، وربما أن هذا لم يحدث البتة، لا أدري على وجه التحقيق لأن هذه المنطقة ليست منطقة فرقتي. إلا أنني أعلم علم اليقين أن الدوريات تبدأ عملها حول المعسكرات عند حلول الظلام، وهذا تقليد

عسكري تسير عليه الجيوش كلها. ومن المحتمل أن يكون الوصي قد رأى بالصدفة احدى هذه الدوريات تقوم بواجبها فحسب أنها تبتغي محاصرته. على أنني في جميع الحالات لاأعلم شيئاً عما يقول في هذا الصدد، وهو إنما فعل ذلك عمداً وفق خطة انكليزية مدبرة، أو أنه فعله بوحي من حاشيته، وجميعها من الموالين للانكليز، وتأويلهم لأوهامه. إن من يقرأ بيان الوصي لا يخرج بنتيجة غير قوله:

- «لقد حاصروني، يريدون القاء القبض علي. إلا أن أحداً لم يجرؤ على ذلك، فنجوت بحمد الله -وقضيت ليلتي عند عمتي..!»

القسم الخامس

يبدأ هذا القسم في نيسان ١٩٤١، وينتهي في حزيران ١٩٤١. وفيه أنتخب الشريف شرف، خال عبد الاله وصياً على العرش، وقامت وزارة الكيلاني، ووقعت الحرب بين العراق وانكلترا.

انتقل الوصي ومعه نوري وجميل وجودت من المعسكر البريطاني إلى البصرة بطائرة انكليزية، ثم ذهبوا إلى مدمرتين بريطانيتين دخلتا شط العرب قبل ثلاثة أيام بدون اذن ورستا بجوار البصرة. ثم ذهب الوصي ومن معه إلى القدس، فقام الكيلاني بتأليف حكومة موقتة.

(جاء في الاتهام أن الوصي ذهب إلى سفينة بريطانية، والصحيح أنه ذهب إلى بارجة بريطانية، وإفادة صالح جبر تؤيد ذلك).

علمنا أن الوصي اتصل برؤساء العشائر المقيمة بأطراف البصرة لما كان هناك. وأنه خابر المتصرفين بلسانه، وحّرضهم جميعاً على العصيان. وكانت محطة انكليزية للاذاعة تنطق بلسانه من مكان مجهول. فلما ايقنوا أن أقوالهم لا تلقى اذناً صاغية، قبعوا في البارجة البريطانية، وتلقيت أمراً هاتفياً من الحكومة المؤقتة ومن رئاسة اركان الجيش بمنع الوصي المخلوع من الاستفادة من وسائل المخابرة كي لا يتصل بأحد لما كان في البصرة، فقمت بدوري بارسال البرقية الموجودة مسودتها في الاضبارة محررة بخط يدي.

فلما علم الشعب بما كان من أمر الوصي، قام بمظاهرات حماسية ضده ووصمه بالخيانة ورماه بالجحود بحق أمته، ونشر رئيس أركان الجيش بياناً موقعاً بامضائه ندد فيه بتصرفات الوصي هذه. وقامت حكومة الكيلاني المؤقتة بدعوة أعضاء مجلسي النواب والاعيان إلى الاجتماع. فقرر المجلسان باجماع الآراء خلع الوصي عبد الاله وانتخاب الشريف شرف وصّياً عوضاً عنه، وهو شيخ وقور محترم في السبعين من العمر، وينتسب إلى العائلة المالكة.

وقد كلفّ الوصي الجديد رشيد عالي الكيلاني بتأليف الوزارة. أما الوصي السابق فقد قضى في البارجة البريطانية عشرة أيام أو أكثر، حتى إذا بلغه نبأ عزله وانتخاب وصي غيره غادر البصرة بطائرة انكليزية قاصداً فلسطين، ثم ذهب إلى عمه الامير عبد الله أمير شرقي الاردن.

اعترفت معظم الدول بحكومتنا الجديدة مثل المانيا وايطاليا واليابان ورومانيا وبلغاريا والمجر، باستثناء انكلترا وأمريكا وبعض الدول الأخرى، أما الانكليز فقد أخذوا يساومون حكومتنا الجديدة ويفاوضونها، وقالوا إن الحكومة البريطانية على استعداد للاعتراف بحكومتنا إذا وافقت على قطع العلاقات بدول المحور، وسمحت للجيوش البريطانية بالتحشد في العراق.

أثناء هذه المساومة، قام الانكليز فجأة بانزال جنودهم في البصرة وما جاورها من بواخر عديدة يحميها اسطول بريطاني، فاتصل رئيس الوزراء الكيلاني بالسفير البريطاني وطلب منه إيضاحاً لهذه الحركة الانكليزية التي تخالف نصوص المعاهدة، والتي تشعر الحكومة العراقية بها مسبقاً. فجاءه الجواب بأن قدوم هذه الفرقة كان اضطرارياً وأن ألوية الفرقة ستسافر إلى فلسطين لواءً بعد لواء وأن مثل هذا الخطأ لن يتكرر. إلا أنه لم تمض ثلاثة أيام حتى جرى انزال لواء مصفّح بصورة مفاجئة وبدون اذن، وبدون أن تسافر الفرقة كما وعدوا. وفي الوقت نفسه تقاطرت الطائرات البريطانية على الطرق قادمة من فلسطين والهند. فقدمت حكومة الكيلاني للانكليز احتجاجاً ثانياً شديد اللهجة، فكانت حجتهم أن البواخر القادمة من الهند لا تبحر إلا مجتمعة في قوافل، وحاولوا وضعنا أمام الأمر الواقع. ولم يمض يومان حتى بلغنا أن رتلاً كبيراً من السيارات المصفحة تحرك من فلسطين باتجاه العراق. كما وصلت العراق عدة بواخر انكليزية محملة بالجنود قادمة من البحرين.

لم يكن الوقت وقت تقديم احتجاج ثالث، لأن المسألة لم تعد مسألة احتجاجات، إذ أصبح الوضع صريحاً سافرا وكان معناه أن البصرة ضاعت من أيدينا. فصدر الأمر حالاً بتعييني قائداً للجبهة الغربية، كما توليت قيادة الفرقة الأولى والقوات المصفحة أيضاً بالاضافة إلى قيادة الفرقة الثالثة. وبادرنا إلى مسك رؤوس الجسور وسد الطرق والمنافذ، إلا أننا كنا نسمح للمفارز الانكليزية الصغيرة بالذهاب والاياب، وكنا حتى ذلك الحين لا نصدق أن الانكليز سيجرؤون على قتالنا، وانهم سيعلنونها علينا حربا شعواء.

هكذا كان الجيش العراقي حين قامت الطائرات الانكليزية بالقاء النشرات على مدن العراق الرئيسية، وبقصف معسكرات الجيش العراقي ومواقعه التي يحتلها قصفاً عنيفاً. وكان ذلك في الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة وبصورة مباغتة ودام القتال شهراً واحداً

بدون اعلان النفير العام. ولما كنا نعلم بضعفنا فقد آثرنا انهاء الحرب، حقناً للدماء وصوناً للأرواح والممتلكات وحفظاً للمؤسسات والمرافق العراقية التي استغرق انشاؤها عشرين عاماً وكلفت العراق غالياً. ولو شئنا أن نواصل القتال لفعلنا ذلك ستة أشهر أخرى، ولكن حبنا للوطن أهاب بنا إلى قطع النار، وهكذا التجأ الكيلاني واعضاء وزارته وقواد الجيش إلى ايران.

وجاء الانكليز بالقائمين على الحكم الآن من اتباعهم، ونصبوا عبد الاله وصياً من جديد، لأنهم ينفذون مشيئة الانكليز بتفانٍ واخلاص، وما قع بأيديهم واحد منا إلا وأعدموه. وما مضى زمن طويل على انقطاع القتال في العراق حتى هجم الانكليز على سوريا، ثم جاء بعدها دور ايران المسكينة، فأطبقت عليها الجيوش الانكليزية المحتشدة في العراق والجيوش الروسية. وكان هجومهم على ايران بدون ذنب ارتكبته، لذلك تذرعّوا بنفس الحجة التي تذرعوا بها في العراق. فلما احتلوا هذه الدولة التي تدين بديننا ألقوا القبض على زملائي، فأرسل بعضهم إلى العراق فكان نصيبهم الموت أو السجن، وأرسل البعض الآخر إلى جنوب افريقيا.

أما أنا، فقد قضيت تسعة شهور في بؤس شديد وفقر مدقع، وقاسيت برد الشتاء الماضي وأنا أجوب جبال ايران حتى تراميت على الحدود التركية في الثاني من شهر نيسان عام ١٩٤٢.

ولما وقعت الحرب بين العراق وانكلترا كان عبد الاله ونوري وجميل وجودت في معسكرات الانكليز، يمتعون انفسهم برؤية دماء قومهم المسفوكة. وسيذكر التاريخ أنهم قاموا ضد وطنهم في هذه الحرب جنباً إلى جنب مع الانكليز.

هذا موجز الحوادث التي مرت على العراق، وما كان من خلع الوصي عبد الاله، وهكذا دفعنا الانكليز دفعاً إلى القيام بما قمنا به، وقبل أن أتناول بالبحث اضبارة الاتهام الجديدة الطافحة بالمغالطات أقول إنني لست بمحامٍ، ولا مال عندي لتوكيل محامٍ يشير علي ويساعدني. ولكني واثق أن القضاء هو محامي الصادقين، وأن القضاء هو الذي سيدافع عني دفاعه عن الحق والعدل.

١- قبل خمسة أشهر رد القضاء التركي الطلب الذي تقدم به العراق لتسليمي وبالتالي لاعدامي، إذ اعتبر القضاء قضيتي سياسية. وكان الذي حكم علي بالأعدام قد أورد في ذلك الطلب جميع الأسباب الموجبة للحكم وسرد الاتهامات كلها. فلما علم أعوان الانكليز في العراق أن تركيا رفضت طلبهم، قاموا بفرز نفس التهم السابقة الملفقة التي وردت في الاضبارة الأولى. فهل يجيز القانون اصدار حكم جديد بالأعدام إلى جانب حكم الاعدام

السابق؟ وهل هذا من العدل أو القانون في شيء؟ إن العدل والقانون لا يعنيهم كثيراً، ولا يهمهم بأية وسيلة يتوصلون إلى إلقاء القبض علي واعدامي، ولو كانت كذباً وتلفيقاً.

٢- سمعت من اذاعة بيروت وبغداد، كما قرأت في الصحف الإعلان التالي قبل اسبوعين:-

إلى العقيد الركن المتقاعد صلاح الدين الصباغ

لقد اقتضى تكليفك بالحضور، للاجابة على التهم الموجهة إليك حسب المادة ٣٠ و ٤١ من قانون العقوبات العسكري، وعليه وجب حضورك أمام هذه المحكمة خلال ثلاثين يوماً من تاريخ هذا الاعلان. وعند عندم حضورك، ستجري محاكمتك غيابياً ويحكم عليك باسقاط الحقوق المدنية عنك وحجز اموالك المنقولة وغير المنقولة.، وسيكلف جميع الموظفين المدنيين بالقاء القبض عليك، والزام كل شخص يعلم بمحل اختفائك أن يخبر الجهة العسكرية بذلك وفقاً للمادة (٥٨) من قانون الأصول العسكري.

الزعيم الركن رئيس المحكمة العسكرية للفرقة الأولى

لم ينشر هذا الاعلان إلا بعد أن رفض القضاء التركي اعادتي إلى العراق، وهم انما يريدون القاء القبض علي لينفذوا بي حكم الاعدام، ويكسروا شوكة الوطنيين في العراق.

٣- تنص المادة التاسعة من قانون الجزاء التركي علي مايلي: «إذا طالبت دولة أجنبية باعاة احد المجرمين السياسيين أو ممن لهم علاقة بالسياسة، إلى تلك الدولة فإن طلبها لا يقبل»

لقد عاد الوصي المخلوع عبد الاله إلى العراق بقوة الحراب الانكليزية فأعدم زملائي، وقد يشاء الله فيعود الكيلاني إلى العراق، ولا يجد اتباع الانكليز الذين أعدموا زملائي ملجأً يلوذون به غير تركيا. ولن تعتبرهم تركيا إلاّ لاجئين سياسين، لأن الاتراك لا يسلمون من التجأ إليهم. وما كان الكيلاني في تلك الحالة ليتقدم اليكم بطلب تسليمهم. فكيف بنا ونحن لم نؤذ أحداً من أبناء وطننا ولم نسفك دماءه، ولا انتقمنا ولا انتفعنا. هل من الحق في شيء أن يتقدم اتباع الانكليز بهذا الطلب!؟.

٤- إننا نعتبر حكومة نوري بن سعيد القائمة في العراق غير شرعية. ونعتبر وصاية الوصي الموجود في العراق غير شرعية أيضاً. وهناك دول كثيرة لم تعترف بشرعيتها حتى

الآن بالاضافة إلى دول المحور.

لقد خلع الانقلاب التركي السلطان وحيد الدين، فالتجأ إلى الاسطول البريطاني وقام بنفس الافعال التي قام بها الوصي المخلوع عبد الاله. كما أصدر حكمه باعدام أتاتورك وزملائه. ترى أي الطرفين كان محقاً وأي الطرفين نال مؤازرة الشعب؟ ماذا كان مصير أتاتورك لو انتصر وحيد الدين ومن معه بقوة الحراب الانكليزية؟ وهل كانت لحركة أتاتورك صفة سياسية أم لا؟ وهل كان يفهم من الحكم الذي أصدره وحيد الدين من بعد التجائه إلى البارجة البريطانية بإعدام أتاتورك، أنه ما أصدر حكمه إلاّ لأن أتاتورك اعتدى عليه واجبره على الهروب إلى البارجة البريطانية؟ ثم هل كان يجوز لوحيد الدين أن يصدر حكماً جديداً في نفس التهم السابقة التي حكم بموجبها على أتاتورك بالأعدام بعد أن يفرزها ويفسرها بشكل ملفق لأظهار أتاتورك بمظهر المجرم العادي؟.

٥- إن الوصي الشرعي على عرش العراق هو الشريف شرف الذي زج به في سجون أفريقيا الجنوبية. أماعبد الاله الذي عاد إلى العراق بقوة الحراب الانكليزية ونصّب وصيّاً من جديد فإنه وصي غير شرعي. إن الحكومة العراقية الشرعية هي حكومة الكيلاني لأنها قامت بإرادة الأمة، أما الحكومة التي أقامها في العراق أتباع الإنكليز مثل نوري بن سعيد وغيره فإنها حكومة غير شرعية، ومثل هذه الحكومة تنهار حالما تنسحب الحراب الانكليزية من العراق.

وما سعيهم للتخلص منا بأي ثمن ولهفتهم هذه إلا دليلاً على خوفهم منا، لأن الشعب والجيش يحبنا ويمقتهم.

الخلاصة

يقوم هذا الاتهام الجديد علي ثلاث حجج كاذبة، ليسند بها زعمه بأني اعتديت على عبد الاله الوصي غير الشرعي:-

١- الإدّعاء بأني وجهت للوصي كلاماً خشناً أو هددته.

٢- الإدّعاءبأني وزملائي كنا نحمل مسدساتنا في حضرة الوصي، وينحصر هذا الإدّعاء في افادة رئيس مجلس الأعيان وحدها.

٣- الإدّعاء بأن رئيس مجلس الاعيان قال لنا بأن الأمة هي مصدر القوة لا الجيش (وقد تناولت هذا الموضوع بالبحث في القسم الثالث).

أما تهديد الوصي لما كان بالبصرة فلا مجال للبحث فيه إذ لا علاقة لي بشخص استغني عنه بعد خلعه فأقام في بارجة بريطانية.

ماهذه الاتهامات إلا مغالطات لا أساس لها من الصحة، فإننا إذا راجعناها وتحرّينا تاريخ وقوعها تبيّن لنا أنها كاذبة كلها، ملفقة من أساسها. فالوصي في بيانه، ورئيس مجلس الاعيان في افادته، يقولان أن هذه الحوادث وقعت قبل ذهاب الوصي إلى مقر الفرقة الرابعة بالديوانية، أي في غضون شهر كانون الثاني ١٩٤١ ويتضمن هذا التاريخ ماحدث في القسمين الثالث والرابع لما تولى طه الهاشمي رئاسة الوزارة، ثم يلي ذلك القسم الخامس الذي تم فيه تأليف حكومة الكيلاني ووقع العدوان الأنكليزي على العراق. وتفصل بين كانون الثاني ونيسان من سنة ١٩٤١ فترة قامت فيها وزارة الهاشمي، فلو كنت -أو كان واحد من رفاقي الذين أعدموا -قد قام بهذه الأفعال المنسوبة لي، فلماذا لم أحاكم عليها آنذاك من قبل تلك الوزارة، وهي الوزارة التي تألفت برغبة الوصي؟ ولو كانت الاتهامات المنسوبة لي قد وقعت بالفعل إذن لقامت الوزارة باثبات الجرم علينا واتخاذ مايقتضيه القانون بحقنا من تطبيق الاحكام واصدار القرارات.

أوضحت في القسم الثالث أن رئيس مجلس الأعيان لم يكن حاضراً حين قابلنا الوصي، بل أننا لم نقابلهما معاً في حياتنا، ولم تجر بيننا احاديث غير التي أتيت على ذكرها في القسم الثالث، كما لم تصدر منا أية عبارة تنال من كرامة الوصي، وليس من سبب يدفعنا إلى استعمال مثل هذه الألفاظ التي لاتليق بمراكزنا وقياداتنا. ولا تليق برئيس اركان الجيش الذي يبلغ الستين من العمر.

أما حمل المسدسات فلم يرد ذكره إلاّ في افادة رئيس مجلس الأعيان محمد الصدر،

وبيان الوصي والإفادات الاخرى لاتأتي على ذكره. وقد سبق الرد على هذا في الفقرات (٣و٤و٥و٦) من القسم الثالث، ويزعم رئيس مجلس الأعيان أنه قال لنا أن الأمة هي مصدر القوة لا الجيش. وهذا الزعم لا ينطبق على الحقيقة، لأن ما حدّثنا به لم يكن في قصر الوصي بل في منزله هو حين ذهبنا لزيارته.

وجميع أقواله مذكورة في الفقرة (٧) من القسم الثالث.

لم يقع على الوصي حين مر بالبصرة أي اعتداء، ولم يحاول أحد القاء القبض عليه. ويتضح من مراجعة افادة الضابط محمد حسن الطريحي أن الوصي قام بتصرفات ضارة حين مرّ بالبصرة وأنه طلب من القيادة العليا مراراً تفويضه بإلقاء القبض على الوصي لمنعه من المضي في تلك التصرفات، خاصة بعد أن خلع من الوصاية وأصبح شخصاً اعتيادياً. كما ورد في افادة صالح جبر مايدل على أن الوصي اجتمع بضباط الجيش في البصرة وحرّضهم على التمرد، ولكن لم يرد فيها مايدل على وقوع مايمس بالوصي، وليس في الافادات التي أدلى بها أنصار الانكليز الكبار مايدل على قيام أحد من الناس بأي عمل يمكن اعتباره اعتداء على الوصي المخلوع، مع أن تلك الافادات تكيل لنا الطعن بلا حساب.

ولو أننا اتخذنا التدابير للحد من تصرفاتهم، لما تمكنوا من الطيران إلى البصرة بطائرة بريطانية، فناموا ليلتهم هناك في دار أحد الانكليز، ثم ذهبوا بعدئذ إلى البارجة البريطانية ومنها إلى فلسطين بالطائرة، فالواقع أنهم كانوا أحراراً في تنقلاتهم، ولو أردنا القاء القبض عليهم لما نجوا من ايدينا، ونحن نملك جميع القوى والوسائط. إلا أننا لم نفعل شيئاً من ذلك، ولم يكن بنيتنا أن نفعل. وكانت نتيجة حسن نيتنا أن الانكليز اعادوهم إلى العراق فوضعوا زمام الأمور بأيديهم من جديد، فكان جزاؤنا الاعدام، وهم يطلبون من تركيا الآن اعادتي إلى العراق لاعدامي بعد أن أعدموا زملائي.

على أننا لم نجعل هؤلاء هدفاً لنا، فقد كان الانكليز هدفنا، ولم يخطر على بالنا يوماً أن هؤلاء الأشخاص سيستقر بهم المقام في معسكرات الجيش الأجنبي الذي يسحق أبناء وطنهم بقدمه.

الخاتمة

قبل خمسة شهور، طلب القائمون علي حكم في العراق من تركيا تسليمي إليهم لينفذوا حكمهم باعدامي، إلا أن طلبهم ردَّ باعتبار قضيتي سياسية، ومن جملة الاتهامات التي نُسبت إليّ وإلى رفاقي تهمه معينة هي الأعتداء على الوصي. وقد حكم علينا اتباع الانكليز بالإعدام استناداً إلى هذه التهمة وغيرها من التهم الملفقة. لكنهم لما أخذوا جواب الحكومة التركية، ذلك الجواب العادل القاضي بعدم تسليمي، ولما علموا أنهم لن يتمكنوا من القبض عليّ أبداً، أفردوا اتهاماً واحداً من الاتهامات العديدة التي وردت في الافادات الملفقة التي أدلى بها اتباع الانكليز، ليتمكنوا من اتهامي بجريمة عادية فيصدر فيها القضاء حكماً جديداً.

لا أدري إن كانت مثل هذه اللعبة في حدود القانون، لكني واثق أن القوانين لن تجيزها بأي حال لأنني بريء مما يدعون، ولأنني لم أوقع الضرر بانسان. وإنما يأتي القانون على ذكر هذه الألاعيب ليبعد القضاء عنها ويمنع وقوعه فيها. ولماذا يفردون اتهاماً معيناً من حكم الأعدام السابق ومن نفس الأفادات؟ لقد أرسلوا هذا الاتهام وهم يأملون أن ينطلي على نباهة القضاء التركي وحصافته، ولم يعترهم الخجل مما يفعلون، ألا أنهم قتلة موتورون، مضرّجة أيديهم بدماء أصحابي، وهمّهم الوحيد هو إلحاقي بأصحابي الذين أُعدموا، هذه غايتهم، يريدون الوصول إليها بأية وسيلة، ولا يتورعون عن الكذب والاحتيال في هذا السبيل. ذلك انهم خائفون، لأن الجيش العراقي مازال متعلقاً بي وبزملائي. إنهم يخافون يوماً نعود فيه، لذلك يلفّقون ويحتالون ويتلهفون للقبض علي، فإذا كان لهم ذلك لم يكتفوا باعدامي، ولن يروي غليلهم سوى التمثيل بجسدي، لأني كنت أقدم رفاقي الذي أعدموا وقائدهم.

لقد كنا، أنا ورفاقي الذين اعدموا، لانقيم لهؤلاء وزناً ولا نحسب لهم حساباً، لذلك لم يخطر على بالنا يوماً أن نسيء لهم، فتركناهم أحراراً وسمحنا لهم بالتنقل، فلجأوا إلى أحضان الانكليز، لأن قضيتنا لم تكن ضد عبد الاله أو غيره، أي أنها لم تكن ضد أشخاص معينين، بل كانت ضد الانكليز، إذ لم نوافق على خرق المعاهدة العراقية الانكليزية، ثم دافعنا عن وطننا وشعبنا وعن حكومتنا الشرعية، ووقفنا بوجه الهجوم الغادر الذي قام به الانكليز على حين غرة لاجبارنا على الرضوخ لمطاليبهم، ولم تقع حوادث أخرى على عهدنا.

لو كان هؤلاء وطنيين لساعدونا ولو خفية ولما كنا في ذلك الوضع. لأنني لست ممن يبيع نفسه لألمانيا أو لأية دولة أجنبية أخرى. وكذلك أصحابي. ولقد كان لنا هدف واحد فقط هو الانكليز، الانكليز الذين يسحقون بلادنا.

لو كـان هؤلاء وطنيين لما لفقـوا هذه الاتهـامـات الكاذبة ليـقـتلوا بهـا أبناء وطنـهم، لأن العراق لن يجد من يحلّ محلّ أصحابي الذي أعدموا لعشرين سنة أخرى. أما نحن فلم نعدم أحد ولم نسفك دماً ولا حقّرنا فرداً. لقد كان الأنكليز همنا الأول والأخير، والأنكليز فقط. لكنهم كانوا أكثر انكليزية من الأنكليز، ولم يروِ غليلهم ماأراقوه من دماء الشعب حتى الآن.

أعود فأقول إننا أبرياء لم نجن ذنباً، وإنني لم أحقـر أحد، ولا صدر مني كلام خشن ضد أحد لأن ذلك لا يتـفق مع مـركزي ولا مع ثقـافتي وتربيتي. إن تاريخ الافادات التي توجه الاتهام ضدي وتاريخ الحوادث التي ذكرهاالوصي المخلوع عبد الاله في البيان الرسمي الذي اذاعه في الراديو بنفسـه، توضح ظلم هؤلاء وبعدهم عن الحق فيـما يدعّون، إذا مـاقورن ذلك التاريخ بالحوادث التي أتيت على ذكرها في القسم الثالث والأقسام التي تليه. إنهم يريدون أن يوهموا القضاء التركي بأننا مجرمون حتى إذا سلمتني تركيا إليهم أعدموني، وما قاموا بهذه المحاولة إلا بعد أن فشلت محاولتهم الأولى إذا أوضحت لهم تركيا عدم جواز تسليم المتهمين السياسيين.

لقد انفق الشـعب الوف الجنيـهات على دراسـتي وتثـقـيفي في مـعـاهد الهند وانكلترا، وتلقيت الدراسة في كليتي الأركان العراقية والأنكليزية حتى توليت القيادة العليا. ولم أرتكب جريرة طوال حياتي العسكرية التي دامت سبعا وعشرين سنة، فهل يتفق مع العقل والمنطق أن اعتبر الآن مجرما؟.

لو كنت أهدف نفعاً شخصياً لماشيت الانكليز، فأصبحت الآن رئيساً لاركان الجيش، فقد عـرض علي الانكليز رئاسـة أركـان الجـيش كـمـا عـرضـهـا علي أعـوانهم، بل أنني كنت بالفـعل جديراً بهذا المنصب، أنا الذي اعيش اليوم فقيراً لاأملك مـايسد الرمق. لقد وصلنا إلى هذه الحال، أنا وأصحابي، في سبيل الشعب والوطن. وما غاب عنا يوماً أن عملنا الذي نقدم عليه سيعود بالضرر على مصالحنا الشخصية، لكننا لم نأبه بذلك وضحّينا بمصالحنا في سبيل الشعب والوطن. وقدمنا أنفسنا ومصالحنا فداء لبلادنا طائعين. وأنا وافراد عائلتي المتشردة بين سوريا والعراق، وأطفال وزوجات الذين أعدموا من أصحابي، نعيش ببؤس وشظف بعد أن ضحينا في سبيل بلادنا بآمالنا العريضة وأيامنا المشرقة، وبأموالنا وأرواحنا.

لادراهم عندي لتوكيل محامٍ، وليس ورائي حراب انكليزية تحميني، ولا أية قوة أخرى إلا الله، وعدالة قضيتي التي فديتها بكل شيء.

صلاح الدين الصباغ

«المحاكمة»

محكمة الجزاء البدائية

إن العقيد العراقي صلاح الدين الصباغ، الموجود حالياً في بلادنا معتقلاً في سيواس، والذي كان قائداً للفرقة الثالثة في جيش رئيس الوزراء العراقي السابق رشيد عالي الكيلاني، والذي حاول توجيه السياسة العراقية على ضوء المعاهدة القائمة بين العراق وبريطانيا، والذي ناهض الانكليز وقاد المقاومة المسلحة ضدهم، والذي قام بقلب الحكومة، ثم غُلبَ في الحرب ضد الانكليز فانسحب، وبالنظر للقرار الصادر بتاريخ ١٩٤٢/١/٦ عن المجلس العرفي العسكري المنعقد في بغداد والقاضي بالحكم عليه بالاعدام بموجب المادة (٨٠) من قانون العقوبات البغدادي، فقد ارسلت الحكومة المحلية كتابها المؤرخ ١٩٤٢/٦/٢ والمرقم ١٧٨/٤٨٦ إلى وزارة العدل التركية بطلب اعادته إليها لتنفيذ الحكم فيه.

وبالنظر إلى المادة (٩) من قانون الجزاء التركي واستناداً إلى الصلاحيات التي خوّلها القانون للمحكمة بشأن طلب التنفيذ وبالنظر للأوراق السابقة، فإن قائد الفيلق في حكومة رشيد عالي الكيلاني الفعلية، يعتبر لاجئاً عسكرياً سياسياً تمنع المادة (٩) من قانون الجزاء التركي تسليمه.

١٩٤٢/٦/٩

المدعي العام: بهاء سويسال

شهادة رقم (14)

الأفول المشرق

للشاعر العربي الكبير معروف الرصافي

أيها الأنجم التي قد رأينا ... عبراً في أفولها، كالشموسِ

إن هذا الافولَ كان شروقاً ... في دياجير طالعٍ منحوس

وسيأتي منه الزمان بسعدٍ ... تنجلي منه داجيات النحوس

شنقوكم ليلاً على غير مهلٍ ... ثم دسّوا جسومكم في الرموس

أفكانوا في ظلمة الليل تُجراً ... هرّبوا المال من جباة المكوس!؟

هكذا الخائف المريب يُواري ... فَعلة السوء منه بالتغليس

شنقوكم لأنكم قد جعلتم ... علم الجيش غير ما منكوس

شنقوكم لأنكم قد أبيتم ... أن تكونوا في ربقة «الأنكليس»

فاستحقّوا اللعن الذي كرّرته ... خاليات القرون في «ابليس»

سيديم الزمان لعناً عليهم ... شائع الذكر في بطون الطروس

أيها الأنجم التي تركتنا ... في أسىً من مصابها محسوس

في سبيل الأوطان متّم ففزتم ... بأجلّ التحميد والتقديس

وستبقى الذكرى لكم ذات رمزٍ ... هو تعظيمكم بخفض الرؤوس

وسيجري احترامكم في مجاري ... شرفٍ خالدٍ لكم قدموس

إن يوماً به نعيتم الينا ... يوم بؤس كيوم «حرب البسوس»

قد حكاها طولاً وشؤماً وبغياً ... وتلظّى بجرّ نارِ المجوس

فيه أبدت منّا الوجوه كلوحاً ... في شحوب وغبرةٍ وعبوس

اذ سكنّا وفي القلوب ارتجاج ... مثل تيّار لجّة القاموس

وأطلنا عن الكلام سكوتاً ... معرباً عن نشيجنا المهموس

ووجمنا حزناً وربّ وجومٍ ... يتأتّى من صاخبات النفوس

برئت ذمة المروءة منّا ... إن نُسيْ يوم شنقكم أو تُذ[illegible]

ألقيت هذه القصيدة في رثاء قادة عام ١٩٤١.

رابعاً:

إلى أولادي

أولادي الأعزاء نزار وربيعة وأنمار

لقد سلّمني الاتراك، فنقضوا عهود الشرف والقوانين المرعيّة في بلادهم. لقد سلّمني الاتراك إلى الانكليز على الحدود السورية، بمعونة الدرك السوري... في ميدان اكبس. إن رجال سوريا والعروبة يشهدون بأنني لو كنت ذا نزعة عراقية اقليمية، لاصبحت الآن أعلى من نوري ومن عبد الاله مقاماً عند الأنكليز، وإن تضحيتي في سبيل فلسطين وسوريا المحبوبتين، هي التي أوصلتني إلى هذه الحال.

ويعرف ذلك رجالات سوريا الوطنيون مثل القوتلي ومردم والجابري، الذينظ كانوا يلجأون في ايام المحنة إلى صلاح الدين واخوان صلاح الدين في العراق، لا إلى نوري وعبد الإله.

لاتأسوا عليّ وكونوا خير خلف، والله يحفظكم ويرعاكم ياأولادي الأعزاء.

تحيا العروبة.

والدكم صلاح الدين الصباغ

ميدان اكبس: في قبضة الانكليز والعرب

يوم الأحد ٣٠ ايلول ١٩٤٥

شهادة رقم (15)

الوصية بخط يد الضابط (السجّان) عدنان محي الدين

وصيّة صلاح الدين الصبّاغ

التاريخ ١٥/ تشرين الأول
سنه ١٩٤٥

زوجتي العزيزة والدة نزار وربيعة
زوجتي العزيزه والدة انمار
اولادي الاعزاء نزار انمار ربيعة

كنا مكتفين قانعين بعيشتنا البسيطة الهنيئة ولا سوء لنا على غيرنا وقدّر الله ان يفرّق بيننا ابدياً وهذه تقادير الله لا نعلم بها وما علينا إلا طلب رحمته ويبقى عائلتنا حصينة الشرف وبعيدة عن الطعن بغيرها وعليّ وجلّ غايتي ان تبقى عائلتي مصونة الكرامة بعيدة عن المعاره والأعمال التي تشين سمعتها. فاوصيكما بتربية اطفالنا على منهج القومية الحقة والواجب الانساني وأن لا يؤذون شبراً منها كانت قوميته كما اوصي زوجتي والدة انمار انها شابة وانني أريد أن لا تحزن من أجلي وأن تدع ولدهما بحضانة ابويها.

واني لآسف يا اولادي الاعزاء وزوجتاي لاني تركتكم لا تملكون داراً أو درهماً وعقاراً والله يعينكم وبني جلدتي كراماً وإن جاروا علينا.

ولدي نزار اوصيك باخوتك وان تجتمعوا في بلد واحد واذا امكن في دارٍ واحدة مع ازواجكم واولادكم وان تكون انت الوصي على تربية اخوانك تربيةً تشرّف سمعة العائلة التي انحدرت منها واسكن صيدا قرب بيروت ولا تكون مثلي. انا بقيت وحيداً بلا معين وأخ ولا خال ولا أم واسكن صيدا وبذلك قد تنالون معونة من أقربائكم وإن كانت الصلة مقطوعة منذ أمد بعيد.

واوصيكم اولادي ان لا تنجبوا إلا مسلكاً حراً يكفيكم شر

وساوس الناس ومكرهم وخداعهم كما حدث لي وكانت النتيجة

أن تنكبوا بفقد والدكم وسندكم الوحيد بعد الله . وكم انا أتشوق

لرؤياكم وسأذهب بهذه الحسرة وقد تركتكم اطفالاً والآن وقد مضت

[illegible] تتجاوز الاربعة سنين ونصف لابدّ وانكم الآن قد

ترعرعتم وتبدلت اشكالكم التي كنت تواقاً قبل افتراقي الأبدي

[illegible] وهذه تقادير الله . لابد من انكم تجدون من رجالات العرب

بعض المساعدة فيما لو راجعتموهم وقد فديت نفسي في

سبيل الغايات التي يستشهدون فيها فكونوا مع الله اعزائي

واسأل الله ان يعينكم ويحفظكم ويبقيكم خير خلف .

الوداع زوجتاي العزيزتان واقبلكما واقبلك يا عزيزي نزار

وربيعة وأنمار .

S. Sabbag

والدكم

امضاءكم على هذا

ان الرزمة [illegible] من قبل ضابط دلالة على الطلبة [illegible] الا [illegible] وحفظه كما وانه وقع [illegible] [illegible] بحضوري

١٥ / ٥ / ٤٥ المقدم

آمر معتقل ابي غريب

ملحق الصور



صلاح الدين الصبّاغ مديراً للحركات العسكرية عام ١٩٣٩

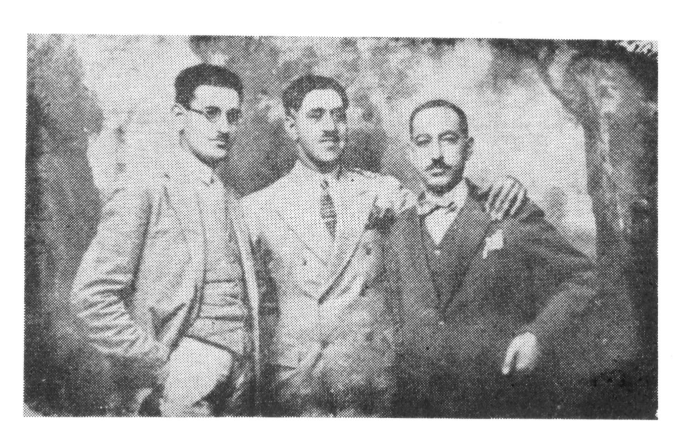


الأستاذ سعيد الصباغ ابن عم الشهيد البطل



صورة عائلية

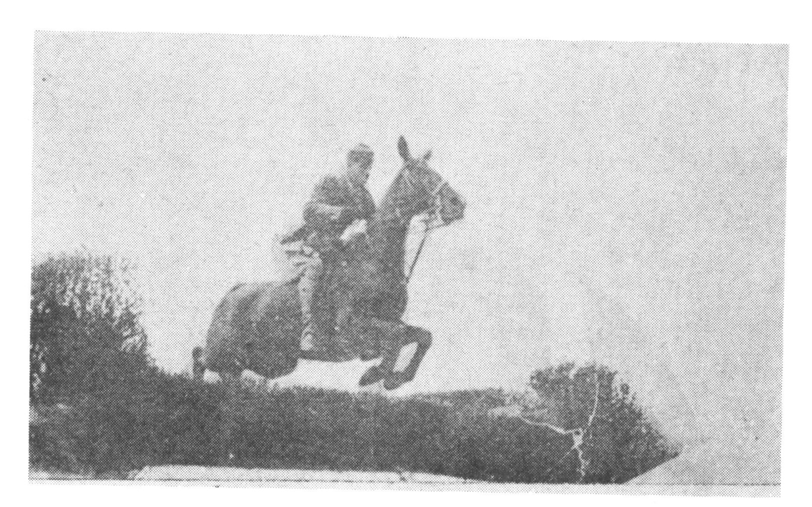
البطل الشهيد مع عمه السيد كامل إبراهيم الصباغ وأبناء عمه
السادة سعيد وإبراهيم وأمين كامل الصباغ فى صيدا عام ١٩٢٨



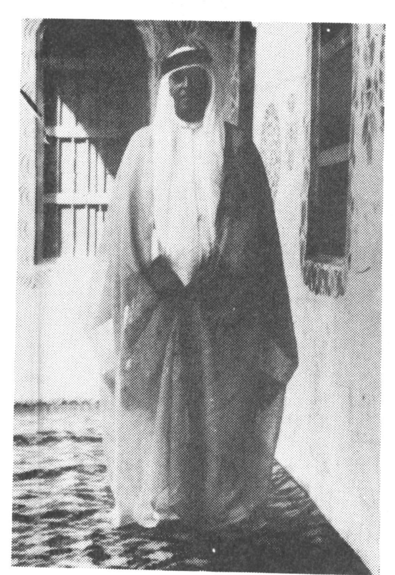
صورة للشهيد فى فلسطين . . فى ميناء حيفا عام ١٩٢٧
وهو يقف بين ابن عمه السيد سعيد كامل الصباغ وابن عمته السيد أحمد فارس الياسيني



الشهيد كامل شبيب،



هذه الصورة عام ١٩٢٨



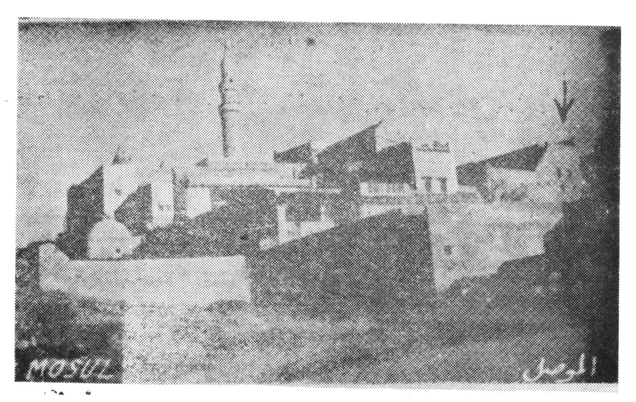
الشهيد في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٠ مع الوفد العسكري



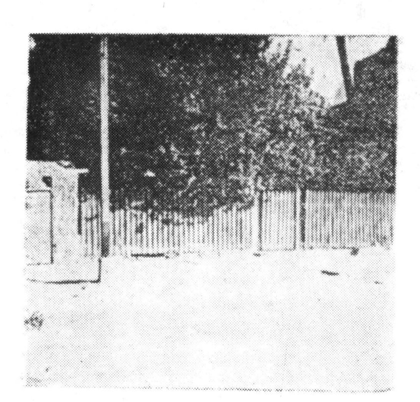
المرحوم حسن شوقي الصبّاغ
شقيق الشهيد صلاح الدين



الشهيد محمود سلمان.



منظر عام لقرية « نينوى » فى ضواحى الموصل . . ويبدو جامع النبى يونس ومئذنته . .
وإلى جوار « السهم » توجد الدار التى أقامت فيها السيدة خديجة والدة الشهيد بعد
وفاة ولدها حسن شوقى



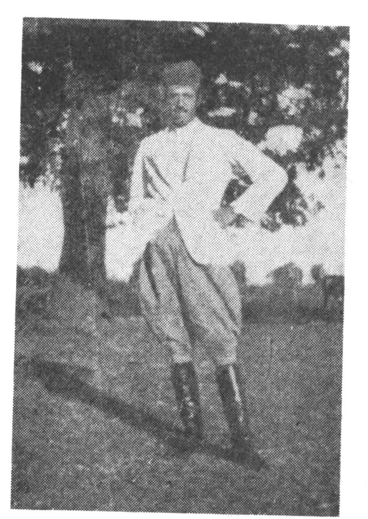
هذه صورة الدار الصغيرة رقم ١ ف ٤ بشارع العسكرى
« محلة العيواضية » فى بغداد . .
وفى هذه الدار كانت تتم الاجتماعات العربية التى كان يعقدها
البطل العربى صلاح الصباغ مع زملائه



الشهيد فهمي سعيد،



صلاح الدين وفهمى سعيد ..
وقد أخذت لهما هذه الصورة بعد عودتهما من الاقليم السورى
بعد معركة ميسلون التى اشتركا فيها معاً



فى الهند فى عام ١٩٢٤



أصدقاء للشهيد .. واحد من حلب والثانى من غزه ..
كانوا فى جبهة الشريعة فى اللواء ١٤٦ فى ١ مايو ١٩١٨ ..
الأول صلاح الصباغ والثانى عبده الحلى (حلب)
والثالث سعيد الشوا (غزة) وصديق رابع ..



صلاح الدين بعد التحاقه بالجيش العراقى ..
بعد معركة ميسلون التاريخية ..



الشهيد محمد يونس السبعاوي.


مدير الدعاية العام، محمد صديق شنشل

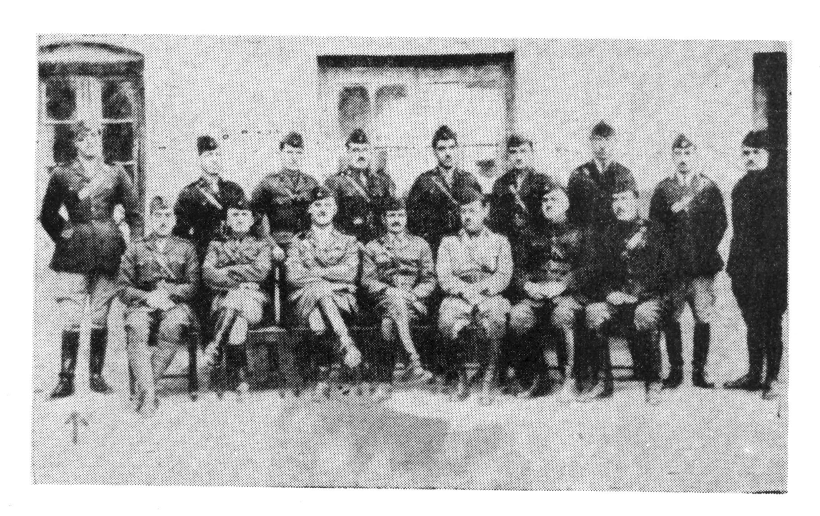

آخر صورة للشهيد صلاح الدين الصبّاغ،


الرائد الركن (الرئيس الأول) محمود الدرّة.

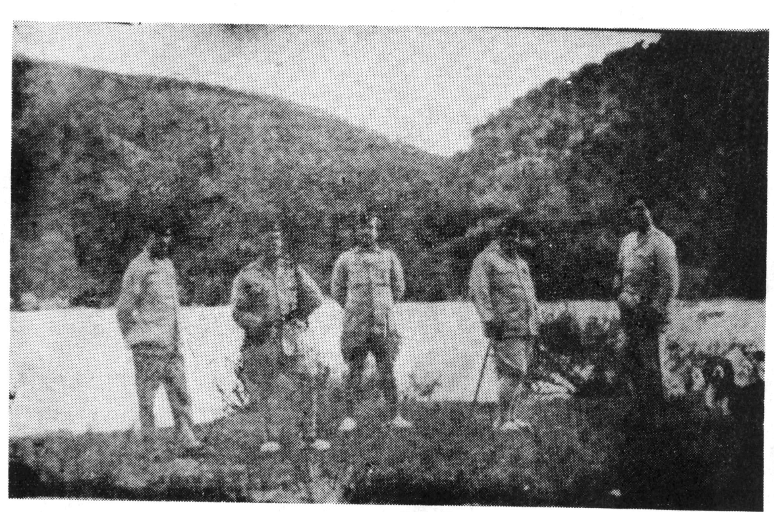

صلاح الدين الصبّاغ في سوريا- دمشق عام ١٩٢١.


فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٨

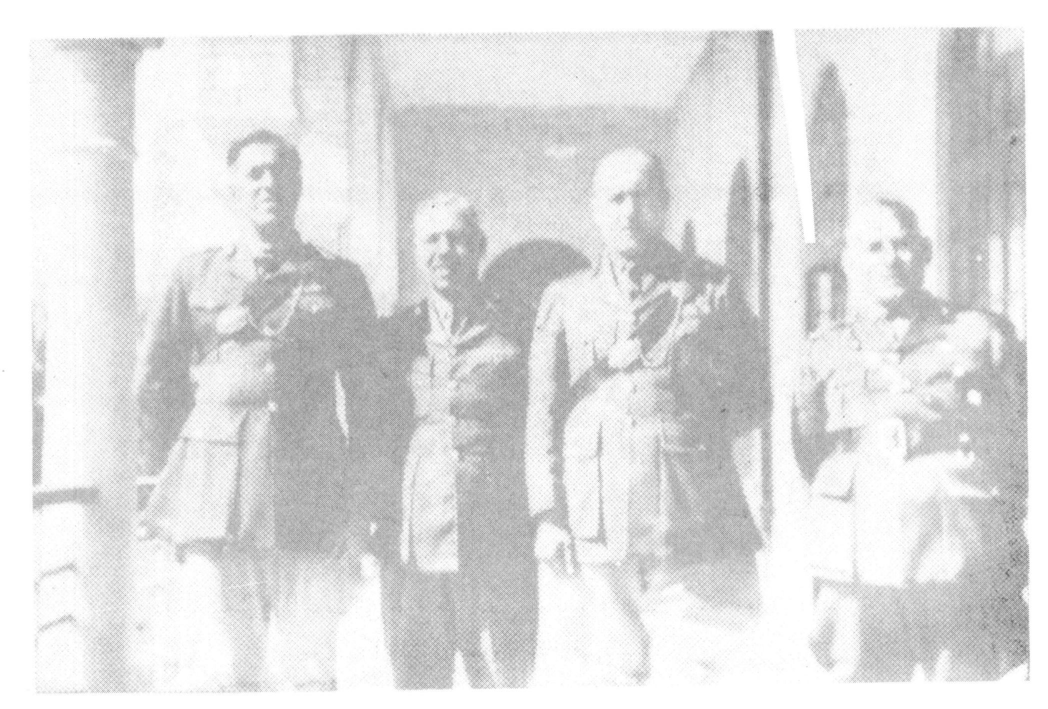

أثناء دراسته فى كلية الأركان في كامبرلي في بريطانيا.



دورة كلية أركان الحرب التى تخرج منها البطل ، ويبدو فى الصورة ومعه زملاؤه وأساتذته . .
كما يظهر فى الصورة البطل فهمى سعيد . .



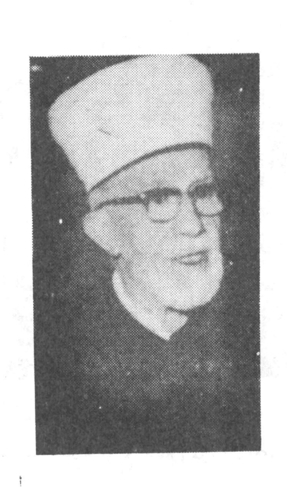
على حدود العراق الشمالية عام ١٩٣١ البطل الشهيد مع بعض زملائه
وقد أمسك كل واحد منهم بعصاه وبرجليه نوع معين من الاخفاف لتساعده على تسلق الجبال



الشهيد مع العقيد حسن مكي، اللواء ابراهيم الراوي، الزعيم قاسم مقصود



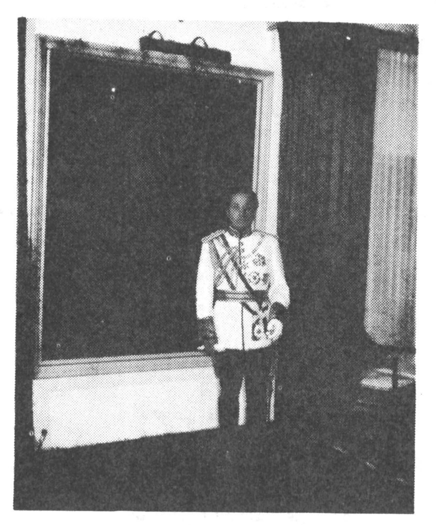
لوصي على عرش العراق المرحوم شريف شرف (١٩٤١)



الحسيني مفتي فلسطين



محمد حسن الطريحي

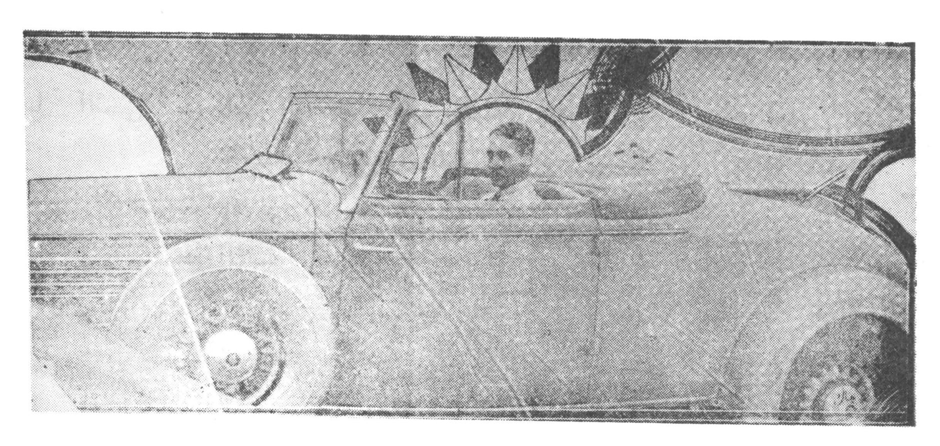


الملك فيصل الثاني



افتتاح الدورة النيابية التاسعة لمجلس الامة العراقى

عبد الأله الوصي على عرش العراق ،
الجنرال نورى السعيد



صاحب الجلالة الملك غازى الاول يقود سيارته بنفسه

الفهرس

المقدمة: فقه العروبة	٣
قصيدة ياصيحة الصبُا غ	٩
الفصل الأول: الفاتحة	١٥
الأهداف	١٨
السجل	٢٣
لماذا نستعمر؟	٣٥
العربي بين العقيدة والأنانية	٣٩
من قيود المعاهدة العراقية الإنكليزية	٤٧
مبادئ الإنكليز في العراق	٥١
رأي أجنبي	٦٠
في تعريف الخائن	٦٦
نحن والإنكليز	٦٩
نحن والألمان	٧٥
قصر أعمار الوزارات	٨٢
الفصل الثاني: ضحايا الوصاية على عرش العراق واستعداد بريطانيا للحرب	٨٨
الضحية الأولى	٨٩
الضحية الثانية	٩٧
بين اقتراح صباح وشهادة عبد الله	١٠٣
الاجتماع بالوصي	١١٦
الفصل الثالث: الوطنية والاستعمار لايأتلفان ولايجتمعان في مكان إلاّ ويصطدمان	١٢٢
قدوم الحسيني مفتي فلسطين إلى العراق وآراء السياسيين حول موقف العراق من الحرب	١٢٨

إحالة حسين فوزي والعمري على التقاعد	١٤٢
كيف وافق الكيلاني على تأليف الوزارة	١٦٣
نوري يشرع في تطبيق حلوله	١٧٠
اللائحة	١٧٧
خصوصيات الحكام وتعلقها بالصالح العام	١٨٩
وقوف العراق على الحياد	١٩٦
الاجتماع الأخير	٢٠٩
الجيش والسياسة	٢١٧
فشل الوصي في تنفيذ المؤامرة	٢٣٢
ضغط الوصي على طه الهاشمي	٢٤٨
مصير وزارة طه الهاشمي	٢٦٧
المؤامرة	٢٧١
المنشور والملكة	٢٧٧
خلع عبد الإله وغدر الإنكليز	٢٨٥
الفصل الرابع: العدوان الانكليزي على العراق عام١٩٤١	
الحرب العراقية الانكليزية	٢٩٥
دور الإنكليز والحالة المعنوية في العراق	٢٩٦
قواعد الإنكليز في العراق	٣٠٠
من وقائع قتالنا مع الإنكليز	٣٠٣
الفصل الخامس: الخاتمة	٣٠٩
ليلة النجاة	٣١١
رسالة إلى حمدي الباجه جي	٣١٨
العدل التركي ـ دفاع الضابط العراقي صلاح الدين الصباغ	٣٢٠
إلى أولادي	٣٥٠

الشهادات

١- ايمان صلاح الدين	٤٣
٢- أهمية العاصمة العسكرية الكوفة أم بغداد	٥٨
٣- الميثاق القومي العربي	٧٨
٤- صور ووثائق	١١٣
٥- صلاح الدين الصباغ يكتب	١٢٥
٦- في الصحافة	١٥٧
٧- رسائل الصبّاغ	١٨٦
٨- الحنين إلى أهله	٢٠٥
٩- في صحيفة الجهاد الحلبية	٢٢٥
١٠- نزار الصبّاغ يلتقي الرئيس جمال عبد الناصر	٢٥٨
١١- في ردّه على كتاب المفوضية العراقية	٢٨٣
١٢- الحوار الأخير	٢٩٣
١٣- كيف حصل الابن على مذكرات أبيه	٣٠٧
١٤- الرئيس جمال عبد الناصر يقرأ مذكرات الشهيد	٣٤٩

مذكرات الشهيد صلاح الدين الصبّاغ

ماذا يفعل الايمان الصادق القوي في النفس البشرية؟!

هذا هو السؤال الذي كان يتنقل أمام عيني عند كل صفحة من صفحات تاريخ البطل العربي صلاح الدين الصباغ . لقد اشترك في عدد كبير من المعارك . في ميسلون . في فلسطين وفي جميع معارك الحرب العالمية . لم يترك معركة في أي مكان من وطنه العربي الا وتقدم لها مضحيا بكل عزيز وغال . وكانت أكبر معركة من معاركه تلك التي بدأها ضد القوات المستعمرة لبلاده وأذناب هذه القوات وعملائها . فما وهن . وما ضعف . وما أغراه منصب أو جاه أو مال . كان شابا عربيا وكانت له آمال ومثل ومبادىء . كان في أوج مايكون الشباب بهاء وروعة . وكان في نفس الوقت في أقصى درجات الايمان ببلاده . بعروبته وبمستقبل هذه العروبة وعزها وكرامتها .

واستشهد صلاح الدين الصبّاغ . وذهب جسده ليعلق فوق باب وزارة الدفاع . وظن البعض انه انتهى .

وفجأة . . وفي نفس المكان الذي وضع فيه جسد صلاح الدين وبعد ثلاثة عشرة عاما جرجر جسد قاتل صلاح الدين الى نفس المكان .

وفي الوقت الذي كانت العيون تملأها الدموع والقلوب واجفة هلعة وهي تمر تحت جسد قائدها وبطلها صلاح الدين . كانت الحجارة والاحتقار تترى على جسد قاتله . وعاش صلاح الدين وبقيت روحه . وعرف الجميع أن المبادىء لاتموت . وأن الايمان يستطيع أن يفعل الكثير . وأن يؤكد انتصار قوميتنا العربية .

عادل طاهر